

تأليف
شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي
المتوفى سنة ٣٨٠ هـ

علق عليه ووضع حواشيه
محمد أمين الضناوي

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ١٣/١٢/١١/٨٠٤٨١٠ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kutub Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.P: 11-9424 Beyrouth - Liban


ISBN 2-7451-3733-6
9782745105639 90000>

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

ليس من المستغرب أنّ كتب البلدان وآثار الأمم مازالت تلاقي رواجاً حتّى أيّامنا الحاضرة.

إنّ أكثر ما لفتني في هذه الكتب طول صبر وأناة مصنّفيها، فهم لا يألون جهداً في البحث والسؤال للوقوف قدر استطاعتهم على حقائق الأمور، ودقائق المسائل التي يواجهونها، ولا غروّ في القول إنّ أحدهم قد يصادف مشكلة تهدّد حياته وسلامته، لكنّه مع ذلك يبقى صامداً مؤمناً بعمله ورسالته.

إنّه يخشى أن تندرس آثار البلدان والعلماء، وأن تنقطع أخبار الأمم الغابرة أو تُلَفّقَ أخبارها على أيدي أعداء الأمّة، لذا انبرى عدد من العلماء العرب المسلمين وأخذوا على عاتقهم تسجيل تلك الأحداث والسفر برحلات علميّة بحثاً واستقصاء ومناظرة كي تبقى تلك الآثار مصنّفة في كتب يتناقلها الخلف عن السلف.

إن في هذا الكتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» خير دليل على أمانة مصنّفه ومنهجيّته ودقّته في عرض وتقديم ما توصّل إليه خلال رحلاته.

والجدير ذكره أنّ مصنّف هذا الكتاب محمّد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء، المقدسيّ قد وصف الأمصار المشهورة، ومدنها المذكورة، ومنازلها المسلوكة، وطرقها المستعملة، وعناصر العقاقير، والآلات، ومعادن الحمل والتجارات، واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم، وألسنتهم، وألوانهم، ومذاهبهم، ومكاييلهم وأوزانهم، ونقودهم وصروفهم، وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم، ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم، وما يُحمل من عندهم وإليهم، كما ذكر مواضع الخطر في المفازات، وعدد المنازل في المسافات.

محمّد أمين الضنّاويّ

ترجمة المؤلِّف[1]

هو محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء، المقدسيّ، ويقال له البشّاري، شمس الدين، أبو عبد الله.

رحّالة جغرافيّ، ولد في القدس، وتعاطى التجارة، فتجشّم أسفاراً هيّأت له المعرفةبغوامض أحوال البلاد، ثم انقطع إلى تَتَبُّعِ ذلك.

طاف أحمد بن أبي بكر البنّاء، المقدسيّ أكثر بلاد الإسلام، وصنّف كتاباً أسماه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم».

قال المستشرق «غلدميستر»: امتاز المقدسيّ عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة نظره.

قال «سبرنغر»: لم يتجوّل سائح في البلاد كما تجوّل المقدسيّ، ولم ينتبه أحد أو يُحسِن ترتيب ما علم وعمل به مثله.

---

(١) للاستزادة يراجع: مجلة الشرق (١٠: ٦٨٣ ـ ٦٩٥)، الأعلام، خير الدين الزركليّ، ج ٥/ ص ٣١٢، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الحادية عشرة ـ أيّار/ مايو ١٩٩٥م.

[خطبة الكتاب]

الحمد لله الذي خلق فقدَّر وصوَّر فأتقن صنع البريَّة بلا مشير يناصره، ودبَّرها بلا مُعين يعاضده، أتقنها أيَّ إتقان، وأحكمها بلا أعوان، أوتد الأرض بالراسيات لئلاَّ تميد، وأحاطها بالبحر كيلا يغلب ماؤُها ويزيد، وبثَّ فيها عباده لينظر كيف يعملون فمنهم من آمن واهتدى، ومنهم من كفر وتولَّى، وصلَّى الله على خير البريَّة، وأكرم الذريَّة، محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

قال أبو عبد الله محمَّد بن أحمد المقدسيُّ[1]:

أما بعد،

فإنه ما زالت العلماء ترغبُ في تصنيف الكتب لئلاَّ تدرس آثارهم، ولا تنقطع أخبارهم، فأحببتُ أن أتّبع سُنَنَهم، وأقفوَ سَنَنَهم، وأقيم علماً أُحيي به ذكرى، ونفعاً للخلق أُرضي به ربّي، ووجدتُ العلماءَ قد سبقوا إلى العلوم فصنَّفوا على الابتداء، ثم تبعتهم الأخلاف فشرحوا كلامهم واختصروه، فرأيتُ أن أقصد علماً قد أغفلوه، وأنفردُ بفنّ لم يذكروه، إلاَّ على الإخلال وهو ذكر الأقاليم الإسلاميَّة وما فيها من المفاوز والبحار، والبُحيرات والأنهار.

ووصف أمصارها[2] المشهورة، ومدنها المذكورة، ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة وعناصر العقاقير والآلات، ومعادن الحمل والتجارات، واختلاف أهل

---

(١) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء، المقدسيّ، ويقال له البشّاري، شمس الدين، أبو عبد الله. رحّالة جغرافيّ، ولد في القدس، وتعاطى التجارة، فتجشّم أسفاراً هيّأت له المعرفة بغوامض أحوال البلاد، ثم انقطع إلى تتبّع ذلك. طاف أحمد بن أبي بكر البنّاء، المقدسيّ أكثر بلاد الإسلام، وصنّف كتاباً أسماه «أحسَن التقاسيم في معرفة الأقاليم». قال المستشرق «غلدميستر»: امتاز المقدسيّ عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة نظره. قال «سبرنغر»: لم يتجوّل سائح في البلاد كما تجوّل المقدسيّ، ولم يتنبه أحد أو يُحسِن ترتيب ما علم وعمل به مثله.

(٢) المصر: المدينة، الصقع. (القاموس المحيط، مادّة: مصر).

البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم، ومذاهبهم، ومكاييلهم، وأوزانهم، ونقودهم، وصروفهم، وصفة طعامهم، وشرابهم، وثمارهم، ومياههم، ومعرفة مَفاخرهم وعيوبهم، وما يحمل من عندهم وإليهم، وذكر مواضع الأخطار في المفازات، وعدد المنازل في المسافات.

وذكر السباخ والصلاب والرمال، والتلال والسهول والجبال، والحواوير، والسِماق، والسمين منها والرُقَاق، ومعادن السعة والخصب، ومواضع الضيق والجدب.

وذكر المشاهد، والمراصد، والخصائص، والرسوم، والممالك، والحدود، والمصارد[1]، والجروم[2]، والمخاليف[3]، والزموم[4]، والطساسيج[5]، والتخوم، والصنائع، والعلوم، والمباخس، والمشاجر، والمناسك، والمشاعر.

وعلمتُ أنه باب لا بدَّ منه للمسافرين والتجار، ولا غنى عنه للصالحين والأخيار، إذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء، وتطلبه القضاة والفقهاء، وتحبُّه العامَّة والرؤساء، وينتفع به كلُّ مسافر، ويحظى به كلُّ تاجر، وما تمَّ لي جمعه، إلاَّ بعد جولاني في البلدان، ودخولي أقاليم الإسلام، ولقائي العلماء، وخدمتي الملوك ومجالستي القضاة ودرسي على الفقهاء، واختلافي إلى الأدباء والقُرَّاء، وكَتَبَة الحديث، ومخالطة الزهَّاد والمتصوّفين، وحضور مجالس القُصَّاص والمذكّرين، مع لزوم التجار في كلّ بلد، والمعاشرة مع كلّ أحد، والتفطُّن في هذه الأسباب بفهم قوي حتَّى عرفتُها، ومساحة الأقاليم بالفراسخ، حتَّى أتقنتُها، ودوراني على التخوم حتَّى حرَّرتُها، وتنقُّلي إلى الأجناد حتَّى عرفتها، وتفتيشي عن المذاهب حتَّى علمتها، وتفطُّني في الألسن والألوان حتّى رتَّبتها، وتدبُّري في الكُوَر[6] حتَّى فصَّلتها، وبحثي

---

(١) المصارد: مفردها الصردة، أو الصرد، وهو الجبل المرتفع البارد. (المنجد في اللغة والأعلام، مادّة: صرد).

(٢) الجروم: النخيل والتمر بعدما يُصرم. (القاموس المحيط، مادّة: جَرَمَهُ).

(٣) المخاليف: من ذهبوا من الحيّ ومن حضر منهم ضدّ فهم خلوف ومخاليف. (القاموس المحيط، مادّة: خلف).

(٤) الزموم: أزمّة البعير، أو لعلها امتلاء القربة. (القاموس المحيط، مادّة: زمّه).

(٥) الطساسيج: النواحي، الرُبع. (القاموس المحيط، مادّة: الطسوج).

(٦) الكور: جمع كورة، بالضمّ، هي المدينة والصقع. (القاموس المحيط، مادّة: الكُوَر).

عن الأخرجة حتّى أحصيتها، مع ذوق الهواء، ووزن الماء، وشدّة العناء، وبذل المال، وطلب الحلال، وترك المعصية ولزوم النصح للمسلمين بالحسبة، والصبر على الذلّ، والغربة، والمراقبة لله والخشية، بعدما رغّبتُ نفسي في الأجر، وطمّعتها في حسن الذكر، وخوّفتها من الإثم وتجنّبتُ الكذب والطغيان، وتحرّزت بالحجج من الطعان، ولم أودعه المجاز والمحال، ولا سمعتُ إلاّ قول الثقات من الرجال، أعاننا الله على ما قصدناه، ووفّقنا لما يُحِبُّه ويرضاه، فإنّا له عابدون، وإليه راجعون.

مقدّمات وفصول لا بدّ منها

اعلم أني أسّستُ هذا الكتاب على قواعد محكمة وأسندته بدعائم قويّة وتحريّت جهدي الصواب، واستعنتُ بفهم أولي الألباب، وسألتُ الله عزَّ اسمه، أن يُجنّبني الخطأ والزلل، ويبلغني الرجاء والأمل، فأعلي قواعده وأرصف بنيانه ما شاهدته وعقلته، وعرفته وعلّقته، وعليه رفعتُ البنيان وعملتُ الدعائم والأركان.

ومن قواعده أيضاً وأركانه، وما استعنتُ به على تبيانه، سؤال ذوي العقول من الناس، ومن لم أعرفهم بالغفلة والالتباس، عن الكور والأعمال في الأطراف التي بعدتُ عنها، ولم يتقدّر لي الوصول إليها، فما وقع عليه اتّفاقهم أثبتُّه، وما اختلفوا فيه نبذته، وما لم يكن لي بدٌّ من الوصول إليه والوقوف عليه قصدته وما لم يقرّ في قلبي ولم يقبله عقلي أسندته إلى الذي ذكره. أو قلتُ: زعموا. وشحنته بفصول وجدتها في خزائن الملوك.

وكلٌّ من سبقَنا إلى هذا العلم لم يسلك الطريق التي قصدتها ولا طلب الفوائد التي أردتها.

أمّا أبو عبد الله الجَيْهانيُّ فإنه كان وزير أمير خراسان[1] وكان صاحب فلسفة

(١) خُراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين، وبيهق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان، وسجستان، وكرمان، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور، وهراة، ومرو، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة، ومنها صلحاً. وقد اختلف في تسميتها بذلك، فقال دغفل النسّابة: خرج خُراسان وهيطل ابنا عالم بن سام بن نوح، عليهما السلام، لما تبلبلت الألسن ببابل، فنزل كل واحد منهم في البلد المنسوب إليه، يريد أن هيطل نزل في البلد المعروف بالهياطلة، وهو ما وراء نهر جيحون، ونزل خُراسان في البلاد التي ذُكرت في بداية الحديث عن خُراسان في هذا الهامش، فسميت كلّ بقعة بالذي نزلها، وقيل: خُر، اسم للشمس بالفارسية الدّريّة، وأسان كأنه أصل الشيء ومكانه. وقيل: معناه كُلْ سهلاً، لأن معنى خُر: كُلْ ومعنى أسان: سهل، والله أعلم. وأما بالنسبة إليها ففيها لغات: الخُرسي، الخُراساني وتجمع على خُراسين. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٠١).

ونجوم وهيئة فجمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك إليها وارتفاع الخُنَّس منها وقيام الظلّ فيها ليتوصَّل بذلك إلى فتوح البلدان ويعرف دخلها ويستقيم له علم النجوم ودوران الفلك ألا ترى كيف جعل العالم سبعة أقاليم وجعل لكلّ إقليم كوكباً مرّةً يذكر النجوم والهندسة وكرّة يورد ما ليس للعوام فيه فائدة، وتارةً ينعت أصنام الهند[1] وطوراً يصف عجائب السند[2] وحيناً يفصّل الخراج والردّ ورأيتُه ذكر منازل مجهولة. ومراحل مهجورة ولم يفصّل الكور ولا رتّب الأجناد ولا وصف المدن، ولا استوعب ذكرها، بل ذكر الطرق شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً مع شرح ما فيها من السهول والجبال والأودية والتلال والمشاجر والأنهار وبذاك طال كتابه وغفل عن أكثر طرق الأجناد ووصف المدائن الجياد.

وأما أبو زيد البلخيُّ فإنه قصد بكتابه الأمثلة. وصورة الأرض بعدما قسمها على عشرين جزءاً، ثم شرح كلّ مثال واختصر ولم يذكر الأسباب المفيدة ولا أوضح الأمور النافعة في التفصيل والترتيب وترك كثيراً من أمّهات المدن فلم يذكرها وما دوّخ البلدان ولا وطئ الأعمال ألا ترى أن صاحب خراسان استدعاه إلى حضرته ليستعين به فلمّا بلغ جيحون[3] كتب إليه إن كنتَ استدعيتني لِما بلغك من صائب رأيي فإنّ رأيي يمنعني من عبور هذا النهر فلمّا قرأ كتابه أمره بالخروج إلى بلخ[4].

وأمّا ابن الفقيه الهمذانيُّ فإنه سلك طريقةً أخرى ولم يذكر إلاّ المدائن العظمى

---

(١) الهند: تقع في آسيا على المحيط الهندي، وخليج البنغال، وبحر العرب بين باكستان، والصين، والتبت، ونيبال، وبوتان، وبنغلادش، وبورما. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٠٣).

(٢) السِّند: بكسر السين وسكون الثانية وآخره دال مهملة، هي بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان. قالوا: السند والهند كانا أخوين من ولد بوقير بن يقطن بن حام بن نوح. فتحت أيام الحجّاج بن يوسف وأهلها على مذهب أبي حنيفة. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٠٣).

(٣) جيحون: اسم أعجمي، نهر سمي بذلك لاجتياحه الأرضين، قال حمزة: أصل اسم جيحون بالفارسية هارون، ويقال له: نهر بلخ. وهو اسم وادي خُراسان على وسط مدينة يقال لها: جيهان، فنسبه الناس إليها وقالوا: جيحون، على عادتهم في قلب الألفاظ، قال ابن الفقيه: يجيء جيحون من موضع يقال له: ريو ساران، وهو جبل يتّصل بناحية السند، والهند، وكابُل. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢٢٨).

(٤) بلخ: مدينة مشهورة بخُراسان من أجلّ مدنها، وأكثرها خيراً، وأوسعها غلّة، تحمل غلّتها إلى جميع خُراسان وإلى خوارزم، قيل: إن أول من بناها لُهراسف الملك لما خرّب صاحبه بخت نصر بيت المقدس. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٦٨).

ولم يرتّب الكور والأجناد وأدخل في كتابه ما لا يليق به من العلوم مرّةً يزهد في الدنيا وتارةً يرغب فيها ودفعةً يُبْكي وحيناً يُضحك ويُلهي.

وأمّا الجاحظ وابن خرداذبه فإن كتابيهما مختصران جدًّا لا يحصل منهما كثير فائدة، فهذا ما وقع إلينا من المصنَّفات في هذا الباب بعد البحث والطلب وتقليب الخزائن والكتب وقد اجتهدنا في أن لا نذكر شيئاً قد سطروه، ولا نشرح أمراً قد أوردوه، إلاّ عند الضرورة لئلاّ نبخس حقوقهم، ولا نسرق من تصانيفهم، مع أنّه لا يعرف فضل كتابنا هذا إلاّ من نظر في كتبهم أو دوّخ البلدان وكان من أهل العلم والفطنة.

ثم إنّي لا أُبرّئ نفسي من الزلل، ولا كتابي من الخلل، ولا أسلّمه من الزيادة والنقصان ولا أفلته من الطعن على كلّ حال.

وبعد فإنّ شرحنا الأسباب التي شرطناها، في الخطبة يتفاوت في الأقاليم ولا يتساوى لأنّا إنّما نذكر ما نعرف، وليس هو علم يطّرد بالقياس فيتساوى، وإنّما يُدرك بالمعاينة والخبر فينهى.

وفي كتابنا هذا اختصار لفظ يدلُّ على معانٍ مثل قولنا: لا نظير له. نريد أن ليس مثله بتّةً مثل معنّقة بيت المقدس ونَبْدة مصر وليمو البصرة وهذه أشياء لا يُرَى مثلها وإن كانت أجناساً، فإن قلنا: غاية. فإنها تعني في الجودة من الأجناس مثل إجّاص العمريّ بشيراز وتين الدمشقيّ بالرملة ومشمش العصلونيّ والريباس بنيسابور، فإن قلنا جيّد فقد يكون أجود منه الطائفيُّ ونيل أريحا خير منه الزَّبيديّ وخوخ مكّة أسرى منه، الدارقيُّ، وربّما أجملنا القول وتحته شرح مثل قولنا في الأهواز: ليس لجامعها حرمة، وذلك أنه أبداً مملوٌّ بخلق من الشُطّار والسوقة والجُهّال يتّعدون إليه ويجتمعون فيه، ثم لا يخلو من قوم جلوس والناس في الفريضة وهو بيت الشحّاذين ومركز للفاسقين، وكقولنا: ولا أعز من أهل بيت المقدس، لأنك لا ترى فيها بخساً ولا تطفيفاً ولا شرباً ظاهراً ولا سكران ولا بها دور فسق سرًّا ولا إعلاناً مع تعبُّد وإخلاص، ولقد بلغهم أن الأمير يشرب فتسوّروا عليه داره وفرّقوا أهل مجلسه، ومثل قولنا في شيراز: لا مقدار لأهل الطيالسة بها، وذلك أنه لباس الشريف، والوضيع، والعالم، والجاهل، وكم قد رأيتُ بها من سكارى قد بعثروا بطيالسهم وسحبوها وكنتُ إذا استأذنتُ على الوزير وأنا مطيلس حُجبت إلاّ إذا عُرِفْتُ وإذا أتيتُ

بذُرّاعة أُذِنَ لي، وربَّما ذكَّرنا وأنَّثنا في ذكر بلدة واحدة فالتذكير مصروف إلى مصر والتأنيث إلى قصبة ومدينة مع أن أهل الأدب قد أجازوا ذلك فيما ليس له روح، والبلد يعمُّ المصر والقصبة والرستاق[1] والكورة والناحية وإذا وصفنا قصبة في كورتها ذكرناها باسمها مثل الفسطاط[2] ونُمُوجْكَث واليَهُوديّة[3].

وإن ذكرناها في موضع آخر ذكرناها باسمها المعروف عند الناس فقلنا مصر بخارا[4] أصبهان، وكلَّما قلنا المشرق فهي دولة آل سامان فإن قلنا الشرق أردنا أيضاً فارس وكرمان والسند فإن قلنا المغرب فهو الإقليم فإن قلنا الغرب تبع ذلك مصر والشام.

وقد أودعناه شيئاً من الغوامض والمعاني ليجلَّ ويقلَّ وأوردنا فيه الحجج توثُّقاً.

والحكايات تحقُّقاً والسجع تظرُّفاً والأخبار تبرُّكاً وبسطنا أكثره ليقف عليه العوامُّ إذا تأمَّلوه ورتَّبناه على طرق الفقه ليجلَّ عند العلماء إذا تدبَّروه وذكرنا الاختلافات تبحُّراً والنكت تحرُّزاً وطوَّلناه بوصف المدن لمعانٍ شتَّى وذكرنا الشؤون لفوائد لا تخفى وأوضحنا الطرق لأن الحاجة إليها أشدُّ وصوَّرنا الإقليم لأن المعرفة بها أروج وفصَّلنا الكور لأن ذلك أصوب.

---

(١) رستاق: هو الرُّزداق بالضمّ: السواد والقرى، فارسية الأصل مُعَرَّبة. الرُّستا، والرُّزدق هو الصف من الناس والسطر من النخل. (القاموس المحيط، مادة: الرُّزداق).

(٢) الفسطاط: معناه هو بيت من أَدَم أو شعر، وقال صاحب معجم العين: هو ضرب من الأبنية، وهو ما بني أو شُيِّد لعمرو بن العاص بعد فتح مصر، وأُطلقت التسمية على ذلك الموضع. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٩٧).

(٣) اليهودية: نسبة إلى اليهود في موضعين: أحدهما بجرجان والآخر بأصبهان، قال أهل السير: لما أُخرجت اليهود من البيت المقدّس في أيام بخت نصر سبقوا إلى العراق فحملوا معهم من تراب البيت المقدس ومن مائه، فكانوا لا ينزلون منزلاً ولا يدخلون مدينة إلاّ وزنوا ماءها وترابها فما زالوا كذلك حتى دخلوا أصبهان، فنزلوا بموضع منها يقال له بنجار، وهي كلمة عبرانية معناها انزلوا فنزلوا ووزنوا الماء والطين الذي في ذلك الموضع، فكان مثل الذي معهم من تراب البيت المقدّس ومائه فعنده اطمأنوا وأخذوا في العمارات والأبنية وتوالدوا وتناسلوا وسمّي المكان بعد ذلك اليهودية، وهو موضع إلى جنب جيّ. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٥١٨).

(٤) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

وقد استخرنا الله تعالى قبل جمعه وسألناه التوفيق والمعونة بعد ما استشرنا صدور الزمان والأئمّة.

وحملنا مُخْضَرَه إلى القاضي المختار عالم خراسان وأوفر قضاة الزمان فكلّ أشار به وقَبِلَه وبعث على إحضاره ومَدَحَه.

وقد ذكرنا ما رأيناه وحكينا ما سمعناه فما صحّ عندنا بالمعاينة وأخبار التواتر أرسلنا به القول وما شككنا فيه أو كان من طريق الآحاد أسندناه إلى الذي منه سمعناه، ولم نذكر في كتابنا إلاّ صدراً مشهوراً أو عالماً مذكوراً، أو سلطاناً جليلاً إلاّ عند ضرورة أو خلال حكاية ولوقارة ذلك أن نسمّيه رجُلاً ونذكر محلّه لئلاّ يدخل في جملة الأجلّة.

واعلم أنّي مع هذه الوثائق والشروط لم أظهره حتّى بلغتُ الأربعين، ووطئتُ جميع الأقاليم وخدمتُ أهل العلم والدين، واتّفق وفاء ذلك بمصر فارس في دولة أمير المؤمنين أبي بكر عبد الكريم الطائع لله، وعلى المغرب أبو منصور نزار العزيز بالله أمير المؤمنين سنة ٣٧٥.

ولم نذكر إلاّ مملكة الإسلام حسب، ولم نتكلّف ممالك الكفّار لأنها لم ندخلها ولم نر فائدة في ذكرها بلى قد ذكرنا مواضع المسلمين منها، وقد قسمناها أربعة عشر إقليماً وأفردنا أقاليم العجم عن أقاليم العرب ثم فصّلنا كور كلّ إقليم.

ونصبنا أمصارها وذكرنا قصباتها ورتّبنا مدنها وأجنادها بعد ما مثّلناها ورسمنا حدودها وخِطَطها وحرّرنا طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا رمالها الذهبيّة بالصفرة وبحارها المالحة بالخضرة وأنهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف إلى الأفهام، ويقف عليه الخاصّ والعامّ، والأقاليم العربية: جزيرة العرب، ثم العراق، ثم أقور، ثم الشام، ثم مصر، ثم المغرب، وأقاليم العجم: أوّلها المشرق، ثم الديلم، ثم الرحاب، ثم الجبال، ثم خوزستان، ثم فارس، ثم كرمان، ثم السند، وبين أقاليم العرب بادية ووسط إقليم الأعاجم مفازة لا بدّ من إفرادهما والاستقصاء في وصفهما لشدّة الحاجة إليهما وكثرة الطرق فيهما.

وأما البحار والأنهار فقد أفردنا لهما باباً كافياً لشدّة الحاجة إليه والإشكال فيه.

ذكر البحار والأنهار

اعلم أنّا لم نر في الإسلام إلاّ بحرين حسبُ أحدهما يخرج من نحو مشارق الشتاءِ بين بلد الصين[1] وبلد السودان[2] فإذا بلغ ملمكة الإسلام دار على جزيرة العرب. كما مثّلناه وله خلجان كثيرة وشعب عدّة وقد اختلف الناس في وصفه والمصوّرون في تمثيله فمنهم من جعله شبه طيلسان يدور ببلد الصين والحبشة[3] وطرف بالقلزم وطرف بعبّادان وأبو زيد جعله شبه طير منقارة بالقلزم ولم يذكر شعبة وَيْلَةَ وعنقه بالعراق[4] وذنبه بين حبشة والصين ورأيتُه ممثّلاً على ورقةٍ في خزانة أمير خراسان وعلى كرباسة عند أبي القاسم ابن الأنماطيّ بنيسابور وفي خزانة عضد الدولة والصاحب وإذا كلُّ مثال يخالف الآخر وإذا في بعضهنَّ خلجان وشعب لا أعرفها وأما أنا فسرتُ فيه نحو ألفي فرسخ ودرتُ على الجزيرة كلّها من القلزم إلى عبّادان سوى

---

(١) الصين: بالكسر، وآخره نون، بلاد في بحر المشرق مائلة إلى الجنوب وشماليها الترك، قيل: سميت الصين بصين، وصين وبَغْرابنا بغبر بن كماد بن يافث، ومنه المثل: ما يدري شَغَر من بَغَر. وهما بالمشرق وأهلهما بين الترك والهند، قيل: سميت بهذا الاسم لأن صين بن بغبر بن كماد أول من حلّها وسكنها. هي بلاد شاسعة وهي بلاد تشبه بلاد الهند يجلب منها العود، والكافور، والسنبل، والقرنفل، والبسباسة، والعقاقير. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٥٠٠).

(٢) السودان: لعله ما نعرفه اليوم ببلاد السودان وعاصمتها الخرطوم.

(٣) الحبشة: بفتح الحاء المهملة والباء المفتوحة والشين المفتوحة، وهي مملكة عظيمة جَليلة المقدار، متّسعة الأرجاء، فسيحة الجوانب. أرضها صعبة المسلك لكثرة جبالها الشامخة، وعظم أشجارها، واشتباك بعضها ببعض، حتى إن ملكها إذا أراد الخروج إلى جبهة من جهاتها، تقدّمه قوم مُرْصَدُون لإصلاح الطرق بآلات لقطع الأشجار وإحراقها بالنار. وهم قوم كثير عددهم، لم يملك بلادهم غيرهم من النوع الإنساني، لأنهم أجير بني حام، وأخبر بالتوغّل في القتال والاقتحام، طول زمنهم في الأسفار وصيد الوحش، وقتالهم إنما يكون عرياً من غير لأمة تدفع عنهم ولا عن خيلهم. (صبح الأعشى ج ٥/ ص ٢٨٩).

(٤) العراق: بلد مشهور، سمّيت بذلك من عِراق القربة، وهو الخرْزُ المثنيّ في أسفلها أي أنّها أسفل أرض العرب، وقيل: سمّي عراقاً لأنه سَفُل عن نجد ودنا من البحر. وقيل: العراق شاطئ البحر. وقيل: إنما سمي عراقاً لأنه دنا من البحر وفيه سباخ وشجر. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٠٥).

ما توهّت بنا المراكب إلى جزائره ولججه وصاحبتُ مشايخَ فيه وُلدوا ونشأوا من ربّانيّين وأشاتمة ورياضيّين ووكلاء وتجار ورأيتُهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره فسألتُهم عنه وعن أسبابه وحدوده ورأيتُ معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعوّلون عليها ويعملون بما فيها فعلّقتُ من ذلك صدراً صالحاً بعد ما ميّزتُ وتدبّرت، ثم قابلتُه بالصور التي ذكرتُ.

وبينا أنا يوماً جالس مع أبي عليّ بن حازم أنظر في البحر ونحن بساحل عدن إذ قال لي: ما لي أراك متفكّراً؟ قلتُ: أيّد الله الشيخ قد حار عقلي في هذا البحر لكثرة الاختلاف فيه والشيخُ اليومَ من أعلم الناس به لأنه إمام التجار ومراكبه أبداً تسافر إلى أقاصيه فإن رأى أن يصفه لي صفةً اعتمد عليها وأرجع من الشّك إليها فعل، فقال: على الخبير بها سقطتَ ثم مسح الرمل بكفّه ورسم البحر عليه لا طيلسان ولا طير وجعل له معارج متلسّنة وشعباً عدّةً، ثم قال: هذه صفة هذا البحر لا صورة له غيرها، وأنا أصوّره ساذجاً وأَدَعُ الشعب والخلجان إلاّ شعبة وَيْلَة لشهرتها وشدّة الحاجة إلى معرفتها وكثرة الأسفار فيها وأَدَعُ ما اختلفوا فيه وأرسم ما اتّفقوا عليه وعلى الأحوال كلّها لا شكّ أنه يدور على ثلاثة أرباع جزيرة العرب وأن له لسانَيْن كما ذكرنا من نحو مصر يفترقان على طرف الحجاز[(١)] بموضع يسمّى فاران وعظم هذا البحر وامتناعه بين عدن[(٢)] وعمان[(٣)] حتّى يصير اتّساعه نحو ستّمائة فرسخ ثم يصير لسان إلى عبّادان، ومواضع الخوف في المملكة جُبَيلان موضع غرف فرعون وهي لجّة القلزم وفيها تسير المراكب في العِرَاض لترجع من البرّ الغامر إلى البرّ العامر، ثم

---

(١) الحجاز: بالكسر وآخره زاي، قيل: في الحجاز وجهان: يجوز أن يكون مأخوذاً من قول العرب حجز الرجل بعيره يحجره إذا شدّه شدّاً يقيّده به، ويقال للحبل حجاز، ويجوز أن يكون سمّي حجازاً لأنه يُحتجز بالجبال. والحجاز جبل يمتدّ حالٌ بين الغور غور تِهامة ونجد فكأنه منع كلّ واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، وهذه حكاية أقوال العلماء. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢٥٢).

(٢) عدن: هي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، ردئة لا ماء بها ولا مرعى، وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة يوم. (معجم البلدان ج ٤ ص ١٠١).

(٣) عُمان: بضم أوله وتخفيف الثانية وآخره نون، اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند، وعُمان في الإقليم الأول في شرقي هجر، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلاّ أنّ حرّها يُضرب به المثل، وأكثر أهلها من الإباضية وهم لا يخفون ذلك. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٦٩).

فاران وهو موضع تهبُّ فيه الرياح من مصر والشام فتتحاذيان وفيه هلاك المراكب ومن رسمهم أن يبعثوا رجالاً يرقبون الريح فإذا سكنت الرياح أو غلبت التي هم من نحوها ساروا وإلاَّ أقاموا المدَّة الطويلة إلى وقت الفرج، ثم مرسى الحَوْراء كثير العرى تغترُّ فيه المراكب عند دخوله، ومن القلزم إلى الجار عرى صعبة من أجلها لا يسيرون إلاَّ بالنهار والربَّان على الجخوار منكبٌّ يطَّلع في البحر فإذا ظهرت عراة صاح يميناً وشمالاً وقد رتَّب صبيّان يصرخان بذلك وصاحب السكّان بيده حبلان يجذبهما يميناً وشمالاً إذا سمع النداءَ وإن غفلوا عن ذلك صدم العرى المركب فأعطبته، ثم عن جزيرة الصلاب مضيق يتّقى فيه للمراكب ويُوجل فمن أخذ ذات الشمال كان في سعة البحر، ثم جابر وهو موضع سوءٍ يرى فيه قعر البحر وذلك القصير كثيراً ما يعطب فيه المراكب وعند دخول كَمَرَان خوفٌ وشدَّة والمَنْدَمِ مضيق صعب لا يسلك إلاَّ في شباب الريح وقوّتها.

ثم يتلجلج البحر إلى عمان وترى ما ذكر الله أمواجاً كالجبال الراسيات إلاَّ أنه سليم في الذهاب مخوف في الرجعة من العطب والغرق جميعاً ولا بدَّ في كلّ مركب من مقاتلة ونفَّاطين.

ثم مرسى عمان رديءٌ مُهْلِك ثم فَمُ السَّبْع مضيق مخوف ثم الخَشَبَات التي تنسب إلى البصرة وهي الطامّة الكبرى مضيق وبحر رقيق وقد نُصب في البحر جذوع عليها بيوت ورتِّب فيها قوم يوقدون بالليل حتَّى يتباعد عنهم المراكب من رقّة تلك المواضع وسمعتُ شيخاً يقول وقد لحقتنا ثمَّ شدَّةٌ وضرب المركب الأرض عشر مرَّات هذا موضع يسافر فيه أربعون مركباً فيرجع واحد، ولا أحبُّ أن أطوّل هذا الأصل وإلاَّ ذكرتُ مراسي هذا البحر والطرق فيه.

ولهذا البحر الصينيّ زيادات في وسط الشهر وأطرافه وفي كلّ يوم وليلة مرَّتين ومنه جزْر البصرة[1] ومدُّها إذا زاد دفع دجلة فانقلبت في أفواه الأنهار وسقت،

---

(١) البصرة: البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدولب، وقيل: البصرة، حجارة رخوة فيها بياض، وقال ابن الأعرابي: البصرة حجارة صلاب، قال: وإنما سميت بصرة لغلظها وشدّتها. وقال الجاحظ: بالبصرة ثلاث أعجوبات ليست في غيرها من البلدان، منها: أن عدد المدّ والجزر في جميع الدهر شيء واحد فيقبل عند حاجتهم إليه ويرتدّ عند استغنائهم عنه، لا يبطئ عنها إلا بقدر هضمها واستمرائها وحجامها واستراحتها، لا يقتلها =

الضياع فإذا نقص جزر الماءُ، وقد اختلف الناس في سببه فقال قوم مَلَكٌ يغمس فيه إصبعه كلَّ يوم فيمدُّ فإذا رفع إصبعه جزر وقال كعب الأحبار لقي الخضر ملكاً فقال: أخبرني عن المدّ والجزر. فقال الملك: إن الحوت يتنفّس فينساب الماءُ إلى منخريه فذلك الجزر ثم يتنفّس فيخرجه من منخريه فذلك المدُّ، وروي لنا فيه وجه آخر أذكره في إقليم العراق.

وفيه ضيق وعمق أَخرَجُه رأس الجُمْجُمَة إلى الدَّيْبُل، ثم بعده بحر لا يُدْرَك عمقه وفيه من الجزائر ما لا يحصى كثرة فيها ملك من العرب يقال: إن بها ألفاً وسبعمائة جزيرة تملكهنَّ امرأة، وزعم من دخل مملكتها أنها تجلس لرعيَّتها على سرير عريانة وعليها تاج وعلى رأسها أربعة آلاف وصيفة قياماً عراة ثم بحر هَرْكَنْد وهو قاموس فيه سَرَنْدِيب تكون ثمانين فرسخاً في مثلها فيها جبل آدم الذي أهبط فيه اسمه الرُّهن يُرى من مسيرة أيّام عليه أثر قدم قد غرقت نحو سبعين ذراعاً والأخرى على مسيرة يوم وليلةٍ في البحر يرى عليه كلَّ ليلةٍ نور وثَمَّ يوجد الياقوت أجوده ما أحلره الريح وفيه ريحانٌ شبه المسك وفيها ثلاثة ملوك وثَمَّ شجر كافور لا يرى أطول من شجرته بيضاءَ تظلُّ أكثر من مائتي رجلٍ ينقر أسفلها فينساب عليه الكافور كالصمغ ثم تبطل الشجرة، تليها جزيرة الكلب فيها معادن الذهب طعامهم النارجيل بيض عراة حسان يتَّصل بها جزيرة الرَّمي فيها أشجار البَقَّم تغرس غرساً ثمرها يشبه الخرنوب مرّ وعروقها شفاءٌ من سمٌ ساعةٍ، وجزيرة أُسقُوطَرَة كأنها صومعة في البحر المظلم وهي سدُّ البوارج ومنهم تخاف المراكب ولم تزل في هَلَعٍ حتَّى جاوزنها، وهو أبرك البحرين وأحمدهما عاقبة.

والبحر الآخر خروجه من أقصى المغرب بين البسوس الأقصى والأندلس[1]

- خطساً ولا غرقاً ولا يغبُّها ظماً ولا عطشاً، يجيء على حساب معلوم وتدبير منظوم وحدود ثابتة وعادة قائمة، يزيدها القمر في امتلائه كما يزيدها في نقصانه فلا يخفى على أهل الغلّات متى يتخلّفون ومتى يذهبون ويرجعون بعد أن يعرفوا موضع القمر وكم مضى من الشهر، فهي آية وأعجوبة ومفخرة وأحدوثة. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٢٠).

(١) الأندلس: وهي كلمة عجميّة لم تستعملها العرب في القديم، وإنّما عرفتها العرب في الإسلام، وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام، وهي جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، تغلب عليها المياه الجارية، والشجر، والتمر، والرخص، والسعة في الأحوال. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣١١).

يخرج من المحيط عريضاً ثم ينخرط ثم يعود فيعظم إلى تخوم الشام وسمعتُ بعض مشايخ المغرب يفسّر هذه الآية ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ [الرحمن: ١٧] قال: المغربان هذان الوجهان من هذا البحر مغرب الصيف عن يمينه، ومغرب الشتاءِ عن يساره وسمعتُ جماعةً منهم يذكرون أنه يضيق في حدود طنجة حتّى يكون. . .

واتّفقوا على أنه عند معابر الأندلس إذا عاينتَ هذا البرّ ترايا لك البرُّ الآخر، وذكر ابن الفقيه أن طول بحر الروم الدبوريّ ألفان وخمسمائة فرسخ من إنطاكية[١] إلى جزائر السعادة وعرضه في مكان خمسمائة فرسخ وفي مكان مائتا فرسخ، فما كان من ناحية القبلة من طرسوس[٢] إلى دمياط[٣] ثم إلى السوس[٤] كلّهم مسلمون وما كان من الجهة الأخرى.

---

(١) أنطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء المخفّفة، كانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى أنطاكية، قال الهيثم بن عدي: أول من بنى أنطاكية أنطيخس، وهو الملك الثالث بعد الإسكندر، وذكر يحيى بن جرير المتطبب التكريتي: أن أول من بنى أنطاكية أنطيغونيا في السنة السادسة من موت الإسكندر ولم يُتمّها فأتمّها بعده سلوقلوس، وهو الذي بنى اللاذقية، وحلب، والرها، وأفامية. وقال في موضع آخر من كتابه: بنى الملك أنطيغونيا على نهر أورنطس مدينة وسمّاها أنطيوخيا وهي التي كمّل سلوقوس بناءها وزخرفها وسمّاها على اسم ولده أنطيوخوس وهي أنطاكية.

(٢) طَرَسُوس: بفتح أوله وثانيه، وضم ثالثه، بوزن قَرَبُوس، كلمة أعجمية رومية، ولا يجوز سكون الراء إلا في ضرورة الشعر لأن وزن «فعلول» ليس من أبنيتهم اللغوية. قالوا: سميت بطرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام، قيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان، وكان خادماً للرشيد في سنة تسعين ومائة ونيّف، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية، وحلب، وبلاد الروم. وبها قبر المأمون عبد الله بن هارون الرشيد جاءها غازياً فأدركته منيته فمات ودفن فيها. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣١).

(٣) دمياط: مدينة قديمة بين تنّيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل، مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وجاء في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا عمر إنه سيفتح على يديك بمصر ثغران الإسكندرية ودمياط، فأما الإسكندرية فخرابها من البربر، وأما دمياط فهم صفوة من شهداء من رابطها ليلة كان معي في حظيرة القدس مع النبيين والشهداء». ومن شمالي دمياط يصبّ ماء النيل إلى البحر المالح في موضع يقال له الأشتوم. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٥٣٧).

(٤) السوس: بضم أوله، بلدة في خوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام، قال حمزة: السوس تعريب الشوش، ومعناه الحسن، والنزه، والطيب، واللطيف قال ابن المقفع: أول سور وضع في الأرض بعد الطوفان سور السوس وتُستر ولا يُدرى من بنى سور السوس، قال ابن الكلبي: السوس بن سام بن نوح، عليه السلام، وقرأت في بعض كتبهم أن أول من بنى سور السوس وحفر نهرها أردشير بن بهمن القديم بن أسفندبار بن كُشْتاسِف. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣١٩).

يعني يسار البحر فنصارى، وفيه ثلاث جزائر عامرة آهلة إصقليّة تقابل المغرب وأقريطش تقابل مصر وقبرص[1] تقابل الشام وله خلجان، معروفة وعلى حافته بلدان كثيرة وثغور جليلة ورباطات فاضلة وجهة منه على تخوم الروم إلى حدود الأندلس والغالب عليه الروم وهو مخوف منهم جدًّا وهم أهل إصقليّة[2].

والأندلس أخبر الناس به وحدوده وخلجانه لأنهم يسافرون فيه ويغزون من هو يليهم، وفيه طرقهم إلى مصر والشام وقد ركبتُ معهم المدّة الطويلة أبداً أسائلهم عنه وعن أسبابه وأعرض عليهم ما سمعتُ فيه فقلَّ ما رأيتُهم يختلفون فيه وهو بحر صعب هائج تسمع له أبداً جلبة خاصّة ليالي الجمع، أخبرنا الفقيه أبو الطيّب عبد الله بن محمّد الجَلاَل بالريّ قال حدَّثنا أحمد بن محمّد بن يزيد استراباذيُّ قال حدَّثنا العبّاس بن محمّد قال حدَّثنا أبو سلمة قال حدَّثنا سعيد بن زيد قال: حدَّثنا ابن يسار عن عبد الله بن عمرو قال: إن الله لمّا خلق بحر الشام أوحى إليه أنّي خلقتُك وأنّي حامل فيك عباداً لي يبتغون من فضلي يسبّحونني ويقدّسونني ويكبّرونني ويهلّلونني فكيف أنت صانع بهم؟ قال: ربِّ إذاً أغرقهم. قال: اذهب فقدَ لعنتُك وسأُقلُّ حليتك وصيدك، وأوحى إلى بحر العراق مثل ذلك فقال: ربِّ إذاً أحملهم على ظهري فإذا سبَّحوك سبَّحتُك معهم، وإذا قدَّسوك قدَّستك معهم، وإذا كبَّروك كبَّرتك معهم، قال: اذهب فقد باركتُ فيك سأكثر حليتك وصيدك، وهذا دليل على أن ليس إلاّ بحران.

ولا أدري هذان البحران يقلبان في المحيط أم يخرجان منه وقرأتُ في بعض الكتب أنهما يخرجان منه وهما إلى القلب فيه أقرب لأنّك إذا خرجتَ من فرغانة[3] لا تزال تنحدر إلى مصر ثم إلى أقصى المغرب وأهل العراق يسمُّون العجم[4] أهل فَوْقَ وأهل الغرب أهل أَسْفَلَ فهذا يؤيّد ما ذهبنا إليه ويدلُّ على أنّها أنهار اجتمعت فصبَّت

(١) قبرص: كلمة رومية وافقت من التعربية النحاس الجيد، وهي جزيرة في بحر الروم. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٤٦).

(٢) إصقلية: ضبطها صاحب معجم البلدان صِقليّة بالصاد وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد، من جزائر بحر المغرب مقابلة أفريقيا. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٤٧٣).

(٣) فرغانة: مدينة كبيرة في أول بلاد تركستان وراء نهر سيحون وراء شاش، ولها قلعة حصينة وعلى بابها وادي أفسيكث. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٨٨).

(٤) الأعاجم: من ليس بعربي أو من كان جنسه من العجم الفرس أو الروم. (المنجد في اللغة والأعلام، مادة: عجم).

في المحيط والله أعلم. وجعل أبو زيد البحار ثلاثة زاد المحيط ولم ندخله نحن في الجملة لأنه كما يقال مستدير بالعالم كالحلقة لا يعرف له غاية ولا نهاية.

وأما الجيهانيّ فإنه جعلها خمسة زاد بحر الخزر[1] وخليج القسطنطينيّة ونحن اقتصرنا على ما أنبأ الله في كتابه حيث يقول: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: ١٩ ـ ٢٢] والبرزخ من الفَرَمَا إلى القلزم مسيرة ثلاثة أيّام، فإن قيل: إنّما أراد الله تعالى بالبحرين العذب والمالح لأنهما لا يختلطان كما قال: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الفرقان: ٥٣] الآية فالجواب إن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان من الحلو والله يقول: مِنْهُمَا ولا خلاف بين أهل العلم إن اللؤلؤ يخرج من الصينيّ، والمرجان من الروميّ، فعرفنا أنه إنّما أراد هذين البحرين، فإن قيل: البحار سبعة لأن الله قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧] وزاد المقلوبة والخوارزميّة فالجواب لم يقل الله تعالى إن البحار سبعة وإنّما ذكر بحر العرب وقال: ولو أن سبعة مثله جعلت أيضاً مداداً كما قال: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٦] مع أنّه يجب بهذا الدعوى أن تكون ثمانية وأيضاً فإنّا نلتزم هذا السؤال وننتصب فيه.

فنقول: إن البحر هو بحر الحجاز والسبعة بحر القلزم وبحر اليمن وبحر عمان وبحر مكران وبحر كرمان وبحر فارس وبحر هجر فهذه ثمانية كما نطقت الآية فإن قيل: يلزمك بهذا التأويل أن تكون أكثر من عشرة لأنك تركتَ بحر الصين وبحر الهند وبحر الزنج فالجواب من وجهين:

أحدهما: إن الله تعالى خاطب العرب بما يعرفونه ويعاينونه ليؤكّد عليهم الحجّة وما كانت أسفارهم إلاّ في هذه البحار الا ترى أن هذا البحر بهذه الأسامي يدور على دبار العرب من القلزم إلى عبّادان.

والوجه الآخر: لا ننكر أن يكون البحار كثيرة وذكر الله تعالى منها في هذه الآية

---

(١) الخَزَر: بفتح الخاء والزاي وهم التركمان. في الإسرائيليات أنهم من ولد توغربحا بن كومر بن يافث بن نوح، وقيل: هم من بني طيراش بن يافث، وقيل: نوع من الترك. (صبح لأعشى ج ١/ ص ٤٢١).

ثمانية فإن قيل: هذا يرجع عليك ويلزمك أن البحار تجوز أن تكون سبعة وإنَّما ذكر الله منها.

في تلك الآية بحرين فالجواب هذا لا يشبه ذاك لأن الله تعالى قال في تلك: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمٰن: ١٩] فأشار إلى بحرين معهودين والألف واللام إذا لم يكونا للجنس فإنَّما هما للتعريف وقال في هذه: ﴿يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ [لقمان: ٢٧] ولم يدخل فيه حرف التعريف فيجوز أن يكون أراد به سبعة من جماعة كما قال: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ [الحاقة: ٧] وأيّام الله كثيرة وقال في آية أخرى ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨] فلا يجوز بأن يقال أنهم كانوا أكثر فإن قيل لمّا وقع الاختلاف في تفسير هذه الآية ورأينا بحر الصين لا يلقى الروميّ سقط الاحتجاج بها وسلمت لنا الآية الأخرى.

فوجب أن تكون البحار سبعة فالجواب قد ارتفع الاختلاف بقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٢] وأمّا الالتقاء فحدَّثني جماعة من مشايخ مصر أن النيل كان يفيض في بحر الصين إلى قريب فإن قيل: تأويلك يوجب التناقض ـ لأن فيه ـ أنهما يلتقيان وأن بينهما على ما ذكرتَ ثلاثة أيّام وحاشى كتاب الله من التناقض وما تأوَّلناه مستقيم لأن التقاءَهما جريان الحلو فوق المالح والبرزخ المنع من اختلاطهما.

فالجواب: تأويلنا أيضاً مستقيم لأن أعطينا كلَّ معنى حقَّه فقلنا الالتقاءُ ما ذكرناه من صبّ النيل في الصينيّ وطرف النيل اليوم يفيض في الروميّ فبالنيل التقيا ويقال: إن أمّ موسى عمّ إنَّما طرحت تابوته في بحر القلزم فخرج في النيل إلى مصر مع أن الالتقاءَ غير الاجتماع لأن الملتقيين يكون بينهما فصل ومسافة وما ذهبوا إليه يسمَّى اختلاطاً لا التقاءً.

فإن قيل لِمَ جعلتَ بحار الأعاجم من السبعة بعدما قلتَ إن الله خاطبهم بما يعرفونه.

فالجواب: فيه من وجهين أحدهما أن العرب قدكانت تسافر إلى فارس ألا ترى أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: إنّي تعلّمت العدل من كسرى وذكر خشيته

وسيرته والآخر إن من سار إلى هجر وعبّادان لا بدّ له من بحر فارس وكرمان وتيز مكران أَوَلا ترى إلى كثير من الناس يسمُّونه إلى حدود اليمن بحر فارس وأن أكثر صنّاع المراكب وملأحيها فرس وهو من عمان إلى عبّادان قليل العرض لا يجهل المسافر فيه جهته.

فإن قيل فهلاَّ قلتَ هذا في بحر القلزم إلى موضع الاتّساع، فالجواب قد قلنا: إن من القلزم إلى عيذاب وما وراءَها مفاوز خالية لم يسمع أن هذا البحر ينسب إلى شيء منها مع أنّا قد انفصلنا عن هذا في بعض الجوابات.

فإن قيل: كيف يجوز أن تجعل بحراً واحداً ثمانية أبحر فالجواب أن هذا مشهور عند كلّ من ركب البحر ألا ترى كيف سمّى الله بحر الروم بحرين حيث يقول: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ الآية وكان هذا كلّه بسواحل الشام وأعلام ذلك ظاهرة وصخرة موسى ثمّ بيّنة، فإن قيل: فلمَ لا قلتَ: إن معنى قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٩] هو بحر واحد أيضاً فالجواب هذا لا يجوز لأن الله تعالى قال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ [الرحمن: ٢٠] والبرزخ حاجز مع أنّا نقول لهذا المخالف إن كان الأمر على ما تزعم فأرنا ثمانية بحار في الإسلام فإن ذكر المحيط قيل له: ذلك على تخوم العالم بغير نهاية تعرف وإن ذكر القسطنطينيّ قيل ذلك خليج من الروميّ يخرج خلف أصقليّة ألا ترى أنهم أبداً يغزون فيه فإن ذكر الخزريّ قيل له تلك بحيرة ألا ترى أن أكثر الناس يسمُّونها بحيرة طبرستان أولم تر إلى قرب أطرافها فإن قال المقلوبة والخوارزميّة قيل له من جعل هاتين من هذه الجملة لزمه أن يجعل بحيرات الرحاب وفارس وتركستان فيجاوز العشرين فإن أنصف رجع إلى قولنا والله أعلم.

وأما الأنهار الفائضة في المملكة فالمشهور منها فيما رأيتُ وميّزتُ اثنا عشر: دجلة والفرات والنيل وجيحون ونهر الشاش وسيحان وجيحان وبَرَدَان ومِهران ونهر الرَّسّ ونهر الملك ونهر الأهواز يجري فيها السفن ودونها خمسة عشر أخرى نهر المروَيْن ونهر هراة ونهر سجستان ونهر بلخ ونهر الصغد وطَيْفُورى وزَنْدَرُود ونهر العبّاس وبَرَدَى ونهر الأردنّ والمَقْلُوب ونهر إنطاكية ونهر أرَّجان ونهر شِيرِين ونهر سمندر ثم ما بعدهنّ صغار نذكر بعضهنّ في الأقاليم مثل نهر طاب والنهروان والزاب ونظائرهنّ فأمّا دجلة فإنها عين تخرج من تحت رباط ذي القرنين عند باب الظلمات

بإقليم أَقُور فوق الموصل ثم يلقاها عدّة أنهار منها الزاب إلى أن يلقاها الفرات وشعب النهروان ببغداد.

وأما الفرات[1] فإنه يخرج من بلد الروم ثم يتقوّس على إقليم أقور ويتشعّب إليه الخابور ثم يدخل العراق ويتبطّح خلف الكوفة ويلقى دجلة[2] منه أربع شعب.

وأما النيل[3] فمخرجه من بلد النوبة ثم يشقّ إقليم مصر فيتشعّب خلف الفسطاط فنهر يفيض بالإسكندريّة ونهر بدمياط، وذكر الجيهانيّ أنه يخرج من جبل القمر ثم ينصبّ في بحيرتين خلف خطّ الاستواءِ ويطيف بأرض النوبة، وقال غيره: لا يعرف له أوّل ولا يدري أحد من أين يقبل.

وحدّثنا أبو الحسن الخليل بن الحسن السرخسيّ بنيسابور قال حدّثنا أبو الحسن عليّ بن محمّد القنطريّ قال حدّثنا المأمون بن أحمد السلميّ قال حدّثنا محمّد بن خلف قال أخبرنا أبو صالح كاتب الليث بن سعد عن الليث قال ذكروا والله أعلم أنه كان رجل من بني العيص يقال له حائذ بن أبي شالوم بن العيص وأنه خرج هارباً من ملك من ملوكهم حتّى دخل أرض مصر فأقام بها سنين فلمّا رأى عجائب نيلها وما يأتي به جعل الله على نفسه أن لا يفارق ساحلها حتّى يبلغ منتهاه من حيث يخرج أو يموت قبل ذلك فسار حتّى انتهى إلى بحر أخضر فنظر إلى النيل يشقّ البحر

---

(١) الفرات: بالضم ثم التخفيف، وآخره تاء مثناة من فوق، قيل: الفرات معرّب عن لفظه وله اسم آخر، وهو فالأذروذ لأنه بجانب دجلة كما بجانب الفرس الجنيبة، والجنيبة تسمّى بالفارسية: فالاذ، والفرات في أصل كلام العرب أعذب المياه، قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ [الفرقان: ٥٣]. وقد فَرُت الماء إذا عَذُب، ومخرج الفرات فيما زعموا من أرمينية. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٧٤).

(٢) دجلة: نهر بغداد، لا تدخله الألف واللام، قيل: دجلة معرّبة على ديلد، ولها اسمان آخران وهما: أَرونك روذ وكُودَك دَرْيا أي البحر الصغير. وقيل: أول مخرج دجلة من موضوع يقال له عين دجلة على مسيرة يومين ونصف من آمد من موضع يعرف بهَلُورَس من كهف مظلم. روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أوحى الله تعالى إلى دانيال عليه السلام، وهو دانيال الأكبر، أن أحفر لعبادي نهرين، واجعل مَغيضهما البحر فقد أمرت الأرض أن تطيعك، فأخذ خشبة وجعل يجرّها في الأرض والماء يتبعه، وكلما مرّ بأرض يتيم، أو أرملة، أو شيخ كبير ناشدوه الله فيحيد عنهم، وقال في هذه الرواية: مبتدأ دجلة من أرمينية. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٥٠٢).

(٣) النيل: قال حمزة: هو تعريب نيلوس من الرومية، قال القضاعيّ: زمن عجائب مصر النيل جعله الله لها سقياً وزرعاً، يُزرع عليه ويُستغنى به عن ماء المطر في يام القيظ إذا نضبت المياه من سائر الأنهار. (معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨٥).

قال المقدسيُّ: هذا البحر هو المحيط. قال: فصعد على البحر فإذا هو برجل قائم يصلّي تحت شجرة تفّاح فلمّا رآه استأنس إليه وسلّم عليه فسأله من أنت قال حائذ بن أبي شالوم بن العيص بن إسحاق عليه السلام فمن أنت قال أنا عمران بن العيص بن إسحاق عمّ، قال: فما الذي جاءَ بك يا عمران، قال: جاءَ بي الذي جاءَ بك حتّى انتهيت إلى هذا الموضع فأوحى الله تعالى إليَّ أن قف في هذا الموضع حتّى يأتيك أمري قال فقال له يا عمران أخبرني عن النيل، فقال: لستُ بمخبرك دون أن تفعل ما أسألك قال وما ذاك قال إذا رجعت إليَّ وأنا حيٌّ أقمتَ عندي حتّى يوحي الله إليَّ بأمر أو يتوفّاني فتدفنني قال ذاك لك قال له سِرْ كما أنت على هذا البحر فإنّك ستأتي دابّة مقاربة للشمس إذا طلعت أهوت إليها لتبتلعها فلا يهولنّك أمرها فاركبْها فإنها تذهب بك إلى جانب البحر فسر عليه راجعاً حتّى تنتهي إلى النيل فسر عليه فإنك ستبلغ أرضاً من حديد جبالها وشجرها وسهولها من أرض ذهب إلى أن تنتهي وإذا بقبّة من ذهب فيها ينتهي إليك علم النيل فسار حتّى بلغ القبّة فإذا ماءٌ ينحدر من السور إلى القبّة ثم يفترق في الأبواب الأربعة فأمّا ثلاثة فتغيض في الأرض وأما واحد فيشقُّ على وجه الأرض وهو النيل فشرب منه واستراح وأهوى إلى السور ليصعد فأتاه مَلَكٌ فقال له يا حائذ قف مكانك فقد انتهى إليك علم النيل وهذه الجنّة وذكر الحديث بطوله.

وأما جَيْحُون فإن ابتداءَه من بلاد وخّان يمدُّ إلى الخُتَّل ثم يتّسع ويعظم ويقع إليه ستّة أنهار نهر هُلْبُك ثم نهر برببان ثم نهر فارغر ثم نهر انديجاراغ ثم نهر وَخْشاب وهو أعمقهنَّ ثم يلقاه نهر القواديان ثم أنهار الصغانيان كلُّ ذلك من جانب هيطل ثم ينحدر متبحّراً إلى خوارزم فيقرُّ في بحيرة مُرّة وقد سقى عدّة من المدن مع مدن خوارزم كلّها شرقاً وغرباً.

وأما نهر الشاش فإنه يخرج عن يمين بلد الترك ويمدُّ إلى بحيرة خوارزم أيضاً وهو يقارب جيحون في العظم إلاّ أنه شبه الميّت.

وأما سَيْحان وجَيْحان وبَرَدان فإنهنَّ أنهار طرَسُوس وأَذَنَة والمَصِّيصَة يخرجن من بلد الروم ثم يَغِضْن في البحر وكذلك سائر أنهار الشام إلاّ نهر بَرَدَى والأردنّ فإنهما يفيضان في البحيرة المقلوبة وبردى يتفجّر من جبال فوق دمشق ويشقُّ القصبة ويسقى الكورة ثم ينقسم فضلته فبعض يتبحّر في أقصى الكورة وبعض ينحدر إلى الأردنّ.

وأما نهر مِهْران فإنه يخرج من الهند ثم يفيض في بحر الصين بعد ما يلقاه عدّة أنهار في الأقاليم وطعم مائه ولونه وزيادته وكون التماسيح فيه كالنيل.

وأما نهر الرسّ والملك والكرّ. فإنهنّ يخرجن من بلاد الروم فيسقين إقليم الرحاب ثم يفضن في بحيرة الخزر.

وأما أنهار الأهواز فإنها عدّة أنهار تنحدر على الأقاليم من الجبال ثم تجتمع بحصن مهديّ وتفيض في بحر الصين عند عبّادان، ووجدتُ في كتاب بالبصرة أربعة أنهار من الجنّة في الدنيا النيل وجيحون والفرات والرسّ وأربعة من أنهار النار الزَّبَدَانِيُّ والكُرُّ وسَنْجَة والسم.

وأما نهر المَرْوَيْن وهراة وسجستان وبلخ فإنها تخرج من أربعة جوانب بلد الغُور ثم تنحدر إلى هذه الكور فتسقيها.

وأما طَيْفُورى فإنه ينحدر من جبال جرجان فيسقي الكورة، ونهر الريّ يخرج من فوق البلد من شبه فوّارة ثم ينشعب وينحدر على البلد، وزَنْدَرُود ينحدر من جبال أصفهان ثم يدخل اليهوديّة ويسقي الكورة.

وأما أنهار فارس فإنها تفيض في خمسة بحيرات في الإقليم ونهر طاب يقبل من البُرْج قبل سُمَيْرَم ثم يمدُّ على تخوم فارس ثم يفيض في بحر الصين عند سِينِيز، ونهر أرَّجان يتفجّر من جبال فارس ويقع فيه ماءٌ مالح تحت العقبة ويسقي الكورة بالقسمة.

ذكر الأسامي واختلافها

اعلم أن في الإسلام بلداناً وكوراً وقرى تتّفق أسماؤها وتتباين مواضعها ويشكل على الناس أمرها، والمنسوبون إليها.

فرأينا أن نقدّم هذا الباب ونفرده لها ونذكر أيضاً الأسامي التي يختلف فيها أهل الإقليم فإن ذلك يفيد من دخلها لا محالة، السوس كورة بأقصى المغرب ومدينة بأوّله وأخرى بهَيْطَل وكورة بخوزستان وبالمغرب سوسة أيضاً، أطرابلس مدينة على ساحل دمشق وأخرى على ساحل برقة، بيروت مدينة بدمشق ومدينة بخوزستان، عسقلان مدينة على ساحل فلسطين ومنبر ببلخ، رمادة مدينة بالمغرب وقرية ببلخ وأخرى بنيسابور وأخرى بالرملة، طبران مدينة على تخوم قومس ورستاق سرخس وطابران قصبة طوس وطبرستان كورة وطبرية قصبة الأردنّ وطواران كورة بالسند وطبرك موضع بالريّ، قوهستان كورة بخُراسان ومدينة بكرمان، طبس التمر وطبس العنّاب مدينتان بقوهستان، دهستان مدينة بكرمان وناحية بجرجان وناحية ببادغيس، نَسا مدينة بخراسان وأخرى بفارس وأخرى بكرمان، البيضاءُ نسا فارس وكورة بالمغرب ومدينة بالخزر، البصرة بالعراق ومدينة بالمغرب، الحيرة مدينة كانت بالكوفة وقرية بفارس ومنزل بسجستان ومحلّة بنيسابور، الجور مدينة بفارس والجور محلّة بنيسابور، حلوان كورة بالعراق ومدينة بمصر وقرية بنيسابور وأخرى بقوهستان، كرخ مدينة بسامرّا، ومحلّة ببغداد ومنبر بالرحاب وقرية ببغداد وكرخة مدينة بخوزستان كروخ مدينة بهراة، الشاش كورة بهيطل وقرية بالريّ، استراباذ مدينة بجرجان وقرية بنَسَا خراسان، كرج ناحية ومدينة لهمذان وقرية بالريّ، دستجرد مدينة بالصغانيان وقرى بالريّ ونيسابور ودستجرد مدينة بكرمان، مغون مدينة بقومس وأخرى بكرمان، باسند مدينة بالصغانيان وأخرى بالسند، أوه مدينتان بالجبال، الأهواز مصر خوزستان وقرية بالريّ، الرقة بأثور ومدينة بقوهستان، خوار مدينة بالريّ وأخرى على تخوم قومس وخور ببلخ وخُور بقوهستان، نوقان مدينة بطوس وقرية بنيسابور وموقان

مدينة بالرحاب ومنوقان مدينة بكرمان، الكوفة بالعراق وكوفا مدينة ببادغيس وكوفن رباط أبيورد، خانقين مدينة بحلوان العراق والخانقين بالكوفة وخانوقة باثور والخانقة متعبَّد الكرّاميّين بإيلِيَا، الحديثة مدينة على دجلة وأخرى على الفرات باقور والحدث مدينة بقِنّسرين والمحدثة منزل ببرّيّة تيماءَ، النبك والعونيد مدينتان بالحجاز ومنزلان ببرّيّة تيماء، الزرقاء قرية في طريق الريّ وموضع في طريق دمشق، عكا مدينة على ساحل الأردن وعك قبيلة باليمن، اليهودية قصبة أصفهان وقصبة جُوزَجان، الأنبار مدينة لبغداد وأنبار مدينة بجوزجان، أصفهان كورة وقرية أصفهانك في طريقها والأصبهانات مدينة بفارس، مدينة مدينة النبيّ ﷺ ومدينة الريّ ومدينة أصفهان ومدينة السلام والمدائن بالعراق، كوتا ربًّا وكُوتًا الطريق مدينة وقرية بالعراق، الدسكرة بخوزستان ودسكرة العراق، باراب رستاق بإسبيجاب وفارياب بجوزجان، الطالقان مدينة بالديلم وطالقان جوزجان، أبشين حضرة الشار ومدينة بغزنين، هراة خراسان ومِدينة لإصطخر، بغلان العليا والسفلى مدينتان بطخارستان، أسداواذ مدينة بالجبال وقرية بنيسابور، بيار شبه مدينة بقومس وقرية بنسا خراسان، ووذار رستاق لسمرقند، جرجان كورة بالديلم والجرجانية مدينة بخوارزم.

بلخ وبلخان مدينة خلف أبيورد، قزوين مدينة للريّ وقزوينك قرية بالدينور، فلسطين الشام وقرية بالعراق، الرملة قصبة فلسطين وقرية بالعراق، وقرية الرمل مدينة بخوزستان، فربر مدينة على جيحون وفره مدينة لسجستان وافراوه رباط نسا، أمل مدينة على جيحون وقصبة طبرستان واتل قصبة الخزر، بكراباذ شبه مدينة بجرجان ومنزل بسجستان، النيل نهر مصر ومدينة بالعراق، جبلة مدينة لحمص وجبيل على ساحل دمشق، قبا مدينة بفرغانة وقرية بيثرب ومنزل بالبادية.

قومس كورة بالديلم وقومسة قرية بأصبهان، الشامات نواحي الشام ومدينة بكرمان وربع من سواد نيسابور، جرش مدينة باليمن وجبل جَرَش بالأردنّ، سنجان مدينة بالرحاب وأخرى بمرو وقرية بنيسابور وسنجار مدينة بأثور وزنجان مدينة للريّ، مرو الشاهجان ومرو الروذ، سقيا يزيد مدينة.

ومنزل بالحجاز سُقْيا بني غفار، حضرموت مدينة بالأحقاف ومحلّة بالموصل، الرصافة ربع بغداد وقرية بأرّجان، نينوى القديمة والحديثة بالموصل، عسكر أبي جعفر بجانب بغداد الشرقيّ وقرية بالبصرة وعسكر مكرم كورة بخوزستان وعسكر

بنجهير ناحية ببلخ والعسكر محلّة بالرملة وأخرى بنيسابور. وقرية ببخارا، الدورق كورة ومدينة وقرية بخوزستان، الزبيدية منزل بالجبال وآخر بالبطائح وماءٌ بالبادية.

والزبداني مدينة بدمشق، الحدادة قرية بقومس والحدادية قرية بالبطائح، نيسابور وسابور وجندي سابور ثلاث، كور بناهنّ سابور وبنى بأرّجان مدينة بلا سابور.

وبإصطخر ارسابور، كرمان إقليم وكرمان شاهان مدينة بالجبال وكرمينية مدينة ببخارا وبيتكرماء قرية ببابليا، عمان كورة بالجزيرة وعَمّان مدينة بفلسطين، الزاب ناحية بالمغرب ونهر بأقور، اسكاف العليا والسفلى ببغداد، جيلان بالديلم التي تسمّيها العامّة كيلان، والجيل مدينة بالعراق، جزيرة العرب إقليم وجزيرة ابن عمر بأقور وجزيرة بنى زغنّاية وجزيرة أبي شريك بأفريقية.

والجزيرة مدينة بالفسطاط وجزيرة بني حدّان ببحر القلزم، قلعة الصراط وقلعة القوارب وقلعة برجمة وقلعة النسور وقلعة شميت وقلعة ابن الهرب وقلعة أبي ثور وقلعة البلّوط بالمغرب والقلعة بالرحاب. كلّهنّ مدن، حصن مهديّ مدينة بالأهواز وحصن السودان وحصن البرار وحصن ابن صالح مدن بسجلماسة حصن بلكونة مدينة بالأندلس حصن الخوابي بالشام حصن منصور بالثغور، قصر ابن هبيرة وقصر الجصّ بالعراق وقصر الفلوس مدينة بتاهرت قصر الأفريقيّ ومدينة القصور بأفريقية قصر الريح منزل بنيسابور قصر اللّصوص منزل بالجبال، تاهرت العليا كورة والسفلى مدينة بالمغرب.

سوق ابن خلف بأفريقية سوق ابن حبلة، سوق كرى سوق ابن مبلول سوق ابراهيم مدن بتاهرت أسواق على أيّام الجمعة بخوزستان مدن طخارستان تسمّى أسواقاً.

الأحساء كورة ومنزل بالحجاز، القادسية مدينة بالكوفة ومنزل بسامرّا، غزة بفلسطين الغزة بتاهرت، بطحاء مكّة والبطحاءُ مدينة بتاهرت، هران قرية بأصفهان وهران مدينة بتاهرت، تبريز بالرحاب وتبرين بتاهرت، تاويلت أبي مغول وأخرى مدينتان بتاهرت، عين المغطّا بأصقليّة وعين زربة بالثغور ورأس العين بأثور مدن وقرى.

ويَنْبُع بالحجاز وعينونا مدينة لوَيْلة بيت عينون قرية بإيليا، صبرة مدينة بأفريقية وأخرى ببرقة، مرسى الخرز ومرسى الحجّامين ومرسى الحجر ومرسى الدَّجّاج مدن بالمغرب، خرارة قرية بفارس ومدينة بتاهرت، كول مدائن بأفريقية والمشرق وفارس، جويم أبي أحمد مدينة وقرية جويم بفارس، قسطنطينية وقسنطينية وقسطيلية مدن بالمغرب والقسطل قرية على تخوم الشام، معرة النعمان ومعرّة قنّسرين مدينتان بالشام، اللجون مدينتان بالشام، ثغر طرسوس وعلى ساحل الشام انطرسوس، دار البلاط بمصر الروم وبلاط مروان مدينة بالأندلس وتسمّى إيليا البلاط، وادي القرى بالحجاز وادي الرمّان بالأندلس مع وادي الحجارة، بانياس مدينة وياناس نهر بدمشق. بيسان مدينة بالأردنّ، الرها مدينة بأثور وادي الرها مدينة بأفريقية.

ومن المدن ما لها أكثر من اسم نحو مكة وبكّة المدينة يثرب طيبة طابة جابرة مسكينة محبورة يَنْدَر الدار دار الهجرة بيت المقدس إيليا القدس البلاط عمان صُحَار مَزُون عدن سمران الصرّة الحيس البحرين هجر جور فيروزاباذ نسا البيضاءُ.

وثلاث قصبات تسمّى شهرستان جرجان سابور كاث، وقصبات تسمّى بأسماء كورها ولهنّ أسماءٌ غيرها مثل بخارا ونيسابور ومصر.

وأما الأشياءُ التي يختلف فيها أهل الأقاليم فهي مثل لحّام جزّار قصّاب، كُرْسُف عُطْب قطن، قطّان حلّاج، البزّازين الكرابيسيّين الرهادنة، جبّان طبّاخ بقّال فاميّ تاجر، مِيزَاب مِرْزاب مِزراب مَثْعَب، باقلّى فُول، قدْر بُرْمَة، مَوْقِدَة أثافيّ، زنْبِيل مِكْتَل قُفّة، سِفْل مِرْكَن إجّانة تَغَار، قِنطار بُهَار، مَنٌّ رَطْل، حَبّة طَسُّوج، خادم قيّم مفرّك، بَلّان، شَمْشَك صَنْدَل، حصن قلعة قهندز كَلَات، صاحب رَبْع مَصْلَحَة مَسْلَحَة صاحب الطريق، عشّار مكّاس مرصديّ، مخاصم خصيم، حاكم قاضٍ، وكيل جَرِيّ، شَيْرَج سَلِيط، زجّاج قواريريّ، صفع صكّ، بقعة موضع، قِطّة سِنَّوْر دِمّة هرّة، معلّم خادم أستاذ شيخ خصيّ، دبّاغ صرّام أَدَميّ سِخْتِيَانيّ جُلُوديّ، فاعل روزكاري، قرياتيّ رستاقيّ سواديّ، زرّاع فلّاح حرّاث، فندق خان تِيم دار التجار، مِرْزَبَة أكْلة، حبل قَلْس، وتد كنورا، هذّنها كركرها، لصٌّ مشوشا، جَنَحَتْ وَلَجَتْ، أَنْقِضَ زَوِرَ، قِفْ هلى، هيارا جماعة، لكيشا كثير، زَرْنُوق دُولاب حَنّانة، دالية كَرْمَة، مِسْحاة مِجْرَفَة، مِعْوَل فاس، صاعداً زقافاً، منحدراً شبالاً، طاووس شَرْته،

سُكّان رِجْل، ربّان راس، ملأّح نوتيٌّ، ساحل شطٌّ، رقعة بطاقة، رَوْحَةٌ نَفَسَة، سفينة جاسوس زورق.

رقّية تَلَوُى عرداس طيّار زَبْزَب كاروانيّة مثلّثة واسطيّة ملقوطة شكنولية بُرَاكِيّة خيطيّة شموط مسبّحيّة جبليّة مكّيّة زَبَرْباذيّة بَرْكة سوقيّة معبر ولجية طيرة برعانى شبوق مركب شَذا برمة قاربٌ دُونيج حمامة شيني شلندي بيرجه، ونحو هذا كثير وإن استوعبناه طال الكتاب وستتكلّم في كلّ إقليم بلسانهم ونناظر على طريقتهم.

ونضرب من أمثالهم لتعرف لغتهم ورسوم فقهائهم فإن كنّا في غير الأقاليم مثل هذه الأبواب تكلّمنا بلغة الشام. لأنها إقليمي الذي به نشأتُ وناظرتُ على طريقة القاضي أبي الحسين القزوينيّ لأنه أوّل إمام عليه درستُ ألاَ ترى إلى بلاغتنا في إقليم المشرق لأنهم أصحُ الناس عربيّة لأنهم تكلّفوها تكلّفاً، وتعلّموها تلقّفاً، ثم إلى ركّاكَة كلامنا في مصر والمغرب وقبحه في ناحية البطائح لأنه لسان القوم لأن قصدنا في هذا الأصل الإنهاءُ والتعريف، لا المبارزة والتشفيف، واعلم أنّا قد أجرينا مسائله على التعارف والاستحسان، كما أجرى الفقهاء كتابَي المكاتب والإيمان، ورتّبناه على مذاهب أهل العراق لأني فيها تفقّهتُ، وإيّاها اخترتُ، واستعملتُ القياس في مواضع تحسن وتليق، وبالله التوفيق.

ذكر الخصائص في الأقاليم

أظرف الأقاليم العراق[1] وهو أخفُّ على القلب وأحدُّ للذهن وبها تكون النفس أطيب والخاطر أدقّ إذا كانت كفاية، وأجلُّها وأوسعها فواكه وأكثرها علماً وأَجِلّةً وبرداً المشرق، وأكثرها صوفاً وقزّا ودخلاً على قدره الديلم[2]، وأجودها الباناً وأعسالاً وألذّها أخبازاً وأمكنها زعفراناً الجبال، وأكثرها ثماراً وأرخصها أسعاراً ولحوماً وأثقلها قوماً الرحاب، وأسفلها قوماً وأشرُّهم أصلاً وفصلاً خوزستان، وأحلاها تموراً وأوطأها قوماً كرمان، وأكثرها فانيذاً وأرزازاً ومسكاً وكُفّاراً السند، وأكيسها قوماً وتجاراً وأكثرها فسقاً فارس، وأشدُّها حرّا وقحطاً ونخيلاً جزيرة العرب، وأكثرها بركات وصالحين وزهّاداً ومشاهد الشام، وأكثرها عُبّاداً وقُرّاءً وأموالاً ومتجراً وخصائص وحبوباً مصر، وأخوفها سُبلاً وأجودها خيلاً وأوسطها قوماً أقور، وأجفاها وأثقلها وأغشُّها قوماً وأكثرها مدناً وأوسعها أرضاً المغرب.

وقال عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ دخلتُ على الجاحظ فقلتُ أفدْني في البلدان فائدةً قال نعم الأمصار عشرة المروّة ببغداد والفصاحة بالكوفة والصنعة بالبصرة والتجارة بمصر والغدر بالريّ والجفاءُ بنيسابور والبخل بمرو والصَّلف ببلخ والحرفة بسمرقند، وقد صدق لعمري إلاّ أن بنيسابور أيضاً صُنّاعاً حذّاقاً.

وبالبصرة تجارات وبمكّة فصاحة وبمرو دهاة وصنعاءُ طيّبة الهوا، وبيت

---

(١) العراق: بلد مشهور، سمّيت بذلك من عِراق القربة، وهو الخرزُ المثنيّ في أسفلها أي أنّها أسفل أرض العرب، وقيل: سمّي عراقاً لأنه سَفُل عن نجد ودنا من البحر. وقيل: العراق شاطئ البحر. وقيل: إنما سمي عراقاً لأنه دنا من البحر وفيه سباخ وشجر. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٠٥).

(٢) الدّيْلم: بفتح الدال وسكون الياء وفتح اللام وهم الذين كان منهم ملوك بني بويه الخارجين على خلفاء بني العباس ببغداد، قال في العبر: هم من بني ماداي بن يافث بن نوح، وقال ابن سعيد: من بني باسل بن أشور بن سام بن نوح. وقيل: هم من العرب، ولعل هذا القول ضعيف. (صبح الأعشى ج ١/ ص ٤٢١).

المقدس حسنة البنا، وصُغَر وجرجان موضع الوبا، ودمشق كثيرة الأنهار، وصغد ممتدّة الأشجار، والرملة لذيذة الثمار، وطبرستان دائمة الأمطار، وفرغانة رخيصة الأسعار، والمروة والجحفة معدن الدعَّار، والرقّة موضع الأخطار، وهمذان وتنّيس مركز الأحرار، والشام إقليم الأخيار، وسمرقند فرضة التجار، ونيسابور بلدة الكبار، والفسطاط آهل الأمصار وطوبى لأهل الغَرْج بعدل الشار، ولأصفهان الهواءُ والحلل والفخّار، ورسوم شيراز على الإسلام عار، وعدن دهليز الصين مع صحار، وبالصغانيان الكلأ والثمار والأطيار، وبخارا[1] جليلة لولا الماءُ وحريق النار، وبلخ خزانة الفقه مع الرحب واليسار، وإليا تصلح لأهل الدين والدار.

وأهل بغداد قليلو الأعمار، وصنعاءُ ونيسابور بالضدّ وليس أكثر ولا أرذل من مذكّري نيسابور ولا أطمع من أهل مكّة ولا أفقر من أهل يثرب ولا أعفُّ من أهل بيت المقدس ولا آدب من أهل هراة وبِيّار ولا أذهن من أهل الريّ ولا أنقب من أهل سجستان ولا أبخس من أهل عُمان ولا اجهل من أهل عَمّان ولا أصحُّ موازين من أهل الكوفة وعسكر مكرم ولا أحسن من أهل حمص وبخارا ولا أقبح من أهل خوارزم ولا أحسن لُحى من الديلم ولا أشرب للخمور من أهل بعلبكَّ ومصر ولا أفسق من أهل سيراف ولا أعصى من أهل سجستان ودمشق ولا أشغب من أهل سمرقند والشاش ولا أوطأ من أهل مصر ولا أبله من أهل البحرين ولا أحمق من أهل حمص ولا ألبق من أهل فسا ونابلس ثم الريّ بعد بغداد ولا أحسن لساناً من أهل بغداد ولا أوحش من لسان صيدا وهراة ولا أصحُّ من لسان خراسان ولا أحسن عجميّةً من أهل بلخ والشاش ولا أعفط من أهل البطائح ولا أسلم صدوراً من أهل هيطل. ولا أخير قوماً من أهل غرج الشار.

فإن سأل سائل أيّ البلدان أطيب نُظر فإن كان ممَّن يطلب الدارَين قيل له بيت المقدس وإن كان مخلصاً آمناً من الطمع قيل مكّة وإن كان ممَّن يطلب النعمة

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان. وهي بخارى من أعظم مدن وراء النهر وأجلّها، يُعبر إليها من آمل الشط، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانية، يقول صاحب كتاب البلدان في تسميتها: وأما اشتقاقها وسبب تسميتها بهذا الاسم فإنّي تطلّبته فلم أظفر به، ولا شك أنها مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه جيّدتها. افتتحها سعيد بن عثمان بن عفان في أيام معاوية سنة ٥٥ هـ تقريباً. (معجم البلدان ج ١/ ص ٤١٩).

والحيازة والرخص والفواكه قيل له كلُّ بلد أَجْزاك، وإلا فعليك بخمسة أمصار دمشق والبصرة والريّ وبخارا وبلخ أو بخمس مدائن قيساريّة وباعيناثا وخجندة والدينور ونوقان أو بخمس نواحٍ الصغد والصغانيان ونهاوند وجزيرة ابن عمر وسابور.

فاخترْ ما شئتَ منها فإنها مَنَازِهُ الإسلام، وأمّا الأندلس فيقال أنها جنّات ومستفاض جنّات الدنيا أربع غوطة دمشق ونهر الأبلّة وروضة الصغد وشعب بوّان، ومن أراد التجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصر.

وكلّما نذكر من عيوب أهل البلدان فأهل العلم والأدب عنه بمعزل خاصةً الفقهاءُ لأنّي رأيتُ الفضل فيهم، واعلم أن كلَّ بلد فيه صاد فأهله حمق إلاّ البصرة فإن اجتمعت صادان مثل المصّيصة وصرصر فنعوذ بالله وكلُّ بلد نسبت صاحبه إليه فلقيَتِ الزاي الياء فهو داءٍ مثل رازيّ مروزيّ سجزيّ وكلُّ بلد آخره «ان» فله خاصّيّة أو طيّبة مثل: جرجان موقان، أرّجان، وكلُّ بلد شديد البرد فأهله أسمن وأضخم وأحسن وأكبر لحى مثل فرغانة وخوارزم وأرمينية وكلُّ بلد على بحر أو نهر فالزنا واللواطة فيه كثير مثل سيراف وبخارا[1] وعدن وكلُّ بلد يحيط به أنهار فإن في أهله شغبا وخروجاً مثل دمشق وسمرقند والصِّلِيق وكلُّ بلد رحب رخّى فإن المعايش به ضيّقة إلاّ بَلْخَ، واعلم أن بغداد كانت جليلة في القديم وقد تداعت الآن إلى الخراب واختلّت وذهب بهاؤُها ولم أستطبها ولا أعجبتُ بها وإن مدحناها فللتعارف وفسطاط مصر اليوم كبغداد في القديم ولا أعلم في الإسلام بلداً أجلَّ منه.

وأما إقليم المشرق فقد فشا فيه الجور وفسد وهو خير من غيره وأقاليم الأعجم فلا تطيب لأهل أسفل، ولو كان للرملة ماءٌ جارٍ لَما استثنينا أنها أطيب بلد في الإسلام لأنها ظريفة خفيفة بين قدس وثغور وغور وبحور معتدلة الهواء لذيذة الثمار سريّة الأهل غير أن فيهم جهلاً خزانة مصر ومطرح البحرين رخيّة.

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

ذكر المذاهب والذمّة

اعلم أن المذاهب المستعملة اليوم في الإسلام التي لها خاصٌّ وعامٌّ ودعاة وجمع ثمانية وعشرون مذهباً أربعة في الفقه وأربعة في الكلام وأربعة في الحكم فيهما وأربعة مندرسة وأربعة في الحديث وأربعة غلب عليها أربعة وأربعة رستاقيّة.

فأما الفقهيّات فالحنفيّة والمالكيّة والشفعويّة والداوديّة، وأما الكلاميّات فالمعتزلة والنجّاريّة والكُلّابيّة والسالميّة.

وأما الذين لهم فقه وكلام فالشيعة والخوارج والكرّاميّة والباطنيّة، وأما أصحاب الحديث فالحنبليّة والراهُويّة والأوزاعيّة والمنذريّة.

وأما المندرسة فالعطائيّة والثوريّة والإباضيّة[1] والطاقيّة، وأما التي في الرساتيق فالزعفرانيّة والخُرّمْدِينيّة والأبيضيّة والسرخسيّة

وأما التي غلب عليها أربعة من شكلها فالأشعريّة على الكُلّابيّة والباطنيّة على القرمطيّة والمعتزلة على القدريّة والشيعة على الزيديّة والجهميّة على النجّاريّة، فهذه جمل المذاهب المستعملة اليوم ثم تنشعب إلى فرق لا تحصى. ولمّا ذكرنا ألقابٌ وأسماءٌ تتكرّر ولا تزيد على ما ذكرنا يعرف ذلك العلماءُ وهنّ أربعة ملقّبة وأربعة ممتدحة وأربعة منكورة وأربعة مختلف فيها وأربعة لقّب بها أهلُ الحديث وأربعة معناهنّ واحد وأربعة يميّزهنّ النحارير.

فأما الملقّبة فالروافض والمُجْبِرَة والمُرْجئة والشُكّاك، وأما الممتدحة فأهل السنّة والجماعة وأهل العدل والتوحيد والمؤمنون وأصحاب الهدى.

وأما المنكورة فالكُلّابيّة ينكرون الجبر والحنبليّة ينكرون النصب ومنكرو

(١) أخرجه أبو داود في السنن (سنة ١)، الترمذي في السنن (إيمان ١٨)، ابن ماجه في السنن (فتن ١٧)، أحمد في المسند (٢: ٣٣٢).

الصفات ينكرون التشبيه ومثبتوها ينكرون التعطيل. وأما المختلف فيها فعند الكراميّة الجبر جعل الاستطاعة مع الفعل وعند المعتزلة جعل الشرّ بقدر الله تعالى.

وأن يقال أفعال العباد مخلوقة الله، والمرجئة عند أهل الحديث مَنْ أخّر العمل عن الإيمان وعند الكرّاميّة مَنْ نفى فرض الأعمال وعند المأمونيّة مَنْ وقف في الإيمان وعند أصحاب الكلام مَنْ وقف في أصحاب الكبائر.

ولم يجعل منزلةً بين منزلتين، والشكّاك عند أصحاب الكلام مَنْ وقف في القرآن وعند الكرّاميّة مَن استثنى في الإيمان، والروافض عند الشيعة مَنْ أخّر خلافة عليّ وعند غيرهم مَنْ نفى خلافة العمرين.

وأما أربعة معناهنّ واحد فالزعفرانيّة والواقفيّة والشُّكّاك والرستاقيّة، وأما أربعة لُقّب بها أهل الحديث فالحشويّة والشكّاك والنواصب والمجبرة، وأما التي يميّزهنّ كلُّ نحرير فأهل الحديث من الشفعويّة والثوريّة من الحنفيّة والنجّاريّة من الجهميّة والقدريّة من المعتزلة.

واعلم أن أصل مذاهب المسلمين كلّها منشعبة من أربع: الشيعة، والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة.

وأصل افتراقهم قتل عثمان ثم تشعّبوا ولا يزالون مفترقين إلى خروج المهديّ والإرجاءُ هاهنا هو الوقف في أهل الكبائر يدخل فيه أهل الرأي والحديث، وقالت المعتزلة كلُّ مجتهد مصيب في الفروع حسبُ واحتجُّوا بالذين أشكلَت عليهم القبلة وقتَ النبيّ ﷺ فصلّى كلُّ قوم إلى جهة فلم يأمر من أخطأ بالإعادة، بل جعله بمَثابة مَنْ أصابها وهذه المقالة تعجبني ألا ترى أن أصحاب النبيّ ﷺ قد اختلفوا وجعل اختلافهم رحمة وقال: بأيّهم اقتديتم اهتديتم، وقال سفيان بن عيينة: إن الله تعالى لا يعذّب أحداً على ما اختلف فيه العلماءُ أَوَلاَ ترى أن القاضي إذا اجتهد في قضيّة لم يجز لغيره أن يبطلها، وإن كانت عنده خطأً، وقالت طائفة من الكرّاميّة: كلُّ مجتهد مصيب في الأصول والفروع جميعاً إلاّ الزنادقة.

واحتجَّ صاحب هذه المقالة وهو قول جماعة من المرجئة بخبر النبيّ ﷺ: «تفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة اثنتين وسبعين في الجنّة وواحدة في النار»[1]،

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (سنة ١)، الترمذي في السنن (إيمان ١٨)، ابن ماجه في السنن (فتن=

وقال بقيّة الأئمّة: لا مُصيب إلاّ من وافق الحقّ، وهم صنف واحد واحتجُوا بالخبر الآخر: «اثنتان وسبعون في النار وواحدة ناجية» وهذا أشهر إلاّ أن الأوّل أصحُّ إسناداً والله أعلم.

فإن صحَّ الأوّل فالهالكة هم الباطنيّة وإن صحَّ الثاني فالناجية السواد الأعظم ولم أر السواد الأعظم إلاّ من أربعة مذاهب: أصحاب أبي حنيفة بالمشرق، وأصحاب مالك بالمغرب، وأصحاب الشافعيّ بالشاش وخزائن نيسابور، وأصحاب الحديث بالشام وأقور والرحاب، وبقيّة الأقاليم ممتزجون قد بيّنتُ ذلك في شرح الأقاليم من هذا الكتاب.

وأما أصحاب القراءَات المستعملة اليوم فعلى أربعة أقسام: حروف أهل الحجاز، وهنّ أربع قراءَة: نافع، وابن كثير، وشيبة، وأبي جعفر.

وحروف أهل العراق، وهنّ أربع حرف: عاصم، وحمزة، والكسائيّ، وأبي عمرو.

وقراءَة أهل الشام وهي لعبد الله بن عامر، وحروف الخاصّ، وهنّ أربع قراءَة: يعقوب الحضرميّ، واختيار أبي عبيد، واختيار أبي حاتم، وقراءَة الأعمش. وأكثر الأئمّة على أن الجميع على صواب.

وقد اخترتُ من المذاهب مذهب أبي حنيفة رحمه الله للخلال التي أذكرها في إقليم العراق ومن الحروف مقرأ أبي عمران عبد الله بن عامر اليحصبيّ للمعاني التي أصفها في إقليم أقور.

واعلم أن الناس قد عدلوا عن مذهب أبي حنيفة في أربع: صلاة العيدين إلاّ بزَبِيد وبيَار، وصدقة الخيل وتوجيه الميّت عند الموت، والتزام الأضحية إلاّ ببخارا[1] والريّ.

وعدلوا من مذهب مالك في أربع: الصلاة قدّام الإمام إلاّ بالمغرب، ويوم الجمعة بمصر، وصلاة الجنائز بالشام، وفي أكل لحوم الكلاب إلاّ بمدينتين بالمغرب

= ١٧)، أحمد في المسند (٢: ٣٣٢).

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

تباع جهراً وتطرح في هرائس مصر ويثرب سرًا، وفي الخروج من الصلاة بتسليمة واحدة إلاّ ببعض بلدان المغرب، وفي المسامحة في تسبيحات الركوع والسجود إلاّ الجهّال.

وعدلوا عن مذهب الشافعيّ في أربع: الجهر بالبسملة إلاّ بالمشرق في مساجد أصحابه، وكذلك القُنُوت في الفجر، وفي إحضار النيّة مع تكبيرة الافتتاح، وفي ترك القنوت في الوتر في غير نصف رمضان الأخير إلاّ بنَسَا.

وعدلوا عن مذهب داود في أربع: تزويج ما فوق الأربع وإعطاء الابنتين النصف، ولا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد، وفي مسألة العول.

وعدلوا عن مذهب أصحاب الحديث في أربع: المتعة في الحجّ، والمسح على العمامة، وترك التيمُّم بالرمل، وانتقاض الوضوء بالقهقهة إلاّ أنه قد وافقهم في الأربع أربعة: في القهقهة أبو حنيفة رحمه الله، وفي المتعة الشيعة وفي التيمُّم الشافعيُّ، وفي المسح على العمامة الكرّاميّة.

وعدلوا عن مذهب الشيعة في أربع: المتعة، ووقوع طلاق الثلاث، والمسح على الرجلين، والحيعلة[1] في الأذان.

وعدلوا عن مذهب الكرّاميّة في أربع: المسامحة في النيّة عند كلّ فريضة، وصلاة الفريضة على الدابّة، وجواز الصوم لمن أكل بعد طلوع الفجر وهو لا يعلم، وصحّة صلاة منْ طلعت الشمس وهو فيها.

وخالف العوامُّ الجميع في أربع تكبير أيّام التشريق والصلاة قبل العيدين وترك الدخول من منى آخر يوم قبل الزوال وغسل القدم ثلاث مرّات في الوضوء.

وقلَّما رأيتُ فقهاءَ أبي حنيفة رحمه الله ينفكُّون من أربع من الرياسة مع لبَاقةٍ فيها، والحفظ والخشية والورع.

وأصحاب مالك من أربع: الثقل، والبلادة، والديانة، والسُّنّة. وأصحاب الشافعيّ من أربع: النظر، والشغب، والمروّة، والحمق.

وأصحاب داود من أربع: من الكبرة، والحدّة، والكلام، واليسار. والمعتزلة

---

(١) الحيعلة: حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح.

من أربع: من اللطافة، والدراية، والفسق، والسخريّة. والشيعة من أربع: البغضة، والفتنة، واليسار، والصيت. وأصحاب الحديث من أربع: القدوة، والهمّة، والإنفاق، والغلبة.

والكرّاميّة من أربع: التقى، والعصبيّة، والذُلّ، والكدية. والأدباءَ من أربع: الخفّة، والعجب، والتصرُّف، والتجمُّل. والمُقرئين من أربع: الطمع، واللواطة، والرياء والسمعة.

وأما الأديان الذين هم ذمّة فأربعة: اليهود، والنصارى، والمجوس، والصابئون.

ونحن نذكر غَلَبَة كلّ قوم ممّن ذكرنا في مواضعهم بلا ميلٍ ولا تعصُّب، إن شاء الله تعالى، ونَصِفُ ما فيهم من خيرٍ وشرٍّ فإن قيل أكثر ما ذكرتَه خطأ وخلاف ما يعرفه الناس حتّى إنك خالفتَ الأصول بجعلك الأقسام رُبَاعيّات وعدلتَ عن السُّبَاعيّات بعد ما قد علمتَ أن الله عزّ اسمه خلق السموات والأرض سبعاً سبعاً، والأيّام والليالي سبعاً سبعاً والأرزاق من سبع، ونزل القرآن على سبعة أحرف والمساجد سبعة وذكر ما سنجيب عن بعضه.

فالجواب: أنّا قد تحرّزنا بقولنا المذاهب المستعملة، ولم نقل فرق المسلمين، وأما وجود الأمر على خلاف ما ذكرنا في البعض فذلك ندر والأغلب ما ذكرنا.

وأما السامرة فإنهم صنف من اليهود ألا ترى أن نبيّهم موسى عليه الصلاة والسلام.

وأما الرباعيّات وإن كانت اتّفقت وما تقصّدناها، فإن لها نظائر في الأصول وهي: إن الكتب أربعة، وخلق الإنسان من أربع، والطبائع أربع، والفصول أربعة، والأنهار أربعة، وأركان الكعبة أربعة، وأشهر الحرم أربعة.

وحدّثنا أبو بكر أحمد بن عبدان بالأهواز قال حدّثنا محمّد بن معاوية الأنصاريّ قال حدّثنا إسماعيل بن صبيح عن سفيان الحريريّ عن عبد المؤمن عن زكريّاء أبي يحيى عن الأصبغ بن نباتة أنه سمع عليًّا رضي الله عنه يقول: «إن القرآن نزل ربعاً فينا، وربعاً في عدوّنا، وربعاً سِيَراً وأمثالاً، وربعاً فرائض وأحكاماً»، فهذه أصول أيضاً لا تنكره.

ذكر ما عاينتُ من الأسباب

اعلم أن جماعة من أهل العلم ومن الوزراءِ قد صنّفوا في هذا الباب وإن كانت مختلّة غير أن أكثرها، بل كلّها سماع لهم ونحن فلم يبق إقليم إلاّ وقد دخلناه، وأقلُّ سبب إلاّ وقد عرفناه، وما تركنا مع ذلك البحث والسؤال والنظر في الغيب فانتظم كتابنا هذا ثلاثة أقسام أحدها ما عاينّاه والثاني ما سمعناه من الثقات والثالث ما وجدناه في الكتب المصنّفة في هذا الباب وفي غيره، وما بقيت خزانة ملك إلاّ وقد لزمتُها، ولا تصانيف فرقة إلاّ وقد تصفّحتُها، ولا مذاهب قوم إلاّ وقد عرفتُها، ولا أهل زهد إلاّ وقد خالطتُهم، ولا مذكّرو بلدٍ إلاّ وقد شهدتُهم، حتّى استقام لي ما ابتغيتُه في هذا الباب.

ولقد سُمِّيتُ بستّة وثلاثين اسماً دُعِيتُ وخوطبتُ بها مثل: مقدسي وفلسطيني ومصري ومغربي وخراساني وسلمى ومقرئ وفقيه وصوفي وولي وعابد وزاهد وسيّاح ووراّق ومجلّد وتاجر ومذكّر وإمام ومؤذّن وخطيب وغريب وعراقي وبغدادي وشامي وحنيفي ومتؤدّب وكريّ ومتفقّه ومتعلّم وفرائضي وأستاذ ودانشومند وشيخ ونشاسته وراكب ورسول وذلك لاختلاف البلدان التي حللتُها وكثرة المواضع التي دخلتُها.

ثم إنه لم يبق شيءٌ ممّا يلحق المسافرين إلاّ وقد أخذتُ منه نصيباً غير الكدية وركوب الكبيرة فقد تفقّهتُ وتأدّبتُ، وتزهّدتُ وتعبّدتُ، وفقّهتُ وأدّبتُ، وخطبتُ على المنابر، وأذّنتُ على المنائر، وأممتُ في المساجد وذكّرتُ في الجوامع واختلفتُ إلى المدارس، ودعوتُ في المحافل وتكلّمتُ في المجالس، وأكلتُ مع الصوفيّة الهرائس، ومع الخانقئيين الثرائد، ومع النواتيّ العصائد، وطُردتُ في الليالي من المساجد، وسِحْتُ في البراري، وتِهْتُ في الصحارى، وصدقتُ في الورع زماناً، وأكلتُ الحرام عيانا، وصحبتُ عبّاد جبل لبنان، وخالطتُ حيناً السلطان، وملكتُ العبيد، وحملتُ على رأسي بالزبيل، وأشرفتُ مراراً على الغرق، وقُطع على قوافلنا الطرق، وخدمتُ القضاة والكبراء، وخاطبتُ السلاطين والوزراء، وصاحبتُ في

الطرق الفسّاق، وبعت البضائع في الأسواق، وسُجنتُ في الحبوس، وأُخذتُ على أني جاسوس، وعاينتُ حرب الروم في الشواني، وضرب النواقيس في الليالي، وجلّدتُ المصاحف بالكرى، واشتريتُ الماءَ بالغلا، وركبتُ الكنائس والخيول، ومشيتُ في السمائم والثلوج، ونزلتُ في عرصة الملوك بين الأجلّة، وسكنتُ بين الجهّال في محلّة الحاكة، وكم نلتُ العزّ والرفعة، ودُبّر في قتلى غير مرّة، وحججتُ وجاورتُ، وغزوتُ ورابطتُ، وشربتُ بمكّة من السقاية السويق.

وأكلتُ الخبز والجلّبان بالسِيق، ومن ضيافة إبراهيم الخليل، وجُمَّيز عسقلان السبيل، وكُسيتُ خلع الملوك وأمروا لي بالصلات، وعريتُ وافتقرتُ مرّات، وكاتبني السادات، ووبّخني الأشراف، وعُرضت عليّ الأوقاف، وخضعتُ للأخلاف، ورُميتُ بالبدع، واتُّهمتُ بالطمع، وأقامني الأمراءُ والقضاة أميناً، ودخلتُ في الوصايا وجُعلتُ وكيلاً، وامتحنتُ الطرّارين، ورأيتُ دُوَل العيّارين، واتبعني الأرذلون، وعاندني الحاسدون، وسُعي بي إلى السلاطين، ودخلتُ حمّامات طبريّه، والقلاع الفارسيّه، ورأيتُ يوم الفوّاره، وعيد بَرْبَاره، وبئر بُضَاعَه، وقصر يعقوب وضياعه، ومثل هذا كثير ذكرنا هذا القدر ليعلم الناظر في كتابنا أنّا لم نصنّفه جزافاً، ولا رتّبناه مجازاً، ويميّزه من غيره.

فكم بين مَنْ قاسى هذه الأسباب وبين من صنّف كتابه في الرفاهِيَة ووضعه على السماع، ولقد ذهب لي في هذه الأسفار فوق عشرة آلاف درهم سوى ما دخل عليّ من التقصير في أمور الشريعة ولم يبق رخصة مذهب إلاّ وقد استعملتُها قد مسحتُ على القدمين وصلّيتُ بمُدْهَامَّتَانِ ونفرتُ قبل الزوال وصلّيتُ الفريضة على الدوابّ، ومع نجاسة فاحشة على الثياب، وترك التسبيح في الركوع والسجود، وسجود السهو قبل التسليم وجمعتُ بين الصلوات، وقصرتُ لا في سفر الطاعات، غير أنّي لم أخرج عن قول الفقهاء الأئمّة، ولم أؤخر صلاة عن وقتها بتّه، وما سرت في جادّة وبيني وبين مدينة عشرة فراسخ فما دونها إلاّ فارقتُ القافلة وانفتلتُ إليها لأنظرها قديماً وربّما اكتريتُ رجالاً يصحبوني وجعلتُ مسيري في الليل لأرجع إلى رفقائي مع إضاعة المال والهمّ.

ذكر المواضع المختلف فيها

اعلم أن في الإسلام مواضع ومشاهد ليست بصحيحة ولا مُجْمَع عليها فوجب إفراد هذا الباب لها لتبايُن الصحَّةِ وننحازُ عنها إذا ذكرناها في الأقاليم، بكازرون قبّة من نحو العقبة تزعم المجوس[1] أنها وسط الدنيا ولها عيد في كلّ سنة. خارج يَنْبُع نحو البحر مشهد قالوا هو لسان الأرض حين قالت: أَتَيْنَا طَائِعِينَ، بالجَشّ موضع قالوا: ثَمَّ كانت سلسلة داود التي كانت موضع البيّنات، قال قوم: قبر آدم عند منارة مسجد الخيف، وقال آخرون: عند قبر إبراهيم، وقال قوم: بالهند، وقيل: إن قبر آدم بالتيه، وزعم رجل بإيليا أنه رأى في النوم أنه خلف جبل زيتا، قال أهل الكتاب قبر داود بصهيون.

قال قوم مدائن: لوط بين كرمان وخراسان، زعم قوم أن نار إبراهيم كانت بجَرْمَق، قال قوم الدكّة التي بالغَريّ هي قبر نوح، وقبر عليّ في محراب جامع الكوفة، وقال آخرون: عند المنارة المائلة، قال قوم: قبر فاطمة مع النبيّ ﷺ في الحجرة، وقال آخرون: في البقيع، خارج مرو من نحو سرخس رباط فيه قبر صغير زعموا أنه قبر رأس الحسين بن عليّ، بفرغانة زعموا قبر أيّوب، على قلّة جبل سينا زيتونة قالوا: هي التي لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ على جبل زيتا أخرى يقال فيها ذلك، وقال قوم: صخرة موسى بشَرْوَان، والبحر بحيرة طبرستان والقرية باجْرَوَان وقتل الغلام بقرية خَزْرَان.

قال قوم: سدُّ يأجوج ومأجوج خلف الأندلس، وقال آخرون: هو درب خزران ويأجوج ومأجوج هم الخزر، وسمعتُ أبا عليّ الحسن بن أبي بكر البَنّاءِ يقول: كان قبر يوسف دكّة يقال: إنها قبر بعض الأسباط حتّى جاء رجل من خراسان وذكر أنه رأى في المنام اذهبْ إلى بيت المقدس وأعلمهم أن ذاك يوسف الصدّيق، قال فأمر السلطانُ والِدِي بالخروج وخرجتُ معه، قال: فلم يزل الفعلة يحفرون حتّى انتهوا إلى خشب العجلة وإذا بها قد نَخِرت ولم أزل أرى عند عجائزنا من تلك النحاتة يستشفين بها من الرَّمَد.

---

(١) المجوس: عبدة النار وهي ديانة انتشرت في بلاد فارس.

باب اختصرناه للفقهاء

هذا باب أفردناه لمن أحبَّ أن يعرف أمصار المسلمين وكور الأقاليم ويقف على عدد القصبات ومدنها ولم يكن له فراغة إلى تدبُّر ما فصَّلناه، ولا حاجة في نسخ ما شرحناه، وطلب جملة يخفُّ حملها في الأسفار، وحفظها على الاختصار، وكثيراً ما سُئلتُ عن هذا القدر وابتُغي مني هذا الباب فقدَّمتُه قبل الشروع في ذكر المملكة باختصار الألفاظ، وترك الإطناب وجعل الإغماض، فمن فهم فقد فهم، وإلاَّ إذا نظر في الأصل علم. اعلم أنَّا جعلنا الأمصار كالملوك والقصبات كالحجَّاب والمدن كالجند والقرى كالرجَّالة وقد اختلف في الأمصار فقالت الفقهاءُ: المصر كلُّ بلدٍ جامع يقام فيه الحدود ويحلُّه أمير ويقوم بنفقته ويجمع رستاقه مثل عثَّر[1] ونابلس[2] وزوزن[3]. وعند أهل اللغة المصر كلُّ ما حجز بين جهتين مثل: البصرة[4]

---

(١) عثَّر: بلدة باليمن بينها وبين مكة عشرة أيام، وهي معروفة بكثرة الأسود. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٩٦).

(٢) نابُلُس: سئل شيخ من أهل المعرفة من أهل نابلس لِمَ سُمّيت بذلك، فقال: إنه كان هٰهنا وادٍ فيه حيّة قد امتنعت فيه وكانت عظيمة جداً، وكانوا يسمّونها بلغتهم لُس، فاحتالوا عليها حتى قتلوها، وانتزعوا نابها وجاؤوا بها فعلّقوها على باب هذه المدينة، فقيل: هذا نابُ لُس، أي ناب الحيّة، ثم كثُر استعمالها حتى كتبوها متّصلة هكذا «نابلس»، وغلب هذا الاسم عليها، وهي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين، مستطيلة لا عرض لها، كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل، أرضها حجر، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ، ولها كورة واسعة وعمل جليل كله في الجبل الذي فيه القدس. وبظاهر نابلس جبل ذكروا أن آدم عليه السلام سجد فيه. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٨٨).

(٣) زوزن: كورة حسنة بين جبال أرمينية، وبين أخلاط أذربيجان، وديار بكر، والمَوْصِل، وأهلها أرمن وفيها طوائف من الأكراد. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٧٧).

(٤) البصرة: البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب، وقيل: البصرة، حجارة رخوة فيها بياض، وقال ابن الأعرابي: البصرة حجارة صلاب، قال: وإنما سميت بصرة لغلظها وشدّتها. وقال الجاحظ: بالبصرة ثلاث أعجوبات ليست في غيرها من البلدان، منها: أن عدد المدّ والجزر في جميع الدهر شيء واحد فيقبل عند حاجتهم إليه ويرتدّ عند استغنائهم عنه، لا يبطئ عنها إلا بقدر هضمها واستمرائها وجمامها واستراحتها، لا يقتلها =

والرقّة[1] وأرّجان[2]، والمصر عند العوامّ كلُّ بلد كبير جليل مثل: الريّ[3] والموصل[4] والرملة.

= غطساً ولا غرقاً ولا يغبُّها ظماً ولا عطشاً، يجيء على حساب معلوم وتدبير منظوم وحدود ثابتة وعادة قائمة، يزيدها القمر في امتلائه كما يزيدها في نقصانه فلا يخفى على أهل الغلّات متى يتخلّفون ومتى يذهبون ويرجعون بعد أن يعرفوا موضع القمر وكم مضى من الشهر، فهي آية وأعجوبة ومفخرة وأحدوثة. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٢٠).

(١) الرَّقَّة: بفتح أوله وثانيه وتشديده، وأصله كل أرض إلى جنب وادٍ ينبسط عليها الماء، وجمعها رِقاق، وقيل: الرقاق الأرض اللينة التراب، وقيل: الرقاق الأرض اللينة من غير رمل. وهي مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حرّان ثلاثة أيام، معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي ويقال لها: الرَّقَّة البيضاء. أرسل سعد بن أبي وقاص والي الكوفة في سنة ١٧ هـ جيشاً عليه عِياض بن غنم، فقدم الجزيرة فبلغ أهل الرَّقَّة خبره، فقالوا: أنتم بين العراق والشام، وقد استولى عليها المسلمون فما بقاؤكم مع هؤلاء، فبعثوا إلى عِياض بن غنم في الصلح فقبله منهم. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٦٧).

(٢) أرّجان: عامة العجم يسمّونها أرْغان، مدينة كبيرة كثيرة الخير، بها نخيل كثير وزيتون، وفواكه، وهي برّيّة بحريّة، سهلية جبلية، ماؤها يسيح، بينها وبين البحر مرحلة. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٧٢).

(٣) الرّيّ: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محطّ الحاجّ على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً، ومن قزوين إلى أبهر اثنا عشر فرسخاً، ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخاً. وفي بعض كتب التاريخ الفارسي أن كيكاوس كان قد عمل عجلة وركّب عليها آلات ليصعد إلى السماء فسخّر الله الريح حتى عَلَت به إلى السحاب، ثم ألقته فوقع في بحر جرجان، فلما قام كيخسرو بن سياوش بالملك حمل تلك العجلة وساقها ليقدم بها إلى بابل، فلما وصل إلى موضع الرّيّ قال الناس: بَرِيّ آمَدَ كيخسرو، واسم العجلة بالفارسية ريّ، وأمر بعمارة مدينة هناك فسمّيت الرّيّ بذلك، وقال العمراني: الرّيّ بلد بناه فيروز بن يزدجرد وسمّاه رام فيروز، ثم ذكر الرّيّ المشهورة بعدها وهي مدينة عجيبة الحسن مبنية بالآجر المنمّق، المحكم، الملمّع بالزرقة، مدهون كما تدهن الغضائر في فضاء من الأرض، وإلى جانبها جبل مشرف عليها أقرع لا ينبت فيه شيء، وكانت مدينة عظيمة خرب أكثرها. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٣٢).

(٤) المَوْصِل: بالفتح، وكسر الصاد، المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبراً، وعظماً، وكثرة خلق، وسعة رقعة، فهي محطّ رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق ومفتاح خُراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان، وكثيراً ما سُمع أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والمَوْصِل لأن القاصد إلى الجهتين قلّ ما لا يمرّ بها. قالوا: وسميت المَوْصِل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات، وقيل: لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل: بل الملك الذي أحدثها كان يسمى المَوْصِل. وهي مدينة قديمة على طرف دجلة، ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى، وفي وسط مدينة المَوْصِل قبر جرجس النبي. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٥٨).

وأما نحن فجعلنا المصر كلّ بلد حلّه السلطان الأعظم وجمعت إليه الدواوين وقُلّدت منه الأعمال وأضيف إليه مدن الإقليم مثل: دمشق[1] والقيروان[2] وشيراز[3]، وربّما كان للمصر أو للقصبة نواحٍ لها مدن مثل: طخارستان[4] لبلخ[5] والبطائح لواسط[6] والزاب[7] لأفريقية، فالأقاليم أربعة عشر ستّةٌ عربيّة جزيرة العرب ثم العراق ثم أقور ثم الشام[8] ثم مصر[9] ثم المغرب[10] وثمانية عجميّة المشرق ثم

---

(١) دمشق: دمشق الشام، مدينة مشهورة، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة، ونضارة بقعة، وكثر فاكهة، ونزاهة رقعة، وكثرة مياه. قيل: سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا. قيل بنيت دمشق على رأس ثلاثة آلاف ومائة وخمس وأربعين سنة من جملة الدهر الذي يقولون إنه سبعة آلاف سنة. قيل إن الذي بنى دمشق هو جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٥٢٧).

(٢) القيروان: معرّب وهو بالفارسية كارَوان، وهي مدينة عظيمة بأفريقيا غَبَرَت دهراً وليس بالغرب مدينة أجلّ منها، وهي مدينة مُصِّرت في الإسلام أيام معاوية بن أبي سفيان. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٧٦).

(٣) شيراز: بلد مشهور عظيم معروف، وهو قصبة بلاد فارس، قيل: سميت بشيراز بن طهمورث، وهي مما استُجدّ عمارتها واختطاطها في الإسلام. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٤٣١).

(٤) طخارستان: ولاية واسعة كبيرة تشتمل على بلاد عدّة وهي من نواحي خُراسان. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٥٦٨).

(٥) بلخ: مدينة مشهورة بخُراسان من أجلّ مدنها، وأكثرها خيراً، وأوسعها غلّة، تحمل غلّتها إلى جميع خُراسان وإلى خوارزم، قيل: إن أول من بناها لُهراسف الملك لما خرّب صاحبه بخت نصر بيت المقدس. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٦٨).

(٦) واسط: سميت واسط لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحد منهما خمسين فرسخاً، لا قول فيه غير ذلك إلاّ ما ذهب إليه بعض أهل اللغة حكاية عن الكلبي أنه كان قبل عمارة واسط هناك موضع يسمى واسط قصب، فلما عمّر الحجاج مدينة سمّاها باسمها والله أعلم. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٠٠).

(٧) الزاب: بين الموصل وإربل ومخرجه من بلاد مشتكهر، وهو حدّ ما بين أذربيجان وبابغيش. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٣٨).

(٨) الشام: الشأم بفتح أوله، وفتح همزته، وفيها لغة ثانية وهي الشام، بغير همز، كذا يزعم اللغويّون، وقد تُذكّر وتُؤنّث، قيل: سمّيت الشام شاماً لكثرة قراها، وتداني بعضها من بعض فشبّهت بالشامات، وقيل: سميت بذلك لأن قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال فسميت بالشام لذلك. وقيل: سميت الشام بسام بن نوح عليه السلام، وذلك لأنه أول من نزلها فجعلت السين شيناً لتغيّر اللفظ العجمي. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٥٣).

(٩) مصر: سميت بمصر بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام، وهي من فتوح عمرو بن العاص في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٦٠).

(١٠) المغرب: ضد المشرق، وهي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة، قال بعضهم: حدّها من مدينة =

الديلم ثم الرحاب ثم الجبال ثم خوزستان ثم فارس[1] ثم كرمان ثم السند، ولا بدَّ لكلّ إقليم من كور ثم لكلّ كورة من قصبة ثم لكلّ قصبة من مدن إلاّ الجزيرة والمشرق والمغرب فإن لكلّ واحد مِصرَيْن والمصر قصبة كورته وليس كلُّ قصبة مصراً.

ثم الأمصار اسم كورها أيضاً إلاّ الأربع الأُول والمنصورة والثلاث الأواخر، نبتدئ من المشرق وهلمَّ جرًّا إلى المغرب.

فالأمصار سمرقند[2] إيرانشهر شهرستان أردبيل[3] همذان[4] الأهواز[5] شيراز

= مليانة وهي آخر حدود أفريقيا إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وتدخل فيه جزيرة الأندلس. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٨٨).

(١) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أَرّجان، ومن جهة كرمان السيرجان، ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف، ومن جهة السند مُكران، قيل: فارس اسم البلد وليس باسم الرجل ولا ينصرف لأنه غلب عليه التأنيث كنعمان وليس أصله بعربي، بل هو فارسي معرّب أصله بارس وهو غير مرتضى، فعرّب فقيل: فارس. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٥٦).

(٢) سمرقند: يقال لها بالعربية سُمْران، بلد معروف مشهور، قيل: إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو في الإقليم الرابع. وقيل بناها شمر أبو كرب، فسميت شمر فأعربت فقيل: سمرقند، (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢٧٩).

(٣) أردبيل: بالفتح، من أشهر مدن أذربيجان، وكانت قبل الإسلام قصبة الناحية، هي مدينة كبيرة جداً، في فضاء من الأرض فسيح، يتسرّب في ظاهرها وباطنها أنهار كثيرة المياه، ومع ذلك ليس فيها شجرة واحدة من شجر جميع الفواكه لا في ظاهرها، ولا في باطنها ولا في جميع الفضاء الذي هي فيه، وإذا زُرع فيها أو غرس فيها شيء من ذلك لا يُفلح، هذا مع صحة هوائها، وعذوبة مائها، وجودة أرضها، وإنما تُجلب إليها الفواكه من وراء الجبل من كل ناحية مسيرة يوم وأكثر وأقل، وبينها وبين بحر الخزر مسيرة يومين، بينهما غيضة إذا دهمهم أمر التجأوا إليها، فتمنعهم وتعصمهم ممن يريد أذاهم، فهي معقلهم، ومنها يقطعون الخشب الذي يصنعون منه قصاع الخلنج والصواني. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٧٤).

(٤) همذان: بالتحريك، سمّيت بهذا الاسم نسبة إلى همذان بن الفلّوج بن سام بن نوح، عليه السلام، وهمذان وأصبهان أخوان بنى كلّ واحد منهما بلدة، ووُجد في بعض كتب السريانيين في أخبار الملوك والبلدان أن الذي بنى همذان يقال له كرميس بن حليمون، وذكر بعض علماء الفرس أن اسم همذان إنما كان «نادمه» ومعناه المحبوبة، وروي عن شعبة أنه قال: الجبال عسكر، وهمذان معمعتها، وهي أعذبها ماء، وأطيبها هواء، وقال ربيعة بن عثمان: كان فتح همذان في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، وكان الذي فتحها المغيرة بن شعبة سنة ٢٤ هـ، وفي خبر آخر أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وجّه المغيرة بن شعبة وهو عامله على الكوفة بعد عزل عمار بن ياسر عنها وجرير بن عبد الله البجلي إلى همذان في سنة ٢٣ هـ، فقاتله أهلها وأصيبت عينه بسهم، لكنه غلب على أرضها قسراً. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٧١).

(٥) الأهواز: جمع هَوْز، وأصله حَوْز، فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيّرتها حتى أذهبت =

السيرجان[1] المنصورة[2] زبيد مكّة[3] بغداد[4] الموصل دمشق الفسطاط القيروان قرطبة[5] وبقيّة القصبات سبع وسبعون بُنجِكَت نُمُوجكت بلخ غزنين بست[6]

= أصلها جملة، لأن في كلام الفرس حاء مهملة، وإنما تكلّموا بكلمة فيها حاء قلبوها هاء، فقالوا في حسن هسن، وفي محمّد مهمّد، ثم تلقّفها منهم العرب فقُلبت بحكم الكثرة في الاستعمال، وعلى هذا يكون الأهواز اسماً عربياً سمّي به في الإسلام، وكان اسمها في أيام الفرس خوزستان، وفي خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز. وهي إنما اسم لسوق الأهواز. (معجم البلدان، ج ١/ ص ٣٣٨).

(١) السيرجان: مدينة بين كرمان وفارس، وقال ابن الفقيه: السيرجان مدينة كرمان، بينها وبين شيراز أربعة وعشرون فرسخاً، وكانت تسمّى القصرين. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٣٦).

(٢) المنصورة: مفعولة من النصر في مواضع عدة، ومنها: المنصورة بأرض السند وهي قصبتها، مدينة كبيرة كثيرة الخيرات ذات جامع كبير سواريه ساج ولهم خليج من نهر مهران. قيل: سميت المنصورة بمنصور بن جمهور عامل بني أمية. وقيل: سميت المنصورة لأن المنصور بن جمهور الكلبي، بناها فسميت به وكان خرج مخالفاً لهارون وأقام بالسند. وقيل: سميت المنصورة لأن عمرو بن حفص الهزارمرد المهلبي بناها في أيام المنصور من بني العباس فسميت به، وللمنصورة من النهر مهران يحيط بالبلد فهي منه في شبه الجزيرة، وفي أهلها مُرُوَّة، وصلاح، ودين، وتجارات، وشربهم من نهر يقال له: مهران، وهي شديدة الحرّ كثيرة البقّ. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٤٤).

(٣) مكّة: بيت الله الحرام، أما اشتقاقها ففيه أقوال: قال أبو بكر بن الأنباري: سمّيت مكة لأنها تمُكّ الجبارين أي تُذهب نخوتهم، ويقال: إنما سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم: قد أمتَكّ الفصيل ضرع أمه إذا مصّه مصًّا شديداً، وسمّيت بكّة لازدحام الناس بها، يقال مكّة اسم المدينة، بكّة اسم البيت. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢١٠).

(٤) بغداد: أم الدنيا وسيدة البلاد، وفيها أربع لغات: بغداد، بدالين مهملتين، وبغداذ معجمة الأخيرة (أي بذال)، وبغدان، بالنون، ومغدان، بالميم بدلاً من الباء، تذكّر وتؤنّث. وقيل: أصل بغداد للأعاجم والعرب تختلف في لفظها إذا لم يكن أصلها من كلامهم ولا اشتقاقها من لغاتهم، قال بعض الأعاجم: تفسيره بستان رجل، فباغ تعني بستان، وداد اسم رجل، وبعضهم يقول: بَغ هو اسم لصنم ذُكر أنه أُهدي إلى كسرى خَصِيّ من المشرق فأقطعه إيّاها، وكان الخَصِيّ من عباد الأصنام ببلده، فقال: بغ داد، أي الصنم أعطاني، وقيل: بغ هو البستان، وداد معناها أعطى، وكان كسرى قد وهب لهذا الخصيّ هذا البستان، فقال: بغ داد فسميت به، وقيل: هي اسم فارسي معرّب عن باغ دَاذوَيه لأنّ بعض رقعة مدينة المنصور كان باغاً لرجل من الفرس اسمه داذويه، وبعضها أثر مدينة دارسة كان بعض ملوك الفرس اختطّها فأعتلّ، فقالوا: ما الذي يأمر الملك أن تسمّى به هذه المدينة؟ فقال: هِلِدوه وروز، أي خلّوها بسلام، فحكي ذلك للمنصور، فقال: سمّيتها مدينة السلام. وقيل: سميت مدينة السلام: لأن نهر دجلة يقال له: وادي السلام. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٤١).

(٥) قرطبة: كلمة عجمية رومية ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القَرْطَبة وهو العَدْو الشديد، وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريراً لملكها، وبها كانت ملوك بني أمية، ومنبع النبلاء من ذلك الصقع. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٦٨).

(٦) بُسْت: بالضم فالسكون، مدينة بين سجستان، وغزنين، وهراة، وهي من البلاد الحارّة المزاج، =

زرنج[1] هراة[2] قاين مرو[3] اليهوديّة الدامغان[4] آمل[5] بروان اتل مراغة دبيل الريّ[6] اليهوديّة السوس[7] جنديسابور تستر العسكر الدورق رامهرمز أرّجان

= كبيرة، كثيرة الأنهار والبساتين. (معجم البلدان ج ١/ ص ٤٩٢).

(١) زرنج: مدينة هي قصبة سجستان، وسجستان اسم الكورة كلّها. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٥٥).

(٢) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات المدن في خُراسان قال ياقوت: لم أر بخُراسان عند كوني بها سنة ٦٠٧ هـ مدينة أجلّ، ولا أعظم، ولا أفخم، ولا أحسن، ولا أكثر أهلاً منها، فيها بساتين كثيرة، ومياه غزيرة، وخيرات كثيرة، محشوّة بالعلماء، ومملوءة بأهل الفضل والثراء. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٥٦).

(٣) مرو: أشهر مدن خُراسان وقصبتها، والنسبة إليها مَرْوَزِيّ على غير القياس، والثوب مَرْوِيّ على القياس، أما لفظ مرو فهو بالعربية الحجارة البيض التي يقتدح بها، قال ياقوت: إلاّ أن هذا عربي، ومرو عجمية، ثم لم أر بها من هذه الحجارة شيئاً ألبتة، وقد روي عن بريدة بن الحُصيب، أحد الصحابة، أن النبي ﷺ قال: «يا بريدة إنه سيُبعث من بعدي بعوث فإذا بُعثت فكن في بعث المشرق، ثم كن في بعث خُراسان، ثم كن في بعث أرض يقال لها مرو إذا أتيتها فانزل مدينتها فإنه بناها ذو القرنين وصلّى فيها عُزير أنهارها تجري بالبركة، على كل نقب منها ملك شاهر سيفه يدفع عن أهلها السوء إلى يوم القيامة». فقدمها بريدة وأقام بها إلى أن مات وقبره بها. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٣٢).

(٤) الدامغان: بلد كبير بين الريّ ونيسابور، وهو قصبة قومس، قال مسعر بن مهلهل: الدامغان مدينة كثيرة الفواكه، وفاكهتها نهاية في الطيب، والرياح لا تنقطع بها ليلاً ولا نهاراً، وبها مقسم للماء كسروي عجيب، يخرج ماؤه من مغارة في الجبل، ثم ينقسم إذا انحدر عنه على مائة وعشرين قسماً، وعشرين رستاقاً لا يزيد قسم على صاحبه. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٩٣).

(٥) آمل: اسم أكبر مدينة بطبرستان في السهل، لأن طبرستان سهل وجبل، وبآمل تعمل السجادات الطبرية، والبُسط الحسان، وكان بها أول إسلام أهلها مسلحة من ألفي رجل. (معجم البلدان ج ١/ ص ٧٧).

(٦) الرَّيّ: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محطّ الحاجّ على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً، ومن قزوين إلى أبهر اثنا عشر فرسخاً، ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخاً. وفي بعض كتب التاريخ الفارسي أن كيكاوس كان قد عمل عجلة وركّب عليها آلات ليصعد إلى السماء فسخّر الله الريح حتى عَلَت به إلى السحاب، ثم ألقته فوقع في بحر جرجان، فلما قام كيخسرو بن سياوش بالملك حمل تلك العجلة وساقها ليقدم بها إلى بابل، فلما وصل إلى موضع الرَّيّ قال الناس: بَرِيّ آمدَ كيخسرو، واسم العجلة بالفارسية ريّ، وأمر بعمارة مدينة هناك فسمّيت الرَّيّ بذلك، وقال العمراني: الرَّيّ بلد بناه فيروز بن يزدجرد وسمّاه رام فيروز، ثم ذكر الرَّيّ المشهورة بعدها وهي مدينة عجيبة الحسن مبنية بالآجر المنمّق، المحكم، الملمّع بالزرقة، مدهون كما تدهن الغضائر في فضاء من الأرض، وإلى جانبها جبل مشرف عليها أقرع لا ينبت فيه شيء، وكانت مدينة عظيمة خرب أكثرها. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٣٢).

(٧) السوس: بلدة في خورستان فيها قبر دانيال النبي، عليه السلام، قال حمزة: السوس تعريب =

سيراف دَرَابجرد شهرستان اصطخر أردشير نرماشير[1] بمٌ جيرفت[2] بَنْجبُور قزدار وَيْهنْد قَنُّوج الملتان صنعاءُ[3] البصرة الكوفة[4] واسط حلوان[5] سامرًا[6] آمد الرقَّة

= الشوش، ومعناه الحسن، والنزه، والطيِّب، واللطيف، قال ابن المقفع: أول سور وضع في الأرض بعد الطوفان سور السوس وتُستر، ولا يُدرَى من بنى سور السوس. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣١٩).

(١) نرماشير: ضبطها صاحب معجم البلدان ياقوت الحموي بالسين نرماسير وهي مدينة مشهورة من أعيان مدن كرمان، بينها وبين بَمّ مرحلة، وإلى الفهرج على طريق المفازة مرحلة. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٢٤).

(٢) جيرفت: مدينة بكرمان هي مدينة كبيرة جليلة من أعيان مدن كرمان وأنزهها وأوسعها، بها خيرات ونخل كثير وفواكه ولهم نهر يتخلل البلد إلاّ أن حرّها شديد، ولهم سُنّة حسنة لا يرفعون من تمورهم ما أسقطته الريح، بل هو للصعاليك، وربما كثرت الرياح فيصير إلى الفقراء من التمور في التقاطهم إيّاها أكثر وربما بلغ بها ويجورمها كل مائة مَنٍّ بدرهم، وفتحت جيرفت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢٣٠).

(٣) صنعاء: منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها، والنسبة إليها صنعاني على غير القياس، وهي باليمن، قال أبو القاسم الزجاجي: كان اسم صنعاء في القديم أزال، فلما وافتها الحبشة قالوا: نعم نعم، فسمّي الجبل نعم أي انظر، فلما رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا: هذه صنعة ومعناه حصينة فسمّيت صنعاء بذلك. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٤٨٣).

(٤) الكوفة: بالضم، المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسمّيها قوم خدّ العذراء. قيل: سمّيت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب: رأيت كوفاناً للرميلة المستديرة. وقيل: سمّيت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم: قد تكوّف الرمل. وقيل: كوفة أي قطعة من الأرض. أما تمصيرها وأوليته فكانت في أيام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في السنة التي مُصّرت فيها البصرة وهي سنة ١٧ هـ. وقيل: إنها مُصّرت بعد البصرة بعامين في سنة ١٩ هـ. وكان عمر بن الخطاب قد أمر بينائها والبصرة. قيل: لما فرغ سعد بن أبي وقّاص من وقعة رُسْتَم بالقادسية. قال له ابن بُقَيلة: هل أدلّك على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المبقّة؟ قال: نعم، فدلّه على موضع الكوفة اليوم، وكان يقال له سورستان فأعجبه فولى السائب بن الأقرع وأبا الهيّاج الأسدي خطط الكوفة. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٥٥٧).

(٥) حُلوان: حلوان العراق، وهي في آخر السواد مما يلي الجبال من بغداد، وقيل: إنها سمّيت بحُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان بعض الملوك أقطعه إيّاها فسميت به. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٣٤).

(٦) سرّ من رأى: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة وقد خربت، وفيها لغات: سامرّاء ممدودة، وسامرّا مقصورة، وسرّ من رآَ مهموزة الآخر، وسرّ من را مقصورة الآخر. بها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه، وقد ينسبون إليها بالسُّرَّمَرّي، وقيل: إنها مدينة بنيت لسام فنسبت إليه بالفارسية سام راه. وقيل: بل هو موضع عليه بالخراج، قالوا بالفارسية: ساءِ مُرّة أي موضع الحساب، قال حمزة: كانت سامرّاء مدينة عتيقة من مدن الفرس تحمل إليها الإتاوة التي كانت موظّفة لملك الفرس على ملك الروم، ودليل ذلك قائم في =

حلب[1] حمص[2] طبريّة[3] الرملة صغر الفرما[4] بلبيس العبّاسيّة إسكندريّة[5]

= اسم المدينة لأن سا اسم الإتاوة، ومُرَّة اسم العدد، والمعنى أنه مكان قبض عدد جزية الروم.
وقال الشعبي: وكان سام بن نوح له جمال ورُواء ومنظر، وكان يصيّف بالقرية التي ابتناها نوح عليه السلام، عند خروجه من السفينة ببازَبْدَى وسمّاها ثمانين، ويشتو بأرض جُوخَى، وكان ممرّه من أرض جُوخَى إلى بازَبْدَى على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي، ويسمّى ذلك المكان الآن سام راه يعني طريق سام.
وقال إبراهيم الجنيدي: سمعتهم يقولون: إن سامرّاء بناها سام بن نوح عليه السلام ودعا أن لا يصيب أهلها سوء فأراد السفاح أن يبنيها فبنى مدينة الأنبار بحذائها، وأراد المنصور بعدما أسس بغداد بناءها، وسمع في الرواية ببركة هذه المدينة فابتدأ بالبناء في البَرَدَان، ثم بدا له وبنى بغداد. وأراد الرشيد أيضاً بناءها فبنى بحذائها قصراً وهو بإزاء أثر عظيم قديم كان للأكاسرة، ثم بناها المعتصم ونزلها سنة ٢٢١ هـ.
قال أحمد البشاري نكتة حسنة فيها: لما كملت واتّسق خيرها واحتفلت سميت سرور من رأى، ثم اختصرت فقيل: سُرَّ من رأى.
فلما خربت وتشوّهت خلقتها واستوحشت سميت ساء من رأى، ثم اختصرت فقيل: سامرّاء. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٥٩).

(١) حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء، وهي قصبة جند قنّسرين.
قال الزجاجي: سمّيت حلب لأن إبراهيم، عليه السلام، كان يحلب فيها غنمه في الجمعات، ويتصدّق به فيقول الفقراء: حلب حلب، فسمّي به. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٢٤).

(٢) حِمص: بلد مشهورة قديم كبير مسوّر، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تلّ عالٍ كبير وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق.
يذكّر ويؤنّث، بناه رجل يقال له: حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل: حمص بن مكنف العمليقي.
فتحها أبو عبيدة بن الجرّاح لما فرغ من دمشق قدّم أمامه خالد بن الوليد ومِلحان بن زيّار الطائي، ثم اتّبعهما فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها، ثم لجأوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح، فصالحوه على مائة ألف وسبعين ألف دينار. قال صاحب معجم البلدان: ومن عجيب ما تأمّلته من أمر حمص فساد هوائها وتربتها اللذين يفسدان العقل حتى يُضرب بحماقتهم المثل. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٤٧).

(٣) طبرية: وهي بليدة مطلّة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل، وجبل الطور مطلّ عليها، بينها وبين دمشق ثلاثة أيّام، وبينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام، وبينها وبين مكة يومان، وهي مستطيلة على البحيرة عرضها قليل حتى تنتهي إلى جبل صغير فعنده آخر عمارة. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٠).

(٤) الفرما: وهو اسم أعجمي أغلب الظنّ أنه يوناني، وهي مدينة على الساحل من ناحية مصر. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٩٠).

(٥) الإسكندرية: ذُكر أن الذي بناها هو الإسكندر الأول ذو القرنين، وذكر إبراهيم المصري قال: كانت =

أسوان[1] برقة[2] بلرم تاهرت[3] فاس سجلماسة[4] طرفانة، نرجع إلى ذكر المدن المحيطة بقصباتها فنقدّم الحاجب ونتبعه جنده فمن أشكل عليه شيءٌ من ذلك فليفتّشه على إقليمه.

أخسيكت نصراباذ رنجد زاركان خيرلام وشبشان اشتيقان زرندرامش أوزكند أوش قبا برنك مرغينان رشتان باب جارك أشت توبكار أوال دكركرد نوقاد مسكان بيكان أشحيحان جدغل شاودان خجندة.

ولاسبيجاب خورلوغ جمشلاغو أسبانيكت باراب شاوغر سوران ترار زراخ شغلجان بالاج بروكت بروخ يكانكث أذخكت ده نوجيكت طراز بالوا جكل برسخان أطلخ جموكت شلجى كول سوس تكابكث بلاسكون لبان شوى أبالغ مادانكث برسيان بلغ جكركان يغ پكالغ روانجم كتاك شور جشمه دل أواس جركرد.

ولبنكث نكَّث جينانجكث نجاكث بناكث خرشكث فرجند غنَّاج جموزن وردك كبرنه نمدوانك نوجكت غزك أنوذكث بشكت بركوش خاتونكث جيغوكث فرنكد كداك نكالك تل أوش غزكرد زرانكث دروا فردكث أجخ، ومن نواحيها إيلاق قصبتها تونكث مدنها شاوكث بانخاش نوكث بالايان أربلخ نموذلغ خمرك سيكث كهسيم أدخكث خاس خجاكث غرجند سام سرك بسكث.

لبنجكث أرسبانيكث كردكث غزق ساباط زامين ديزك نوجكث دزه خرقانة خشت قطوان مرسمندة ولنموجكث بيكند الطواويس وزندنة بمجكث خديمنكن

= الإسكندرية لشدّة بياضها لا يكاد يبين فيها دخول الليل إلاّ بعد وقت. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢١٧).

(١) أسوان: هي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر، وأول بلاد النوبة على النيل في شرقيّه. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٢٧).

(٢) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مُدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقيا، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن. (معجم البلدان ج ١/ ص ٤٦٢).

(٣) تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت الحديثة، وهي كثيرة الأنداء والضباب، والأمطار حتى إن الشمس فيها قلّ أن تُرى. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٨).

(٤) سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام، وهي في منقطع جبل دَرَن، وأكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر وغلتهم قليلة. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢١٧).

عروان بخسون سيكث أرياميثن ورخشى زرميثن كمجكث فغرسين كشففغن نويلك وركي، ناحيتها كشُّ[1]، مدنها نوقد قريش سونج أسكيفغن، ونسف[2] مدنها كسبة بزدة سيركث ولسمرقند بنجكث ورغسر أبغر كشاني أشتيخن دبوسية[3] كرمينية وربنجان قطوانة.

وعلى جيحون ناحية ختّل[4] مدينتها هلبك مرند أنديجارغ هلاورد لاوكند كاربنك تمليات إسكندرة منك فارغر بيك، ثم مدينة ترمذ[5] كالف زم نويده آمل فربر، وكورة الصغانيان[6] مدنها دارزنجي باسند سنكرده بهام زينور ريكدشت الشومان قواديان أنديان دستجرد هنبان.

ولخوارزم[7] قصبتها الهيطليّة كاث مدنها غردمان وإيخان أرذخيوه نوكفاغ كردر

---

(١) كَشّ: قرية على ثلاثة فراسخ من جُرجان على جبل، يُنسب إليها أبو زرعة محمد بن أحمد بن يوسف بن محمد بن الجنيد الكشي الجرجاني. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٥٢٥).

(٢) نسف: هي مدينة كبيرة كثيرة الأهل والرستاق بين جيحون وسمرقند، لها ربض وأربعة أبواب. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٢٩).

(٣) دبّوسيّة: بليد من أعمال الصغد من ما وراء النهر. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٩٩).

(٤) الخُتّل: كورة واسعة كثيرة المدن، منهم من ينسبها إلى بلخ وذاك خطأ لأنها خلف جيحون وإضافتها إلى هيطل وهي أجلّ من صغانيان وأوسع خطة، وأكبر مدناً، وأكثر خيراً، وهي على تخوم السند. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٩٦).

(٥) التِّرمِذ: مدينة مشهورة من أمّهات المدن، راكبة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، متّصلة العمل بالصغانيان، ولها ربض، يحيط بها سور، وأسواقها مفروشة بالآجر، ولهم شرب يجري من الصغانيان لأن جيحون يستقلّ عن شرب قراهم. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣١).

(٦) الصغانيان: ولاية عظيمة بما وراء النهر متّصلة الأعمال بترمذ، وهي ناحية شديدة العمارة، كثيرة الخيرات، مشاربهم من أنهار تمدّ إلى جيحون غير أن موادّها تنقطع عنه في بعض السنة. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٤٦٤).

(٧) خُوارزم: أوله بين الضمة والفتحة، والألف مسترقة مختلسة ليست بألف صحيحة، هكذا يتلفّظون به. خوارزم ليس اسماً للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها. وقد ذكروا في سبب تسميتها بهذا الاسم أن أحد الملوك القدماء غضب على أربعمائة من أهل مملكته، وخاصّة حاشيته، فأمر بنفيهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون بيهم وبين العمائر مائة فرسخ، فلم يجدوا على هذه الصفة إلا موضع مدينة كاث، وهي إحدى مُدن خوارزم، فجاؤوا بهم إلى هذا الموضع وتركوهم وذهبوا، فلما كان بعد مدّة جرى ذكرهم على بال الملك، فأمر قوماً بكشف خبرهم، فجاؤوا فوجدوهم قد بنوا أكواخاً ووجدوهم يصيدون السمك وبه يتقوّتون، وإذا حولهم حطب كثير، فقالوا لهم: كيف حالكم؟ فقالوا: عندنا هذا اللحم، وأشاروا إلى السمك، وعندنا هذا الحطب فنحن نشوي هذا بهذا ونتقوّت به، فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فسمّى ذلك الموضع خوارزم؛

مزداخقان جشيرة سدور زردوخ قرية براتكين مذكمينيّة، قصبة الخراسانيّة الجرجانيّة مدنها نوزوار زمخشر روزوند وزارمند دسكاخان خاس خشميثن مداميثن خيوه كردرانخاس هزاراسف جقروند سدفر جرجانيّة جاز درغان جيت.

ولبلخ أشفورقان سليم كركو جاه مذر برواز، ناحية طخارستان مدنها ولوالج[١] الطالقان[٢] خلم غربنك سمنجان أسكلكند[٣] روب بغلان[٤] العليا بغلان السفلى أسكيمشت راون[٥] آرهن[٦] أندراب سراي عاصم، ناحية الباميان[٧] مدنها بسغورفند سقاوند لخراب بذخشان[٨] بنجهير[٩] جاربايه بروان.

= لأن اللحم بلغة الخوارزمية خوار، والحطب رزم، فصار خوارزم مُخَفَّف فصار خوارزم استثقالاً لتكرير الراء، فأقرّ أولئك الذين نفاهم بذلك المكان وأقطعهم إيّاه، وأرسل إليهم أربعمائة جارية تركية، وأمدهم بطعام من الحنطة والشعير، وأمرهم بالزرع والمقام هناك، فلذلك في وجوههم أثر الترك، وفي طباعهم أخلاق الترك، وفيهم جَلَد وقوّة. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٥٢).

(١) ولوالج: بلد من أعمال بَذَخْشان خلف بلخ وطخارستان. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٤١).

(٢) الطالقان: بلدة بخُراسان بين مرو الروذ وبلخ، قال الإصطخري: أكبر مدينة بطخارستان طالقان، وهي مدينة في مستوى الأرض ولها نهر كبير وبساتين. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٧).

(٣) إسكلكند: كورة بطخارستان كثيرة الخيرات، عامرة الرساتيق، نُسب إليها قوم من أهل العلم. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢٦١).

(٤) بغلان: بلدة بنواحي بلخ فيها أنهار كثيرة وأشجار ملتفّة، وبين بغلان وبلخ ستة أيام. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٥٤).

(٥) راون: بليدة من نواحي طخارستان شرقي بلخ ليست بالكبيرة. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢٢).

(٦) آرهن: من قرى طخارستان من أعمال بلخ. (معجم البلدان ج ١/ ص ٧١).

(٧) الباميان: بلدة وكورة في الجبال بين بلخ وهراة وغزنة، بها قلعة حصينة، والقصبة صغيرة، والمملكة واسعة، وبها بيت ذاهب في الهواء بأساطين مرفوعة، منقوش فيه كل طير خلقه الله تعالى على وجه الأرض يتابه الدُّعار، وفيه صنمان عظيمان نُقِرا في الجبل من أسفله إلى أعلاه، يسمّى أحدهما سُرْخبُد والآخر خِنْكبُد، وقيل: ليس لهما في الدنيا نظير. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣٩٣).

(٨) بَذَخْشان: وهو الموضع الذي فيه معدن البلخش المقاوم للياقوت، وهو عروق في جبلهم يكثر، لكن الجيد منه قليل، وفي جباله أيضاً معدن اللازورد الذي يزوّق ويُعمل منه فصوص الخواتم، ومن هذا الموضع يدخل التجار أرض التبت. وبَذَخْشان بلدة في أعلى طخارستان متاخمة لبلاد الترك، بينها وبين بلخ ثلاثة عشر فسرخاً، وفيها أيضاً حجر البجادي وهو كالياقوت غير البلخش والبلور الخالص. (معجم البلدان ج ١/ ص ٤٢٩).

(٩) بنجهير: مدينة بنواحي بلخ، فيها جبل الفضة، وأهلها أخلاط، وبينهم عصبية وشرّ وقتل، والدراهم بها واسعة كثيرة لا يكاد أحدهم يشتري شيئاً، ولو جُرْزَة بقل بأقل من درهم صحيح، والفضة في أعلى جبل مشرف على البلدة، والسوق والجبل كالغربال من كثرة الحفر، وإنما يتبعون=

ولغزنى كرديس سكاوند نوه بردن دمراخي حشُّ باره فرمل سرهون لجرا خواشت غراب زاوه كاويل كابل[1] لمغان بودن لهوكر، وناحيتها والشتان مدنها أفشين أسبيدجه مستنك شال سكيرة سيوه.

ولبست جالقان بأن قرمة بوزاد داور سروستان قرية الجوز رخود بكراواذ بنجواي طلقان.

ولزرنج كوين زنبوك فره درهند قرنين كواربواذ بارنواذ كزه سنج باب الطعام كروادكن ونه الطاق. لهراة كروخ أوبه مالن السَّفْلَقَات خيسار أستربيان مارباذ، نواحيها بوشنج[2] مدنها خركرد فلجرد كوسوي كره، وباذغيس[3] مدنها دهستان كوغناباذ كوفا بشت جاذاوا كابرون كاليون جبل الفضّة، وكنج رستاق مدنها.

= عروقها يجدونها تدلّهم على أنها تفضي إلى الجواهر، وهم إذا وجدوا عرقاً حفروا أبداً إلى أن يصيروا إلى الفضة، فيتّفق أن للرجل منهم في الحفر ثلاثمائة ألف درهم أو يزيد أو ينقص، فربما صادف ما يستغني به هو وعقبه، وربما حصل له مقدار نفقته وربما أكدى وافتقر لغلبة الماء وغير ذلك، وربما يتبع رجل عرقاً ويتبع آخر شعبة أخرى منه بعينه فيأخذان جميعاً في الحفر، والعادة عندهم أن من سبق فاعترض على صاحبه فقد استحقّ ذلك العرق وما يفضي إليه، فهم يعملون عند هذه المسابقة عملاً لا تعمله الشياطين، فإذا سبق أحد الرجلين ذهبت نفقة الآخر هدراً وإن استويا اشتركا. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٩١).

(١) كابُل: بضم الباء الموحدة، وهي في الإقليم الثالث قال الإصطخري: الخلج صنف من الأتراك وقعوا في قديم الزمان إلى أرض كابُل التي بين الهند ونواحي سجستان في ظهر الغور، وهم أصحاب نِعَم على خُلق الأتراك في زيّهم ولسانهم، وكابُل: اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى أوهند، واجتمعت برجل من عقلاء سجستان ممن دوّخ تلك البلاد وطرّقها فذكر لي بالمشاهدة أن كابُل ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وغزنة، قال: ونسبتها إلى الهند أولى. قال ابن الفقيه: كابُل من ثغور طخارستان، ولها من المدن: واذان، وخُواش، وخُشُّك، وجزّه، قال: وبكابُل عود، ونارجيل، وزعْفران، وإهليلج لأنها متاخمة للهند، وكان خراجها ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم، ومن الوصائف ألفا رأس قيمتها ستمائة ألف درهم، غزاها المسلمون في أيام بني مروان وافتتحوها، وأهلها مسلمون. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٨٣).

(٢) بوشنج: بليدة نزهة خصيبة في وادٍ مشجّر من نواحي هراة، ويُنسب إلى بوشنج خلق كثير من أهل العلم. (معجم البلدان ج ١/ ص ٦٠٢).

(٣) باذغيس: بالذال المعجمة، ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة، ومرو، قصبتها بون ويامنين، بلدتان متقاربتان، وهي ذات خير ورخص يكثر فيها شجر الفستق، وقيل: إنها كانت دار مملكة الهياطلة، وقيل: أصلها بالفارسية باذخيز، معناه قيام الريح، أو هبوب الريح لكثرة الرياح بها. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣٧٨).

بين كيف بغ، وأسفزار مدنها كواشان كواران كوشك أدرسكر، وناحية غرجستان قصبتها أبشين ومدنها شورمين بليكان أسمون.

ولليهوديّة أنبار برزور فارياب كلان الجرزوان. لمرو خرق هرمزفرّه باشان سنجان سومسقان صهبة كيرنك سنك عبادي دندانقان[١]، ناحيتها مرو الروذ[٢] مدنها قصر أحنف طالقان ومدينة سرخس[٣].

ولقاين تون خوست[٤] خور كرى طبس الرقّة يناود سناوذ طبس السفلى. ولإيرانشهر بوزجان زوزن طرثيث سابزوار خسروجرد أزاذوار خوجان ريوند مازل مالن جاجرم، وخزائنها طوس[٥] قصبتها الطابران النوقان والرادكان وجنابد استورقان تروغبذ، نَسا[٦] مدنها اسفينقان والسرمقان فراوة شهرستانة، وأبيورد[٧] مدنها مهنة كوفن.

---

(١) الدندانقان: بلدة من نواحي مرو، وهي بين سرخس ومرو، وهي خراب خرّبها الأتراك، فقتلوا بعض أهلها وتفرّق الباقون، لأن عسكر خُراسان دخلها وتحصّن بها. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٥٤٣).

(٢) مرو روذ: ضبطها صاحب معجم البلدان مرو الروذ، المرو: الحجارة البيض تُقتدح بها النار، ولا يكون أسود ولا أحمر، والروذ بالفارسية النهر، فكأنه مرو النهر، وهي مدينة قريبة من مرو الشاهجان، وهي على نهر عظيم. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٣٢).

(٣) سرخس: مدينة قديمة من نواحي خُراسان كبيرة واسعة، وهي بين نيسابور ومرو في وسط الطريق، سميت باسم رجل من الدُّعار في زمن كيكاوس سكن هذا الموضع وعمّره ثم تمّم عمارته وأحكم مدينته ذو القرنين الإسكندر. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢٣٥).

(٤) خست: ناحية من بلاد فارس قريبة من البحر. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٢٣).

(٥) طُوس: مدينة بخُراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان، ولهما أكثر من ألف قرية فُتحت في أيام عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وبها قبر علي بن موسى الرضا، وبها أيضاً قبر هارون الرشيد، قال مسعر بن المهلهل: وطُوس أربع مدن منها اثنتان كبيرتان، واثنتان صغيرتان، وبها آثار أبنية إسلامية جليلة. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٥٥).

(٦) نسَا: بلد أعجمي، قال أبو سعد في سبب تسميتها بهذا الاسم: إن المسلمين لما وردوا خُراسان قصدوها، فبلغ أهلها، فهربوا ولم يتخلّف بها غير النساء، فلما أتاها المسلمون لم يروا بها رجلاً، فقالوا هؤلاء نساء، والنساء لا يقاتلن فننسأ أمرها الآن إلى أن يعود رجالهن، فتركوا ومضوا وسمّوا بذلك نساء والنسبة الصحيحة إليها نَسائي، وكان الواجب كسر النون، وهي مدينة بخُراسان، وهي مدينة وبئة جداً، يكثر بها خروج العرق المديني، حتى إن الصيف قلّ من ينجو منه من أهلها. خرج منها جماعة من أعيان العلماء منهم أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النّسائي القاضي الحافظ صاحب كتاب السنن. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٢٥).

(٧) أبيورد: مدينة بخُراسان بين سرخس ونَسَا، وبئة، رديئة الماء، يكثر فيها خروج العرق. (معجم البلدان ج ١/ ص ١١٠).

وللدامغان بسطام مغون سمنان زغنة بيان. ولشهرستان[1] آبسكون آلهم إستاراباذ آخر الرباط.

ولآمل سالوس سارية ميلة مامطير تُرُنْجَى طميس هرى بود ممطير نامية تميسة.

ولبروان ولامر شكيرز تارم خبشم، ناحيتها الجيل مدنها دولاب بيلمان شهر كُهَن روذ. ولاتل بلغار سمندر سوار بغند قيشوى البيضاءُ خمليج بلنجر.

ولبرذعة[2] تفليس[3] القلعة خنان شمكور جنزة برديج الشماخية شروان باكوه الشابران باب الأبواب الأبخان قبلة شكّى ملازكرد تبلا.

ولدبيل بدليس خلاط أرجيش بَرْكرى خويّ[4] سلماس[5] أرمية داخرّقان مراغة[6] أهر مرند سنجان قاليقلا[7]، ولأردبيل رسبة تبريز جابروان الميانج السراة ورثان موقان ميمذ برزند.

---

(١) شهرستان: بأرض فارس وربما خُففت شرستان، هي قصبة سابور، كثيرة الخيرات. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٤٢٧).

(٢) برذعة: وقد رواه أبو سعد بالدال المهملة، بلد في أقصى أذربيجان، قال حمزة: برذعة معرّب بَرْدَه دار، ومعناه بالفارسية موضع السبي، وذلك أن بعض ملوك فارس سبى سبياً من وراء أرمينية وأنزلهم هناك. وذكر ابن الفقيه أن أول من أنشأ عمارتها قُباد الملك. (معجم البلدان ج ١/ ص ٤٥١).

(٣) تفليس: وهو بلد بأرمينية، وهي مدينة قديمة. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٢).

(٤) خوي: بلفظ تصغير خوّ وهو يوم من أيام أهل خوي في هذا الموضع، خوي: ذات سور حصين ومياه وأشجار، كثيرة الخيرات، وافرة الغلاّت، كثيرة الأهل، وأهلها من أهل السنة والجماعات على مذهب واحد، ليس بينهم اختلاف المذاهب، يُعْمل بها الديباج الذي يسمّونه الجولخ، بها عين كنكلة، ينبع منها ماء كثير جداً بارد في الصيف حار في الشتاء. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٦٦).

(٥) المراغة: بالفتح، بلدة عظيمة مشهورة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، قالوا: كانت المراغة تدعى أفراز هروذ فعسكر مروان بن محمد بن الحكم وهو والي أرمينية وأذربيجان منصرفه من غزو موقان وجيلان بالقرب منها، وكان فيها سرجين كثير فكانت دوابه ودواب أصحابه تتمرّغ فيها، فجعلوا يقولون: ابنوا قرية المراغة، وهذه هي قرية المراغة، فحذف الناس القرية وقالوا: المراغة. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٠٩).

(٦) سلماس: مدينة مشهورة بأذربيجان، بينها وبين أرمية يومان، وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام، وهي بينهما، وبين سلماس وخوي مرحلة. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢٧٠).

(٧) قاليقلا: مدينة بأرمينية العظمى من نواحي خلاط. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٣٩).

وللريّ قم آوه ساوة آوه قزوين[1] أبهر[2] زنجان[3] شلنبة ويمة. ولهمذان أسداواذ طرز قرماسين[4] بوسته رامن وبه سيراوند، ولها نواحٍ جليلة بلا مدن مثل نهاوند[5] ولها روذراور وكرج أبي دلف ولها كرج[6] أخرى ومرج وبروجرد، والصيمرة[7] بلا مدن والدينور[8] بلا مدن وشهرزور[9] ولليهوديّة المدينة خالنجان

---

(١) قزوين: بالفتح، مدينة مشهورة بينها وبين الرّيّ سبعة وعشرون فرسخاً، وإلى أبهر اثنا عشر فرسخاً، وهي في الإقليم الرابع. قال ابن الفقيه: أوّل من استحدثها سابور ذو الأكتاف، قال: وحصن قزوين يسمى كشرين بالفارسية بينه وبين الديلم جبل كانت ملوك الأرض تجعل فيه رابطة من الأساورة يدفعون الديلم إذ لم يكن بينهم هدنة ويحفظون بلدهم من اللصوص. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٨٩).

(٢) أبهر: يجوز أن يكون أصله في اللغة من الأبهر، وهو عَجْس القوس، أو من البهر وهو الغلبة، وأبهر مدينة مشهورة بين قزوين وزنجان وهمذان من نواحي الجبل، والعجم يسمّونها أوْهَر، وقال بعض العجم: معنى أبهر مُركّب من آب، وهو الماء، وهَر، وهي الرحا، كأنه ماء الرحا. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٠٥).

(٣) زَنجان: بفتح أوله، وسكون ثانيه، بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين آذربيجان وبينها، وهي قريبة من أبهر وقزوين، والعجم يقولون: زنكان، افتتحها عنوة البرّاء بن عازب أيام خلافة عثمان بن عفان الخليفة الراشدي الثالث رضي الله عنه. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٧١).

(٤) قرماسين: بالفتح، قال العمراني: موضع منه إلى الزبيدية ثمانية فراسخ، قال ياقوت: أظنه في طريق مكة وليست قرميسين التي قرب همذان. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٧٥).

(٥) نهاوند: بفتح النون الأولى وكسرها، والواو مفتوحة، هي مدينة عظيمة في قبلة همذان بينهما ثلاثة أيام، قال أبو المنذر هشام: سمّيت نهاوند لأنهم وجدوها كما هي، ويقال إنها من بناء نوح، عليه السلام، أي نوح وضعها إنما اسمها نوح أوَنْد فخفّفت وقيل نهاوند، وقال حمزة: أصلها بنو هاوند فاختصروا منها، ومعناه الخير المضاعف. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٦١).

(٦) الكَرَج: بفتح أوله وثانيه، وهي فارسية وأهلها يسمّونها كَرَه، وهي رستاق يقال له فاتق، وفاتق عُرّب به هَفْته، فأما مجازه في العربية فالكرج من قولهم: تكرَّج الخبز إذا أصابه الكَرَج وهو الفساد، وهي مدينة بين همذان وأصبهان في نصف الطريق، وإلى همذان أقرب. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٥٠٦).

(٧) الصَّيمرة: بالفتح، كلمة أعجمية وهي موضعين: أحدهما في البصرة على فم نهر معقل، وفيها قرى عدّة تسمّى بهذا الاسم، جاءهم في حدود سنة ٤٥٠ هـ رجل يقال له ابن الشبّاس، فادّعى عندهم أنه إله، فاستخفّ عقولهم بترّهات فانقادوا له وعبدوه. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٤٩٨).

(٨) الدينور: مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين، يُنسب إليها خلق كثير، وبين الدينور وهمذان نيّف وعشرون فرسخاً، وهي كثيرة الثمار والزروع ولها مياه ومستشرف، أهلها أجود طبعاً من أهل همذان. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٦١٦).

(٩) شهرزور: وهي في الإقليم الرابع، كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان أحدثها زور بن الضحّاك، ومعنى شهر بالفارسية المدينة، وأهل هذه النواحي كلّهم أكراد. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٤٢٥).

الرباط[1] لوردكان سميرم يزد ناين تياستانه أردستان[2] قاشان. وللسوس البذان بصنًا بيروت[3] قرية الرمل كرخة. ولجندي سابور الدز الروناش بايوه قاضبين اللور. ولم أر لتستر[4] مدينة ألبتَّة. وللعسكر جوبك زيدان سوق الثلثاءِ[5] حُبك ذو قرطم.

وللأهواز نهر تيري جوزدك بيروه سوق الأربعاءِ حصن مهديّ باسيان شوارب بندم دورق خان طوق سنة مناذر الصغرى.

وللدورق أزم بخساباذ الدز اندبار آزر جُبَّى ميراقيان ميراثيان. ولرامهرمز سنبل أيذج تيرم بزنك لاذ غروة بافج كوزوك.

ولأرَّجان قوستان داريان مهروبان جنَّابة سينيز بلا سابور هندوان. ولسيراف جور ميمند نابند الصيمكان خبر خورستان الغندجان كران سميران زيرباذ نجيرم نابند دون سورا راس كشم.

ولدرابجرد طبستان الكردبان كرم بزدخواست رستاق الرستاق برك أزبراه سنان جويم أبي أحمد الأصبهانات.

---

(١) الرباط: على الأطلسيّ عند مصبّ بو رقراق الفاصل بينها وبين سلا، أسّسها عبد المؤمن الموحّديّ باسم رباط الفتح سنة ١١٥٠ وبناها حفيده أبو يوسف يعقوب المنصور وزانها بالعمران فأنشأ أبوابها وجامع حسّان، وهي عاصمة المغرب. (المنجد في اللغة والأعلام، ص ٢٦٢).

(٢) أردستان: مدينة بين قاشان وأصبهان، وهي على طرف مفازة كركسكوه، وبناؤها آزاج، ولها دور وبساتين نزهات كبار، وهي مدينة عليها سور، ولها سور في كل محلّة، وفي وسط حصن منها بيت نار، يقال إن أنوشروان ولد بها، أهلها كلهم أصحاب رأي، ولهم رساتيق كثيرة كبار، ترفع منها الثياب الحسنة وتحمل إلى الآفاق، وينسب إليها طائفة كثيرة من أهل العلم في كلّ فن. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٧٥).

(٣) بيروت: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تُعدّ من أعمال دمشق، بينها وبين صيداء ثلاثة فراسخ، فتحها المسلمون ولم تزل بيروت في أيدي المسلمين على أحسن حال حتى نزل عليها بغدوين الإفرنجي الذي ملك القدس. (معجم البلدان ج ١/ ص ٦٢٣).

(٤) تُستر: أعظم مدينة بخوزستان اليوم، وهو تعريب شوشتر، وقال الزجاجي: سميت بذلك لأن رجلاً من بني عجل يقال له تستر بن نون افتتحها فسمّيت به وليس بشيء، والصحيح ما ذكره حمزة الأصبهاني قال: الشوشتر مدينة بخوزستان، تعريب شوش بإعجام الشينين، ومعناه النزه والحسن والطيّب واللطيف. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٤).

(٥) سوق الثلاثاء: سوق ببغداد وفيه سوق بزّها الأعظم، وسمي بذلك لأنه كان يقوم عليه سوق لأهل كَلْوَاذي، وأهل بغداد قبل أن يعمّر المنصور بغداد في كل شهر مرة يوم الثلاثاء فنسب إلى اليوم الذي كانت تقوم فيه السوق. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٢٢).

ولشيراز البيضاءُ فسا المصُّ كول جور كارزين دشت بارين جم جوبك جمكان كورد بجَّه هزار أبك. ولشهرستان دريز كازرون خرَّه النوبندجان كاريان كندران توَّز زمُّ الأكراد جنبذ خشت.

ولإصطخر هراة ميبذ مائين الفهرج الحيرة[1] سروستان أسبانجان بوَّان شهر بابق أورد الرون ده اشتران خرَّمة ترك نيشان صاهه.

ولبردسير ماهان كوغون زرند جنزروذ كوه بيان قواف زاور أناس خوناوب غبيرا كارشتان، وناحيتها خبيص مدنها نشك كشيد كوك كثروا، ومن المنفردات جنزروذ فرزين ناجت خير مرزقان السورقان مغون جيروقان.

وللسرجان بيمند[2] الشامات واجب بزورك خور دشت برين كشيستان. ولنرماسير باهر كرك وريكان نسا دارجين.

ولبمِّ دارزين طوشتان أوارك مهركرد راين مائين رائين. ولجيرفت باس جكين منوقان درهفان جوى سليمان كوه بارجان قوهستان[3] مغون جواون ولاشجرد[4] روذكان درفاني.

ولبنجبور مشكة كيج سرى شهر بربور خواش[5] دمندان جالك دزك دشت عليّ

---

(١) الحيرة: بالكسر ثم السكون وراء، مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، زعموا أن بحر فارس كان يتّصل به، وبالحيرة الخَوَرْنَق بقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل، والسدير في وسط البرية التي بينها وبين الشام، كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر، ثم من لخم النعمان وآبائه. وصفوها بالبياض فإنما أرادوا حسن العمارة، وقيل: سميت الحيرة لأن تُبّعاً الأكبر لما قصد خُراسان خلّف ضعفة جنده بذلك الموضع وقال لهم: حيّروا به، أي أقيموا به. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٧٦).

(٢) بيمند: وهو ميمند، بلد في كرمان، وقيل: بفارس وذكر بالميم. (معجم البلدان ج ١/ ص ٦٣٤).

(٣) قوهستان: هو تعريب كوهستان، ومعناه موضع الجبال لأن كوه هو الجبل بالفارسية، وربما خفف مع النسبة فقيل: القهستاني، أكثر بلاد العجم لا يخلو عن موضع يقال له: قوهستان، أما المشهور بهذا الاسم فأحد أطرافها متّصل بنواحي هراة، ثم يمتد في الجبال طولاً حتى يصل بقرب نهاوند، وهمدان، وبروجرد. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٧٢).

(٤) واشجرد: من قرى ما وراء النهر، مدينة نحو الترمذ وشومان أصغر منها، ويرتفع من واشجرد وشومان قرب الصغانيان زعفران كثير يُحمل إلى سائر الآفاق. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٠٧).

(٥) خُواش: مدينة بسجستان، وأهلها يقولون خاش، على يسار الذاهب إلى بُسْت، بينها وبين =

التيز كبرتون راسك به بند قصرقند أصفقة فهل فهره قنبلي أرمابيل. ولويهند قامهل كنباية سوبارة أورهة زهو هر برهيروا.

ولقزدار قنابيل بجثرد جثرد بكانان خوزي رستاكهن موردان روذ ماسكان كهركور محالي كزيكانان سورة قصدار.

وللمنصورة ديبل زندرايج كلدر مايل تنبلي نيرون قالُرى أثرى بلُرى المسواهي البهراج بانية منجابري الرور سوبارة كيناس صيمور.

لزَبِيد مَعْقِر كَدْرَة مَهْجَم مَوْر عطنة الشَّرْجَة[1] غَلاَفِقَة[2] مُخَا الجِرْدَة الجُرَيب اللُّسْعَة شَرْمَة العَشِيرة رنقة الخَصُوف الساعد الجَرْدَة الحَمِضَة، وناحية عثَّر مدنها بَيْش الجُرَيْب حَلْي السَّرَيْن. ولصنعاء صعدة نجران جُرَش العُرْف جُبْلان الجَنَد ذمار نَسَفَان يَخصِب السُّحُول المُذَيْخرة خَوْلان.

ولمكَّة مِنَى أَمَج الجُحْفَة الفُرْع جَبَلَة[3] مَهَايعُ حَاذَة الطائف[4] بلدة، وناحية يثرب[5] لها بَدْر الجار يَنْبُع العُشَيرة الحَوْراءُ المروة سُقْيا يزيد خَيْبَر، وناحية قُرْح قصبتها وادي القرى ومدنها الحِجْر العَوْنيد[6] بَدَا يعقوب ضَبَّة النَّبْك[7].

= سجستان مرحلة، وبها نخل وأشجار وقُنِيّ ومياه. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٥٥).

(١) الشرجة: من أوائل أرض اليمن وهو أول كورة عثر. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٧٩).

(٢) غلافقة: وهو بلد على ساحل بحر اليمن مقابل زبيد، وهي مرسى زبيد وبينها وبين زبيد خمسة عشر ميلاً. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٣٥).

(٣) جبلة: قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية، أنشأ معاوية قلعة جبلة وكانت حصناً للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص، وشحنها بالرجال، وبنى معاوية بجبلة حصناً خارج الحصن الرومي القديم. وكان بها مجموعة من الرهبان يتعبّدون فيه. (معجم البلدان ج ٢/ ص ١٢٢).

(٤) الطائف: عمّرها حسين بن سلامة وسدّها ابنه، وهي قرب مكّة، والطائف هو وادي وجّ وهو بلاد ثقيف، بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٠).

(٥) مدينة الرسول ﷺ: هي يثرب، قدرها مقدار نصف مكة، وهي في حرّة سبخة الأرض، ولها نخيل كثير وماء، ونخيلهم وزروعهم تُسقى من الآبار، وللمدينة سور، والمسجد نحو وسطها، وقبر النبي ﷺ في شرقي المسجد، وهو بيت مرتفع ليس بينه وبين سقف المسجد إلاّ فُرجة وهو مسدود لا باب له وفيه قبر النبي ﷺ. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٩٧).

(٦) عونيد: موضع قرب مَدْين بين مصر والمدينة قرب الحوراء. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٩١).

(٧) النبك: قرية مليحة بذات الذخائر بين حمص ودمشق فيها عين عجيبة باردة في الصيف صافية طيبة عذبة، يقولون: مخرجها من يبرود. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٠٠).

ولصحار نَزْوة السرُّ ضنك حفيت دَبَا سلوت جُلْفار سمد لسيا ملح، وناحية مهرة مدنها الشحر . . . . . .، وناحية الأحقاف مدينتها حضرموت وناحية سبا وناحية اليمامة[1]. وللأحساءِ الزرقاءُ سابون أُوَال العقير.

وللبصرة الأبلّة[2] نهر الدُّيْر مَطَارًا مَذَار نهر زبان بدران بَيّان نهر الأمير نهر القديم عبادان أبو الخصيب نهر دُبًا المطَوّعة القَنْدَل المَفْتَح الجعفريّة[3]. وللكوفة حمَّام عمر الجامعَيْن سُورًا النِّيل القادسيّة[4] عين التمر.

ولبغداد بَرَدَان النَّهْرَوَان كارة الدَّسْكَرَة[5] طرارستان[6] هارونيّة جَلُولا[7]

---

(١) اليمامة: منقول عن اسم طائر يقال له اليمام واحده يمامة واختلف فيه فقيل: اليمام من الحمام التي تكون في البيوت والحمام البري. وقيل: اليمام ضرب من الحمام البري، كان فتحها في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقتل مسيلمة الكذاب سنة ١٢ للهجرة، وفتحها خالد بن الوليد عنوة ثم صولحوا، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر، وقيل: تسمى اليمامة جوًّا والعَروض، بفتح العين، وكان اسمها قديماً جوًّا فسمّيت اليمامة تيمّناً باليمامة بنت سهم بن طسم. قال بعض أهل السير: كانت منازل طسم وجديس باليمامة، وكانت تدعى جوًّا، وما حولها إلى البحرين ومنازل عاد الأولى الأحقاف. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٥٠٥).

(٢) الأبلة: اسم بلد كانت فيه امرأة خمّارة تعرف بهُوب في زمن النبط، فطلبها قوم من النبط، فقيل لهم: هُوبُ لأكا، بتشديد اللام أي ليست هوبُ هنا، فجاءت الفرس فغلّطت، فقالت: هُوبُلَّتْ، فعرّبتها العرب، فقالت: الأُبُلّة. (معجم البلدان ج ١/ ص ٩٨).

(٣) الجعفرية: منسوبة إلى جعفر، المتوكّل على الله، وهي محلّة كبيرة أو مدينة كبيرة مشهورة في الجانب الشرقي من بغداد. (معجم البلدان ج ٢/ ص ١٦٧).

(٤) القادسية: القادس السفينة العظيمة، بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وروى ابن عيينة قال: مرّ إبراهيم بالقادسية فرأى زهرتها، ووجد هناك عجوزاً فغسلت رأسه فقال: قُدّست من أرض، فسميت القادسية. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٣١).

(٥) دسكرة الملك: قرية كبيرة ذات منبر بنواحي نهر الملك من غربي بغداد. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٥١٨).

(٦) طرارستان: لم نقف على ترجمتها أو معلومات تفيد في تعريفها ولعلها مدينة من مدن بلاد فارس، وذلك استناداً إلى ما ورد في النص أن «بها آثار لملوك الفرس عجيبة موصوفة».

(٧) جلولاء: طسوج من طساسيج السواد في طريق خُراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا، ويجري بين منازل أهل بعقوبا ويحمل السفن إلى باجسرا، وبها كانت الوقيعة المشهورة للمسلمين على الفرس سنة ١٦ هـ، فاستباحهم المسلمون، فسمّيت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون. وقال سيف: قتل الله، عزّ وجل، من الفرس يوم جلولاء مائة ألف فجلّلت القتلى المجال ما بين يديه وما خلفه، فسميت جلولاء لما جلّلها من قتلاهم، فهي=

بَاجسْرَى باقبة بُوَهْرِزُ كَلْوَاذَى درزيجان المداين[1] أَسْبَانَبر[2] كيل سِيب دير العاقول[3] النعمانيّة جَبَل عبَرْتَا بابل قصر هبيرة عبدس بهروي.

ولواسط فم الصِلْح نهر سابُس درمكان باذبين قُراقُبة سيادة السُّكْر قُرْقُوب الطِّيب لهبان البَسَامِيّة أودسة، وناحية البطائح مدينتها الصَّليق ولها جَامِدَة هرار الحَذّاديّة الزُّبَيْدِيّة.

ولحلوان[4] خانقين[5] زبوجان المرج شلاشان الجامد الحرّ السيروان بَنْدَنِيجان. ولسامرّا الكرخ[6] عكبرا الدور الجامعين بَتُّ راذانان قصر الجصّ جوى

= جلولاء الوقيعة. (معجم البلدان ج ٢/ ص ١٨١).

(١) المداين: قال يزدجرد: إن أنوشروان بن قُباذ وكان أجلّ ملوك فارس حزماً، ورأياً، وعقلاً، وأدباً فإنه بنى المدائن، وأقام بها هو ومن كان بعده من ملوك بني ساسان إلى أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ذكر في سير الفرس أن أوّل من اختط مدينة في هذا الموضع أردشير بن بابك، قالوا: لما ملك البلاد سار حتى نزل في هذا الموضع فاستحسنه فاختط به مدينة، ولم نجد أحداً ذكر لِمَ سمّيت بالجمع، لكن الثابت أنها مساكن ملوك الأكاسرة من ملوك الساسان. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٨٨).

(٢) أسبانير: هو اسم أجلّ مدائن كسرى وأعظمها، وهي التي فيها إيوان كسرى. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٠٤).

(٣) دير العاقول: بين مدائن كسرى والنعمانية، بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً على شاطئ دجلة. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٥٩٠).

(٤) حُلوان: حلوان العراق، وهي في آخر السواد مما يلي الجبال من بغداد، وقيل: إنها سمّيت بحُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان بعض الملوك أقطعه إيّاها فسميت به. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٣٤).

(٥) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد، وبينها وبين قصر شيرين ستة فراسخ لمن يريد الجبال، ومن قصر شيرين إلى حُلوان ستة فراسخ، وهي من أعمال الجبل بقرب شهرزور، سمّي الموضع بذلك لأن النعمان حبس به عدي بن زيد وخنقه فيه حتى مات، وهناك حُبس النعمان حتى مات، وبخانقين نهر كبير قد بنيت عليه قنطرة عظيمة طبقاً بالجصّ والآجر. وفي خانقين كان التقاء سفيان بن أبي العالية مع شبيب الخارجي فهزمه شبيب سنة ست وسبعين. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٩٠، الروض المعطار ص ٢١٠).

(٦) الكَرْخ: بالفتح ثم السكون وما أظنها عربيّة إنّما هي نبطيّة، وهم يقولون: كَرَخْتُ الماء وغيره من البقر والغنم إلى موضع كذا أي جمعته فيه في كل موضع وكلّها بالعراق، والكرخ هنا كرخ بغداد، قيل: لما ابتنى المنصور مدينة بغداد أمر أن تجعل الأسواق في طاقات المدينة إزاء كل باب سوق، لم يزل على ذلك مدّة حتّى قدم عليه بطريق من بطارقة الروم رسولاً من عند الملك، فأمر الربيع أن يطوف به في المدينة حتى ينظر إليها ويتأمّلها، ويرى سورها، وأبوابها وما حولها من العمارة، ويصعده السور حتى يمشي من أوله إلى آخره ويريه قباب الأبواب، والطاقات وجميع ذلك، ففعل=

إيوانا بريقا سنْديّة راقفروبة دممًا الأنبار[١] هيت تكريت السنّ. وللموصل نونوى الحديثة مَعْلَثَايَ الحسنيّة تلّعفر سنجار الجبال بلد أذرمة يرقعيد نصيبين[٢] دارا كفرتوثا رأس العين ثمانين. ولآمد ميّافارقين تلُّ فافان حصن كيفا الفار حاذية. وللرقّة المحترقة الرافقة[٣] خانوقة الحريش تل محرى باجروان حصن مسلمة ترعوز حرّان الرها، ومن النواحي جزيرة ابن عمر لها فيشابور باعيناثا المغيثة[٤] الزوزان، وناحية

= الربيع ما أمره به، فلما رجع إلى المنصور، قال له كيف رأيت مدينتي؟ قال: رأيت بناءً حسناً ومدينة حصينة إلاّ أن أعداءك فيها معك، قال: من هم؟ قال: السوقة، يوافي الجاسوس من جميع الأطراف فيدخل الجاسوس بعلّة التجارة: والتجار هم بُرُد الآفاق فيتجسس الأخبار، ويعرف ما يريد، وينصرف من غير أن يعلم به أحد، فسكت المنصور، فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوقة من المدينة، بذلك كانت الكرخ في وسط بغداد والمحال حولها، وهي محلة وحدها مفردة في وسط الخراب، وحولها محال إلاّ أنها غير مختلطة بها، فبين شرقها والقبلة محلة باب البصرة وأهلها كلهم سُنّيّة حنابلة لا يوجد غير ذلك، وبينهما نحو شوط فرس، وفي جنوبها المحلّة المعروفة بنهر القلائين، وبينهما أقلّ مما بينهما وبين باب البصرة، وأهلها أيضاً سُنّيّة حنابلة، وعن يسار قبلتها محلة تعرف بباب المحوّل وأهلها أيضاً سُنّيّة، وفي قبلتها نهر الصراة، وفي شرقيها نصب بغداد ومحالّ كثيرة، وأهل الكرخ كلهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سُنّي ألبتة. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٥٠٦ ـ ٥٠٩).

(١) الأنبار: بفتح أوله، مدينة قرب بلخ وهي قصبة ناحية جوزجان وبها كان مقام السلطان، وهي على الجبل، وهي أكبر من مَرْو الروذ بالقرب منها، ولها مياه وكروم وبساتين كثيرة، وبناؤهم طين، وبينها وبين شبورقان مرحلة من ناحية الجنوب، والأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد ـ ولعلها هي المذكورة في متن هذا الكتاب ـ بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسمّيها فيروز سابور، وكان أوّل من عمّرها سابور بن هرمز ذو الأكتاف، ثم جدّدها أبو العباس السفاح أول خلفاء بني العباس، وبنى لها قصوراً وأقام بها إلى أن مات، وقيل سميت الأنبار لأن بُخت نصّر لما حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الأسرى فيها. وقيل: الأنبار حدّ بابل سميت به لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة، والشعير، والقت، والتبن، وكانت الأكاسرة تَرزُق أصحابها منها، وكان يقال لها: الأهراء، فلما دخلت العرب عرّبتها، فقالت: الأنبار، والأنبار: أهراء الطعام، واحدها نِبر، ويجمع على أنابير وهو جمع الجمع. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣٠٥).

(٢) نصيبين: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من المَوْصِل إلى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٣٣).

(٣) الرافقة: بلد متّصل البناء بالرَّقّة وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع، وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل، وهي على هيئة مدينة السلام، ولها ربض بينها وبين الرَّقّة وبه أسواقها. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٧).

(٤) المغيثة: منزل في طريق مكة بعد العُذَيب نحو مكة، وكانت أولاً مدينة، شرب أهلها من المطر. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٩٠).

سروج ولها كفرزاب كفرسيرين، وناحية الفرات مدينتها قرقيسيا ولها الرحبة الدالية عانة الحديثة، وناحية الخابور مدينتها عرابان ولها الحُصَين الشمسينيّة ميكسين سُكَير العبّاس الخيشة السكينيّة التنانير.

ولحلب أنطاكية[1] بالس سُمَيساط المعرّتين منبج[2] بَيّاس التِّينات قِنّسرين[3] السُّوَيْدِيَّة. ولحمص[4] سلمية تدمر[5] الخُناصرة كفرطاب اللاذقيّة[6] جَبَلَة جُبَيل[7]

---

(١) أنطاكية: إن أول من بنى أنطاكية أنطيغونيا في السنة السادسة من موت الإسكندر ولم يُتمّها فأتمّها بعده سلوقس، وهو الذي بنى اللاذقية، وحلب، والرها، وأفامية، وهي من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة، والحسن، وطيب الهواء، وعذوبة الماء، وكثرة الفواكه، وسعة الخير. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣١٦).

(٢) منبج: بلد قديم، ذكر بعضهم أن أول من بناها كسرى لمّا غلب على الشام، وسمّاها من به أي أنا أجود، فعرّبت فقيل له: منبج، وهي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة، وأرزاق واسعة في فضاء الأرض. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٣٨).

(٣) قنسّرين: كان فتحها على يد أبو عبيد بن الجرّاح سنة ١٧ هـ، قال أبو المنذر: سميت قنسّرين لأن ميسرة بن مسروق العبسي مرّ عليها فلما نظر إليها قال: ما هذه؟ فسمّيت له بالرومية، فقال: والله لكأنها قِنُّ نَسر، فسميت قنسّرين، وهي كورة بالشام ومنها حلب، وكانت قنسّرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٥٧).

(٤) حِمص: بلد مشهورة قديم كبير مسوّر، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تلّ عالٍ كبير وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، يذكّر ويؤنّث، بناه رجل يقال له: حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل: حمص بن مكنف العمليقي، فتحها أبو عبيدة بن الجرّاح لما فرغ من دمشق قدّم أمامه خالد بن الوليد ومِلحان بن زيّار الطائي، ثم اتّبعهما فلما توافوا بحمص قاتلهم أهلها، ثم لجأوا إلى المدينة وطلبوا الأمان والصلح، فصالحوه على مائة ألف وسبعين ألف دينار. قال صاحب معجم البلدان: ومن عجيب ما تأمّلته من أمر حمص فساد هوائها وتربتها اللذين يفسدان العقل حتى يُضرب بحماقتهم المثل. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٤٧).

(٥) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في بريّة الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام، قيل: سميت بتدمر بنت حسّان بن أذينة بن السميدع بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وهي من عجائب الأبنية، موضوعة على العمد الرخام، زعم قوم أنها ممّا بنته الجنّ لسليمان بن داود النبي عليه السلام، وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل النبي سليمان عليه السلام بكثير، لكن الناس إذا رأوا بناء عجيباً جهلوا بانيه أضافوه إلى النبي سليمان عليه السلام والجن. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢١).

(٦) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام، وهي غربي جبلة، وهي مدينة قديمة سميت باسم بانيها، وهي عتيقة رومية فيها أبنية قديمة مكينة، وهو بلد حسن في وطاء من الأرض، وله مرفأ جيد محكم والبحر على غربيها وهي على ضفته. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٦).

(٧) جبيل: بلد من سواحل دمشق في الإقليم الرابع، هو بلد مشهور في شرقي بيروت على ثمانية فراسخ من بيروت، من فتوح يزيد بن أبي سفيان وبقي بأيدي المسلمين إلى أن نزل عليه صنجيل الفرنجي. (معجم البلدان ج ٢/ ص ١٢٧).

أنطرسوس[١] بلنياس[٢] حصن الخوابي لجُون رَفِنيَّة جُوسِيَّة حماة[٣] شيزر وادي بطنان.

ولدمشق دَاريَّا بانياس صيدا بيروت عرقة أطرابلس[٤] الزبدانيُّ، وناحية البقاع[٥] مدينتها بعلبكُ[٦] ، ولها كامد عرجموش. ولطبريَّة بيسان أذرعات قدس كابل اللَّجُّون عكَّا[٧] صور الفراذية. وللرملة بيت المقدس[٨] بيت جبريل غزَّة[٩]

---

(١) أنطرطوس: بالطاء، هو بلد من سواحل بحر الشام وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣٢٠).

(٢) بلنياس: ولعلها ما نعرفه اليوم باسم بانياس، وضبطها صاحب معجم البلدان بُلُنياس، وهي كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر، ولعلها سميت باسم الحكيم بُلُنياس صاحب الطلسمات. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٨٠).

(٣) حماة: مدينة عظيمة كبيرة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق، يحيط بها سور محكم، فيها أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه نواعير عدّة تستقي الماء من العاصي فتسقي بساتينها، وتصب إلى بركة جامعها. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٤٤).

(٤) أطرابلس: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا وزعم بعضهم أنها بغير همز. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٥٦).

(٥) البقاع: هو أرض واسعة قريبة من دمشق وهي بين بعلبك، وحمص، ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياه غزيرة نميرة، وأكثر شرب أهل هذه الضياع من عين تخرج من جبل، يقال لهذه العين: عين الجرّ، وبالبقاع قبر إلياس النبي عليه السلام. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٥٦).

(٦) بعلبك: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق مسافة، قيل: إن بعلبك كانت مهر بلقيس وبها قصر سليمان بن داود عليه السلام، وهو مبني على أساطين الرخام، وبها قبر النبي إلياس عليه السلام، وبها من عجيب الآثار الملعبان، الكبير بُني في أيام سليمان بن داود عليهما السلام، وطول الحجر من حجارته عشرة أذرع على عمد شاهقة يروع منظرها، وبهذه المدينة من الهياكل شيء عجيب، وهي قديمة البناء جدًّا حتى إن عوام أهلها كانوا يزعمون أن سورها من بنيان الشياطين لا يغيّره زمان ولا يؤثّر فيه حدثان، ولكثرة بساتينهم يُشترى عندهم من الفواكه بدانق ما يأكل جماعة أهل البيت ويفضلون منه. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٣٧).

(٧) عكا: اسم بلد على ساحل بحر الشام، وهي من أحسن بلاد الساحل وأعمرها، قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري: هي مدينة حصينة كبيرة الجامع فيها غابة زيتون. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٦٢).

(٨) قدس: أو بيت المَقْدِس، أو المَقْدِس، والمُقَدَّس في اللغة المنزّه، وفي الخبر: من صلّى من بيت المقدس فكأنما صلّى في السماء. ويُمنع الدجّال من دخوله، ويهلك يأجوج ومأجوج دونه. وفيه حسنات كثيرة وفضائل جليلة لا مجال لذكرها هنا. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٩٣).

(٩) غزّة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقلّ، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٢٩).

عسقلان[١] يافة[٢] أرسوف قيساريّة نابلس أريحاء عمّان. ولصُغر إيلة[٣] عينونا[٤] مدين[٥] تبوك أذرح مآب مُعان.

وللفرما البقّارة الورّادة العريش[٦] تنّيس دمياط شطا[٧] دبقو. وللعبّاسيّة شبرواذه دمنهور سنهور بنها العسل شطنوف مليج دميرة بورة دقهلة سنهور كركس سندفا وسبع مدن يعرفن بالمحلاّت.

ولبلبيس مشتول فاقوس جرجير صندفا بنها العسل دميرا طُوخ طَنْتَثَنا هو[٨] دير نطاي. وللإسكندريّة الرشيد[٩] محلّة حفص ذات الحمام برلُّس[١٠]. وللفسطاط الجزيرة الجيزة القاهرة العزيزيّة عين شمس[١١] بَهْنَى المحلّة سندفا دمنهور حلوان

---

(١) عسقلان: هي مدينة على ساحل البحر بين غزّة وبيت جبرين ويقال لها: عروس الشام، ونزلها جماعة من الصحابة والتابعين. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٣٧).

(٢) يافا: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية وعكّا، ويافا بلد قحط، وربما نُسب إليها يافوني. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٨٨).

(٣) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز وأول الشام. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣٤٧).

(٤) عينون: كلمة عبرانية جاءت بلفظ جمع سلامة العين، ولا يجوز في العربية، هي من قرى بيت المقدس، وقيل: قرية وراء البثينة من دون القلزم في طرف الشام. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٠٤).

(٥) مَدْين: على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو ست مراحل وهي أكبر من تبوك وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٩٢).

(٦) العريش: مدينة في مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل، وبها الرمان العريشي. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٢٨).

(٧) شطا: بليدة بمصر، وهي على ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر المَلح، وبها يُعمل الثوب الرفيع الذي يُعرف بالشطوي أو الثياب الشطويّة، ويبلغ ثمن الثوب ألف درهم ولا ذهب فيه. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٨٨).

(٨) هُوْ: من حرفين، هُوْ الحمراء، بليدة أزلية على تلّ بالصعيد بالجانب الغربي دون قوص. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٨٢).

(٩) رشيد: بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الإسكندرية. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٥٢).

(١٠) البَرَلُّس: بليدة على شاطئ نيل مصر قرب البحر من جهة الإسكندرية. (معجم البلدان ج ١/ ص ٤٧٨).

(١١) عين شمس: اسم مدينة فرعون موسى بمصر، بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ، ليست على شاطئ النيل، كانت مدينة كبيرة، وهي من عجائب مصر، وهي هيكل الشمس، وبها قدّت زليخا على يوسف عليه السلام القميص. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٠٢).

القلزم ولأسوان قوص أخميم[1] بلينا[2] طحا سمسطا بوصير أُشمونين أجمع، وناحية الفيُّوم[3].

ولبرقة رمادة أطرابلس[4] أجدابية[5] السوس صبرة قابس[6] غافق. لبلرم الخالصة أطرابنش مازر عين المغطًا قلعة البلُّوط جرجنت بثيرة سرقوسة لنتيني قطانية الياج فطرنوا طبرمين ميقش مسينة رمطة دمنُّش جاراس قلعة القوارب قلعة الصراط قلعة أبي ثور بطرلية ثرمة بورقاد قرليون قرينش برطنيق أخياس بلجة برطنَّة.

وللقيروان صبرة أسفاقس[7] المهديَّة سوسة تونس[8] بنزرد طبرقة مرسى الخرز بونة باجة[9] لأربس[10] قرنة مرنيسة مس بنجد مرماجنَّة سبيبة قمودة قفصة

---

(١) إخميم: بلد في الصعيد في الإقليم الثاني، وفي غربيّه جبل صغير، وبها عجائب كثيرة قديمة، منها البرابي وهي أبنية فيها تماثيل وصور. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٥٠).

(٢) البُلينا: مدينة على شاطئ النيل من غربيّه بصعيد مصر، يُقال إن بها طلسماً لا يمرّ به تمساح إلاّ وينقلب على ظهره. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٨٥).

(٣) الفيّوم: فهي في مصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء فيها ولا مرعى، وهي في منخفض من الأرض، ويقال: إن النيل أعلى منها. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٢٥).

(٤) أطرابلس: مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض أفريقيا، ويقال لها أطرابلس الغرب. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٥٧).

(٥) أجدابية: هو بلد بين برقة وطرابلس الغرب، بينه وبين زويلة نحو الشهر سيراً. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٢٥).

(٦) قابس: مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية على ساحل البحر فيها نخل وبساتين غربي طرابلس الغرب، وهي ذات مياه جارية، كان فتحها مع فتح القيروان سنة ٢٧ هـ. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٢٨).

(٧) أسفاقس: اسم مدينة من نواحي أفريقيا، إذا خرجت من قابس تريد الغرب جئتها، ومنها إلى المهدية، والغالب على غلّتها الزيتون. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٠٠).

(٨) تونس: مدينة كبيرة محدثة في أفريقيا على ساحل بحر الروم، عمّرت من أنقاض مدينة كبيرة قديمة بالقرب من قرطاجنة، وكان اسم تونس في القديم ترشيش، وهي على ميلين من قرطاجنة، وهي قصبة أفريقيا، وليس بها ماء جارٍ إنما شربهم من آبار ومصانع يجتمع فيها ماء المطر، في كل دار مصنع، وآبارها خارج الديار في أطراف البلد، وماؤها مالح، ولها غلة فائضة، وهي من أصح بلاد أفريقيا هواء. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٧٠).

(٩) باجة: بلدة بأفريقيا تُعرف بباجة القمح، سمّيت بذلك لكثرة القمح فيها، بينها وبين تنس يومان، وهي كثيرة الأنهار، وهي على جبل يقال له عين الشمس. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣٧٣).

(١٠) الأربس: مدينة وكورة بأفريقيا، وكورتها واسعة، وأكثر غلّتها الزعفران، وبها معدن حديد، وبينها وبين القيروان ثلاثة أيام من جهة المغرب. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٦٥).

قسطيلية[1] نفزاوة[2] لافس أوذنة[3] قلانس قبيشة رصفة بنونش لجم جزيرة أبي شريك باغاي سوق ابن خلف دوفانة المسيلة أشير سوق حمزة جزيرة بني زغنّاية متّيجة تنس[4] دار سوق إبراهيم الغزّة قلعة برجمة باغر يلل.

جبل توجان وهران جاراوا أرزكول مليلة نكور سبتة كلزاوة جبل زالاغ أسفاقس منستير مرسى الحجّامين بنزرت طبرقة هياجة لربس مرسى الحجر جمونس الصابون طرس قسطيلية نفطة[5] تقيوس[6] مدينة القصور مسكيانة باغاي دوفانة عين العصافير دار ملوّل طبنة مقّرة تيجس مدينة المهريّين تامسنت دكّما قصر الأفريقيّ ركوى القسطنطينيّة ميلى جيجل تابريّت سطيف وايكجا مرسى الدّجّاج أشير.

ولتاهرت[7] يمّمة تاغليسية قلعة ابن الهرب هزارة الجعبة غدير الدروع لماية منداس سوق ابن حبلة مطماطة جبل تجان وهران شلف طير الغزّة سوق إبراهيم ورهباية البطحة الزيتونة تمما يعود الخضراء[8] واريفن تنس قصر الفلوس بحريّة سوق

---

(١) قسطيلية: مدينة بالأندلس وهي حاضرة نحو كورة إلبيرة، كثيرة الأشجار متدفّقة الأنهار تشبه دمشق، وهي مدينة كبيرة عليها سور حصين، وبها تمر قَسْب كثير يُجلب إلى أفريقيا، لكن ماءها غير طيّب، وسعرها غالٍ، وأهلها شراة، وَهْبيّة، وإباضية. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٩٦).

(٢) نِفْزاوة: مدينة في أفريقيا، قال البكري: تسير من القيروان إلى نِفْزاوة مسيرة ستة أيام نحو المغرب، وبالنِفْزاوة عين تسمّى بالبربرية تاورغي، وهي عين كبيرة لا يُدرَك قعرها، ولمدينة نِفزاوة سور صخر وطوب ولها ستة أبواب وفيها جامع وأسواق حافلة وحَمّام، وهي كثيرة النخل والثمار وحواليها عيون كثيرة وفي قبلتها مدينة أزلية تعرف بالمدينة. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٤٢).

(٣) الدامغان: بلد كبير بين الريّ ونيسابور، وهو قصبة قومِس، قال مسعر بن مهلهل: الدامغان مدينة كثيرة الفواكه، وفاكهتها نهاية في الطيب، والرياح لا تنقطع بها ليلاً ولا نهاراً، وبها مقسم للماء كسروي عجيب، يخرج ماؤه من مغارة في الجبل، ثم ينقسم إذا انحدر عنه على مائة وعشرين قسماً، وعشرين رستاقاً لا يزيد قسم على صاحبه. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٩٣).

(٤) تنس: هي آخر أفريقيا مما يلي المغرب، بينها وبين وهران ثماني مراحل وإلى مليانة في جهة الجنوب أربعة أيام وإلى تاهرت خمس مراحل أو ستّ. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٥٦).

(٥) تقيوس: مدينة بأفريقيا قريبة من تَوْزَر. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٤).

(٦) نفطة: مدينة بأفريقيا من أعمال الزاب الكبير، وأهلها شراة إباضية وَهْبيّة متمرّدون، وبين نفطة ومدينة تَوْزَر مرحلة وبينها وبين قُفْصَة مرحلتان. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٤٢).

(٧) تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت الحديثة وهي كثيرة الأنداء والضباب والأمطار حتى إن الشمس فيها قلّ أن تُرى. (معجم البلدان ج٢/ ص٨).

(٨) الخضراء: مدينة بينها وبين مليانة يوم واحد، وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين على شاطئ نهر، وهي من أخصب مدن أفريقيا. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٣٠).

كرى منجصة أوزكي تبرين سوق ابن مبلول. وربا تاويلت أبي مغول تامزيت تاويلت ولغوا وفكّان.

ولسجلماسة درعة تادنقوست أثر إيلا ويلميس حصن ابن صالح النحّاسين حصن السودان هلال أمصلي دار الأمير حصن برارة الخيامات تازروت.

ولفاس البصرة زلول الجاحد سوق الكتامى ورغة سبوا صنهاجة هوارة تيزا مطماطة كزنّاية سلا مدينة بنى قرباس مزحاحية أزيلا سبتا بلد غمار قلعة النسور نكور بلش مرنيسة تابريدا وصاع مدينة مكناسة قلعة شميت مدائن برجن أوزكي تيونوا مكسين أمليل أملاه أبي الحسن قسطينة.

نفزاوة نقاوس بسكرة قبيشة، نواحيها الزاب مدينتها المسيلة ومدنها مقّرة طبنة بسكرة بادس تهوذا طولقا جميلا بنطيوس وادنة أشير، وطنجة مدنها وليلة مدركة.

متروكة زقُور غزّة غميرة الحاجر تاجراجرا البيضاء الخضراء. ولطرفانة أغمات ويلا وريكة تندلى ماسّة. زقُور غزّة غميرة الحاجر فنكور الخضراء.

ومن مذكورات بلدان قرطبة طليطلة[١] لاردة تطيلة سرقسطة[٢] طرطوشة[٣] بلَنسية[٤] مرسية بجّانة مالقة أستجة ريّة[٥] جيّان[٦] شنترة غافق ترجالة قورية

---

(١) طليطلة: مدينة كبيرة ذات خصائص محمودة بالأندلس، وهي غربي بلاد الروم، وكانت قاعدة الملوك القرطبيين وموضع قرارهم، وهي على شاطئ نهر تاجُه وعليه القنطرة. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٥).

(٢) سرقسطة: بالسين، بلدة مشهورة في الأندلس، ذات فواكه عذبة لها فضل على سائر فواكه الأندلس، مبنية على نهر كبير، وهو نهر منبعث من جبال القلاع. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢٤٠).

(٣) طرطوشة: مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلنسية وقرطبة، قريبة من البحر متقنة العمارة، مبنية على نهر أبره ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعدّ في جملتها تحلّها التجار وتسافر منها إلى سائر الأمصار. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٤).

(٤) بلنسية: مدينة مشهورة في الأندلس متّصلة بحوة كور تدمير، وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة، وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار، وتُعرف بمدينة التراب، والغالب على شجرها القراسيا، ولا يخلو منه سهل ولا جبل، وينبت بكورها الزعفران، وبينها وبين تدمير أربعة أيام ومنها إلى طرطوشة أيضاً أربعة أيام. (معجم البلدان ج ١/ ص ٥٨١).

(٥) ريّة: كورة واسعة في الأندلس متّصلة بالجزيرة الخضراء، وهي قبلي قرطبة، وهي كثيرة الخيرات، ولها مدن، وحصون، ورستاق، ولها من الأقاليم نحو من الثلاثين كورة. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٣١).

(٦) جيان: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتّصل بكورة ألبيرة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، =

ماردة[1] باجة. شنترين أخشنبة أشبيلية[2] شدونة[3] جبل طارق قرمونة موررور الجزيرة، ولو كنتُ دخلتُ الأندلس لكوَرتُها لكثرة المدن والأعمال والنواحي بها وهي نظير هيطل، بل أجلُّ وقد بقي يسير من مدن الإسلام لم نذكرها لجهلنا إيّاها والأندلس مثل هذا الجانب الأفريقيّ أو قريبة منه وذكر ابن خرداذبه أنها أربعون مدينة يعني المذكورات.

= وهي كورة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبلداناً. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢٢٦).

(١) ماردة: كورة واسعة من نواحي الأندلس متصلة بحوز فرّيش بين المغرب والجوف، هي مدينة رائعة كثيرة الرخام عالية البنيان فيها آثار قديمة حسنة تقصد للفرجة والتعجّب بينها وبين قرطبة ستة أيام. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٦).

(٢) إشبيلية: مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس أعظم منها وهي قاعدة ملك الأندلس وسريره، وبها كان بنو عبّاد، ولمقامهم بها خربت قرطبة، وهي قريبة من البحر، ومما فاقت به على غيرها من نواحي الأندلس زراعة القطن، فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب، وهي على شاطئ عظيم قريب في العظم من دجلة أو النيل تسير فيه المراكب المثقلة. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٣٢).

(٣) شذونة: ضبطها صاحب معجم البلدان «شذونة» بالذال، مدينة في الأندلس تتّصل نواحيها بنواحي موزور، وهي منحرفة عن موزور إلى الغرب مائلة إلى القبلة. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٧٣).

ذكر أقاليم العالم ومركز القبلة

اعلم أن كلّ مصنّف في هذا الباب جعل الأقاليم أربعة عشر سبعة ظاهرة عامرة وسبعة خراباً. وسمعتُ بعض المنجّمين يقول: الخلق كلُّهم في المغرب[١] ولا يسكن المشرق أحد من الحرّ.

وسمعتُ غيره يقول: من البرد، وقالوا: من أقصى المغرب إلى هذه العامرة بأقصى الترك ستُّمائة فرسخ على سير مستوٍ بلا تعريج وعلى هذا صنَّف من ذكرنا كتبهم في هذا الباب ونحن ننقل منها وعمَّن لقينا من كبراءِ المنجّمين هذا الباب لأنه علم يحتاج إليه في سمت القبلة ومعرفة مواضع الأقاليم منها فإنّي رأيتُ خلقاً قد اختلفوا في القبلة وحولها وتماروا فيها ولو عرفوا الوجه في ذلك ما اختلفوا فيها ولا غيَّروا ما وضعه الأوائل.

فأما الأرض فإنها كالكُرَة موضوعة جوفَ الفلك كالمُحّة جوفَ البيضة، والنسيم حول الأرض وهو جاذب لها من جميع جوانبها إلى الفلك وبنية الخلق على الأرض أن النسيم جاذب لما في أيديهم من الخفّة والأرض جاذبة لما في أيديهم من الثقل لأن الأرض بمنزلة الحجر الذي يجذب الحديد ومثلوا الفلك بخرّاط يدير شيئاً مجوّفاً وسطه جوزة فإذا أدار ذلك الشيء وقفت الجوزة وسطه.

والأرض مقسومة بنصفين بينهما خطُّ الاستواءِ وهو من المشرق إلى المغرب وهذا طول الأرض وهو أكبر خطّ في كرة الأرض كما أن منطقة البروج أكبر خطّ في الفلك وعرض الأرض من القُطْب الجنوبيّ الذي يدور حوله سُهَيل[٢] إلى الشمال

---

(١) المغرب: ضد المشرق، وهي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة. قال بعضهم حدّها من مدينة مليانة، وهي آخر حدود أفريقيا إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط، وتدخل فيه جزيرة الأندلس. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٨٨).

(٢) سهيل: نجم بهيّ طلوعه على بلاد العرب في أواخر القيظ. (القاموس المحيط، مادة: سهل).

الذي يدور حوله بنات نَعْش فاستدارة الأرض موضعَ خطّ الاستواءِ ثلاثمائة وستُّون درجة والدرجة خمسة وعشرون فرسخاً فيكون ذلك تسعة آلاف فرسخ وبين خطّ الاستواءِ وكلّ واحد من القطبين تسعون درجةً واستدارتها عرضاً مثل ذلك لأن العمرة في الأرض بعد خطّ الاستواء أربع وعشرون درجة ثم الباقي قد غمره البحر فالخلق على الربع الشماليّ من الأرض والربع الجنوبيُّ خراب والنصف الذي تحته لا ساكن فيه والرُّبعان الظاهران هما الأربعة عشر إقليماً التي ذكرنا.

الإقليم الأول: ثمانية وثلاثون ألف فرسخ وخمسمائة فرسخ وعرضه ألف وتسعمائة وخمسة وتسعون فرسخاً أوّله حيث يكون الظلُّ نصف النهار إذا استوى مع الليل قدماً واحدة ونصفاً وعشراً وسُدُسَ عُشْر قَدَم وآخره في هذا الوقت قدمان وثلاثة أخماس والذي بين طرفَيْه عرضاً نحو من ثلاثمائة وتسعين ميلاً والميل أربعة آلاف ذراع ووقع وسطه قريباً من صنعاءَ وعدن[1] والأحقاف ووقع طرفه الذي يلي الشام بتهامة قرب مكّة فدخل فيه من الأمّهات صنعاء وعدن وحضرموت ونجران وجُرَش وجَيْشان وصعدة وتبالة وعمان والبحرين[2] وأدنى أرض السودان إلى المغرب[3] وطوائف من بلد الهند والصين[4] ممّا يلي ساحل البحر وكلُّ ما في سمت هذه البلدان شرقاً وغرباً فهو داخل في هذا الإقليم.

الإقليم الثاني: أوّله حيث يكون الظلُّ إذا استوى الليل والنهار كما قلنا عند

---

(١) عَدَن: وهو من قولهم عَدَن بالمقام إذا أقام به، وبذلك سميت عَدَن، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ردئة لا ماء بها ولا مرعى وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو يوم. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٠٠).

(٢) البحرين: هكذا يتلفّظ بها في حال الرفع والنصب والجر، ولم يُسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم، هو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان، قيل: هي قصبة هَجَرَ، وقيل: هَجَرَ قصبة البحرين، وقد عدّها قوم من اليمن، وجعلها آخر من قصبة برأسها. وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة. (معجم البلدان ج ١/ ص ٤١١).

(٣) المغرب: ضد المشرق، وهي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة. قال بعضهم حدّها من مدينة مليانة، وهي آخر حدود أفريقيا إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط، وتدخل فيه جزيرة الأندلس. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٨٨).

(٤) الصين: بالكسر وآخره نون بلاد في بحر المشرق مائلة إلى الجنوب وشماليها الترك، قال ابن الكلبي عن الشرقي: سُمّيت الصين بصين، وصين وبَغَرابنا بغبر بن كماد بن يافث. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٥٠٠).

الظهيرة قدمَيْن وثلاثة أخماس قدم والذي بين طرفيه ثلاثمائة وخمسون ميلاً قاصداً ووقع وسطه قرب يثرب وأقصى جنوبيّه وراء مكّة والآخر من قبل الشمال عند الثعلبيّة فمكّة والثعلبيّة بين إقليمين ووقع في هذا الإقليم من المدن مكّة ويثرب والرَّبَذَة وفَيْد[1] والثعلبيّة وأسوان مصر إلى حدّ النوبة والمنصورة واليمامة[2] وطائفة من بلاد السند والهند وكلُّ ما كان على خطّ هذه البلدان شرقاً وغرباً فهو داخل فيه.

الإقليم الثالث: أوّله حيث يكون ظلُّ نصف النهار ثلاثة أقدام ونصفاً وعشراً وسدس عشر قدم وآخره حيث يكون ظلُّ الاستواءِ فيه نصف النهار أربعة أقدام ونصفاً وثُلث عشر قدم فيبلغ النهار في وسطه.

أربع عشرة ساعة ووقع وسطه بالقرب من مدين شُعيب في شقّ الشام ومن واقِصَة في شقّ العراق وصار عرضه نحواً من ثلاثمائة ميل ونصف قاصداً فصارت الثعلبيّة وما كان في سمتها شرقاً وغرباً في طرفه الأقصى الذي يلي الجنوب وصارت بغداد وفارس وقُنْدُهار[3] الهند والأردنُّ وبَيْروت في حدّه الأدنى الذي يلي الشام وكذلك كلُّ ما كان في سمت ذلك شرقاً وغرباً فواقصة وما كان في سمتها شرقاً وغرباً بين إقليمين ووقع فيه من المدن الكوفة والبصرة وواسط ومصر والإسكندريّة والرملة والأردنُّ ودمشق وعسقلان والأرض المقدّسة وقندهار الهند وسواحل كرمان[4] وسجستان[5] والقيروان وكسكر والمداين وما كان في سمتهنَّ شرقاً وغرباً فهو داخل في الإقليم.

---

(١) فَيْد: بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة، عامرة يودع الحجاج فيها أزوادهم، وما يثقل من أمتعتهم عند أهلها. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣٢٠).

(٢) اليمامة: في الإقليم الثاني، فتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوة، ثم صولحوا، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٥٠٥).

(٣) القُنْدُهار: هي من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتوح، قيل: غزا عبّاد بن زياد ثغر السند وسجستان فأتى سناروذ، ثم أخذ على جوى كهن إلى الروباذ من أرض سجستان إلى الهندمند ونزل كِشَّ وقطع المفازة حتى أتى قُنْدُهار، فقاتل أهلها فهزمهم وقتلهم وفتحها بعد أن أصيب رجال من المسلمين، فرأى قلانس أهلها طوالاً فعمل عليها، فسمّيت العبّاديّة. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٥٧).

(٤) كرمان: ولاية مشهورة، وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى واسعة، وهي بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشي والضرع، تشبّه بالبصرة في كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٥١٥).

(٥) سجستان: ناحية كبيرة وولاية واسعة، بينها وبين هراة عشرة أيام وهي جنوبي الهراة أو ثمانون فرسخاً، أرضها كلها رملة سبخة، والرياح فيها لا تسكن أبداً، ولا تزال شديدة تدير رحيّهم وطحنهم كله على تلك الرحى. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢١٤).

الإقليم الرابع: أوّله حيث يكون الظلّ فيه في الوقت الذي ذكرنا أربعة أقدام وثلاثة أخماس وثُلث خمس قدم وعرضه نحواً من مائتين وستّين ميلاً ونيّفاً قاصداً ووقع وسطه بالقرب من أقور ومنبج وعرقة وسلمية وقومس[1] من نحو الريّ ووقع طرفه الأدنى الذي يلي العراق بالقرب من بغداد وما كان على سمتها شرقاً وغرباً ووقع طرفه الأقصى الذي يلي الشام بالقرب من قاليقلا وساحل طبرستان[2] إلى أردبيل وجرجان[3] وما كان في هذا السمت ووقع فيه من المشاهير نصيبين ودارا والرقّة وقنّسرين وحلب وحرّان وسُمَيساط والثغور الشامية[4] والموصل وسامرّا وحلوان وشهرزور وماسبذان[5] والدينور ونهاوند وهمذان وأصبهان[6] والمراغة وزنجان

---

(١) قَومِس: هي كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن، وقرى، ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان، وقصبتها المشهورة دامغان، وهي بين الرّيّ ونيسابور، ومن مدنها المشهورة بسطام، وبِيار. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٧٠).

(٢) طبرستان: طبر لفظة فارسية، وهو الذي تُشقّق به الأحطاب وما شاكله، واستان: الموضع أو الناحية، كأنه يقول: ناحية الطبر، وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم. خرج من نواحيها من لا يُحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحي الجبال، فمن أعيان بلدانها دهستان، وجرجان، واستراباذ، وآمُل، وهي قصبتها، وسارية، وهي مثلها، وشالوس، وهي مقاربة لها. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٤).

(٣) جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخُراسان، قيل: إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة، وقد خرج منها خلق من الأدباء والفقهاء والعلماء والمحدّثين، وهي أقل ندى ومطراً من طبرستان، وأهلها أحسن وقاراً ويساراً من كبرائهم. (معجم البلدان ج ٢/ ص ١٣٩).

(٤) الثغور: مفردها ثغر، بالفتح ثم السكون، كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً، كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي الفُرجة في الحائط، وهو في مواضع كثيرة، منها ثغر الشام، وجمعه ثغور، وهذا الاسم يشمل بلاداً كثيرة. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٩٣).

(٥) ماسَبَذان: بفتح السين والباء، وأصله ماه سباذان مضاف إلى اسم القمر، وكان بعد فتح حُلوان قد جمع عظيم من عظماء الفرس يقال له آذين جمعاً خرج بهم من الجبال إلى السهل وبلغ خبره سعد بن أبي وقاص وهو بالمدائن فأنفذ إليهم جيشاً أميرهم ضرار بن الخطاب الفهري في سنة ١٦ هـ فقتل آذين وملك الناحية، وقال مسعر بن مهلهل: وخرجنا من مرج القلعة إلى الطرز نعطف منها يمنة إلى ماسبذان، ومهر جان قذق وهي مدن عدّة. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٨).

(٦) أصبهان: هي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، ويسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزوا حدّ الاقتصاد إلى غاية الإسراف، وأصبهان اسم للإقليم بأسره، وهي من نواحي الجبل آخر الإقليم الرابع، قيل: سمّيت باسم أصبهان بن فَلُّوج بن لنطي بن يونان بن يافث، قال ابن دريد: أصبهان اسم مركّب لأن الأصْب: البَلَد، بلسان فارس، وهان: اسم الفارس، فكأنه يُقال: بلاد الفرسان، قال مسعر بن مهلهل: وأصبهان صحيحة الهواء نفيسة الجوّ، خالية من جميع =

وقزوين وطوس وبلخ وجميع ما التفتَ هذه المدن على السمت. الإقليم الخامس: أوّله حيث يكون الظلُّ خمسة أقدام وثلاثة أخماس وسدس خمس قدم والذي بين طرفيه عرضاً نحو مائتين وثلاثين ميلاً قاصداً ووقع وسطه بالقرب من أرض تفليس من الرحاب ومرو[1] من خراسان وأرض جرجان وكلُّ ما كان في هذا السمت من البلدان شرقاً وغرباً ووقع طرفه الأقصى الذي يلي الشمال بالقرب من دُبيل فيه من البلدان قاليقلا وطبرستان وملطية ورومية[2] وديلمان وجيلان وعمُّورية وسرخس ونسا وبيورد وكشٌ والأندلس وما قرب من رومية وأَنْطَالِيَة.

الإقليم السادس: أوّله حيث يكون الظلُّ ستَّة أقدام وستَّة أعشار وسدس عشر قدم يفضل آخره على ظلّ أوّله قدماً واحدة فقط ويكون عرضه نحواً من مائتي ميل ونيّف قاصداً ووقع طرفه الأدنى الذي يلي الجَنوب حيث وقع الطرف الأقصى الشماليُّ الذي يليه من الإقليم الخامس وذلك سمت دُبيل شرقاً وغرباً فأما طرفه الأقصى الشماليُّ الذي يلي الشمال فوقع بالقرب من أرض خوارزم[3] وما وراءَها

= الهوام، لا تبلى الموتى في تربتها، ولا تتغير فيها رائحة اللحم ولو بقيت القدر بعد أن تطبخ شهراً، وربما حفر الإنسان بها حفيرة فيهجم على قبر له ألوف السنين، والميت فيه على حاله لم يتغيّر، وتربتها أصح تراب الأرض، ويبقى التفّاح فيها غضاً سبع سنين، ولا تسوس بها الحنطة. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٤٥).

(١) مرو أو مرو الشاهجان: هذه مرو العظمى، أشهر مدن خُراسان وقصبتها. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٣٢).

(٢) الرُّومية: هي مسمّاة باسم رومي بن لنطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام، وقيل: إنّما سمّي الروم روماً لإضافتهم إلى مدينة رومية، فعُرّب هذا الاسم فَسُمّي من كان بها رومياً، وهي شمالي وغربي القسطنطينية بينهما مسيرة خمسين يوماً أو أكثر. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١١٣).

(٣) خوارزم: ليس اسماً لمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها، وقد ذكروا في سبب تسميتها بهذا الاسم أن أحد الملوك القدماء غضب على أربعمائة من أهل مملكته وخاصة حاشيته فأمر بنفيهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون بينهم وبين العمائر مائة فرسخ، فلم يجدوا على هذه الصفة سوى موضع مدينة كاث، فجاؤوا بهم إلى هذا الموضع وتركوهم وذهبوا، فلما كان بعد مدّة جرى ذكرهم على بال الملك، فأمر قوماً بكشف خبرهم، فجاؤوا فوجدوهم قد بنوا أكواخاً، ووجدوهم يصيدون السمك وبه يتقوّتون، وإذا حولهم حطب كثير، فقالوا لهم: كيف حالكم؟ فقالوا: عندنا اللحم، وأشاروا إلى السمك، وعندنا الحطب فنحن نشوي هذا بهذا ونتقوّت به، فرجعوا إلى الملك وأخبروه بذلك فسمّى ذلك الموضع خوارزم، لأن اللحمة بلغة الخوارزمية: خوار، والحطب: رزم، فصار خواررزم فخفّف، وقيل: خوارزم استثقالاً لتكرير الراء. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٥٢).

وأسبيجاب ممّا يلي الترك ووقع وسطه بالقرب من القسطنطينيّة ومن آمل خراسان ومن فرغانة وما كان في هذا السمت شرقاً وغرباً ووقع فيه سمرقند[1] وبرذعة وقَبَلَة والخزر والجيل وأطراف الأندلس التي تلي الشمال وأطراف الصقالبة التي تلي الجنوب.

الإقليم السابع: أوّله الذي يكون الظلّ فيه سبعة أقدام ونصفاً وعشراً وسدس عشر قدم كما هو في الإقليم السادس لأن آخره الذي هو أوّل هذا وآخره الذي يلي الجنوب حيث وقع الطرف الأقصى الشماليّ من الإقليم الذي يليه وهو السادس وذلك سمت خوارزم وطَرَارَبْند شرقاً وغرباً ووقع طرفه الأقصى الذي يلي الشمال في أقاصي أرض الصقالبة[2] وأطراف الترك التي تلي خوارزم في الشمال ووقع وسطه في بلاد اللان بلا مدن معروفة.

وقال عبد الله بن عمرو الدنيا مسيرة خمسمائة سنة أربعمائة سنة خراب ومائة عمران موضع المسلمين منها سنة، وعن أبي الجلد قال الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ السودان اثنا عشر ألف فرسخ والروم ثمانية آلاف فرسخ وفارس ثلاثة آلاف والعرب ألف فرسخ.

---

(١) سمرقند: ويقال لها بالعربية سُمران، بلد معروف مشهور، قيل: إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، وهو قصبة الصُغْد مبنية على جنوبي وادي الصغد مرتفعة عليه. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢٧٩).

(٢) الصقالبة: بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وألف بعدها لام مكسورة وباء مفتوحة، وهم عند الإسرائيليين من بني بازان بن يافث بن نوح عليه السلام، وقيل: هم من بني أشكتاز بن توغرما بن كومر بن يافث. (صبح الأعشى ج ١/ ص ٤٢٢).

ذكر مملكة الإسلام

اعلم أن مملكة الإسلام حرسها الله تعالى ليست بمستوية فيمكن أن توصف بتربيع أو طول وعرض وإنّما هي متشعّبة يعرف ذلك من تأمّل مطالع الشمس ومغاربها ودوَّخ البلدان وعرف المسالك ومسح الأقاليم بالفراسخ وسنجتهد في تقريب الوصف وتصويره لذوي العقول والأفهام إن شاءَ الله تعالى.

الشمس تغرب في حافة بلد المغرب ويرونها تنزل في البحر المحيط وكذلك أهل الشام يرونها تغيب في بحر الروم، وإقليم مصر يأخذ من البحر الروميّ طولاً إلى بلد النوبة[1] .

ويقع بين بحر القلزم وتخوم المغرب ويمتدُّ المغرب من تخوم مصر إلى البحر المحيط مثل الشريطة يضغطه من قبل الشمال بحر الروم ومن قبل الجنوب بلدان السودان.

ويمدُّ إقليم الشام من تخوم مصر نحو الشمال إلى بلد الروم فيقع بين بحر الروم وبادية العرب، ويتَّصل البادية وبعض الشام بجزيرة العرب ويدور على الجزيرة بحر الصين إلى عبَّادان، من أرض مصر، ويتَّصل أرض العراق بالبادية وبعض الجزيرة، ويتَّصل بتخوم العراق الشماليّة إقليم أقور فيمتدُّ إلى بلد الروم وقد تقوَّس عليه الفرات من نحو الغرب ووقع خلف الفرات بقيّة البادية وطرف من الشام فهذه أقاليم العرب.

ووقعت خوزستان والجبال على تخوم العراق الشرقيّة، وطائفة من الجبال وإقليم الرحاب على تخوم أقور الشرقيّة، ووقعت فارس وكرمان والسند خلف خوزستان على صفّ واحد البحر جنوبيَّها والمفازة وخراسان شماليَّها، وتاخمت السند وخراسان من قبل الشرق بلدان الكفر وتاخمت الرحاب بلد الروم من قبل

---

(١) النوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدّة في العيش، وقد مدحهم رسول الله ﷺ وقال: «من لم يكن له أخ فليتّخذ أخاً من النوبة». (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٥٦).

الغرب والشمال، ووقع إقليم الديلم[١] بين الرحاب والجبال والمفازة وخراسان.

فهذه مملكة الإسلام فتدبّرْها وفيها تفتُّل وتعرُّج لمن شقَّها من شرقها إلى غربها ألا ترى أنك إذا أخذت من البحر المحيط إلى مصر كنتَ على الاستواءِ ثم تميل يسيراً إلى العراق ثم تنفتل في أقاليم الأعاجم وخراسان مائلةً إلى جهة الشمال أوَلاً ترى أن الشمس تطلع عن يمين بخارا[٢] من نحو أسبيجاب.

وأما مساحتها على الوصف الذي شرحناه فإنك تأخذ من البحر المحيط إلى القيروان مائة وعشرين مرحلةً ثم إلى النيل ستّين مرحلة ثم إلى دجلة خمسين مرحلة ثم إلى جيحون ستّين مرحلة[٣] ثم إلى تونكت خمسة عشر يوماً ثم إلى طراز خمسة عشر يوماً وإن عطفتَ إلى فرغانة فمن جيحون إلى أوزكند ثلاثين مرحلة وإن عطفتَ إلى كاشخر فأربعين مرحلة، ووجه آخر تأخذ من سواحل اليمن إلى البصرة خمسين يوماً ثم إلى أصفهان مائة فرسخ وثمانية وثلاثين ثم إلى نيسابور[٤] ثلاثين مرحلة ثم إلى جيحون عشرين مرحلة ثم إلى طراز ثلاثين مرحلة وهذا على الاستواءِ ويسقط إقليم مصر والمغرب والشام.

وأما العرض فمختلف جدًّا لأن إقليم المغرب قليل العرض وكذلك مصر ثم إذا حاذيتَ الشام اتَّسعت المملكة ثم لا تزال تتَّسع حتَّى تصير وراءَ جيحون إلى بلد السند نحو ثلاثة أشهر.

---

(١) الديلم: الموت، والديلم: الأعداء، والنمل الأسود، والديلم: جيل سمّوا بأرضهم في قول بعض أهل الأثر، وليس باسم لأب لهم، والديلم في الإقليم الرابع وقد سبق التعريف بهم استناداً إلى كتاب صبح الأعشى وهذا التعريف استناداً إلى (معجم البلدان ج ٢/ ص ٦١٤).

(٢) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٣) المرحلة هي المسافة التي يقطعها المسافر في يوم وتقدّر عندهم بثمانية فراسخ.

(٤) نيسابور: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء، ومنبع العلماء، اختلف في تسميتها بهذا الاسم فقال بعضهم: إنما سميت بذلك لأن سابور مرّ بها وفيها قصب كثير، فقال: يصلح أن يكون ههنا مدينة، فقيل لها نيسابور، وقيل في تسمية نيسابور وسابور خواست وجنديسابور إن سابور لما فقدوه حين خرج من مملكته لقول المنجّمين، خرج أصحابه يطلبونه فلم يجدوه فقالوا: ليست نيسابور أي ليس سابور، فرجعوا حتى وقعوا إلى سابور خواست، فقيل لهم: ما تريدون؟ فقالوا: سابور خواست، معناه سابور نطلب، ثم وقعوا إلى جنديسابور، فقالوا: وند سابور أي وُجد سابور ومن أسماء نيسابور أبرشهر. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٨٢).

وأما أبو زيد فجعل العرض من ملطيّة مادًا على الجزيرة والعراق وفارس وكرمان إلى أرض المنصورة ولم يذكر المراحل إلاّ أنها تكون نحو أربعة أشهر غير عشرة أيّام والذي ذكرنا أبين وأتقن فمن أقصى المشرق بكاشخر إلى السوس الأقصى نحو عشرة أشهر.

قُدّر للخليفة سنة ٢٣٢ ما يرتفع من الخراج والصدقات سوى الحمايات والجبايات من جميع المملكة فبلغ ألفي ألف وثلاثمائة ألف وعشرين ألفاً ومائتين وأربعة وستّين ديناراً ونصفاً، قل وحسب خراج الروم للمعتصم فبلغ خمسمائة قنطار وكذا قنطاراً فإذا به أقلّ من ثلاثة آلاف ألف دينار فكتب إلى ملك الروم أن أخسّ ناحية عليها أخسُّ عبيدي خراجها أكثر من خراج أرضك.

وطول المملكة على ما قدّمنا ألفان وستُّمائة فرسخ كلُّ مائة فرسخ ألف ألف ومائتا ألف ذراع فالفرسخ اثنا عشر ألف ذراع والذراع أربعة وعشرون إصبعاً والإصبع ستّ حبّات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعضٍ والميل ثُلث الفرسخ.

وفي البريد خلاف بالبادية والعراق اثنا عشر ميلاً وبالشام وخراسان ستّة ألا ترى كيف بنى بخراسان على كلّ فرسخين رباط ورتّب فيه أصحاب البريد فبهذا نأخذ.

جَزِيرَةُ ٱلعَرَبِ

إنّما بدأنا بجزيرة العرب لأن بها بيت الله الحرام، ومدينة النبيّ ﷺ[1]، ومنها انتشر دين الإسلام، وفيها كان الخلفاءُ الراشدون، والأنصار والمهاجرون، وبها عُقدت رايات المسلمين، وقويت أمور الدين، وأيضاً فإنَّ بها المشاعر، والمناسك والمواقيت والمناحر، ثم هي عشريَّة قد ذكرها الأئمّة في دواوينهم، ولا بدَّ للمدرّسين من معرفتها في شروحهم، ولأن منها دُحِيَتِ الأَرْضُ ودعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الخلق ومع ذلك فإنها تشتمل على حدود جليلة وكور كبيرة وأعمال نفيسة ألا ترى أن الحجاز كلّها واليمن[2] بأسرها وبلد سبأ والأحقاف واليمامة والأشحار وهجر[3] وعمان والطائف ونجران وحُنَين والمخلاف وحجر صالح وديار عاد وثمود والبئر المعطّلة والقصر المشيد وموضع إرم ذات العماد وأصحاب الأخدود، وحبس شدَّاد، وقبر هود، وديار كندة، وجبل طيّئ[4]، وبيوت الفارهين بالواد.

---

(١) مدينة النبيّ ﷺ هي يثرب أو المدينة المنوّرة.

(٢) اليمن: إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها، تفرّقت العرب فمن تيامن منهم سميت اليمن، ويقال: إن الناس كثروا بمكة، وهي أيمن الأرض فسميت بذلك، اليمن وما اشتمل على حدودها بين عُمان إلى نجران، ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر حتى يجتاز عُمان. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٥١٠).

(٣) الهَجَر: لعله هجر اليمن بينه وبين عشر يوم وليلة من جهة اليمن. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٥٢).

(٤) طيّئ: من كهلان، وهي الإيغال في المرعى، وهم بنو طيّئ بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، والنسبة إليهم طائي، وإليهم يُنسب حاتم الطائي المشهور بالكرم، وأبو تمّام الطائي الشاعر المشهور. قال في العبر: وكانت منازلهم في اليمن، فخرجوا منها على إثر خروج الأزد عند تفرّقهم بسيل العرم، فنزلوا بنجد والحجاز على القرب من بني أسد، ثم غلبوا بني أسد على جبلي أَجَأ وسلمى من بلاد نجد، فنزلوهما فعرفا بجبلي طيّئ، ثم افترقوا في أول الإسلام زمن الفتوحات في الأقطار، ولهم بطون كثيرة. (صبح الأعشى ج ١/ ص ٣٧٢).

وجبل سينا ومَدْيَن شعيب وعيون موسى فيها وهي أمدُّ الأقاليم مساحةً وأفسحها ساحةً وأفضلها تربةً وأعظمها حرمة وأشرفها مدناً بها: صنعاءُ التي فاقت البلاد، وعدن التي تشدُّ إليها الرحال، والمخاليف للإسلام فيها جمال.

واليمن الجليلة والحجاز، فإن قال قائل: لِمَ جعلتَ اليمن والمشرق والمغرب جانبين جانبين؟ قيل له: أما اليمن فالنبيُّ ﷺ جعلها حيث فرّق مواقيتها في الإحرام، وأما خراسان فإن أبا زيد جعلها إقليمين وهو إمام في هذا العلم بخاصَّة في إقليمه فلا عيب علينا أن جعلناها جانبين.

فإن قال فلم خالفتَه بعد ما نصبته إماماً فصيَّرت خراسان إقليماً واحداً؟ قيل له: لنا في هذا جوابان أحدهما: أنّا لم نحبّ أن نفرّق مملكة آل سامان إذ المشهور في الإسلام أنهم ملوك خراسان وإنّما دار ملكهم في هيطل.

والجواب الثاني أن أبا عبد الله الجيهانيَّ أيضاً إمام في هذا العلم، وهو لم يفرق خراسان. فقولنا: من جهة يوافقهما، ومن جهة يخالف، وهذه صورة جزيرة العرب.

وقد جعلناه أربع كور جليلة وأربع نواحٍ نفيسة والكور أوّلها الحِجَاز ثم اليَمَن ثم عُمَان ثم هَجَر والنواحي الأحْقَاف والأشْحار اليَمَامَة قُرْح فأما الحجاز فقصبته مَكَّة ومن مدنها يَثْرب ويَنْبُع وقُرْح وخَيْبَر والمرْوَة والحَوْراءُ وجُدَّة والطَّائِفُ والجار والسُّقْيا والعَوْنِيد والجُحْفَة[1] والعُشَيرة هذه أمَّهات، دونهنَّ بَدْر خُلَيْص أَمَج الحِجْر بَدَا يعقوب السُّوَارقيَّة الفُرْع السُّيْرَة جَبَلَة مَهَايعُ حاذة.

وأما اليمن فقسمان ما كان نحو البحر فهو غور واسمه تهامة قصبته زَبِيد ومن مدنه مَعْقِر وكدْرة ومَوْر وعطنة الشَّرْجَة دويمة الحَمِضَة غَلاَفِقَة مُخَا كَمَرَان الحِرْدَة اللَّسْعَة شَرْمَة العَشِيرة رنقة الخَصُوف السَّاعِد المَهْجَم وغيرهنَّ، ناحية أَبْيَن مدنها عَدن لَهْج وناحية عثَّر مدنها بَيْش حَلْيُ السَّرَّيْن وناحية السَّرَوات.

وأما ما كان من ناحية الجبال فهو بلاد باردة تسمَّى نجداً قصبتها صَنْعَاءُ ومن مدنها صَعْدَة نَجْران جُرَش العُرْف جُبْلان الجَنْد ذَمَار نَسَفَان يَحْصِبُ السُّحُول

---

(١) الجحفة: كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل، وهي ميقات أهل مصر والشام إن لم يمرّوا على المدينة. (معجم البلدان ج ٢/ ص ١٢٩).

المُذَيْخِرَة خَوْلان، ناحيتها الأحقاف بها من المدن حضرموت حَسْبُ وناحية مَهْرة مدينتها الشِحْر وناحية سبأ.

وأما عمان فقصبتها صحَارُ ومدنها نَزْوَة السُرُّ ضَنْك حفيت دَبَا سلوت جُلَّفَار سَمَد لسيا مِلَح.

وأما هجَر فقصبتها الأَحْسَاءُ ومدنها سابون، الزرقاء أُوال العُقَير وناحيتها اليمامة، وأكثر مدن هذه الجزيرة صغار لكنها على آئين المدن.

الآن نرجع إلى وصف ما أمكن من بلدان الكور وندع ما لا فائدة فيه.

مكّة هي مصر هذا الإقليم قد خُطَّت حول الكعبة في شعب وادٍ رأيتُ لها ثلاث نظائر عَمَّان بالشام واصطخر بفارس وقرية الحمراء بخراسان بناؤها حجارة سود ملس وبيض أيضاً وعَلْوها الآجرُّ كثيرة الأجنحة من خشب الساج وهي طبقات مبيَّضة نظيفة حارّة في الصيف إلاّ أن ليلها طيّب قد رفع الله عنهم مؤونة الدفأ وأراحهم من كلف الاصطلاءِ، وكلُّما نزل عن المسجد الحرام يسمُّونه المَسْفَلَة وما ارتفع عنه المَعْلاة وعرضها سعة الوادي والمسجد في ثُلْثَي البلد إلى المسفلة والكعبة في وسطه وفيه طول باب الكعبة مرتفع عن الأرض نحو قامة عليه مصراعان ملبسان بصفائح الفضّة قد طُلِيت بالذهب قبال المشرق طول المسجد ثلاثمائة ذراع وسبعون ذراعاً وعرضه ثلاثمائة وخمسة عشر ذراعاً وطول الكعبة أربعة وعشرون ذراعاً وشبر في ثلاثة وعشرين ذراعاً وشبر، وذرع دور الحِجْر خمسة وعشرون ذراعاً وذرع الطواف مائة ذراع وسبعة أذرع وسمكها في السماءِ سبعة وعشرون ذراعاً والحجر من قبل الشام فيه يقلب الميزابُ شبه أَنْدَر قد أُلبست حيطانه بالرخام مع أرضه ارتفاعها حَقْوٌ ويسمُّونه الحَطِيم والطواف من ورائه ولا يجوز الصلاة إليه، فإن قال قائل: إذا لم يجز الطواف إلاّ عليه فأَجِزِ الصلاة إليه قيل له هذا كلام غير فهيم لأنه مشكوك فيه فوجب أن يحتاط فيه من الوجهين، والحجر الأسود على الركن الشرقيّ عند الباب على لسان الزاوية مثل رأس الإنسان ينحني إليه مَنْ قبَّله يسيراً، وقبّة زمزم تقابل الباب الطوافُ بينهما ومن ورائها قبّة الشراب فيها حوض كان يسقي فيه السويق والسُّكَر في القديم، والمقام بإزاءِ وسط البيت الذي فيه الباب وهو أقرب إلى البيت من زمزم يدخل في الطواف أيّام الموسم ويُكَبُّ عليه صندوق حديد عظيم راسخ في الأرض طوله أكثر من قامة وله كسوة ويرفع المقام في كلّ موسم إلى البيت فإذا رُدَّ جُعل عليه صندوق

خشبٍ له باب يفتح أوقات الصلاة فإذا سلَّم الإمام استلمه ثم أغلق الباب وفيه أثر قدم إبراهيم عليه السلام مخالفة وهو أسود وأكبر من الحجر، وقد فرش الطواف بالرمل والمسجد بالحصى وأُدير على صحنه أَرْوقة ثلاثة على أعمدة رخام حملها المهديُّ من الإسكندريَّة في البحر إلى جُدَّة والمسجد من بنائه قد أُلبست حيطان الأروقة من الظاهر بالفسيفساءِ حُمل إليها صُنَّاع الشام ومصر ألا ترى أسماءَهم عليه، وله تسعة عشر باباً باب بني شيبة، باب النبيّ، باب بني هاشم، باب الزيَّاتين، باب البزَّازين، باب الدقَّاقين، باب بني مخزوم، باب الصفا، باب زقاق الشطوى، باب التمَّارين، باب دار الوزير، باب جياد، باب الحَزْوَرَة، باب إبراهيم، باب بني سهم، باب بني جُمَح، باب العَجَلَة، باب النَّدْوَة، باب البشارة، وإليه الأسواق من الشرق والجنوب ودور المصريّين ومنازلهم من الغرب ويقع السعي بين الصَّفَا والمَرْوَة في السوق الشرقيّ والعدو من قرنة المسجد إلى باب بني هاشم، وثَمَّ أميال خضر، وخلف هذين السوقين آخران إلى آخر المَعْلاة بينهما منافذ، فمن دخل من العراق وأراد باب بني شيبة فليتيامن وليسلك سوق راس الردم ولا يسلك سوق الليل ومن أراده من المصريّين فإذا بلغ الجراحيَّة خارج البلد عطف على اليسار إلى الثنيَّة ثم انحدر على المقابر إلى مدخل العراقيّين، ويدخل إليها من ثلاثة وجوه أبواب منًى نحو العراق دربان ثم درب العُمْرة ثم درب اليمن بالمَسْفَلَة الجميع مصفَّحة بالحديد والبلد محصَّن، وأبو قُبَيس[1] مطلٌّ على المسجد يصعد إليه من الصفا في درج، وقد أحاط بالطواف أميال من الصفر وخشبات فيها قناديل معلَّقة ويجعل فوقها الشمع لملوك مصر واليمن والشار صاحب غَرْجستان، وبمكَّة ثلاث برك تملأ من قناة شقَّتها زُبَيدة من بستان بني عامر ولهم آبار عذبيّة ومستغلأتهم الدور.

أخبرنا أبو بكر بن عبدان الشيرازيُّ قال حدَّثنا عليُّ بن الحسين بن معدان قال حدَّثنا محمَّد بن سليمان لُوَيْن المصّيصيُّ قال حدَّثنا أبو الأحوص عن الأشعث بن سليم عن الأسود بن يزيد قال قالت عائشة رضي الله عنها سألتُ النبيَّ ﷺ عن الحِجْر من البيت هو قال: «نعم»، قلتُ: فما لهم لم يُدْخلوه في البيت؟ فقال: «إن قومك قصرت بهم النفقة» قلتُ: فما شأن بابه مرتفعاً؟ قال: «فعل ذلك قومك ليُدخِلوا مَنْ

---

(١) أبو قبيس: جبل في مكَّة. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٠٣).

شاءُوا ويمنعوا مَنْ شاءُوا ولولا أن قومك حديث عهد بالجاهليّة فأخاف تنكُّر قلوبهم لنظرتُ أن أُدخل الحجر في البيت وأن ألزق بابه بالأرض»[1]، ويقال: إن ابن الزبير أدخل عشرة من مشايخ الصحابة حتّى سمعوا ذلك منها، ثم أمر بهدم الكعبة فاجتمع إليه الناس وأبوا ذلك فأبى إلاّ هدمها فخرج الناس إلى فرسخ خوفاً من نزول عذاب وعظم ذلك عليهم ولم يكن إلاّ الخير وبناها على ما حكت عائشة وتراجع الناس فلمّا قدم الحجّاج تحرّم ابن الزبير بالكعبة فأمر بوضع المنجنيق على أبي قبيس وقال: ارموا الزيادة التي ابتدعها هذا المكلّف فرموا موضع الحطيم وأخرج ابن الزبير وصلبه وردَّ الحائط كما كان في القديم وأخذ بقيّة الأحجار فسدَّ منها الباب الغربيَّ ورَصف بقيّتها في البيت كيلا تضيع، وسمعتُ بعض مشايخ القيروان يقول: حجَّ المنصور فرأى صغر المسجد الحرام وشعثه وقلّة معرفتهم بحرمته ورأى الأعرابيَّ يطوف بالبيت على بعيره وبجاويّه فساءَه ذلك وعزم على شراءِ ما حوله من الدور وزيادتها فيه وتفخيمه وتجصيصه فجمع أصحابها ورغَّبهم في الأموال الجمّة، فتأبّوا عن بيعها وضنُّوا بجوار بيت الله الحرام فاهتمَّ لذلك ولم يُجِزْ أن يغصبها عليهم ولم يظهر للناس ثلاثة أيّام وتحدَّث الناس بذلك وأبو حنيفة في تلك السنة حاجٌّ ليس له بعدُ ذكر ولا ظهر الناس على فقهه وصائب رأيه قال فقصد خيامه وكانت بالأبطح فسأل عن أمير المؤمنين وما الذي غيّب شخصه فذكرت القصّة فقال: هذا باب هيّن لو قد لقيتُه عرضته عليه فأُنهي ذلك إليه فأمر بإحضاره فلمّا سأله عن ذلك قال أبو حنيفة: يحضرهم أمير المؤمنين فيسألهم أهذه الكعبة نزلت عليكم أم أنتم نزلتم عليها فإن قالوا نزلت علينا كُذِّبوا لأن منها دُحيت الأرض، وإن قالوا نحن نزلنا عليها فجوابهم أنه قد كثر زوّارها وضاقت ساحتها فهي أحقُّ بفنائها ففَرَّغوه لها فلمّا جمعهم وسألهم قال سفيرهم وكان رجلاً هاشميًا نحن نزلنا عليها. قال: ردُّوا فناءِها، فقد كثر زوّارها واحتاجت إليه فبُهتوا ورضوا بالبيع.

وهذه الحكاية تُقوّي إحدى الروايتين عن أبي حنيفة في كراهية بيع دور مكّة وأخذ أجورها إلاّ على تأويلٍ.

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (حج: ٤٢)، مسلم في الصحيح (حج: ٤٠٥)، الدارمي في السنن (مناسك: ٢٤٤).

مدينة مِنًى على فرسخ من مكّة وهي من الحرم طولها ميلان تعمر أيّام الموسم وتخلو بقيّة السنة إلاّ ممَّن يحفظها وكان أبو الحسن الكرخيُّ يحتجُّ لأبي حنيفة في جواز الجمعة بها أنها ومكّة كمصرٍ واحدٍ فلمّا حجّ أبو بكر الجَصّاص ورأى بُعْدَ ما بينهما استضعف هذه العلّة وقال أنها مصر من أمصار المسلمين تعمر وقتاً وتخلو وقتاً وخلوُّها لا يُخرجها من حدّ الأمصار وعلى هذه العلّة يعتمد القاضي أبو الحسين القزوينيُّ وسألني يوماً كم يسكنها وسط السنة من الناس قلتُ عشرون ثلاثون رجلاً وقلَّ مضرب إلاّ وفيه امرأة تحفظه قال صدق أبو بكر وأصاب فيما علَّمك فلمّا لقيتُ الفقيه أبا حامد البَغْولَنيَّ بنيسابور حكيتُ له ذلك فقال: العلّة ما نصَّ بها أبو الحسن ألا ترى إلى قول الله عزَّ اسمه ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ۝٣٣﴾، [الحج: ٣٣] وقال: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ وإنّما يقع النحر بمنًى، وقلَّ بلد مذكور في الإسلام إلا ولأهله به مضرب وعلى رأسها من نحو مكّة عقبة ترمي عليها الجمرة يوم النحر والثالث من الأيّام الأُخر والأولى بقرب مسجد الخيف والوسطى بينهما ومنى شعبان فيهما أزقّته والمسجد في الشارع الأيمن ومسجد الكبش بقرب العقبة بها آبار ومصانع وقياسير وحوانيت حسنة البناءِ بالحجر وخشب الساج وهي بين جبلين يضلاّن عليها. والمُزْدَلِفَة على فرسخ من منى بها مصلًّى وسقاية ومنارة وبرك عدَّة إلى جبل ثبير وكانت العرب تقول: أَشْرِقْ ثَبِيرْ كَيْمَا نُغِيرْ على الخلاف، وتسمَّى جَمْعاً والمَشْعَر الحَرام.

وعَرَفَة قرية فيها مزارع وخضر ومباطخ وبها دور حسنة لأهل مكّة ينزلونها يوم عرفة والموقف منها على صيحة عند جبل متلاطٍ وثمَّ سقايات وحياض وقناة تخرُّ وعَلَم قد بُنى يقف خلفه الإمام للدعاءِ والناس حوله على جبال بقربه لاطية والمصلَّى على حافة وادي عُرَنة على تخوم عرفة ولا يجوز الوقوف بالوادي ومن خرج إليه قبل غيبوبة الشمس وجب عليه دم وعلى حدّ عرفة أعلام بيض وفي المصلَّى منبر من الآجرّ وخلفه حوض كبير وقبله بميلين المأزمَيْن هي حدُّ الحرم وبطن مُحَسّر وادٍ بين منى والمزدلفة هو تخم المزدلفة.

والتَّنعِيم موضع به مساجد حول مسجد عائشة وسقايات على طريق المدينة منه يحرم المكّيُّون بالعُمْرة ويحدق بالحرم أعلام بيض وهو من طريق الغرب التنعيم ثلاثة أميال ومن طريق العراق تسعة أميال ومن طريق اليمن سبعة أميال ومن طريق الطائف أحد عشر ميلاً ومن طريق الجادَّة عشرة أميال وذُو الحُلَيْفة قرية عند يثرب بها مسجد

عامر وبالقرب آبار ولا يرى بها ديّار والجُحْفة مدينة عامرة يسكنها بنو جعفر عليها حصن ببابين وبها آبار يسيرة وعلى ميلين عين وبها بركة كبيرة ربّما عزّ بها الماءُ وهي كثيرة الحُمّى.

أخبرنا شافع بن محمّد قال حدّثنا عليُّ بن الرجاءِ قال حدّثنا أبو عتبة قال حدّثنا محمّد بن يوسف قال حدّثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ حَبِّبْ إلينا المدينة كما حبّبْتَ إلينا مكّة وأشد وانقل حمّاها إلى الجحفة»، وقَرْن مدينة صغيرة خلف الطائف على طريق صنعاءِ ويَلَمْلَمُ[1] منزل على طريق زَبِيد عامر.

وذَاتُ عِرْق قرية بها آبار قريبة المستقى يابسة عابسة على منزلين، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الأصبهانيُّ قال أخبرنا محمّد بن إسحاق السرّاج قال حدّثنا قتيبة بن سعيد قال حدّثنا الليث بن سعد قال حدّثنا نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر أن رجلاً قام في المسجد فقال: يا رسول الله من أين تأمرنا أن نهلَّ؟ فقال رسول الله ﷺ: «يهلُّ أهل المدينة من ذي الحُلَيفة ويهلُّ أهل الشام من الجُحْفة ويهلُّ أهل نجد من قرْنٍ» فقال ابن عمر: يزعمون أن رسول الله ﷺ قال: «يهلُّ أهل اليمن من يَلَمْلَم» في حديث آخر ويهلُّ أهل العراق من ذات عِرْق. والذُّبيب ميقات الغرب في البحر جبل إزاءَ الجحفة، وشقان ميقات أهل اليمن في البحر موضع قبال يلملم.

وعَيْذَاب[2] مدينة قبالة جُدَّة يحرم منها من قصد من ذلك الوجه، فهذه مواقيت الآفاق فمن جاوزهنّ يريد مكّة ثم رجع نظر فإن كان لبّى سقط عنه الدم، وقال بعض: لا يسقط، وقال بعض: يسقط، وإن لم يُلبّ، ولا يجاوز آفاقيٌّ ميقاتاً إلاّ محرماً وإن لم يكن ميقاته كالشاميّ إذا اجتاز بذي الحليفة وميقات أهل مكّة في الحجّ منها. والجِعْرَانَةُ على مرحلة من مكّة يخرج الناس إليها في الإحرام بالعمرة.

فهذه مشاهدُ المناسك وجميع ما يؤدَّى فيها ثلاث فرائض وستٌّ واجبات وخمس سنن.

---

(١) يلملم: ويقال ألملم والململم، موضع على ليلتين من مكة، وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد مُعاذ بن جبل. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٥٠٤).

(٢) عيذاب: بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٩٣).

أما الفرائض فالإحرام والوقوف بعرفة والطواف للزيارة والواجبات الإحرام من الوقت والسعي بين الصفا والمروة والإفاضة من عرفات بعد المغرب والسنن طواف القدوم والرمل في ثلاثة أشواط منه، والعدو في السعي بين العلمين والإفاضة من المزدلفة قبل الطلوع والإقامة بمنى أيّام منى، وقال بعضهم: السعي فرض، وقال بعض: طواف القدوم واجب، وطواف الصدر سنّة.

نرجع الآن إلى وصف مدائن هذه الكورة ونواحيها على الترتيب، الطَّائِفُ مدينة صغيرة شاميّة الهواءِ باردة الماءِ أكثر فواكه مكّة منها موضع الرمّان الكثير والزبيب والعنب الجيّد والفواكه الحسنة وهي على ظهر جبل غَزْوان ربّما يجلد بها الماءُ عامّتها مدابغ إذا تأذّى ملوك مكّة بالحرّ خرجوا إليها.

جُدَّة مدينة على البحر منه اشتقّ اسمها محصّنة عامرة آهلة أهل تجارات ويسار خزانة مكّة ومطرح اليمن ومصر وبها جامع سريٌّ غير أنهم في تعبٍ من الماءِ مع أن فيها بركاً كثيرة ويحمل إليهم الماءُ من البعد قد غلب عليها الفرس لهم بها قصور عجيبة وأزقّتها مستقيمة ووضعها حسن، شديدة الحرّ جدًّا.

أَمَج صغيرة بها خمسة حصون اثنان حجر وثلاثة مدر والجامع على متن الطريق، وخُلَيْص متّصلة بها وبها بركة وقناة وتمور وخضر ومزارع.

السُّوَارِقِيَّة كثيرة الحصون بها بساتين، ومزارع كثيرة، ومواشٍ.

الفُرْعُ والسُّيْرَة حصنان بكلّ واحدٍ جامع جَبَلَة كبيرة بها متاجر عليها حصن منيع يقال له المهد الجامع خارجه.

مَهَايِعُ نظير جَبَلَة على أودية ساية حَاذَةُ مدينة مليحة للبكريّين بها عدّة من الحصون وجامع كبير.

يَثْرِبُ هي مدينة النبي ﷺ وقد جعلناها ناحية لما قد أحاط بها من المدن الخطيرة والسواحل المذكورة تكون أقلّ من نصف مكّة يحيط بأكثرها بساتين ونخيل وقرى ولهم مزارع قليلة ومياه عذبيّة وفيها حياض تقلب فيها قنيٌّ عند أبواب البلدَ ينحدر إليها في درج وقد جرَّ عمر رضي الله عنه إلى باب الجامع قناة قد اختلّت والأسواق عند الجامع لها نور وبهاءٌ أكثرهم بنو الحسين بن عليّ رضي الله عنهما بنيانهم مدر ملحة الأرض قليلة الأهل والمسجد في ثلثيْها ممّا يلي بَقِيعَ الغَرْقد على

عمل جامع دمشق ليس بالكبير وهو وجامع دمشق من بناءِ الوليد بن عبد الملك وقد زاد فيه بنو العبّاس وقال ﷺ: «لو مدّ هذا المسجد إلى صنعاءِ كان مسجدي» وأوّل من زاد فيه عمر رضي الله عنه من الأساطين التي إليها المقصورة اليوم إلى الجدار القبليّ ثم زاد عثمان رضي الله عنه من قبل القبلة إلى موضعه اليوم ثم زاد فيه الوليد ولم يزده لله، ولكن من أجل بيت الحسن بن الحسن بن عليّ رضي الله عنه الذي كان بابه في المسجد وكان يخرج منه عند الإقامة فبناه بالحجارة المنقوشة والفسافسا وتولّى بناءَه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلمّا بلغ هدم المحراب دعا بمشايخ المهاجرين والأنصار فقال احضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غيَّرها عمر فوقع زيادة الوليد من المشرق إلى المغرب ستّ أساطين وزاد إلى الشام من المربّعة التي في القبر أربع عشرة أسطوانة منها عشر في الرحبة وأربع في السقائف ثم حجّ المهديّ سنة ١٩٠ [هـ] فزاد فيه مائة ذراع من ناحية الشام عشر أساطين فطوله اليوم مائة وأربعة وخمسون ذراعاً وعرضه مائة وثلاثة وستّون ذراعاً وطول الصحن مائة وخمسة وستّون ذراعاً وعرضه مائة وخمسة وستّون ذراعاً.

قال: وكتب الوليد إلى ملك الروم إنّا نريد أن نعمر مسجد نبيّنا الأعظم فأعِنّي فيه بصُنّاع وفسافسا فبعث إليه بأحمال وبضعة وعشرين صانعاً فيهم عشرة يعدلون مائة وثمانين ألف دينار قال فخلا لهم المسجد فعمد أحدهم فقال أبول على قبر نبيّهم فلمّا حلّ سراويله يبس مكانه، وقد اختلف الناس في ترتيب قبر النبي ﷺ وصاحبيه في رواية النبيُّ من ورائه أبو بكر ومن ورائه عمر.

وفي روايةِ مالك بن أنس النبيُّ غربيَّ البيت إزاءَه فضاءٌ خلف النبيّ أبو بكر خلف الفضاءِ عمر والفضاءُ هو الذي ذُكر لعمر بن عبد العزيز فلم ير نفسه له أهلاً، ويقال: فيه يقبر عيسى عليه الصلاة والسلام.

حدّثنا أبو بكر محمّد بن عليّ الفقيه بساوة، قال: حدّثنا محمّد بن هلال الشاشيُّ، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق، قال: حدّثنا يونس قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل بن أبي فديك عن عمرو بن عثمان عن القاسم قال دخلتُ على عائشة فقلتُ يا أُمّه اكشفي عن قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطية مبطوحة ببطحاءِ العرصة الحمراءِ قال: فرأيتُ قبر النبيّ ﷺ مقدّماً، وأبا بكر عند رأسه رجليه بين كتفي النبيّ وعمر رأسه عند رجلي النبيّ ﷺ، والمنبر وسط

المغطّى غِلاَف منبر النبي ﷺ في روضةٍ مرخَّمةٍ والروضة المنعوتة إلى جانب سارية حمراءَ بين المنبر والقبر.

وقرأتُ في أخبار المدينة أن معاوية أمر بحمل المنبر إلى جانب المحراب كسائر المنابر فلمّا أخذوا في نقله تزلزلت المدينة وأقبلت الصواعق فقال اتركوه وأمر بعمل هذا المنبر فوقه وهو خمس درجات والأوّل ثلاث والمسجد عشرون باباً.

والمدينة هائلة الأبواب ولها أربعة أبواب باب البقيع وباب الثنيّة وباب جُهَينة وباب الخندق.

والخندق من نحو مكّة عامرة الحصن مشرَّفة البَقِيعُ شرقيَّ المدينة مليحة التربة فيه قبر إبراهيم بن النبيّ ﷺ والحسن وعدّة من الصحابة وقبر عثمان في أقصاه.

وقُبَا قرية على ميلين على يسار طريق مكّة بها بنيان كثير من الحجارة وثَمَّ مسجد التقوى عامر قدَّامه رصيف وفضاءٌ حسن وآثارات وماءٌ عذب وبها مسجد الضِّرار يتطوّع العوامُ بهدمه.

وأُحُد جبل على ثلاثة أميال قبله قبر حمزة في مسجد قدَّامه بئر ثم بعده حظيرة فيها قبور الشهداء وفي الجبل موضع اختبأ فيه النبيُّ ﷺ وهو أقرب الجبال إلى المدينة.

والعقِيق قرية على ميلين عامرة من نحو مكّة بها ينزل السلطان وماؤُها عذب، وما بين لابتَي المدينة حرم كحرم مكّة.

بَدْر مدينة صغيرة من نحو الساحل جيّدة التمور وثَمَّ عين النبيّ ﷺ وموضع الوقعة ومساجد بناها ملوك مصر.

والجَارُ على ساحل البحر محصَّنة بثلاث حيطان والربع البحريُّ مفوَّه بها دور شاهقة وسوق عامر خزانة المدينة ومدنها يحمل إليهم الماءُ من بدر والطعامُ من مصر.

وليس لجامعهم صحن. العُشَيْرَة صغيرة على الساحل قبال ينبع عندها نخيلات ولس لخانها نظير. يَنْبُع كبيرة جليلة حصينة الجدار غزيرة الماءِ أعمر من يثرب وأكثر نخيلاً حسنة الحصن حارَّة السوق لها بابان الجامع عند أحدهما، الغالب عليها بنو الحسن.

رأس العين على اثني عشر ميلاً والمَرْوَة بلد حصين كثيرة النخيل جيّدة التمور سقياهم من قناة غزيرة عليها خندق وأبواب حديد وهي معدن المُقْل والبُرْديّ حارّة في الصيف الغالب عليها بنو جعفر.

والحَوْراءُ[1] هي ساحل خيبر لها حصن وربض[2] عامر فيه سوق من نحو البحر، وخَيْبَر بلد حصين مثل المروة بها جامع حسن، وثَمَّ الباب الذي قلعه أمير المؤمنين وهي والمروة والحوراءُ مدن خيبر.

وناحية قُرْح تسمَّى وَادِي القُرى وليس بالحجاز اليوم بلد أجلُّ وأعمر وآهَلُ وأكثر تجاراً وأموالاً وخيرات بعد مكّة من هذا عليها حصن منيع على قرنته قلعة قد أحدق به القرى وأكنف به النخيل ذو تمور رخيصة وأخباز حسنة، ومياه غزيرة، ومنازل أنيقة، وأسواق حارّة عليه خندق وثلاثة أبواب محدَّدة، والجامع في الأزقّة في محرابه عظم قالوا هو الذي قال للنبيّ ﷺ: لا تأكلني فأنا مسموم، وهو بلد شاميٌّ مصريٌّ عراقيٌّ حجازيٌّ غير أن ماءَهم ثقيل وتمرهم وسط وحمّامهم خارج البلد والغالب عليها اليهود.

الحِجْر صغيرة حصينة كثيرة الآبار والمزارع ومسجد صالح بالقرب على نشزةٍ مثل الصفّة قد نقر في صخرة.

وثَمَّ عجائب ثمود وبيوتهم وسُقْيَا يَزِيدَ هي أحسن مدن هذه الناحية والنخيل والبساتين متّصلة من قُرْح إليها والجامع خارج البلد وبَدَا يعقوب على جادّة مصر عامرة آهلة والعَوْنِيد هي ساحل قُرح عامرة كثيرة العسل ولها مرسى حسن.

زَبِيد قصبة تهامة وهو أحد المصرَيْن لأنه مستقرُّ ملوك اليمن بلد جليل حسن البنيان يسمُّونه بغداد اليمن لهم أدنى ظرف وبه تجار وكبار وعلماءُ وأدباءُ مفيد لمن دخله مبارك على من سكنه آبارهم حلوة وحمّاماتهم نظيفة عليه حصن من الطين بأربعة أبواب باب غَلاَفِقَة وباب عدن وباب هشام وباب شبارق وحولها قرى ومزارع أعمر من مكّة وأكبر وأرفق أكثر بنيانهم الآجرُ ومنازلهم فسيحة طيّبة والجامع ناءٍ عن

(١) الحوراء: كورة من كور مصر القبلية في آخر حدودها من جهة الحجاز، وهي على البحر في شرقي القلزم. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٦٣).

(٢) الربض: هو الناحية، أو الضاحية. (القاموس المحيط، مادة: ربض).

الأسواق نظيف مبربق الأرض تحت المنبر تقوير ليتّصل الصفُّ وقد أجرى إليها ابن زياد قناة وهو بلد نفيس ليس باليمن مثله غير أن أسواقه ضيّقة والأسعار بها غالية والثمار قليلة أكثر طعامهم الدخن والذرة ومَعْفِر على جادّة عدن وكذلك عَبْرَة وعارة، والمَخْنَف وكلُّهنّ صغار.

وعَدَن بلد جليل عامر آهل حصين خفيف دهليز الصين وفرضة اليمن وخزانة المغرب ومعدن التجارات كثير القصور مبارك على من دخله مثرٍ لمن سكنه مساجد حسان ومعايش واسعة وأخلاق طاهرة ونعم ظاهرة وبارك النبيُّ ﷺ في سوق مِنَى وعدن وهو في شبه صيرة الغنم قد أحاط به جبل بما يدور إلى البحر ودار خلف الجبل لسان من البحر فلا يدخل إليه إلاّ أن يخاض ذلك اللسان فيصل إلى الجبل وقد شُقّ فيه طريق في الصخر عجيب وجعل عليه باب حديد ومدُّوا من نحو البحر حائطاً من الجبل إلى الجبل فيه خمسة أبواب والجامع ناءٍ عن الأسواق ولهم آبار مالحة وحياض عدّة ويقال: إنها كانت في القديم حبس شدَّاد بن عادٍ إلاّ أنها يابسة عابسة، لا زرع، ولا ضرع، ولا شجر، ولا ثمر، ولا ماءٍ، ولا كلأ كثيرة الحريق والوكف جامع شعث وهرج وحش وحمَّامات رديّة يحمل إليهم الماءُ من مرحلة وأَبْيَن هي أقدم من عدن وإليها تنسب عدن لأن بُرَّهم وفواكههم وخضرهم منها لكثرة القرى والمزارع بها، وكذلك لَهْج ومَنْدَم على البحر عامرة بها يعتقل الريح المراكب. قشفة ومُخَا مدينة لزبيد عامرة كثيرة السليط شربهم من عين خارج البلد والجامع على طرفه على الساحل.

وغَلافِقَة فرضة زبيد بها جامع على البحر رأيتُهم يفضّلونه ويرابطون فيه عامرة آهِلة بها نخيل ونارجيل وآبار حلوة إلاّ أنها وبيّة قاتلة للغرباء. والشُّرْجَة والحِرْدَة وعطنة مدن على الساحل بهنّ خزائن الذُّرَة تحمل إلى عدن. وجُدَّة بلد اللبن يحمل إليهم الماءُ من بُعدٍ وجوامعهم على الساحل.

وناحية عَثَّر ناحية جليلة عليها سلطان براسه ومدنها نفيسة وعثَّر مدينة كبيرة طيّبة مذكورة لأنها قصبة الناحية وفرضة صنعاءٍ وصعدة بها سوق حسن.

وجامع عامر يحمل إليهم الماءُ من بعد وحمَّامهم وَضِرٌ وبَيْش أطيب هواءً منها وأعذب ماءً بها ينزل السلطان دارُه إلى جانب الجامع والجُرَيْب بلد الموز وهو أرخى مدن الناحية وأعجبها إليّ.

وحَلْي مدينة ساحليّة عامرة سريّة رفقة. والسَّرَّيْن بلد صغير له حصن الجامع فيه على باب البلد مصنعة وهو فرضة السَّرَوَات والسروات معدن الحبوب والخيرات والتمور الرديّة والعسل الكثير لا أدري هي مدن أم قرى لأني ما دخلتُها. صَنْعَاءُ هي قصبة نجد اليمن وقد كانت أجلّ من زبيد وأعمر، وكان الاسم لها وأما اليوم فقد اختلّت غير أن بها مشايخ لم أر بجميع اليمن مثلهم هيئةً وعقلاً ثم بلد رحب كثير الفواكه رخيص الأسعار أخباز حسنة وتجارات مفيدة أكبر من زبيد ولا تسئل عن طيب الهواءِ فإنه عجب ومع ذلك رفقٌ مُعْفٍ وصَعْدَة أصغر من صنعاءَ عامرة في الجبال بها تصنع الركاءُ الجيّدة والأنطاع الحسنة ومنها يرتفع أدم جيّد وهي مدينة العلويّة وعملهم. وجُرَش مدينة وسطة ذات نخل واليمن ليس ببلد نخيل.

ونَجْرَان مثل جرش وهما دون صعدة وأكثر ما ترى من الأدم فمن هذه المدن والحِمْيَرِي هو بلد قَحْطَان بين زبيد وصنعاءَ كثير القرى رديُّ الهواءِ وبيٌّ مفيد للتجارة والمَعافِرُ بلد واسع ذو مزارع وقرى وفوائد.

وسَبَأ بلد خلف هذه النواحي عامر المدينة خرب العمل. وحَضْرَمَوْت هي قصبة الأحقاف موضوعة في الرمال عامرة نائية عن الساحل آهلة لهم في العلم والخير رغبة إلاّ أنهم شراة شديدة سمرتهم.

والشِحْر مدينة على البحر معدن السمك العظيم يحمل إلى عمان وعدن ثم إلى البصرة وأطراف اليمن وثمَّ أشجارُ الكندرُ صمغها وموضع إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ ليس لها أثر، من لَخج إليها فرسخان في مستوى فتراها من البعد تشرق فإذا قربتَ لم تر شيئاً.

وماءُ عدن من ثَمَّ وسخن مدينة قُرَيْش يقال لهم بنو سامة سمعتُ أنهم في أربعة آلاف قوس والشقرة ديار خَثْعَم ثَمَّ نخيل وقرى قد أحاط بها.

واعلم أن اليمن موضع واسع قد أقمتُ به حولاً كاملاً ودخلتُ هذه البلدان التي وصفتُ وغاب عني منه الكثير غير أني أذكر ما سمعتُ فيه من أهل الخبرة واستوعب مخاليفه وإن لم أطأ الجميع لأنه بلد يميَّز بالمخاليف وأذكر وضع جزيرة العرب وتمثيلها بوصف يقف عليه كلُّ أحد إن شاءَ الله تعالى، مخاليف اليمن، مخلاف صنعاءَ. والخَشَب ورُحَابَة ومَرْمَل، مخلاف البَوْن، مخلاف خَيْوَان، وعلى يمين صنعاءَ، مخلاف شَاكِر ووَادِعَة ويَام وأَرْحَب، ومن نحو الطائف، مخلاف نَجْرَان

وتُربة والهُجَيرة وكُثْبَة وجُرَش والسَّرَاة، مخلاف بتهامة ضَنْكان عَشَم بِيشَة عَكٌّ، ومخلاف الجِرْدَة، مخلاف هَمْذَان، مخلاف جَوْف هَمْدان، مخلاف جوْف مُرَاد، مخلاف شَنُوءَة وصُدَى وجُعْفيّ، مخلاف الجَسْرة، مخلاف المَشْرِق وبُوشَان وغُدَر، مخلاف أَعْلا وأَنْعَم والمَصْنَعَتَيْن وبنى غُطَيف وقرية مأرب، ومخلاف حَضْرَمَوْت، مخلاف خَوْلاَن رُدَاع، مخلاف أحوَر، مخلاف الحَقْل وذِمَار، مخلاف ابن عامر وثات ورَدَاع، مخلاف دَثِينَة، مخلاف السَّرْو، مخلاف رُعَيْن ونَسَفَان وكَحْلاَن، مخلاف ضَنْكَان وذُبْحان، مخلاف نَافِع ومصحى، مخلاف حُجْر وبَدْر وأَخَلَة والصُّهَيْب، مخلاف الثُّجَّة والمزرع، مخلاف ذي مكارم والأَمْلُوك، مخلاف السَّلِف والأَدَم، مخلاف نَجْلان ونهب، مخلاف الجَنَد، مخلاف السَّكاسِك، ومن نحو المَعافِر، مخلاف الزيادِيّ، مخلاف المَعافر، مخلاف بنى مَجِيد، مخلاف الرَّكْب، مخلاف سقف، مخلاف المُذَيْخِرَة، مخلاف حَمُّل وشرْعب، مخلاف عُنَّة وعنَّابة، ومن الوجه الآخر مخلاف وُحَاظَة، مخلاف سِفْل يَحْصِب، مخلاف القُفاعة والوزيرة والحُجْر، مخلاف زَبِيد وبإزائه ساحل غَلاَفِقَة وساحل المَنْدَب، مخلاف رِمَع، مخلاف مُقْرَى، مخلاف ألهَان، مخلاف جُبْلاَن، مخلاف ذي جُرة، مخلاف المَيْتَم، مخلاف ألمم، ومن ناحية ظهر صنعاءِ، مخلاف خَوْلان، مخلاف مِيسَارع مخلاف حَرَاز وهَوْزَن، مخلاف الأَخْرُوج، مخلاف مَجْنَح، مخلاف حَضُور، مخلاف مَاجِن، مخلاف وَاضِع المَعْلَل، مخلاف العصبة، مخلاف خُنَاص، ومِلْحَان حَكَم، وجَازَان، ومَرْسى الشَّرْجَة، مخلاف حَجُور، مخلاف قُدُم ويحاذي قرية مَهْجَرَة، مخلاف حَيَّة والكودن، مخلاف مسخ، مخلاف كِنْدَة والسَّكُون، مخلاف الصَّدف.

صُحَار هي قصبة عمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجلُّ منه عامر آهل حسن طيّب نزه ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات أسرى من زبيد وصنعاءَ أسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدَّة على البحر دورهم من الآجرّ والساج شاهقة نفيسة والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق ولهم آبار عذيبيّة وقناة حلوة وهم في سعة من كلّ شيءٍ، دِهليز الصين، وخزانة الشرق، والعراق، ومَغُوثة اليمن قد غلب عليها الفُرس المُصلّى وسط النخيل.

ومسجد صحار على نصف فرسخ ثَمَّ بركت ناقة رسول الله ﷺ قد بُني أحسن بناءٍ وهواءُه أطيب هواءً من القصبة ومحراب الجامع بلولب يدور تراه مرّةً أصفر وكرّةً

أخضر وحيناً أحمر. ونَزْوة في حدّ الجبال كبيرة بنيانهم طين والجامع وسط السوق إذا غلب الوادي في الشتاءِ دخله، شربهم من أنهار وآبار.

والسِّرُّ أصغر من نزوة والجامع في السوق شربهم من أنهار وآبار قد التفّت بها النخيل.

وضَنْك صغيرة في النخيل أبداً بها سلطان قويٌّ لأنهم شراة عصاة. وحفيت كثيرة النخيل من نحو هَجَر الجامع في الأسواق وسلوت مدينة كبيرة على يسار نزوة ودبَا وجُلْفار وهما من نحو هَجَر قريبتان من البحر، وسَمَد منبر لنزوة ولسيا ومِلَح وبرنم والقلعة وضَنْكان مدن أيضاً والمَسْقَط أوّل ما يستقبل المراكب اليمنيّة ورأيته موضعاً حسناً كثير الفواكه.

وتُوأَم قد غلب عليها قوم من قريش فيهم بأس وشدَّة، وعمان كورة جليلة تكون ثمانين فرسخاً في مثلها كلُّها نخيل وبساتين عامَّة سقياهم من آبار قريبة ينزعها البقر، أكثرها في الجبال، وأهل هذه المدن التي ذكرنا عرب شراة.

الأحْسَاءُ قصبة هَجَر وتسمَّى البَحْرَيْن كبيرة كثيرة النخيل عامرة آهلة معدن الحرّ والقحط على مرحلة من البحر ولهم شبه نبع متجر.

وثَمَّ جزائر وبها مستقرُّ القرامطة من آل أبي سعيد ثَمَّ نظرٌ وعدلٌ غير أن الجامع معطَّل وبالقرب خزانة المهديّ وخزائن أُخر لهم أيضاً فبعض الأموال بتلك وبقيَّته في خزائنهم.

والزرقاءُ وسابون في خزائنهم وكذلك أُوَال وسائر المدن في البحر أو قريبات من البحر واليَمَامَة ناحية قصبتها الحجْر بلد كبير جيّد التمور يحيط به حصون ومدن منها الفَلَج.

واعلم أن مَثَل هذه الجزيرة كمثل صُفَّة فيها أدنى طول قد وُضع فيها سرير من صدرها إلى بابها بينه وبين الحائطين من يمين وشمال فضاءٌ والسرير قطعتان فالسرير الداخل هو نجد اليمن وهي جبال تقع فيها صنعاءُ وصعدة وجُرَش ونجران وبلد قحطان وعدن في الصدر في آخر الجبل لأن الثلاث حيطان هو بحر الصين وهذه السَّرَوَات عامرة بها الأعناب والمزارع والفضاءُ الذي عن يمين السرير تهامة تقع فيه زبيد وبلدانها والفضاءُ الذي عن يساره يسمَّى نجد اليمن تقع فيه الأحقاف ومهرة إلى

تخوم اليمامة ومنهم من يُدْخِلها وعمان في هذه الخطّة وهذا السرير مع الفضاءَين هي اليمن والسرير المؤخر إلى باب الصفّة يسمّى الحَرّة من تخوم اليمن إلى قُزح جبال كلّها يابسة لا ينبت إلاّ مواقع المواشي والعِضون والثُّمَام يقع فيه الحرم والعُمَق ومعدن النَّقِرة وتلك المجادب والفضاءُ الأيمن يسمّى الحجاب وطيّة الحجاز قليلة يقع فيها يَنْبُع والمَرْوة والعمص والسواحل عمارات ونخيل والفضاءُ الأيسر يسمّى نجد الحجاز يقع فيه اليمامة وفيد وما على الجادّة من المنازل.

ويسمّى هذا السرير مع فضائيه الحجاز ويدخل هجر فيه ويقابل باب الصّفة البادية وهذا شيءٌ رأيتُه وقسمتُه والله أعلم.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم شديد الحرّ إلاّ السّرَوَات فإن هواءَها معتدل، حُدّثتُ أن رجلاً بصنعاء طبخ قدراً من اللحم ثم ذهب إلى الحجّ فعاد وما تغيَّرت، ولباسهم في الشتاءِ والصيف واحد، والليل بمكّة في الصيف طيّب كرب بتهامة وينزل عليهم بعمان في الليالي شبه الدبس ويكون بالحرم حرٌّ عظيم وريحٌ تقتل وذباب في غاية الكثرة.

وهو قليل الثمار إلاّ السروات وليس باليمن نخيل ولا مياه غزيرة وسواحله قشفة معدوم بها الماء إلاّ غَلافِقَة وإنّما سكنوا تلك المدن لأجل البحر وليس في جميع الإقليم بحيرة ولا نهر يجري فيه السفن قليل الفقهاءِ والمذكّرين والقرّاءِ واليهود به أكثر من النصارى.

ولا ذمَّة غيرهم ولم أر به مجذوماً، وحدَّثنا أبو الفضل بن نهامة بشيراز قال حدَّثنا أبو سعيد خَلَف بن الفضل قال حدَّثنا أبو الحسن محمَّد بن حمدان قال حدَّثنا عمرو بن عليّ بن يحيى بن كثير قال حدَّثنا عامر بن إبراهيم الأصبهانيُّ قال حدَّثنا خطّاب بن جعفر قال حدَّثنا أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس في قوله: ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝﴾ [قريش: ٢]، قال: كانوا يشتون بمكّة ويصيّفون بالطائف، وفي قوله: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝﴾ [قريش: ٤] قال: خوف الجذام، وبه برص وسودان كثير وعامّتهم سمر والغالب عليهم الدقّة والهزال، أكثر ثيابهم القطن منتعلين لا يقولون بالمماطر ولا ثلج لهم ولا جليد ولا فواكه في الشتاءِ ولا قديد إلاّ ما يجفّف من ذبائح منى.

ومذاهبم بمكّة وتهامة وصنعاء وقُرْح سنّة وسواد صنعاءٍ ونواحيها مع سواد عمان شراة غالية وبقيّة الحجاز وأهل الراي بعمان وهجر وصعدة شيعة وشيعة عمان وصعدة وأهل السروات وسواحل الحرمَيْن معتزلة إلاّ عمان.

والغالب على صنعاءَ وصعدة أصحاب أبي حنيفة والجوامع بأيديهم وبالمعافر مذهب ابن المنذر وفي نواحي نجد اليمن مذهب سفيان.

والأذان بتهامة ومكة يرجِّع وإذا تدبَّرتَ العمل على مذهب مالك ويكبِّر بزبيد في العيدين على قول ابن مسعود أحدثه القاضي أبو عبد الله الصعوانيُّ وقت كوني ثَمَّ والعمل بهجر على مذهب القرامطة وبعمان داوديّة لهم مجلس.

أهل هذا الإقليم لغتهم العربيّة إلاّ بصحار فإنّ نداهم وكلامهم بالفارسيّة وأكثر أهل عدن وجدّة فرس إلاّ أن اللغة عربيّة وبطرف الحميري قبيلة من العرب لا يفهم كلامهم وأهل عدن يقولون لرجليه: رجلينه، وليديه: يدينه، وقِسْ عليه، ويجعلون الجيم كافاً فيقولون لرجب: ركب، ولرجل: ركل.

وقد روي أن النبيَّ ﷺ أُتي برَوْثة عند الاستجمار فألقاها، وقال: «هي رِكْس» وقد تعنّى الفقهاءِ هذا فيجوز ما قالوه ويجوز أن يكون استعمل هذه اللغة وجميع لغات العرب موجودة في بوادي هذه الجزيرة إلاّ أن أصحَّ بها لغة هُذيل، ثم النجدَيْن، ثم بقيّة الحجاز إلاّ الأحقاف فإن لسانهم وحش، القراءَات بمكّة على حرف ابن كثير، وباليمن قراءَة عاصم، ثم قراءَة أبي عمرو مستعملة في جميع الأقليم، وسمعتُ بعض صدور القرّاء بمكّة يقول ما رأينا ولا سمعنا أن أحداً أمَّ خلف هذا المقام بغير قراءَة ابن كثير إلاّ في هذا الزمان.

والتجارات في هذا الإقليم مفيدة لأن به فرضتي الدنيا وسوق مِنًى والبحر المتّصل بالصين وجُدّة والجار خزانتي مصر ووادي القرى مطرح الشام والعراق، واليمن معدن العصائب والعقيق والأدم والرقيق فإلى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر كلُّه حتّى المسك والزعفران والبقّم والساج والساسم والعاج والؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والأبنوس والنارجيل والقند والإسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلّور والفلفل وغير ذلك.

وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحبش والخدم وجلود النمور و. . .

استقصيناه طال الكتاب، وبتجارات الصين تضرب الأمثال ثم قولهم جاؤوك تجراً أو ملكاً.

ولمّا ركبتُ بحر اليمن اتّفق اجتماعي مع أبي عليّ الحافظ المروزيّ في الجلبة فلمّا تأكّدت المعرفة بيننا قال لي: قد شغلتَ والله قلبي. قلتُ: بماذا؟ قال: أراك رجلاً على طريق حسنة تحبُّ الخير وأهله، وترغب في جمع العلوم، وقد قصدتَ بلاداً قد غرَّت كثيراً من الناس وصدَّتهم عن طريق الورع والقناعة، وأخشى إذا أنت دخلتَ عدن فسمعتَ أن رجلاً ذهب بألف درهم فرجع بألف دينار، وآخر دخل بمائة فرجع بخمسمائة، وآخر بكندر فرجع بمثله كافور طَلَبَتْ نفسُك التكاثر. قلتُ: أرجو أن يعصم الله فلمّا دخلتُها وسمعتُ أكثر ممّا قال غرّني والله ما غرَّ القوم وعملتُ على الذهاب إلى ناحية الزنج وآتيت ما ينبغي أن يُشترى وتقدَّمتُ فيه إلى الوكلاءِ فبرَّد الله عزَّ اسمه ذلك على قلبي بموت شريك كنتُ عاقدتُه وكسرت نفسي بذكر الموت وما بعده، واعلم هُدِيْتَ، أن مع كلّ ربح ممّا ذكرنا خطراً والأرباح أبداً مع الأخطار فلا ينبغي لعاقل أن يغترَّ بذلك، وليعلم أن الله تعالى يعطي عبده بركعتين إذا أخلصهما لله أكثر من الدنيا بحذافيرها وما يصنع بنعمةِ الموتُ من ورائها وجمع أموال لا بدَّ من تركها.

ومن خصائص نواحي هذا الإقليم أديم زبيد ونيلها الذي لا نظير له كأنه لازورد وشروب عدن تفضَّل على القصب ومسد المهجرة يسمَّى ليفاً وبرود سُحُولا والجُرَيب وأنطاع صعدة وركاءُها، وسعيديُّ صنعاءَ وعقيقها، وقفاع عثَّر، وأقداح حلى، ومسانُّ ينبع وحنَّاؤها، وبان يثرب وصيحانيُّها، وبرديُّ المروة ومقلها، وكندر مهرة وحيتانها، وورس عدن، ومغلق قُرْح، وسنا مكّة، وصبر أسقوطرة، ومصين عمان.

ومكاييل هذا الإقليم: الصاع، والمدُّ، والمكُّوك، فالمدُّ ربْع الصاع، والصاع ثُلْث المكُّوك هذا بالحجاز، وهي مختلفة المستعمل منها يزن خمسة أرطال وثُلثاً.

وسمعتُ الفقيه أبا عبد الله بدمشق يقول: لمَّا حجَّ أبو يوسف ودخل المدينة رجع عن شيئَين ـ إلى مذهبهم ـ:

أحدهما: الأذان قبل الفجر، والثاني: تقدير الصاع. وأما الصاع الذي قدَّره

عمر بمشهد الصحابة وكان يكفّر به أيمانه فهو ثمانية أرطال إلاَّ أن سعيد بن العاصي ردّه إلى خمسة وثُلث ألا ترى إلى قول الراجز:

وجـــاءَنــــا مُجَــوَّعـــاً سَعِيـــدُ   يَنْقُـصُ فـي الصَّـاع ولا يَـزِيـدُ

ولهم بالمراكب صاعان يعطون بأحدهما جرايات الملاَّحين ويتعاملون بالكبير، وأرطالهم بمكّة هو المنّ المعروف في جميع بلاد الإسلام غير أنهم يسمُّونه رطلاً، ورطل يثرب إلى قُرْح مائتا درهم، ورطل اليمن بغداديّ، ولعمان المنّ، وبقيّة الإقليم بغداديّ، ولهم البهار وهو ثلاثمائة رطل ونقودهم مختلفة لأهل مكّة المطوّقة وهي والعثريّة ثُلثا المثقال تؤخذ كدراهم اليمن عدداً، وتفضل العثريّة حتّى ربّما كان بينهما دُرَيْهِم ودينار عدن قيمة سبعة دراهم وهو ثلثا البَغَوِيّ تزن ولا تُعدُّ، ودينار عمان ثلاثون غير أنه يوزن، والدراهم المستعملة في الإقليم تسمّى بمكّة المحمّديّة ولأهل مكّة المزبّقة أربعة وعشرون بمطوّق ضعف اختمى تبطل يوم السادس من ذي الحجّة إلى آخر الموسم، ولأهل اليمن العلويّة تختلف باختلاف البلدان حتّى ربّما بطلت في بعضها قيمة أربعة منها درهم وزنته حول الدانق ولهم قروض ربّما غلت فصارت ثلاثة بدانق وربّما صارت أربعة ولأهل عمان الطسوة.

الرسوم في هذا الإقليم لبس الوزر والأزر بلا قميص إلاَّ القليل، وبمُخَا يعيبون على من يتّزر إنّما هو إزار واحد يلتفُّ فيه، ويختمون في رمضان في الصلاة ثم يدعون ويركعون وصلّيتُ بهم التراويح بعدن فدعوتُ بعد السلام فتعجّبوا من ذلك.

وأمر ابن حازم وابن جابر أن أحضر مسجديهما فأفعل ذلك، أكثر ما يوقدون مصابيحهم بالصيفة وهو دهن السمك يُحمل من مهرة ونورتهم سوداءُ مثل الماخالقه وباليمن يلزقون الدروج ويبطّنون الدفاتر بالنشا وبعث إليّ أميرُ عدن مصحفاً أجلّده فسألتُ عن الأشراس بالعطّارين فلم يعرفوه ودلّوني على المحتسب وقالوا عساه يعرفه فلمّا سألتُه قال من أين أنت قلتُ من فلسطين قال أنت من بلدة الرخاءِ لو كان لهم أشراس لأكلوه عليك بالنشا، ويعجبهم التجليد الحسن ويبذلون فيه الأجرة الوافرة وربّما كنت أُعطَى على المصحف دينارين، ويزيّنون بعدن السطوح قبل رمضان بيومين ويضربون عليها الدبادب فإذا دخل رمضان اجتمع رفق يدورون عند السحر يقرؤون القصائد إلى آخر الليل، فإذا قرب العيد جبوا الناس ويتّخذون في النيروز قباباً يدورون بها على المباشرين ومعهم الطبول فيجمعون مالاً جزيلاً وبمكّة تنصب

القباب ليلة الفطر. ويزيّن السوق بين الصفا والمروة ويضربون الدبادب إلى الصباح وإذا صلّوا الغداة أقبلن الولائد مزيّنات بيدهنّ المراوح يطفن بالبيت ويرتّبون خمسة أئمّة في التراويح يصلّون ترويحةً ويطوفون أسبوعاً والمؤذّنون يكبّرون ويهلّلون، ثم يضرب الفرقاعيّات كما تضرب عند الصلوات فيتقدّم الإمام الآخر، يصلّون العشاء إذا مضى من الليل الثلث ويفرغون إذا بقى الثلث ثم ينادي بالسحور على أبي قُبَيس ولا يُرى أحسن من مزيّ أهل مكّة في خروجهم إلى الحجّ في أن أحدهم ينوبه في ذلك ما ينوب العراقيّ.

ومياه هذا الإقليم مختلفة ماءُ عدن وقناة مكّة وماء زبيد ويثرب خفيف وماءُ غلافقة قاتل، وماءُ قُرْح وينبع رديٌّ، وسائر المياه متقاربة وحججتُ سنة ٥٦ فرأيتُ ماءَ زمزم كريهاً ثم عدتُ سنة ٦٧ فوجدتُه طيّباً وأكثر مياه السواحل عذيبيّات، فإن قال قائل: ومن أين علمت خفّة المياه وثقلها؟ قيل له: بأربعة أشياء إحداهنّ: أن كلّ ماءٍ يبرد سريعاً فهو خفيف وما رأيتُ أسرع برودة من ماءِ تيماءَ وأريحا وهما أخفُّ مياه الإسلام فمن هذا استنبطتُ هذا الوجه، ثم صحَّ لي بكثرة التجارب.

والثانية: أن الماءَ الخفيف يبطئ تحلّبه، ومن شرب ماءً ثقيلاً أُسْرِعَ بولُه.

والثالثة: الماءُ الخفيف يشهّي الطعام ويهضمه. والرابعة إذا أردتَ أن تعرف ماء بلد فاذهب إلى البزّازين والعطّارين فتصفّح وجوههم فإن رأيتَ فيها الماءَ فاعلم خفّته على قدر ما ترى من نضارتهم وإن رأيتَها كوجوه الموتى ورأيتَهم مطامني الرؤوس فعجّل الخروج منها.

والمضار بمكّة باذنجان يمرّض، وبالمدينة كرّاث يتولّد منه خروج عرق المديني.

المعادن اللؤلؤ في هذا الإقليم بحدود هجر يغاص عليه في البحر بإزاءِ أُوَال وجزيرة خارك ومن ثَمَّ خرجت درّة اليتيم يكتري رجال يغوصون فيخرجون صدفاً اللؤلؤ وسطها، وأشدُّ شيءٍ عليهم حوت يثرب إلى عيونهم وفائدة من تعاطاه بيّنةٌ.

ومن أراد العقيق اشترى قطعة أرض بموضع بصنعاء ثم حفر فربّما خرج له شبه صخرة وأقلّ وربّما لم يخرج شيءٌ، بين ينبع والمروة معادن ذهب، العنبر يقع على حافة البحر من عدن إلى مُخا ومن وجه زَيْلع أيضاً كلُّ من وجد منه شيئاً قلَّ أو كثر

حمله إلى صاحب السلطان ودفعه إليه وأخذ شقّةً وديناراً ولا يقع إلاّ وقت هبوب ريح الآيب ولم يصحّ لي ما العنبر، ودم الأخوين قبال الجحفة يقع عصبيات بين الخيّاطين وهم شيعة والجزّارين وهم سنّة بمكّة عصبيّات وحروب وبين الحُمَاحميّين والملاحيّين بعدن عداوات وحروب وبين السنّة والشيعة بينبع، وبين البجة والحبوش والنوبة بزبيد تقع العجائب، وبين الجزّارين والأعراب باليمامة وقد بلغ من أمرهم أن اقتسموا الجامع ويقولون للغريب كن من أيّنا شئتَ وإلاّ فاخرج.

والمشاهد بمكّة مولد النبيّ ﷺ في المحامليّين ودار الأربعين بالبزّازين ودار خديجة خلف العطّارين غار ثور على فرسخ أسفل مكّة وحرّا من نحو منى وغار آخر خلف أبي قُبَيس جبل قُعَيقعان محاذي أبي قُبَيس وبالحرم قبر مَيْمُونة على طريق جُدّة وفي الثنيّة قبر الفُضَيل وسفيان بن عُيَينة ووُهَيب بن الوَرْد، بين المسجدين عدّة مشاهد للنبيّ وعلى مسجد الشجرة بذي الحُلَيفة وشجرة بقُبا وحجر فاطمة، قبر هود عليه الصلاة والسلام بالأحقاف على الساحل، الموضع الذي يخرج منه النار بعدن جبل في البحر وخلف البلد مسجد أَبَان مخلاف معاذ خلف مخا ثَمَّ مسجد البئر المُعطَّلة والقصر المَشِيد في مخلاف البَوْن، وفي مخلاف مَرْمَل من مخلاف صنعاءَ خرجت النار التي أحرقت جنّة المُقْسِمين، بئر عثمان على طريق الشام، عند العَرْج جبل قالوا: إن جبريل شقّ فيه للنبيّ ﷺ وقت هجرته طريقاً إلى المدينة، وقعت نار بين المروة والحوراءِ فكان يقد كما يقد الفحم، بيوت الفارهين بالحِجْر عجيبة على أبوابها عقود وطروح ونقوش.

الطَاغِيَة مدينة خربة خلف خيم أُمّ مَعْبَد، بالسَّرَوَات قلاع عجيبة، كَمَرَان جزيرة في البحر فيها مدينة ولهم ماءٌ حلو تسمَّى العَقْل بها حبوس ملك اليمن.

وفي أخلاق أهل مكّة جفاءٌ ولا ظرف لأهل اليمن، أهل عمان يطفّفون ويخسرون ويفسقون، الزنا بعدن ظاهر، أهل الأحقاف نواصب غُتْم والحجاز بلد فقير قحط.

والقبائل تأخذ من السروات نحو الشام فتقع في أرض الأغرّ بن هيثم، ثم يخرج إلى ديار يعلى بن أبي يعلى، ثم إلى سُرْدد، ثم إلى ديار عَنْز وائل في بني غَزِيّة، ثم تقع في ديار جُرَش والعَتَل وجُلاجل، ثم إلى ديار الشقرة بها خَثْعَم، ثم في ديار الحُرث بلد يقال له: ذَنُوب واسم ساحلها الشرى، ثم في شُكر وعامر، ثم في

بَجيلة، ثم في فَهْم، ثم في بني عاصم، ثم في عَدْوَان، ثم في بني سَلُول، ثم في مُطار وبها معدن البرام، ثم في بلاد بِرْمَة منها الأَبْرَقَة.

وحصن المهيا ثم أنت بالفَلَج وولايات هذا الإقليم متقطّعة أما الحجاز أبداً فلصاحب مصر لأجل الميرة واليمن لآل زياد وأصلهم من هَمْدان، وابن طرف له عثّر وعلى صنعاءَ أمير غير أن ابن زياد يحمل إليه أموالاً ليخطب إليه وربّما أُخرجت عدن عن أيديهم، وآل قحطان في الجبال وهم أقدم ملوك اليمن، والعلويّة على صعدة يخطبون لآل زياد وهم أعدل الناس، وعمان للديلم، وهجر للقرامطة، وعلى الأحقاف أمير منهم والضرائب والمكوس يؤخذ بجُدَّة من كلّ حمل حنطة نصف دينار وكيل من فرد الزاملة، وعلى سفط ثياب الشَطَويّ ثلاث دنانير، ومن سفط الدَّبِيقيّ ديناران وحمل الصوف ديناران، وبعثّر على كلّ حمل دينار، وعلى سُلَّة الزعفران دينار وكذلك على رؤوس الرقيق هذا ممَّن خرج وكذلك بالسرَّين على من اجتاز وبكَمَرَان أيضاً، وبعدن يقوَّم الأمتعة بالزكاويّة، ثم يؤخذ عشرها عثّريّة وقدّروا أنه يصل إلى خزانة السلطان ثُلْث أموال التجار، وثَمَّ تفتيش صعب، ومكس بلدان السواحل هيّن إلاّ غَلاَفِقَة، والمراصد البرّيّة من قُلُود جُدَّة بالقرين وبطن مَرّ نصف دينار نصف دينار وعلى باب زبيد من حمل المسك دينار، ومن حمل البزّ نصف دينار، وبقيّة المراصد تعطى درهماً علويّةً، وصاحب صعدة لا يأخذ ضريبة من أحدٍ وإنّما يأخذ ربع العشر من التجار، والجزيرة عُشْريّة يؤخذ بعمان من كلّ نخلة درهم ووجدتُ في كتاب ابن خرداذبه خراج اليمن ستّمائة ألف دينار فلا أدري ما أراد بذلك، ولم أر ذلك في كتاب الخراج بل المعروف أن جزيرة العرب عشريّة وكانت ولاية اليمن في القديم مقسومة على ثلاثة أعمال، والٍ على الجَنَد ومخاليفها، وآخر على صنعاءِ ومخاليفها، والثالث على حضرموت ومخاليفها.

وذكر قُدَامة بن جعفر الكاتب أن ارتفاع الحرمَيْن مائة ألف دينار، اليمن ستّمائة ألف دينار، واليمامة والبحرين خمسمائة وعشرة آلاف دينار وعمان ثلاثمائة ألف دينار، وأهل هذا الإقليم أصحاب قناعة ونحافة يتقوّتون باليسير من الطعام ويتجوّزون بالخفيف من الثياب وقد أكرمهم الله تعالى بخير الثمار وسيّدة الأشجار التمر والنخل.

أخبرنا أبو عبد الله محمّد بن أحمد بقصبة أرَّجان قال حدّثنا القاضي الحسن بن

عبد الرحمن بن خلاد قال حدَّثنا موسى بن الخسيس قال حدَّثنا شَيْبَان بن فرُّوخ قال حدَّثنا مسرور بن سفيان التميميُّ عن الأَوْزاعيّ عن عروة بن رُوَيم عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أكرموا عمَّتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر شجرة تلقح غيرها وأطعموا نساءَكم إذا ولدن الرطب فإن لم يكن رطب فالتمر» الحديث.

وأما المسافات فاعلم أن الواو للجمع و«ثم» للترتيب وأو للتخيير فإذا قلنا إلى فلانة وفلانة فإنهما في موضع واحد مثل خُلَيص وأَمَج ومَرِيَنّان وبَهْمَن أَباذ فإن قلنا ثم أردنا العطف على الذي قبله كقولنا إلى بطن مَرّ ثم إلى عسفان، إلى غزَّة، ثم إلى رفح فإن قلنا أو فقد رجعنا إلى الذي قبل هذا الآخر كقولنا من الرملة إلى إيليا أو إلى عسقلان من شيراز إلى جُوَيم أو إلى صاهه، وقد جعلنا المراحل ستَّة فراسخ وسبعةً فإن زادت نقطنا على الهاءِ نقطتين فإن جاوزت العشرة نقطنا تحت اللام نقطتين فإن نقصت عن الستّة نقطنا فوق الهاءِ نقطة.

تأخذ من مكَّة إلى بطن مَرّ مرحلة ثم إلى عُسْفان مرحلة ثم إلى خُلَيص وأَمَج مرحلة ثم إلى الخيم مرحلة ثم إلى الجُحْفَة مرحلة، ثم إلى الأَبْواءِ مرحلة، ثم إلى سُقْيَا بني غِفَار مرحلة، ثم إلى العَرْج مرحلة، ثم إلى الرَّوْحاءِ مرحلة، ثم إلى رُوَيْثَة مرحلة، ثم إلى يثرب مرحلة.

وتأخذ من مكَّة إلى يَلَمْلَم مرحلة، ثم إلى قَرْن مرحلة، ثم إلى السِرَّيْن مرحلة.

تأخذ من مكَّة إلى بستان بني عامر مرحلة، ثم إلى ذات عِرْق مرحلة، ثم إلى الغَمْرة مرحلة. وتأخذ من مكَّة إلى قرين مرحلة، ثم إلى جدَّة مرحلة، ومن بطن مرّ إلى جدَّة مرحلة. وتأخذ من الجحفة إلى بَدْر مرحلة، ثم إلى الصَّفْراء والمَعْلاَة مرحلة، ثم إلى الروحاءِ مرحلة. وتأخذ من بدر إلى ينبع مرحلتين، ثم إلى رأس العين مرحلة، ثم إلى المعدن مرحلة، ثم إلى المروة مرحلتين.

وتأخذ من بدر إلى الجار مرحلة، ثم إلى الجحفة، أو ينبع مرحلتين مرحلتين.

وتأخذ من جدَّة إلى الجار أو السرَّين، أربعاً أربعاً، وتأخذ من يثرب إلى السُّوَيديّة، أو إلى بطن النخل مرحلتين مرحلتين، ومن السويديّة إلى المَرْوَة مثلها، ومن بطن النخل إلى معدن النُّقْرَة مثلها، فإن أردتَ جادَّة مصر فخذ من المروة إلى

السُّقْيَا، ثم إلى بَدَا يعقوب ثلاثاً، ثم إلى العَوْنِيد مرحلة. وإن أردتَ الشام فخذ من السقيا إلى وادي القرى مرحلة، ثم إلى الحِجْر مرحلة، ثم إلى تيماءَ ثلاث مراحل.

وإن أردت مكّة في جادّة الكوفة فخذ من زُبَالَة وهي عامرة واسعة الماءِ إلى الشُّقُوق ٢١ ميلاً، ثم إلى البِطَان ميلاً، ثم إلى الثَّعْلَبِيّة ٢٩ ميلاً هي ثُلث الطريف عامرة كثيرة البرك بها آبار عذبيّة، ثم إلى الخُزَيْميّة ٣٢ ميلاً، ثم إلى أَجْفُر ٢٤ ميلاً، ثم إلى فَيْد ٣٦ ميلاً مدينة بحصنَيْن عامرة واسعة الماءِ، ثم إلى تُوز وهي نصف الطريق ٣١ ميلاً، ثم إلى سَمِيراءَ ٢٠ ميلاً برك وماءٌ واسع ومزارع والماءُ عذبيٌّ، ثم إلى حَاجِر ٣٣ ميلاً، ثم إلى معدن النَّقْرَة ٣٤ ميلاً بها حصن وماءٌ ضعيف وموضع وحش، ثم إلى المُغِيثَة ٣٣ ميلاً، ثم إلى الرَّبَذة ٢٤ ميلاً ماءٌ زعاق وموضع خراب، ثم إلى معدن بني سُليم ٢٤ ميلاً، ثم إلى السُّلَيلة ٢٦ ميلاً، ثم إلى العُمَق ٢١ ميلاً بها آبار عجيبة والماءُ غير واسع، ثم إلى الأُفَيْعِيَة ٣٢ ميلاً، ثم إلى المِسْلَح ٣٤ ميلاً بها برك والماءُ واسع، ثم إلى غَمْرَة ١٨ ميلاً الماءُ واسع، وإن أردتها من البصرة فخذ من البصرة إلى الحُفَيْر ١٨ ميلاً، ثم إلى الرُّحَيْل ٢٨ ميلاً، ثم إلى الشَّجِي ٢٧ ميلاً، ثم إلى حَفَر أبي موسى ٢٦، ثم إلى مَاوِيّة ٣٢، ثم إلى ذات العُشَر ٢٩، ثم إلى اليَنْسُوعَة ٢٣، ثم إلى السُّمَيْنَة ٢٩، ثم إلى القَرْيَتَيْن ٢٢، ثم إلى النِّبَاج ٢٣، ثم إلى العَوْسَجَة ٢٩، ثم إلى رامة، ثم إلى إمَّرَة ٢٧، ثم إلى طِخْفَة ٢٦، ثم إلى ضَرِيّة ١٨، ثم إلى جَدِيلَة ٣٢، ثم إلى فَلْجَة ٣٥، ثم إلى الدُّثَيْنَة ٢٦، ثم إلى قُبَا ٢٧، ثم إلى الشُّبَيْكة ٢٧، ثم إلى وَجْرَة ٤٠، ثم إلى ذات عِرْق ٢٧ الجميع سبعمائة ميل.

وأما جادّة الغرب فتأخذ من وَيْلَة إلى شَرَف ذي النمل مرحلة، ثم إلى مَدْيَن مرحلة، ثم إلى الإعراءِ مرحلة، ثم إلى منزل مرحلة، ثم إلى الكلاية مرحلة، ثم إلى شَغْب مرحلة، ثم إلى بَدَا مرحلة، ثم إلى السَّرْحَتَيْن، ثم إلى البَيْضاءِ، ثم إلى وادي القرى.

والطريق المستعمل اليوم من شرف ذي النمل إلى الصَّلا، ثم إلى النَّبْك ثم إلى ضبَّة، ثم إلى العَوْنِيد، ثم إلى الرُّحْبَة، ثم إلى مُنْخُوس، ثم إلى البُحَيْرَة، ثم إلى الأَحْساءِ، ثم إلى العُشَيْرَة، ثم إلى الجار، ثم إلى بدر، وإن أردتها من عمان فخذ من صُحَار إلى نَزْوَة، ثم إلى عجلة ٣٠ ميلاً، ثم إلى عضوة ٢٤ ميلاً هو حصن، ثم إلى بئر السلاح ٣٠ ميلاً، ثم إلى مكّة ٢١ يوماً فيها أربع مياه وثمان في رملة وإن أردتها من هجر فخذ من الأَحْسَاءِ إلى . . .

ومن أرادها من صنعاء أخذ إلى الرَّيْدَة مرحلة، ثم إلى أَثَافِت، ثم إلى خَيْوَان، ثم إلى الأَعْمَشِيَّة، ثم إلى صَعْدَة، ثم إلى غُرْفَة، ثم إلى المَهْجَرَة، ثم إلى شَرُوراح، ثم إلى الثجّة، ثم إلى كُثْبَة، ثم إلى يَبْنَبَم على ٨ أميال من جُرَش، ثم إلى بَنَات جَرْم مرحلة، ثم إلى جَسَداءَ، ثم إلى بِيشَة، ثم إلى تَبالة، ثم إلى رَنْيَة، ثم إلى كَدَيّ، ثم إلى صفر، ثم إلى تُرَبة، ثم إلى الفُتُق، ثم إلى الجُدَد، ثم إلى الغَمْرَة وطريقها القاصدة على الطائف ولم أسلكها.

ومن مكّة إلى الطائف طريقان تأخذ من بئر ابن المرتفع مرحلة، ثم إلى قَرْن مرحلة، ثم إلى الطائف مرحلة والأخرى على عرفات مرحلتين في الجبل.

ومن أرادها من وَيلة وهي طريق حجّاجِ الغرب كلّها طرق عدّة أما طريق الساحل فتأخذ من ويلة إلى شرف البَغْل مرحلة، ثم إلى الصَّلاَ مرحلة، ثم إلى النَّبْك مرحلة، ثم إلى ضبّة مرحلة، ثم إلى عَوْنيد مرحلة، ثم إلى الرُّحْبَة مرحلة، ثم إلى مُنْخُوس مرحلة، ثم إلى البحيرة مرحلة، ثم إلى الأحساءِ مرحلة . . . ثم إلى الإعراءِ مرحلة، ثم إلى الكلاية مرحلة، ثم إلى شَغْب مرحلة، ثم إلى بَدأ مرحلة، ثم إلى السُّرْحَتَيْن مرحلة، ثم إلى البيضاءِ مرحلة، ثم إلى قُرْح مرحلة، ثم إلى سُقْيا يزيد مرحلة.

وأما طريق اليمن فلا أكاد أضبط مراحلها كغيرها من الكور غير أنّي أذكر ما عرفتُ، وأجمل ما سمعتُ فمن صنعاءَ إلى صُدَاء ٤٢ فرسخاً، ومن صنعاءَ إلى حضرموت ٧٣ فرسخاً

ومن صنعاء إلى ذمار ١٦ فرسخاً، ثم إلى نَسَفَان وكَحْلاَن مرحلة، ثم إلى حُجْر وبَذْر ٢٠ فرسخاً، ثم إلى عدن ٢٤ فرسخاً، ومن ذمار إلى يَخْصِب مرحلة، ثم إلى السُّحُول مرحلة، ثم إلى الثُّجَّة مثلها، ثم إلى الجَنَد مثلها.

ومن صنعاءَ إلى الجند ٤٨ فرسخاً، ومن صنعاءَ إلى العُرْف مرحلة، ثم إلى أَلْهَان ١٠ فراسخ، ثم إلى جُبْلان ١٤، ثم إلى زَبيد ١٣، ومن صنعاءَ إلى شِبَام مرحلة، ومن صنعاءَ إلى عثّر ١٠ مراحل، ومن عدن إلى أَبْيَن ٣ فراسخ.

إقليم العراق[1]

هذا إقليم الظرفاء، ومنبع العلماء، لطيف الماء، عجيبُ الهواء، ومختار الخلفاء، أخرج أبا حنيفة فقيه الفقهاء، وسفيانَ سيّد القُرّاء، ومنه كان أبو عبيدة والفرّاء، وأبو عمرو صاحب المَقْرا، وحمزة والكسائيُّ وكلُّ فقيه ومقرئ وأديب، وسريّ وحكيم وداهٍ وزاهدٍ ونجيب، وظريف ولبيب، به مولد إبراهيم الخليل، وإليه رحل كلُّ صحابيّ جليل، أليس به البصرة التي قوبلت بالدنيا، وبغداد الممدوحة في الورى، والكوفة الجليلة وسامرًا، ونهره من الجنَّة بلا مرا، وتمور البصرة فلا تنسى، ومفاخره كثيرة لا تحصى، وبحر الصين يمسُّ طرفه الأقصى، والبادية إلى جانبه كما ترى، والفرات بقربه من حيث جرى، غير أنه بيت الفتن والغلا، وهو في كلّ يوم إلى ورا، ومن الجور والضرائب في جهد بلا، مع ثمار قليله، وفواحش كثيرة ومؤن ثقيلة، وهذا شكله ومثاله والله أعلم وأحكم.

وقد جعلناه ستَّ كور وناحية وكانت الكور في القديم غير هذه إلاّ حلوان ولكنّا أبداً نجري الأمر على ما عليه الناس وأدخلنا الكور القديمة والقصبات في الأجناد واسم هذه الكور والقصبات واحد فأوّلها من قبل ديار العرب الكُوفَة ثم البَصْرَة ثم وَاسِط ثم بغْدَاد ثم حُلْوَان ثم سَامَرّا فأما الكوفة فمن مدنها حمّام ابن عمر الجامعَيْن سُوراَ النِّيل القَادِسيَّة عَيْنُ التَّمْر وأما البصرة فمن مدنها الأُبُلَّة شقُّ عثمان زبان بدران بَيَان نهر المَلِك دُبًّا نهر الأمِير أبو الخَصيب سُلَيْمَانان عَبَّادَان المُطَوّعَة، والقَنْدَل المَفْتَح الجَعْفَرِيَّة.

وأما واسط فمن مدنها فَمُ الصِّلْح درمكان قُراقُبة سيادة باذِبين السِّكْر الطِّيب قُرْقُوب قرية الرمل نهر تِيرَى لهبان بَسَامِيَّة أودسة.

---

(١) العراق: بلد مشهور، سمّيت بذلك من عِراق القربة، وهو الخرزُ المثنيّ في أسفلها أي أنّها أسفل أرض العرب، وقيل: سمّي عراقاً لأنه سَفُل عن نجد ودنا من البحر. وقيل: العراق شاطئ البحر. وقيل: إنما سمي عراقاً لأنه دنا من البحر وفيه سباخ وشجر. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٠٥).

وأما بغداد فمن مدنها النَّهْرَوَان بَرَدَان كارة الدَّسْكَرَة طراستان هارُونيّة جَلُولا بَاجَسْرَى باقبة إسْكَاف بُوَهْرِزُ كَلْوَاذَى دَرْزِيجَان المداين كيل سِيب دَيْرُ العاقُول النُّعْمَانِيَّة جَرْجَرَايَا[1] جَبَل نهر سَابُس عَبَرْتَا بَابِل عَبْدَس قصر هُبَيْرة، وأما حُلْوَان فمن مدنها خانِقِين زبوجان شلاشان الجامد الحرّ السِّيروان[2] بَنْدَنِيجَان.

وأما سامرًا فمن مدنها الكَرْخ عُكْبَرَا الدُّور الجامعين بَتّ رَذَانَان قصر الجصّ جوي أيْوَانَا بريقا سِنْدِيَّة راقفروبة دِمِمَّا الأنْبَارُ هِيت تَكْرِيت السِّنُّ، فإن قال قائل: لِمَ جعلتَ بَابِلَ في الجَنَد وإليها كان ينسب الإقليم في القديم ألا ترى أن الجَيْهانيّ ابتدأ بذكر هذه النواحي وسمَّاها إقليم بابل وكذلك سمّاه وهب في المبتدأ وغيره من العلماءِ؟ قيل له: قد تحرَّزنا من هذا السؤال ونظائره بأنَّا أجرينا علمنا على التعارف كالإيمان ألا ترى أن رجلاً لو حلف أن لا يأكل رؤُوساً فأكل من رؤُوس البقر والغنم حنث، وقال أبو يوسف ومحمَّد: لا يحنث. وسمعتُ الأئمَّة من مشايخنا يقولون: لا نعدُّ هذا خلافاً بينهم، لأن في وقت أبي حَنِيفَة كانت تباع وتؤكل ثم زالت تلك العادة في زمانهما، وقد شققنا الإسلام طولاً وعرضاً فما سمعنا الناس يقولون إلاَّ هذا إقليم العراق وأكثر الناس لا يعلمون أين بابل ألا ترى إلى جواب أبي بكر لعمر لمّا سأله أن يبعث جيوشه إلى هذه الناحية فقال: لأنْ يفتح الله على يديَّ شبراً من الأرض المقدَّسة أحبُّ إليَّ من رستاق من رساتيق العراق ولم يقل من رساتيق بابل، فإن قال في قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ [البقرة: ١٠٢] دليل على ما ذكرنا قيل له: هذا الاسم قد يجوز أن يتناول الإقليم والمدينة جميعاً، ووقوعه على المدينة مجمع عليه لأن أحداً لا ينازع أحداً في اسمها وفي وقوعه على الإقليم اختلاف فمن أوقعه عليه وجب عليه الدليل.

الكُوفَةُ قصبة جليلة خفيفة حسنة البناءِ جليلة الأسواق كثيرة الخيرات جامعة

---

(١) جَرجَرايا: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي، وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكتاب والوزراء. (معجم البلدان ج ٢/ ص ١٤٣).

(٢) السِّيروان: بكسر أوله، قال الأديبي: بلد بالجبل، وقال غيره: السيروان كورة بالجبل، وهي كورة ماسبذان، وقيل: بل هي كورة برأسها ملاصقة لماسبذان، قال أبو بكر بن موسى: هي من قرى الجبل، بلغ سعد بن أبي وقّاص أن الفرس قد جمعت وعليهم آذين بن الهرفران بعد فتح حُلوان وأنّهم نزلوا بسهل فأنفذ إليهم ضرار بن الخطاب الفهري في جيش فأوقع بهم وقتل آذين. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٣٥).

رفقة مصَّرها سعد بن أبي وقّاص أيّام عمر وكلُّ رمل خالطه حصى فهو كوفة ألا ترى إلى أرضها وكان البلد في القديم الحِيرَةُ وقد خربت، وأوّلُ من نزلها من الصحابة عليٌ بن أبي طالب وتبعه عبد الله بن مسعود وأبو الدرداءِ ثم تتابعوا كلُّها، والجامع على ناحية الشرق على أساطين طوال من الحجارة الموصَّلة بهيٌّ حسن والنهر على طرفها من قبل بغداد، ولهم آبار عذبيّة حولها نخيل وبساتين ولهم حياض وقنيٌّ ومحلَّة الكُنَاسة من قبل البادية، وهو بلد مختلٌّ قد خرب أطرافه وقد كان نظير بغداد والقَادِسِيَّة مدينة على سيف البادية تعمر أيّام الحاجّ ويحمل إليها كلُّ خير لها بابان وحصن طين وقد شُقَّ لهم نهر من الفرات إلى حوض على باب بغداد وثَمَّ عيون عذبيّة وماءٌ آخر يجرونه عند باب البادية أيّام الحاجّ وهي سوق واحد الجامع فيه سُوراً مدينة بها فواكه كثيرة وأعناب آهلة وسائر المدن صغار آهلات وعَيْنُ التَّمْرِ حصينة في أهلها شَرَةٌ.

البَصْرَةُ قصبة سريّة أحدثها المسلمون أيّام عمر كتب إلى صاحبه أَبْنِ للمسلمين مدينةً بين فارس وديار العرب وحدّ العراق على بحر الصين فاتّفقوا على موضع البصرة ونزلها العرب ألا تراها إلى اليوم خططاً ثم مصَّرها عُتْبَة بن غَزْوَان وهي شبه طيلسان قد شُقَّ إليها من دجلة نهران نهر الأبلَّة ونهر مَعْقِل فإذا اجتمعا مدًّا عليها وتشعَّب إليها أنهار إلى ناحية عبّادان وناحية المَذَار فطولها ممتدٌّ على النهر ودورها في البرّ إلى البادية ولها من هذا الوجه باب واحد وهي من النهر إلى الباب نحو ثلاثة أميال.

وبها ثلاثة جوامع أحدها في الأسواق بهيٌّ جليل عامر آهل ليس بالعراق مثله على أساطين مبيَّضة، وجامع آخر على باب البادية وهو كان القديم وآخر على طرف البلد، وأسواقها ثلاث قطع الكَلَّاء على النهر وسوق الكبير وباب الجامع وكلُّ أسواقها حسنة.

والبلد أعجب إليَّ من بغداد لرفقها وكثرة الصالحين بها وكنتُ بمجلس جمع فقهاء بغداد ومشايخها فتذاكروا بغداد والبصرة فتفرّقوا على أنه إذا جمعت عمارات بغداد وأُنْدِرَ خرابها لم تكن أكبر من البصرة، وقد خرب طرف البصرة البرّيُّ، واشتقَّ اسمها من الحجارة السود كان يثقل بها مراكب اليمن فتلقى ثَمَّ، وقيل: لا بل حجارة رخوة تضرب إلى البياض، وقال قُطْرُب: من الأرض الغليظة، وحمّاماتها طيّبة

والأسماك والتمور بها كثيرة ذات لحم وخضر وأقطان وألبان وعلوم وتجارات غير أنها ضيّقة الماءِ منقلبة الهواءِ عفنة عجيبة الفتن.

والأُبُلَّةُ على دجلة عند فم نهر البصرة من قبل الشمال الجامع، أعلى القرية عامرة كبيرة أرفق من البصرة وأرحب.

وشِقُّ عُثْمَان بإزائها من نحو الجنوب الجامع في آخرها حسن، وسائر المدن على أنهار من جانبي دجلة عن يمين وشمال وجنوب وشمال كلُّهنَّ جليلات كبار.

عَبَّادَان مدينة في جزيرة بين دجلة العراق ونهر خوزستان على البحر ليس وراءَها بلد ولا قرية إلاّ البحر فيها رباطات وعُبَّاد وصالحون وأكثرهم صُنّاع الحُصر من الحلفاءِ غير أن الماءَ بها ضيّق والبحر عليها مطبق.

وَاسطُ قصبة عظيمة ذات جانبين وجامعين وجسر بينهما، كثيرة الخير ومعدن السمك جامع الحَجَّاج وقبّته في الغربيّ في طرف الأسواق بعيد عن الشطّ متشعّث عامر بالقرآن اختطّها الحجّاج وسمّيت وَاسِطَ لأنها بين قصبات العراق وبين الأهواز رفقة صحيحة الهواءِ عذبة الماءِ حسنة الأسواق واسعة السواد.

وقد جعل في طرفَي الجسر موضعان يدخل فيهما السفن، وفيهم ظرف وسائر مدنها صغار مختلّة أعمرها الطِّيب وقُرْقُوب إلاّ أن ناحيتها جيّدة، الصَّلِيق مدينة على بحيرة طولها أربعون فرسخاً يتّصل ضياعها بسواد الكوفة شديدة الحرّ كربة بليذة، بقٌّ مهلك، وعيش ضيّق، إدامهم السمك، وماؤُهم حميم، وليلهم عذاب، وعقلهم سخيف، ولسانهم قبيح مع ملح قليل، وكرب عظيم، إلاّ أنها معدن الدقيق، وسلطان رفيق، وماءٌ غزير، وسمك خطير، واسم كبير، وفي الحرب كلُّ صبور، وبالنهر كلُّ بصير، ولهم موضع يشاكل نهر الأبلّة حسن، يليها في الكبر الجامدة وهما من دجلة على ناحية وسائر المدن دونهما وهذه البطائح بحيرات ومياه. ثَمَّ مزارع وللعراق منها رفق عظيم.

بغداد في مصر الإسلام، وبها مدينة السلام، ولهم الخصائص والظرافه، والقرائح واللطافه، هواءٌ رقيق، وعلم دقيق، كلُّ جيّد بها، وكلُّ حسن فيها، وكلُّ حاذق منها، وكلُّ ظرف لها، وكلُّ قلب إليها، وكلُّ حرب عليها، وكلُّ ذبّ عنها، هي أشهر من أن توصف وأحسن من أن تنعت وأعلى من أن تمدح أحدثها أبو العبَّاس

السفّاح، ثم بنى المنصور بها مدينة السلام وزاد فيها الخلفاءُ من بعده ولمّا أراد بناءَ مدينة السلام سأل عن شتائها، وصيفها، والأمطار، والبقّ، والهواءِ، وأمر رجالاً حتّى يناموا فيها فصول السنة حتّى عرفوا ذلك، ثم استشار أهل الرأي من أهلها فقالوا: نرى أن تنزل أربع طساسيج في الجانب الشرقيّ بُوقَ وكَلْوَاذَى، وفي الغربيّ قَطْرَبُّلَ وبَادُورَيَا[1] فتكون بين نخل وقرب ماءٍ فإن أجدب طسُّوج، أو تأخَّرت عمارته كان في الآخر فرج وأنت على الصراة تجيئك الميرة في السفن الفراتيّة، والقوافل من مصر والشام في البادية، وتجيئك آلات من الصين في البحر، ومن الروم والموصل في دجلة فأنت بين أنهار لا يصل إليك العدوُّ إلاّ في سفينة أو على قنطرة على دجلة وفرات، فبناها أربع قطع مدينة السلام وبادُورَيَا والرُّصَافة وموضع دار الخليفة اليوم، وكانت أحسن شيءٍ للمسلمين، وأجلّ بلدٍ وفوق ما وصفنا حتّى ضعف أمر الخلفاءِ فاختلَّت، وخفّ أهلها.

فأما المدينة فخراب والجامع فيها يعمر في الجُمَع ثم يتخلَّلها بعد ذلك الخراب أعمر موضع بها قطيعة الربيع[2].

والكَرْخ في الجانب الغربيّ وفي الشرقيّ باب الطاق وموضع دار الأمير والعمارات والأسواق بالغربيّ أكثر والجسر[3] عند باب الطاق إلى جانبه بيمارستان

---

(١) بادوريا: بالواو والراء، ناحية من كورة الأستان بالجانب الغربي من بغداد. قيل: من استقلّ من الكتّاب ببادوريا استقل بديوان الخراج، ومن استقلّ بديوان الخراج استقل بالوزارة، وذاك لأن معاملاتها مختلفة وقصبتها الحضرة، والمعاملة فيها مع الأمراء والوزراء والقوّاد والكتّاب والأشراف ووجوه الناس. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣٧٧).

(٢) قطيعة الربيع: وهي منسوبة إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه وهو والد الفضل وزير المنصور، وكانت قطيعة الربيع بالكرخ مزارع الناس من قرية يقال لها بياوري من أعمال بادُوريا، وهما قطيعتان خارجة وداخلة، فالداخلة أقطعه إيّاها المنصور والخارجة أقطعه إياها المهدي، وكان التجار يسكنونها حتى صارت ملكاً لهم دون ولد الربيع، وقد نسب إلى قطيعة الربيع فيما زعم المحدّثون أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم بن معمّر بن الحسن الهروي القطيعي، بغدادي ثقة. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٢٨).

(٣) الجسر: بكسر الجيم، يريدون الجسر الذي كانت فيه الوقعة بين المسلمين والفرس قرب الحيرة، ويعرف أيضاً بيوم قس الناطف، وكان من حديثه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أمر خالد بن الوليد وهو بالعراق بالمسير إلى الشام لنجدة المسلمين، ويخلف بالعراق المثنى بن حارثة الشيباني، فجمعت الفرس لمحاربة المسلمين، وكان أبو بكر قد مات فسيّر المثنى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرّفه بذلك، فندب عمر الناس إلى قتال الفرس، فهابوهم، فانتدب أبو =

بناه عضد الدولة حصل في كلّ طسُّوج ممّا ذكرنا جامع وهي في كلّ يوم إلى وراء، وأخشى أنّها تعود كسامرًا، مع كثرة الفساد والجهل والفسق وجور السلطان، أخبرنا أبو بكر الإسماعيليُّ بجرجان.

قال حدَّثنا ابن ناجية قال حدَّثنا إبراهيم الترجمانيُّ قال حدَّثنا سيف بن محمَّد قال حدَّثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان النهديّ قال: كنتُ مع جرير بن عبد الله، فقال: أيُّ شيءٍ يدعى هذا النهر؟ قالوا: دجلة. قال: فهذا النهر الآخر؟ قالوا: دُجَيْل. قال: فهذا النهر؟ قالوا: صَرَاة. قال: فهذا النخل؟ قالوا: قَطْرَبُّل. قال: فركب فرسه وأسرع، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**تبنى مدينة بين دجلة ودُجَيْل**[1] **وقطربُّل والصراة تجبى إليها خزائن الأرض وجبابرتها يخسف بهم فهم أسرع هويًا في الأرض من الوتد الحديد في الأرض الرخوة**»، وأنهار الفرات تقلب في دجلة في جنوبيّها وما حاذى المدينة وما شماليّها دجلة حسب وتجري في هذه الشعب الفراتيّة السفن إلى الكوفة وفي دجلة إلى الموصل.

وذكر الشِمْشَاطيُّ في تاريخه أن المنصور لمّا أراد بناءَ مدينة السلام أحضر أكبر مَنْ عرف من أهل الفقه والعدالة والأمانة والمعرفة بالهندسة وكان فيهم أبو حنيفة النعمان ابن ثابت، والحجَّاج بن أَرْطاة، وحشر الصنَّاع والفَعَلَة من الشام والموصل والجبل وسائر أعماله وأمر بخطّها وحفر الأساسات في سنة ١٤٥، وتمَّت في سنة ١٤٩ وجعل عرض السور من أسفل خمسين ذراعاً وجعلها بثمانية أبواب أربعة داخلة صغار وأربعة خارجة كبار باب البصرة، وباب الشام وباب خراسان، وباب الكوفة وجعل الجامع والقصر وسطها، وقبلة جامع الرُّصَافة أصحُّ منه، ووجدتُ في بعض

= عبيد بن مسعود الثقفي والد المختار بن أبي عبيد في طائفة من المسلمين، فقدموا إلى بانقيا، فأمر أبو عبيد بعقد جسر على الفرات، ويقال: بل كان الجسر قديماً هناك لأهل الحيرة يعبرون عليه إلى ضياعهم فأصلحه أبو عبيد، وذلك سنة ١٣ هـ، وعبر إلى عسكر الفرس وواقعهم، فكثروا على المسلمين ونكوا فيهم نكاية قبيحة لم ينكوا في المسلمين من قبلها ولا بعدها مثلها، وقُتل أبو عبيد فيها. (معجم البلدان ج ٢/ ص ١٦٢).

(١) دُجَيْل: اسم نهر في موضعين أحدهما مخرجه من أعلى بغداد بين تكريت وبينها مقابل القادسية دون سامرّاء فيسقي كورة واسعة وبلاداً كثيرة، وقيل: هي قناة من دجلة كان أبو جعفر المنصور حين بنى بغداد أخرج من دجلة دجيلاً ليسقي تلك القرى كلها، حفرها في دجلة في عقود وثيقة من أسفلها محكمة بالصاروج والآجر من أعلاها معقودة وعليها عقد وثيق، وسمّاها دجيلاً. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٥٠٥).

خزائن الخلفاءِ أن المنصور أنفق على مدينة السلام أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً لأن أجرة الأستاذ كانت قيراطاً والروزكاري حبّتين.

النَّهْرَوَان مدينة ذات جانبيّن الشرقيُّ أعمر رحبة عامرة بينهما الجسر الجامع في الجانب الشرقيّ والحاجُّ ينزلون على هذا الشطّ الدَّسْكَرَة مدينة صغيرة سوقها واحد طويل الجامع أسفله غامٌ بآزاج جَلُولاَ حولها أشجار غير حصينة وهذه المدن وخانقين على جادّة حلوان ليس لهنَّ بهاءٌ ولا هنَّ لاثقات ببغداد وصَرْصَر أيضاً كبعض قرى فلسطين النهر إلى جانبها وكذلك نهر المَلِك والصَّراة[١] قرى.

وأما قصر هُبَيْرة فمدينة كبيرة جيّدة الأسواق يجينهم الماءُ من الفرات كثيرة الحاكة واليهود والجامع في السوق.

وبَابِلُ صغيرة نائية عن الطريق والجادّة على جسرها، وسائر مدن هذا الوجه على ما وصفنا مثل النّيل وعَبْدَس وكُوثَا.

ومدينة إبراهيم كوثاربّاوثَمَّ تلال قالوا: هي رماد نار نمرود.

ويقرب كوثا الطريق شبه منارة لهم فيها كلام وليس على دجلة من نحو واسط مدينة أجلُّ من دَيْر العَاقُول كبيرة عامرة آهلة الجامع ناءٍ عن السوق والأسواق متشعّبة جيّدة تشاكل مدن فلسطين[٢]، تليها في الكبر جَبُّل عامرة آهلة الجامع في السوق لطيف، ثم النُّعْمَانيّة صغيرة الجامع في السوق، ثم جَرْجَرَايَا وقد كانت عظيمة وهي اليوم مختلّة متقطّعة العمارة الجامع بقرب الساحل عامر ولهم ماءٌ يدور حول قطعة من المدينة، وهذه المدن التي ذكرنا على غربيّ دجلة وسائر المدن صغار، وفي وجه سامرًا مدينة عُكْبَرَا وهي كبيرة عامرة كثيرة الفواكه جيّدة الأعناب سريّة.

---

(١) الصَّراة: بالفتح، قال الفراء: يقال هو الصَّرَى، والصَّرى للماء يطول استنقاعه، فقال أبو عمرو: إذا طال مكثه وتغيّر، وهو نهر يأخذ من نهر عيسى من عند بلدة يقال لها المحوّل بينها وبين بغداد فرسخ، ويسقي ضياع بادوريا، ويتفرّع منها أنهار إلى أن يصل إلى بغداد فيمرّ بقنطرة العباس، ثم قنطرة الصبييات، ثم القنطرة الجديدة، ويصب في دجلة، ويقال: إن بني ساسان هم الذين حفروا الصراة العظمى بعدما أبادوا النبط قرب مدينة المنصور (بغداد). (معجم البلدان ج ٣/ ص ٤٥٣).

(٢) فِلسطين: وهي آخر كور الشام من ناحية مصر، قصبتها البيت المقدّس ومن مشهور مدنها عسقلان، والرملة، وغزّة، ونابلس، وأريحا، ويافا. قيل: إنما سميت بفلسطين بن سام بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٣١١).

وأما المَدَايِنُ فهي من نحو واسط عامرة بناؤهم من الآجرّ والجامع في السوق، ومن نحو الشّرق أسبانير، ثم قبر سَلْمان وإيوان[1] كسرى[2]، فهذه مدن بغداد وبخراسان قرى كثيرة أجلّ من أكثر هذه المدن.

سَامَرَّا كانت مصراً عظيماً ومستقرَّ الخلفاءِ في القديم اختطَّها المعتصم، وزاد فيها بعده المتوكّل وصارت مرحلة وكانت عجيبة حسنة حتّى سمّيت سُرُورَ مَن رَأَى ثم اختصر فقيل سُرَّمَرَّى وبها جامع كبير كان يختار على جامع دمشق قد لبست حيطانه بالمِينَا وجعلت فيه أساطين الرخام وفرش به وله منارة طويلة وأمور متقنة وكانت بلداً جليلاً والآن قد خربت يسير الرجل الميلين والثلاثة لا يرى عمارة وهي من الجانب الشرقيّ وفي الغربيّ بساتين.

وكان قد بنى ثَمَّ كعبة وجعل طوافاً واتّخذ منى وعرفات غرَّ به أمراءَ كانوا معه لمّا طلبوا الحجّ خشية أن يفارقوه فلمّا خربت وصارت إلى ما ذكرنا سمّيت ساءَ مَن رأى ثم اختصرت فقيل سَامَرَّا.

والكَرْخ مدينة متّصلة بها وأعمر منها من نحو الموصل وسمعتُ يوماً القاضي أبا الحسين القزوينيَّ يقول: ما أخرجت بغداد فقيهاً قطُّ إلاّ أبا موسى الضرير.

قلتُ: فأبو الحسن الكرخيُّ، قال: لم يكن من كرخ بغداد وإنّما كان من كرخ سامرَّا.

والأَنْبَارُ مدينة كبيرة أوّل ما نزل المنصور بها وثَمَّ داره وقد خفَّت. وهِيتُ كبيرة عليها سور على الفرات بقرب البادية.

تِكْرِيتُ كبيرة معدن السمسم وصنّاع الصوف وللنصارى بها دير بقصد. وعَلْثُ مدينة كبيرة يجرُّ إليها نهر من دجلة وآبارها قريبة حلوة آهلة كثيرة الأجلّة.

والسِّنُّ كبيرة على دجلة عليها من الشرق نهر الزاب والجامع في الأسواق

---

(١) إيوان: جمعها إيوانات وأواوين، وهو المكان المتّسع من البيت يحيط به ثلاثة حيطان، أو القصر ومنه إيوان كسرى. (المنجد في اللغة والأعلام، مادة: ايو).

(٢) كسرى: هو أنوشروان، أو خسرو أنوشروان، ملك ساساني، ٥٣١ ـ ٥٧٩ م، هو ابن قباذ، حارب يوستينيانوس واحتلّ أنطاكية. عقد هدنة مع البيزنطيين سنة ٥٥٥ م. استولى على اليمن سنة ٥٧٠ م، واشتهر بعدله وإصلاحاته. (المنجد في اللغة والأعلام ٤٦٣).

بناؤهم حجارة والجبال منها قريبة على تخوم أقور، ومدن سامرًا أجلُّ من مدن بغداد.

حُلْوَانُ قصبة صغيرة سهليّة جبليّة يحيط بها بساتين وأعناب وتين قريبة من الجبال ولها سوق طويل وحصن عتيق ونهر صغير وقهندز فيه الجامع ولها ثمانية دروب: درب خراسان، درب الباقات، درب المصلّى، درب اليهود، درب بغداد، درب برقيط، درب اليهودية، درب ماجكان.

وثَمَّ كنيسة اليهود يعظّمونها خارج البلد من الجصّ والحجارة، وبيت المقدس أكبر وأجلُّ وأعمر وأظرف وأكثر مشايخ وعلماءَ منها، ومدائن هذه الكورة صغار خراب لا يسوى ذكرها.

وأما دجلة فإنها ماءٌ أنثى لطيف جيّد للمتفقّهة وكان أبو بكر الجصّاص يأمر أن يحمل له الماءُ من فوق نهر الصَّرَاة قبل أن يلقاه الفُرَات وهذه دجلة تظهر من أقور وسنذكر أصلها فيه ثم يلقاها عدّة من الأنهار في هذا الإقليم وينحدر عليها من الفرات بكورة بغداد أربعة أنهار الصَّرَاة نهر عِيسَى نهر صَرصر نهر المَلِك ويلقاها من الشرق مياه النَّهْرَوَانات تحت بغداد فإذا جاوزت واسط تبطّحت وصعب سلوكها في تخوم البصرة، والسفن فيها أبداً شبالاً وزقاقاً، ولهم في ذلك رفق والناس ببغداد يذهبون ويجيئون ويعبرون في السفن وترى لهم جلبة وضوضاءَ وثلثاً طيب بغداد في ذلك الشطّ.

وأما الفُرَاتُ فإنه نهر ذَكَرٌ فيه صلابة وأصله من بلد الروم يتقوّس على طائفة من هذا الإقليم ثم يصل إلى الكوفة بعدما تشعّب ثم ينحدر إلى غربيّ واسط فيتبطّح في بحيرة عظيمة يحيط بها قرى عامرة ولا يُجاوزها وتجري فيه السفن من الرقّة.

واعلم أن العراق ليس ببلد رخاءٍ ولكن جلَّ وعَمُرَ بهذين النهرين وما يحمل فيهما وببحر الصين المجاور له واختصّت بغداد برقّة الهواءِ الذي لا يرى مثله بلى قُلْ في البصرة ما شئتَ من مياهها وبركها ومدّها وجزرها، أخبرنا أبو الحسن مطهّر بن محمّد برَامَهُرْمُزَ.

قال حدَّثنا أحمد بن عمرو بن زكريّاءَ قال حدَّثنا الحسن بن عليّ بن بحر قال حدَّثنا أبو شعيب القيسيُّ قال حدَّثني أشرس قال: سألتُ ابن عبَّاس عن الجزر والمدّ.

قال: ملك موكَّل بقاموس البحر إذا وضع رجله فاض فإذا رفع رجله غاض الماءُ.

والجزر والمدُّ أعجوبة على أهل البصرة ونعمة يزورهم الماءُ في كلّ يوم وليلة مرّتين ويدخل الأنهار ويسقي البساتين ويحمل السفن إلى القرى فإذا جزر أفاد أيضاً عمل الأرحية لأنها على أفواه الأنهار فإذا خرج الماءُ أدارها ويبلغ المدُّ إلى حدود البطائح وله وقت يدور مع دور الأهلّة.

جمل شؤون هذا الإقليم

هواءُ هذا الإقليم مختلف فبغداد وواسط وما دخل في هذا الصقع بلد رقيق الهواء سريع الانقلاب ربّما توهّج في الصَّيف وآذى، ثم انقلب سريعاً، والكوفة بخلافه ويكون بالبصرة حرٌّ عظيم غير أن الشمال ربّما هبّت فطاب، وقرأتُ في أخبار البصرة عيشنا في البصرة عَيْش ظريف، إن هبّت شمال فنحن في طيب وريف، وإن كانت جنوب فإنّا في كنيف، ورأيتُهم إذا كانت جنوب في ضيق صدر يلقى الرجل صاحبه فيقول: ألا ترى ما نحن فيه فيجيبه نرجو من الله الفرج، وربّما نزل عليهم شبيه الدبس بالليل.

وحُلْوان معتدلة الهواء والبطائح نعوذ بالله منها ومَنْ شاهدها في الصيف رأى العجب إنّما ينامون في الكِلَل وثَمَّ بقٌّ له حُمَة كالإبرة إنّما هي نحره، والمدينة كثيرة الفقهاء، والقرّاء، والأدباء، والأئمّة، والملوك بخاصّيّة بغداد والبصرة وللمذكّرين به أدنى صيت، ويحمل إليهم الثلج من البعد وهو بارد في الشتاء ربّما جمد الماءُ في البصرة وجميع بغداد، وأهل الكوفة والبصرة سمر.

وبه مجوس كثيرة وذمّته نصارى ويهود، وقد حصل به عدّة من المذاهب، الغلبة ببغداد للحنابلة والشيعة مع جليلة فقهاء العراقَيْن بالأعوام.

وبه مالكيّة، وأشعريّة، ومعتزلة، ونجّاريّة، وبالكوفة الشيعة إلاّ الكُنَاسة[1] فإنها سُنّة.

---

(١) الكُنَاسَة: بالضم، والكَنْس: كسح ما على وجه الأرض من القُمام، والكناسة ملقى ذلك: وهي محلة بالكوفة عندها واقع يوسف بن عمر الثقفي زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٥٤٦).

وبالبصرة مجالس وعوامُّ السالميّة وهم قوم يدّعون الكلام والزهد وأكثر المذكّرين بها منهم ولا يتعاطون الفقه فمن تفقّه منهم تفقّه لمالك وذكروا أن صاحبهم ابن سالم كان يتفقّه لأبي حنيفة، وسالم كان غلام سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ ورأيتُهم قوماً فيهم رزق وصالحون إلاّ أنهم يفرطون في إطراءِ صاحبهم، وقد اختلفتُ إليهم المدّة المديدة، وعرفتُ سرائرهم، وحللتُ من قلوبهم لأنّي رجل أحبُّ أهل النسك وأميل إلى أهل الزهد كائناً ما كانوا، ولهم رقّة في الكلام وتصانيف وترفّع مجالسهم ويبعد خلافهم.

وأكثر أهل البصرة قدريّة وشيعة وثَمَّ حنابلة، وببغداد غالية يفرطون في حُبّ معاوية، ومشبّة، وبربهاريّة، وكنتُ يوماً بجامع واسط، وإذا برجل قد اجتمع عليه الناس فدنوتُ منه فإذا هو يقول: حدَّثنا فلان عن فلان عن النبيّ ﷺ: أن الله يدني معاوية يوم القيامة فيجلسه إلى جنبه ويغلّفه بيده ثم يجلوه على الخلق كالعروس. فقلتُ له: بمَ ذا بمحاربته علياً رضي الله ـ عن معاوية ـ وكذبتَ أنت يا ضالُّ، فقال: خذوا هذا الرافضيّ، فأقبل الناس عليَّ، فعرفني بعض الكتبة فكركرهم عنّي.

والغالب على فقهاء هذا الإقليم وقضاته أصحاب أبي حنيفة وكنتُ يوماً في مجلس أبي محمّد السيرافيّ فقال: أنت رجل شاميٌّ وأهل ناحيتك أصحاب حديث يتفقّهون للشافعيّ فلمَ تفقّهتَ لأبي حنيفة؟ قلتُ: لخلال ثلاثٍ أيّد الله الفقيه. قال: وما هنَّ؟ قلتُ: أما واحدة فإنّي رأيتُ اعتماده على قول عليّ رضي الله عنه، وقال النبيُّ ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها»[1]، وقال: «أقضاكم عليٌّ»[2] يعني أفقهكم، وعلى قول عبد الله بن مسعود، وقال عليه الصلاة والسلام: «رضيتُ لأمّتي ما رضي لها ابن أمّ عبد»[3]، وقال: «كنيف مُلئَ علماً»[4]، وقال: «خذوا ثلثي دينكم عن ابن أمّ عبد»[5]، وعلم أهل الكوفة عن هذين الرجلين لا محالة.

والخلّة الثانية: رأيتُه أقدم الأئمّة، وأقربهم إلى الصحابة، وأورعهم،

---

(١) ذكره الحاكم في المستدرك (٣: ١٦٢).
(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١: ١٨٤).
(٣) ذكره الحاكم في المستدرك (٣: ٣١٧).
(٤) ذكره الحاكم في المستدرك (٣: ٣١٧).
(٥) ذكره الحاكم في المستدرك (٣: ٣١٧).

وأعبدهم. وقد قال: «عليكم بالعتيق»[1]، وقال النبيُّ ﷺ: «خياركم القرن الذي أنا فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب»، وكان في زمن الصدق والصادقين.

والخلَّة الثالثة: رأيتُ الجميع قد فارقوه في مسألة أصاب فيها عياناً وأخطأوا. قال: وما هي؟ قلتُ: قد علم الشيخ أن من مذهبه أنه لا يجوز أخذ الأجرة على القُرَبِ، ورأيتُ من حجَّ بأجرة انتكس قلبه، فإن عاد ازداد نكوساً، وقلَّ ورعه حتَّى ربَّما أخذ الحجَّتين والثلاث، ولم أر لهم بركة، ولا جمعوا منه مالاً قطُّ، وكذلك الأئمَّة، والمؤذِّنون، ونظائرهم لأنهم استحقُّوا أجرهم على الله فأخذوه من خَلقه. قال: لقد دقَّقتَ النظر يا مقدسيُّ واحْتطتَ لنفسك.

فإن قال قائل: أبو حنيفة مطعون عليه، قيل له: اعلم أن الخلق على ثلاثة ضروبٍ: ضرب قد أجمع الناس على سدادهم، وضرب قد أجمع الجمهور على فسادهم، وضرب قد مدحهم بعضٌ وذمَّهم بعض، وهم أفضل الثلاثة، فخذ قياسهم من الصحابة فالمحمودون: ابن مسعود، ومعاذ، وزيد. والمذمومون: عبد الله بن أُبَيّ. والأفضلون: الخلفاءُ الأربعة.

وقد علمتَ ما يقول فيهم الخوارج وجهَّال الشيعة. فأبو حنيفة إن كان طائفة من الحمقى يذمُّونه فخلائف من أهل الفضل يدعون له ويحمدونه مع ما فتح الله على قلبه حتَّى فرَّع الشريعة وأراح الخليقة، ثم اختياره الضرب والسجن على القضاءِ فمثل أبي حنيفة لا يرى.

والقراءات السبع مستعملة في الإقليم وكانت في القديم ببغداد حروف حمزة، وحروف يعقوب الحضرميّ بالبصرة، ورأيتُ أبا بكر الجرتكيَّ يؤمُّ بها في الجامع ويذكر أنها قراءة المشايخ ولغاتهم مختلفة أصحُّها الكوفيَّة لقربهم من البادية ويُعدهم عن النبط، ثم هي بعد ذلك حسنة فاسدة بخاصَّة بغداد، وأما البطائح فنبط لا لسان ولا عقل.

ولا بأس بالتجارات فيه ألم تسمع بخزّ البصرة وبزّها وطرائفها وبارزّها هي معدن اللآلي والجواهر وفرضة البحر ومطرح البرّ وبها يصنع الراسُخْت والزنجفر

(١) أخرجه الدارمي في السنن (مقدمة ١٩).

والزنجار والمرداسنج ومنها تحمل التمور إلى الأطراف والحنّاءُ ولهم خزٌّ وبنفسج وماورد، وبالأبلّة تعمل ثياب الكتّان الرفيعة على عمل القصب، وبالكوفة عمائم الخزّ والبنفسج في غاية الجودة، وبمدينة السلام الطرائف وألوان ثياب القزّ وغير ذلك وبه عبّادانيٌّ حسن وسامان رفيع.

ومن خصائصهم بنفسج الكوفة وأزاذها ومحكم بغداد وطرائفها ومَعْقِليُّ البصرة وتين حلوان وشِيمُ واسط وبَنِّيُّها، ويصنع بالنعمانيّة أكسية وثياب صوف عسليّة حسنة وببغداد أزر وعمائم يكانكي رفيعة ومناديل القصريّة والبُوَيْبيّة وصوف تكريت والستور الواسطيّة ومكاييلهم القفيز ثلاثون منا والمكّوك خمسة أمناء والكيلجة منوان ورطلهم نصف المنّ ونقودهم بالوزن غير أن سنجهم أشفُّ من الخراسانيّة.

من رسومهم التجمُّل والتطيلس يكثرون التنقُّل وتسطيل العمائم ولبس الشروب أقلّ ما يقوّرون الطيالسة، وإذا كان بوقت حمل التمر الحديث إلى واسط نظر أوّل سفينة تصل فيزين لها ذلك البيّعُ الشطَّ إلى دكّانه بالأنماط والستور، ويجعلون على جنائز النساءِ قباباً عالية وحشةً، وللهرّاسين مواضع فوق دكاكينهم فيها الحصر والموائد والمُرِي وخدام وطشوت وأباريق وأشنان فإذا انحدر الرجل دفع دانقاً، وإذا كان أوّل البنفسج داروا به في الأسواق وتجمَّلوا عليه، وعلى أبواب الجامع مياضئ بالكرى.

ويلبس الخطباءُ الأقبية والمناطق ولا يطرّبون في الأذان ولهم رسوم كثيرة حسان وأكثر مياههم ماءُ دجلة والفرات والزاب والنهروانات.

ومنها سقي مزارعهم والماءُ بالبصرة ضيّق لأنه يحمل في السفن من الأبلّة وأما الماءُ الملاصق لها فغير حلو ولا طيّب ويقال فيه ثُلْثه ماءُ البحر وثلثه ماءُ الجزر وثلثه ماءُ الحجر لأن الماءِ إذا جزر شمَّرت شطوط الأنهار فبلذ الناس عليها ثم يقبل المدُّ فيحمل تلك البلاذات، وإذا هبَّت الجنوب سخن الماءُ.

تقع عصبيات وحشة بالبصرة بين الرَّبَعيّين وهم شيعة وبين السعديّين وهم سنّة ويدخل فيها أهل الرساتيق وقلَّ بلدٍ إلاّ وبه عصبيّات على غير المذهب.

والمشاهد به كثيرة بكُوثًا وُلد إبراهيم وأوقدت ناره وبالكوفة بنى نوح سفينته وفار تنّوره وثمّ آثارات عليّ وقبره وقبر الحسين ومقتله، وبالبصرة قبر طلحة وزبير

وأخي النبيّ ﷺ والحسن البصريّ وأنس بن مالك وعمران بن حصين وسفيان الثوريّ ومالك بن دينار وعتبة الغلام ومحمّد بن واسع وصالح المُرّيّ وأيّوب السختيانيّ وسهل التستريّ ورابعة العدويّة.

وثَمّ قبر ابن سالم، وببغداد قبر أبي حنيفة قد بنى عليه أبو جعفر الزمّام صفّة، وقبر إلى جانبه خلف سوق يحيى، وقبر أبي يوسف في مقبرة قريش، وقبر أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخيّ، وبشر الحافي وغيرهم، وقبر سَلْمان بالمداين، وبالكوفة قبر نبيّ أظنّه يونس عليه الصلاة والسلام.

وفي أخلاقهم وطاءٌ وهم أهل الظرف غير أن العيّارين إذا تحرّكوا ببغداد هلّكوا والفساد كثير وبالبصرة صالحون وزهّاد وورعون ومستورون ويؤخّرون الظهر ويعجّلون العصر ويستقرّون بالجامع ليجتمع الناس من الأطراف ويخطب الإمام كلّ غداة ويدعو قالوا هي سنّة ابن عبّاس رضي الله عنه.

وأما الولايات فهي مستقرّ خلفاء ولد العبّاس رضي الله عنه وكان أبداً الأمر أمرهم حتّى ضعفوا وغلب عليهم الديلم والآن لا يرون ولا يلتفت إلى رأيهم، فأوّلهم كان أبو العبّاس عبد الله بن محمّد بن عليّ بن العبّاس، بويع له سنة ١٣٢ ومات سنة ١٣٦ بالأنبار وكان قاضيه يحيى بن سعيد الأنصاريّ، ثم بويع للمنصور أبي جعفر عبد الله بن محمّد سنة ١٣٦ ومات سنة ١٥٨ وكان قاضيه عبيد الله بن صفوان وشريك والحسن بن عمارة، ثم جلس بعده المهديّ أبو عبد الله بن المنصور سنة ١٥٨ وكان قاضيه محمّد بن عبد الله بن علاقة وعافية ابن يزيد توفّي سنة ١٦٩، وبويع للهادي أبي محمّد موسى بن المهديّ وكان قاضيه أبو يوسف وسعيد بن عبد الرحمٰن توفّي سنة ١٧٠، وجلس بعده الرشيد أبو جعفر هارون بن المهديّ ليلة الجمعة رابع عشر ربيع الأوّل سنة ١٧٠ قاضيه الحسين بن الحسن الصوفيّ ثم عون بن عبد الله المسعوديّ وحفص بن غياث مات بطوس سنة ١٩٣، فبويع للأمين محمد ابنه لسبع خلون من جمادي الآخرة سنة ١٩٣، ثم خرج إليه أخوه المأمون فقتله، وبويع له سنة ١٩٨ قضاته الواقديّ ومحمّد بن عبد الرحمٰن المخزوميّ ثم بشر بن الوليد، ثم يحيى بن أكثم وتوفّي سنة ٢١٨ بطَرَسُوس، وبويع لأبي إسحاق محمّد بن الرشيد المعتصم قاضيه أحمد بن أبي دؤاد ومات سنة ٢٢٧، ثم بويع لابنه الواثق أبي جعفر هارون قاضيه أحمد بن أبي دوأد توفّي سنة ٢٣٢ فبويع لأخيه أبي الفضل جعفر

المتوكّل قاضيه جعفر بن عبد الواحد الهاشميُّ وتوفي سنة ٢٤٧ فبويع لابنه المنتصر أبي جعفر محمَّد قاضيه جعفر بن عبد الواحد توفّي سنة ٢٤٨، ثم بويع لابنه أبي العبَّاس أحمد المستعين قاضيه جعفر بن محمَّد ابن عمَّار ثم خلع نفسه بعد ثلاث سنين وثمانية أشهر.

وبويع للمعتزّ بن المتوكّل قاضيه الحسن بن محمَّد بن أبي الشوارب، ثم بويع للمعتمد أبي العبَّاس أحمد بن المتوكّل سنة ٢٥٦ قاضيه ابن أبي الشوارب ومات سنة ٢٧٩، ثم بويع لابنه أبي العبَّاس أحمد بن أبي أحمد المعتضد قاضيه إسماعيل بن إسحاق ويوسف بن يعقوب وابن أبي الشوارب توفّي سنة ٢٨٩، ثم بويع ابنه أبو محمَّد عليٌّ المكتفى قاضيه يوسف بن يعقوب وابنه محمَّد توفي سنة ٢٩٥، ثم بويع ابنه أبو الفضل جعفر المقتدر بالله قاضيه محمَّد بن يوسف بن يعقوب ثم ابنه يوسف ثم يعقوب أبو عمرو قتل سنة ٣٢٠.

ثم جلس القاهر سنة وستَّة أشهر ثم الراضي سبع سنين وعشرة أيَّام ثم المتَّقي ثلاث سنين وأحد عشر شهراً ثم المستكفي سنة ٣٣٣ قاضيه أبو عبد الله ابن أبي موسى الضرير ثم كُحل سنة ٣٣٤، وأجلسوا المطيع أبا القاسم الفضل وكلُّ هؤلاء أبناءُ المعتضد فبقي له الأمر إلى سنة٣٦٣، ثم خلع نفسه وأجلس ابنه عبد الكريم أبا بكر الطائع قاضيه أبو محمَّد عبيد الله بن أحمد بن معروف وأوّل من استولى من الديلم أبو الحسن ابن بُوَيْه، ثم ابنه بختيار ثم عضد الدولة ثم ابنه بلكارزار ثم ابنه الأكبر أبو الفوارس.

وأما الخراج فاعلم أن جُرْبان هذا الإقليم ستَّة وثلاثون ألف ألف جريب على جريب الحنطة أربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمان، وعلى جريب النخل ثمانية دراهم هذا ما قدَّره عمر وختم على خمسمائة ألف من الجوالي فبلغ جباية السواد مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم ثم جبا عمر بن عبد العزيز مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم وجبا الحجَّاج ثمانية عشر ألف ألف ليس فيها مائة ألف ألف.

وأما البصرة والكوفة فعشريَّة، وقرأتُ في كتاب بخزانة عضد الدولة أن أثمان غوالّ السواد ستَّة وثمانون ألف ألف وسبعمائة ألف وثمانون ألف درهم ومن أبواب المال بالسواد أربعة آلاف ألف وثمانية آلاف درهم وخراج دجلة ثمانية آلاف ألف وخمسمائة ألف درهم.

والعراق يفصّل بالطساسيج وهي ستّون لكورة حلوان خمسة ولشاذقُبَاذ ثمانية ولبرماسيان ثلاثة ولبِهقُبَاذ الأعلى ستّة وللأوسط أربعة ولأردشير بابكان خمسة ولشاذسابُور أربعة ولشاذبَهْمَن أربعة ولاستان العالِ أربعة ولبهقباذ الأسفل خمسة، ولشاذهُرْمُز سبعة، وللنهروانات خمسة.

وأما الضرائب فثقيلة كثيرة محدثة في النهر والبرّ وفي البصرة تفتّش صعب وشوكات منكرة وكذلك بالبطائح تقوّم الأمتعة وتفتّش.

وأما القرامطة فلهم ديوان على باب البصرة وللديلم ديوان آخر حتّى أنه يؤخذ على الغنمة الواحدة أربعة دراهم ولا يفتح إلاّ ساعة من النهار، وإذا رجع الحاجّ مكسواً أحمال الأدم والجمال الأعرابيّة وكذلك بالكوفة وبغداد ويؤخذ من الحاجّ للمحمل ستّون ومن الكنيسة أو حمل البزّ مائة ومن العمّاريّة خمسون ومائة بالبصرة والكوفة.

ومساحة العراق طولاً من البحر إلى السنّ مائة فرسخ وخمسة وعشرون وعرضه من العُذيب إلى عَقبَة حُلْوَان ثمانون فإذا كسرته كان عشرة آلاف فرسخ.

وأما المسافات فتأخذ من بغداد إلى نهر الملك مرحلة ثم إلى القصر مرحلة ثم إلى حمّام ابن عمر مرحلة ثم إلى الكوفة مرحلة ثم إلى القادسيّة مرحلة.

وتأخذ من بغداد إلى المداين مرحلة ثم إلى السيب مرحلة ثم إلى دير العاقول مرحلة ثم إلى جرجرايا مرحلة ثم إلى النعمانيّة مرحلة ثم إلى جبُّل مرحلة ثم إلى سابس مرحلة ثم إلى مَطَارة بريدين ثم إلى الحارله مثلها ثم إلى الإسحاقيّة مرحلة ثم إلى المحراقة بريدين ثم إلى الحدّاديّة مثلها ثم إلى ترمانة مرحلة ثم إلى واسط مرحلة، وإن شئتَ فخذ من الحدّاديّة إلى الزبيديّة[1] مرحلة ثم إلى واسط بريدين، ومن المحراقة إلى الجامدة بريدين ومن الحدّاديّة إلى الصِّلِيق بريدين.

وتأخذ من البصرة إلى الأبلّة بريدين ثم إلى بَيَان مرحلة ثم إلى عبّادان مرحلة. وتأخذ من بغداد إلى السَّيْلَحِين[2] بريدين ثم إلى الأنبار مرحلة ثم إلى الربّ مرحلة ثم

(١) الزبيدية: قرية بالجبال بين قرميسين ومرج القلعة، بينها وبين كلّ واحد منهما ثمانية فراسخ. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٤٩).

(٢) السالحين: والعامة تقول صالحين، وكلاهما خطأ وإنما هو السيلحين قرية قرب الحيرة ضاربة في =

إلى هيت مرحلتين وتأخذ من بغداد إلى البَرَدَان[1] بريدين ثم إلى عكبرا مرحلة ثم إلى باحَمْشَا[2] نصف مرحلة ثم إلى القادسيّة مرحلة ثم إلى الكَرْخ مرحلة ثم إلى جَبِلْتَا مرحلة ثم إلى السودقانية مثلها. ثم إلى بَارِمَّا مثلها ثم إلى السِّنّ مثلها.

وتأخذ من بغداد إلى النهروان[3] بريدين ثم إلى دير بازما مثلها ثم إلى الدَّسْكَرة مرحلة ثم إلى جلُولا مرحلة ثم إلى خانقين مرحلة.

وتأخذ من هيت إلى النَّاوُوسَة مرحلة ثم إلى عانة مرحلة ثم إلى آلُوسَة مرحلة ثم إلى الفُحَيمة مرحلة ثم إلى الحديثة مرحلة ثم إلى النهية مرحلة.

وتأخذ من حلوان إلى ماذرواستان بريدين ثم إلى المَرْج مرحلة ثم إلى قصر يزيد بريدين ثم إلى الزُّبَيْدِيَّة مرحلة ثم إلى قصر عمرو مرحلة ثم إلى قَرْماسِينَ نصف مرحلة. وتأخذ من حلوان إلى قصر شيرين[4] مرحلة ثم إلى خانقين مرحلة.

= البر قرب القادسية. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٣٩).

(١) قنطرة البَرَدان: وهو محلة في بغداد بناها رجل يقال له السَّرِيّ بن الحطم صاحب الحطميّة قرية قرب بغداد، ينسب إليها كثير من أهل العلم. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٥٩).

(٢) باحَمْشَا: بسكون الميم، هي قرية بين أوانا والحظيرة، وكانت بها وقعة للمطّلب في أيام الرشيد وهو المطّلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣٧٥).

(٣) النهروان: بالكسر والفتح وأكثر ما يجري على ألسنة الناس الكسر أي كسر النون، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدّها الأعلى من الجانب الشرقي حدّها الأعلى متّصل ببغداد وفيها بلاد متوسطة عدّة، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج مشهورة. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٧٥).

(٤) قصر شيرين: بكسر الشين، وشيرين بالفارسية تعني الحُلو، وهو اسم حظية كسرى أبرويز، وكانت من أجمل خلق الله، والفرس يقولون: كان لكسرى أبرويز ثلاثة أشياء لم يكن لملك قبله ولا بعده مثلها: فرسه شبديز، وجاريته شيرين، ومغنّيه وعوّاده بلهبذ. وقصر شيرين موضع قريب من قرميسين بين همذان وحُلوان في طريق بغداد إلى همذان، وفيه أبنية عظيمة شاهقة يكلّ الطَّرْف عن تحديدها، ويضيق الفكر عن الإحاطة بها، وهي إيوانات كثيرة متّصلة، وخلوات، وخزائن، وقصور، وعقود، ومتنزهات، ومستشرقات، وأروقة، وميادين، ومصايد، وحُجرات تدلّ على طول وقوّة. قال محمد بن أحمد الهمذاني: كان السبب في بناء قصر شيرين، وهو أحد عجائب الدنيا، أن أبرويز الملك وكان مقامه بقرميسين أمر أن يبنى له باغ يكون فرسخين في فرسخين وأن يحصّل فيه من كلّ صيد حتى يتناسل جميعه ووكّل بذلك ألف رجل، وأجرى على كل رجل في كل يوم خمسة أرغفة من الخبز، ورطلين لحماً، ودورق خمر، فأقاموا في عمله وتحصيل صيوده سبع سنين حتى فرغوا من جميع ذلك، فلمّا تمّ واستحكم صاروا إلى البلهبذ المغنّي وسألوه أن يخبر الملك بفراغهم ممّا أمروا به، فقال: أفعل. فعمل صوتاً وغنّاه به، وسمّاه باغ نخجيران، أي=

وتأخذ من الأبلّة إلى الخمزيّة مرحلة في الماء. ومن الأبلّة إلى نهر دُبًا مرحلة ثم إلى فم العَضُديّ مرحلة وعسكر أبي جعفر بإزاءِ الأبلّة يُعبر إليه.

وسمّيت واسط لأن منها إلى بغداد أو إلى الكوفة أو إلى البصرة أو إلى حلوان أو إلى الأهواز خمسين خمسين فرسخاً وليست وسط العراق إنّما وسطه دير العاقول والطريق من الكوفة.

= بستان الصيد، فطرب الملك عليه وأمر للصنّاع بمال، فلما سكر قال لشيرين: سليني حاجة، فقالت: حاجتي أن تُصَيِّر في هذا البستان نهرين من حجارة تجري فيهما الخمور، وتبني لي بينهما قصراً لم يُبنَ في مملكتك مثله، فأجابها إلى ذلك وكان السكر قد غلب عليه فأنسي ما سألته، ولم تجسر أن تذكّره به، فقالت لبلهبذ: ذكّره حاجتي ولك عليّ أن أهب لك ضيعتي بأصبهان، فأجابها إلى ذلك وعمل صوتاً ذكّره فيه ما وعد به شيرين وغنّاه إيّاه، فقال: أذكرتني ما كنتُ قد أُنسيته، وأمر بعمل النهرين، وبناء القصر بينهما، فبُني على أحسن ما يكون وأحكمه، ووفت لبلهبذ بضمانها، فنقل عياله إلى هناك. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٠٧).

إقليم أَقُور

هذا أيضاً إقليم نفيس ثم له فضل لأن به مشاهد الأنبياء ومنازل الأولياء به استقرّت سفينة نوح على الجُوديّ وبه سكن أهلها وبنوا مدينة ثَمَانِين وبه تاب الله على قوم يونس وأخرج منه العَين، ومنه دخل الظُلمات ذو القرنين، وبه كانت عجائب جرجيس مع داذيانه وفيه أنبت الله تعالى ليونس اليَقْطينَة ومنه خرج نهر الملّة المبارك المذكور دجلة أليس به مسجد يونس بتَلّ تَوْبَة يقولون سبع زورات له يعدلن حجّة مع مشاهد كثيرة وفضائل جمّة ثم هو ثغر من ثغور المسلمين ومعقل من معاقلهم لأن آمد اليوم دار جهادهم والموصل من أجلّ أنضادهم وجزيرة ابن عمر أحد منازههم ومع ذلك هو واسطة بين العراق والشام، ومنازل العرب في الإسلام، ومعدن الخيل العتاق، ومنه ميرة أكثر العراق، رخيص الأسعار جيّد الثمار ومعدن الأخيار.

أخبرنا الحاكم أبو نصر منصور بن محمّد الحَرْبيُّ محتسب حارا. قال حدّثنا الهَيْثَم بن كُلَيْب قال حدّثنا أبو يعلى الحسن بن إسماعيل وأبو سليمان محمّد بن منصور الفقيه قالا: حدّثنا إسماعيل هو ابن أبي أُوَيْس قال: حدّثني كثيرٌ بن عبد الله عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة أجبل من جبال الجنّة وأربعة أنهار من أنهار الجنّة وأربعة ملاحم من ملاحم الجنّة» قيل: ما الأجبل؟ قال: «أُحُدٌ يحبُّنا ونحبُّهُ ومَجَنَّة جبل من جبال الجنّة والطور جبل من جبال الجنّة والأنهار النيل والفرات وسيحان وجيحان والملاحم بدر واحد والخندق وحنين»[1]. والفرات يتقوّس على هذا الإقليم وله هذا الفضل، ودجلة ينبع منه ولها الذكر وبه النعم والمشاهد والثغور والمساجد إلا أنه بيت الذعّار والطريق فيه صعبة وقد خرّبت الروم ثغور وهذا مثاله وشكله.

وقد قسمنا هذا الإقليم على بطون العرب لتعرف ديارهم وتميّزها وجعلناه

---

(١) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال (٣٥١٢١).

ثلاث كور على عدّة بطونهم أوّلها من قبل العراق ديار ربيعة[١] ثم ديار مضر[٢] ثم ديار بكر وبه أربع نواحٍ.

وأما ديار ربيعة[٣] فقصبتها المَوْصِلُ ومن مدنها الحَدِيثَة مَعْلَثَايَ الحَسَنِيَّة تَلَّعْفَرَ سِنْجَار الجبال بَلَدُ أَذْرَمَة بَرْقَعِيدُ نَصِيبِينُ دَارَا كَفَرْتُوثَا رَأْسُ العَيْن ثَمَانِين، وأما ناحيتها فجَزِيرَةُ ابْنِ عُمَر ومدنها فَيْشَابُور بَاعَيْنَاثَا المُغِيثَة الزَّوْزَان.

وأما ديار مضر فقصبتها الرَّقَّة ومن مدنها المُحْتَرِقَةُ الرَّافِقَة خَانُوقَة الحَرِيشُ تَلُّ مَحْرَى بَاجَرْوَان حِصْنُ مَسْلَمَة تَرْعُوز حرَّان الرُّهَا، والناحية سَرُوج كَفَرْ زاب كَفَرْ سيرين.

وأما ديار بكر فقصبتها آمِد ومن مدنها مَيَّافَارِقِين تَلُّ فَافَان حصن كَيْفَا الفار حاذية وغيرهنَّ.

ومدن الفراتيّة أكبرهنَّ رَحْبة ابن طَوْق قَرْقِيسِيَا عَانعة الدَّالِيَة الحَدِيثَة، ومدن الخابور قصبتها عَرَابَان ومن مدنها الحُصَيْن الشَّمْسِينيَّة ميكِسين سُكَيْر العبَّاس الخيشة السَّكِينيَّة التَّنانِير.

المَوْصِلُ[٤] هو مصر هذا الإقليم بلد جليل حسن البناء طيّب الهواءِ صحيح

---

(١) ربيعة: بطن من شنوءة بن عامر من صعصعة العدنانية، قال في العبر: ومنهم حيٌّ بأفريقية يتنجعون مع آل رياح بن هلال. (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٢٤٠).

(٢) مُضر: قبيلة من العدنانية، وهم بنو مضر بن معد بن عدنان، قال في العبر: وكانت مصر أهل الكثرة والقلب بالحجاز من سائر بني عدنان، وكانت لهم الرياسة بمكة والحرم. (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص ٣٧٧).

(٣) ديار ربيعة: بين المَوْصِل إلى رأس عين نحو بقعاء المَوْصِل، ونصيبين، ورأس عين، ودُنَيسر، والخابور جميعه، وما بين ذلك من المدن والقرى، وربما جمع بين ديار بكر، وديار ربيعة وسمّيت كلها ديار ربيعة لأنهم كلهم ربيعة، وهذا اسم لهذه البلاد قديم، كانت العرب تحُله قبل الإسلام في بواديه، واسم الجزيرة يشمل الكل. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٥٦٢).

(٤) المَوْصِل: بالفتح، وكسر الصاد، المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبراً، وعظماً، وكثرة خلق، وسعة رقعة، فهي محطّ رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان، فهي باب العراق ومفتاح خُراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان، وكثيراً ما سُمع أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والمَوْصِل لأن القاصد إلى الجهتين قلّ ما لا يمرّ بها. قالوا: وسميت المَوْصِل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات، وقيل: لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل: بل =

الماءِ كبير الاسم، قديم الرسم حسن الأسواق والفنادق، كثير الملوك والمشايخ لا يخلو من إسناد عالٍ وفقيه مذكور، منها ميرة بغداد وإليه قوافل الرِّحَاب وله منارة وخصائص وثمار حسنة وحمّامات سريّة، ودور بهيّة، ولحوم جيّدة، وأمور جامعة غير أن البساتين بعيدة وريح الجنوب مؤذية وماءَ النهر بعيد المستقى، والبلد شبه طيلسان مثل البصرة ليس بالكبير في ثُلثه شبه حصن يسمّى المربّعة على نهر زبيدة ويعرف بسوق الأربعاءِ داخله فضاءٌ واسع به يجتمع الأكرة والحواصيد على كلّ ركن فندق وبين الجامع والشطّ رمية سهم على نشزة يصعد إليه بدرج من نحو الشطّ ودرجه من قبل الأسواق أقلّ كلُّه آزاجات من حجارة باناط ووجه المغطّى بلا أبواب وأكثر الأسواق مغطّاة، والآبار مالحة وشربهم من دجلة ومن نهر زبيدة، من دروبه، درب دير الأعلى، درب باصلوت، درب الجصّاصين، درب بني ميدة، درب الجصّاصة درب رحا أمير المؤمنين، درب الدبّاغين درب جميل والبلد على الشطّ، وقصر الخليفة على نصف فرسخ من الجانب الآخر عند نونوى القديمة، وكان اسم الموصل خولان فلمّا وصل العرب بها عمارتهم ومصّروها سمّيت الموصل ونونوى بقرب الموصل وهي مدينة يونس بن متى عليها حصن قد أقلبه الريح وهي الآن مزارع على جانب منها نهر الخُوصر.

ومَرْ جُهَيْنَة[1] على دجلة من نحو الموصل ومن نحو العراق. كثيرة أبراج الحمام والحصن من جصّ وحجر والجامع وسط البلد الحَدِيثَةُ على دجلة أيضاً عند جُرْف يصعد إليها بدرج، والجامع قرب الشطّ طيلسان بنيانهم طين غير الجامع وهي شرقيّة.

ومَعْلَثَايَا من نحو آمد صغيرة كثيرة البساتين، على نهر، بنيانهم طين والجامع على تلّ الحَسَنِيّة على نهر يقبل من أُرْمِيَّة وهو الَّذي عليه قنطرة سَنْجَة والجامع وسط البلد والنهر على جانب وَثَمانِين مدينة على نهر غزير يقبل من أرمينية[2] تحت

= الملك الذي أحدثها كان يسمى المَوْصِل. وهي مدينة قديمة على طرف دجلة، ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى، وفي وسط مدينة المَوْصِل قبر جرجس النبي. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٥٨).

(١) جُهينة: هي من قُضاعة من القحطانية، وهم بنو جهينة بن زيد بن ليث. وهو من ضُرب به المثل: عند جُهينة الخبر اليقين. (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٢٠٤).

(٢) أرمينية: صقع عظيم في الشمال، قال أهل السير: سمّيت أرمينية بأرمينية بن لنطا بن أومر بن =

الجُوديّ. وحدَّثنا أبو سعيد بن حمدان قال حدَّثنا أبو حامد الجلوديّ قال حدَّثنا أبو هانئ قال قرأ أبي على عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبّه قال لمَّا خرج نوح من السفينة بنى قرية وسمَّاها ثمانين وكانت أوَّل قرية بعد الطوفان بناها نوح بعددهم لكلّ رجل ممَّن معه بيتاً فهي أوَّل مدينة بنيت بالجزيرة.

جَزِيرَةُ ابن عُمَرَ بلد كبير يدور عليه الماءُ من ثلاثة جوانب ودجلة بينها وبين الجبل، وهي طيّبة نزيهة بناؤهم حجارة شرقيّ دجلة وَحِلَة في الشتاء.

بَاعَيْنَاثَا نزهة طيّبة وهي خمس وعشرون محلّة يتخلّلها البساتين والمياه ليس مثلها بالعراق مع رفق ورخص.

بَلَد غزير الدخلة كثيرة القصور حسنة البنيان من جصّ وحجر فرجة الأسواق والجامع وسط البلد. أَذْرَمَةُ صغيرة في البرّيّة شربهم من آبار وبنيانهم قباب، وبَرْقَعِيد كذلك إلاَّ أنّها أكبر. نَصِيبِينُ هي أنزه وأصغر وأرحب من الموصل كثيرة الفواكه بها حمّامات حسنة وقصور منيفة ولهم يسار ولباقة، سوقها من الباب إلى الباب عليها حصن من حجر وكلس، والجامع وسط البلد ونعوذ بالله من عقاربها.

دَارًا صغيرة طيّبة لهم قناة تعمُّ البلد وتجري فوق السطوح وتقرُّ في الجامع ثم تنحدر إلى وادٍ، بنيانهم حجارة سود وكلس.

سِنْجَار في مفازة بها نخل كثير كثيرة الأساكفة الجامع فيهم، شربهم من نهر عذيبيّ وعيون كثيرة.

رَأْسُ العَيْن في سهلة أسفلها متخرّق بالماءِ يتفجّر عيوناً ولهم بحيرة صغيرة رأس الماءِ نحو من قامتين زُلال يطرح الدرهم فلا يخفى في أسفله، بنيانهم حجارة وجصّ ولهم بساتين ومزارع ويقع إليها ثلاثمائة وستّون عيناً عذبة تمدُّ إلى الرقّة.

آمِدُ(١) بلد حصين حسن عجيب البناءِ على عمل أنطاكية بفصيل(٢) شبه كرسيّ

= يافث بن نوح، عليه السلام، وكان أول من نزلها وسكنها. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٩١).

(١) آمِد: بكسر الميم، ولعلها لفظة رومية، هو بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على دجلة، في وسطه عيون وآبار قريبة. (معجم البلدان ج ١ ص ٧٦).

(٢) الفصيل: جمعها فُصلان وفِصال وفِصلان، حائط قصير دون سور المدينة وقدّامه. (القاموس المحيط، مادة: فصل).

له أبواب وعليه شرف، بينه وبين الحصن فضاءُ وهي أصغر من أنطاكية، بحجارة سود صلبة وكذلك أساسات الدور، وفيها عيون غربيّ دجلة رحبة طيّبة ثغر للمسلمين وحصن حصين، الجامع وسط البلد لها خمسة أبواب باب الماءِ وباب الجبل وباب الروم وباب التلّ وباب أنس صغير، يحتاج إليه وقت الحرب وبعض الحصن على الجبل ولا أعرف للمسلمين اليوم بلداً أحصن ولا ثغراً أجلّ منها.

ومَيّافَارِقِينُ بلد طيّب حصين له شرف وفصيل بحجارة وخندق، قليلة العلم والبساتين، شربهم من عيون ونهر وَحِلة في الشتاءِ، بليدة هي كنيف الإقليم والجبال حصينة بها قلعة وربض فيه الجامع على طرفٍ، شربهم من قنى عذيبيّة وبناؤهم من حجر وطين وسورهم غير منيع.

وتَلٌّ فافان من ناحية الجبل بين دجلة ورزْم حولها بساتين والأسعار بها رخيصة وأسواقها مغطّاة، بناؤهم طين.

وحِصْنُ كَيْفَا كثيرة الخير وبها قلعة حصينة وكنائس كثيرة شربهم من دجلة والفار وحاذية دونهنّ.

فهذا ما عرفنا من مدن هذه الكورة وفي بَدْلِيس كلام واختلاف نذكره في إقليم الرحاب.

الرَّقّة قصبة ديار مضر على الفرات بحصن عريض يسير على متنه فارسان غير كبيرة، ولها بابان غير أنها طيّبة نزهة قديمة الخطّة حسنة الأسواق كثيرة القرى والبساتين والخيرات ومعدن الصابون الجيّد والزيتون، ولها جامع عجيب وحمّامات طيّبة قد ظُلّلت أسواقها وبربقت قصورها وانتشر في الإقليمين ذكرها، فالشام على تخمها والفرات إلى جنبها والعلم كثير بها إلاّ أن الأعراب بها محيطة والطرق إليها صعبة، والرقّة المُحْتَرِقَة قريبة منها قد خفّت وخربت.

والرَّافِقَةُ هي ربض الرقّة الجامع في الصاغة وجامع الرقّة في البزّازين فيه شجرتا عنّاب وشجرة توت وبالقرب مسجد معلّق على عمود.

وحَرّان مدينة نزيهة وعليها حصن من حجارة على عمل إليّا في حصن البناءِ بها قناة لا يعلم من أين تقبل، والجامع متطرّفٌ وسقي مزارعهم من آبار، وهي جيّدة الأقطان وبصحّة موازينهم تضرب الأمثال.

والرُّهَا على عمل الطيب محصَّنة والجامع على طرف شعث وبها كنيسة عجيبة. بآزاج ملبسة بالفسافساءِ هي أحد عجائب الدنيا.

وأما ناحيةِ الخَابُور فقصبتها عَرَابَان وهي تلّ رفيع حولها بساتين والأسعار بها رخيصة، ولهم مزارع كثيرة وسائر المدن رحبة وناحية الفرات أجلُّها الرَّحْبَةُ مدينة كبيرة من نحو البادية طيلسان ولها حصن وربض، وبقيّة المدن من جانب البادية عامرات.

جمل شؤون هذا الإقليم

أما الهواءُ والرسوم فمقاربة للشام مشابهة للعراق وبه مواضع حارّة وبه نخيل مثل سِنْجَار.

ومدن الفرات وكورة آمِد باردة لقربها من الجبال وأصحُّ بلدانه هواءً المَوْصِلُ، وأكثر بنيانهم الحجارة ولا أعرف به ماءً رديًا ولا وادياً وبيًا ولا طعاماً لا تجده مريًا، وليس به مجوس ومعدن الصابئين بالرُّها وحَرَّان في جميع المملكة وليس فيه بحيرة ولا يتّصل ببحر ولا للمذكّرين به صيت ولا للرزق به سوق.

ومذاهبهم سنّة وجماعة إلاّ عَانَة فإنها كثيرة المعتزلة ولا ترى في الرأي غير مذهب أبي حنيفة والشافعيّ وفيه حنابلة وجلبة للشيعة، لم تقسّم الأهواءُ قلوبهم ولا يتعاطى الكلام فقهاؤهم يختارون قراءَة عبد الله بن عامر، واتّفق حرب البجاة مع الحبوش وقت كوني بزَبِيدَ فاستخلفني القاضي أصلّي بهم العشائَيْن فقال لي يوماً: القوم لك شاكرون، وأنا لك لائم. قلتُ: على ماذا أيّد الله القاضي؟ قال: أنت رجل تتفقّه لأهل الكوفة فلمَ لا تقرأ بحروفهم وما الذي أمالك إلى قراءَة ابن عامر؟ قلتُ: خلال أربع. قال: وما هنّ؟ قلتُ: أما الأولى فإن ابن مجاهد روى عن ابن عامر ثلاث روايات إحداهنّ أنه قرأ على عثمان بن عفّان.

والثانية: أنه سمع القرآن من عثمان وهو صبيٌّ. والثالثة: أنه قرأ على مَنْ قرأ على عثمان وليس هذا لغيره من أئمّة القرّاء بل بين كلّ واحد وبين عليّ وعبد الله وأُبَيّ وابن عبّاس رجلان أو ثلاثة فمن بينه وبين عثمان الذي قد أجمع المسلمون على مصحفه واتّفقوا على جمعه وتداولوه رجل أحق بأن يقرأ له ممّن بينه وبين من لا

يستعمل جمعه ولا وقع الاتّفاق على مصحفه رجلان وثلاثة. وأيضاً رأيتُ المصاحف القديمة بالشام ومصر والحجاز المنسوبة إلى عثمان فإذا هي لا تخالف حروف ابن عامر في شيء.

والخلّة الثانية: رأيتُ قراءَة ابن عامر قياسيّة إذا استعمل التاء أو التثقيل في موضع أجراه في جميع النظائر وغيره يقول في سورة كذا بالتاءِ وفي سورة كذا بالياءِ وفي موضع سَدًا وموضع آخر سُدًا وخَرَاجاً وخَرْجاً وكُرْهاً وكَرْهاً، وأمثال هذا كثير وكنتُ رجلاً قد أردتُ التفقُّه فرأيتُها عليَّ أهون وإلى طريقة الفقه أقرب.

والخلّة الثالثة: رأيتُ بقيّة القرّاءِ قد اختلفت عنهم الروايات من ثلاث إلى ثلاثين وابن عامر لم يرو عنه إلاّ يحيى حسب وإنّما وقع الاختلاف عن يحيى لأن ابن ذكوان وهشام بن عمّار قرأ على يحيى فعلمتُ أنه كان متقناً على يقين من قراءَته.

والرابعة: أني رجل شاميٌّ وقد فارقتُهم في المذهب فلم أحبّ أن أفارقهم في المقرأ بعدما صحَّ الرجحان عندي، فقال القاضي: لله دَرّك يا أبا عبد الله ما أحسن ما أتيتَ به، ولقد جلّت هذه القراءَة عندي بعدما كنتُ فيها من الزاهدين، فإن قال خصم: أوليس قد ناقض ابن عامر في غير موضع أجبناه لو لم يناقض لَزهدنا في قراءَته وظنَنّا به الظنون لأن القراءات لا تؤخذ بالقياس.

فلمّا ناقضنا علمنا أنه متبع وناقل إلاّ أن نقله وافق القياس، فإن قال: أوليس قد طعن فيه السلف ولحّنوه في حروف؟ أجبناه: أن أحداً من أئمّة القرّاء لم يسلم من الطعن ألا ترى أنهم قد طعنوا على عاصم وحمزة في ضَعْف وعلى أبي عمرو في تَنَسأُهَا وفي هذيْنِ وقد احتجَّ الكبراءُ للجميع وصوّبوا مذاهبهم ولا يطعن في الأئمّة إلاّ جاهل فإن قال ابن عامر: مجهول وقراءَته غير مشهورة أجبناه لو كان ابن عامر بالحجاز أو بالعراق ما جُهل ولا شذت قراءَته، لكنّه لمّا كان بمصر متطرّفاً قلَّ الواردون عليه والناقلون عنه ألا ترى أن الأوزاعيَّ كان من أئمّة الفقه، وقد بطل مذهبه لهذا المعنى فلو كانا على سابلة الحاجّ لنقل مذهبيهما أهل الشرق والغرب.

فإن قال: ألستَ ممّن لقي مشايخ العلم والورع وأكثرهم ينهون عن التجريد ويختارون قراءَة العامّة؟ أجبناه: بلى لكنّي لمّا سافرتُ وشاهدتُ أئمّة المقرئين أحببتُ التلاوة عليهم وأخذ الفوائد منهم، فكنتُ إذا قرأتُ بالجائز هوّنوا أمري وأحالوني

على تلاميذهم فإذا جوَّدتُ أقبلوا عليَّ. والمياه واسعة أكثرها من دجلة والفرات والخابور وهو نهر من عيون تجتمع وتصبُّ إلى الفرات.

وأما أصل دجلة العراق فإنها تخرج من تحت كهف الظلمات ماءً أخضر ثم تلقاها عدّة أنهار إلى الزاب.

وأوّل مبدأها لا تدير أكثر من رحا واحدة أوّل ما يختلط بها نهر الذيب ثم الرمس ثم المسوليات ثم تعبر الكاروخة ثم سَرْبَط ثم عين تلّ فافان ثم نهر الزَّرْب ثم الزاب ثم أنت في العراق، ويقال الفرات مبارك ودجلة ملعونة.

وبه تجارات ترتفع من الموصل الحبوب والعسل والنمكسود والفحم والشحوم والجبن والمنُّ والسمَّاق وحبُّ الرمَّان والقير والحديد والأسطال والسكاكين والنشَّاب والطرّيخ الفائق والسلاسل.

ومن سِنجار فرك اللوز وحبُّ رمَّان والقصب والسمَّاق، ومن نَصِيبين شاه بلُّوط وهو شيءٌ أكبر من البندق وأطيب ليس بمدوَّر، والفواكه المقدَّدة والموازين والدوايات والكواذين.

ومن الرقَّة الصابون والزيت والأقلام، ومن حرّان القُبَّيط وعسل النحل في أدنن والقطن والموازين.

ومن الجزيرة الجوز واللوز والسمن والخيل الجياد، ومن الحَسَنِيّة الجبن والقَبْج والجواجيق والشواريز والفواكه المقدَّدة والزبيب.

ومن مَعْلَثَايَا الألبان والفحم والأعناب والفواكه الرطبة والشاهدانق والقنَّب والنمكسود، ومن بَلَد اللِّبأ في القدور في الزواريق القدر بخمس دوانيق خمسة أمناءٍ، ومن الرَّحْبَة السفرجل الفائق الرائق.

ومن آمِد ثياب الصوف والكتَّان الروميّة على عمل الصقليّ وخصائص هذا الإقليم الخيل والصابون والسلاسل والسيور وقُبَّيط حرّان وقطنها وموازينها.

وأما مكاييلهم فلهم المدُّ والمكُّوك والقفيز والكارة فالمكُّوك خمسة عشر رطلاً والمدُّ ربعه والكارة مائتان وأربعون رطلاً والقفيز ربعها والمكُّوك ربع القفيز وأرطالهم بغداديّة وفَرْقهم بغداديٌّ ستّة وثلاثون رطلاً ولغتهم لغة حسنة أصحُّ من لغة الشام

لأنهم عرب أحسنها الموصليّة وهم أحسن وجوهاً وهي أصحُّ هواءً من سائر الإقليم وقد جمعت أكثر القبائل، أكثرهم حارثيُّون.

ولهم مشاهد ثَمَّ بسواد الموصل مسجد يونس وآثاره، عند نونوى القديمة موضع يسمَّى تلّ توبة على رأسه مسجد ودور للمجاورين بنته جميلة ابنة ناصر الدولة وأوقفت عليه أوقافاً جليلة يزعمون أن سبع زورات يعدلن حجَّة يقصد ليالي الجمع وهو الموضع الذي خرج إليه قوم يونس لمَّا أيقنوا بالعذاب وعلى نصف فرسخ منه عين يونس، وبظاهر بَلَد عين يزعمون أن يونس خرج منها يُستشفى بمائها من البرص، وثَمَّ له مسجد وموضع شجرة اليقطين على فرسخ من ميَّافارقين، دير توما فيه جسد قائم يزعمون أنه من الحواريّين يابس.

رباط ذي القرنين على طريق الرحاب حصين عامر تحته كهف الظلمات التي دخلها ذو القرنين وحرص مسلمة بن عبد الملك في دخولها واستعدّ المشاعل والشموع فانطفت ورجع.

ومن العجائب بنصيبين عين ينبع منها كلس أبيض يستعملونه كما يستعمل في الحمَّامات والدور، بأرض الموصل دير الكلب يحمل إليه من عضّه كلب عقور فيقيم عند رهبانه خمسين يوماً فيبرأ بإذن الله تعالى، وبهذا الرستاق عين من شرب منها مات بعد ثلاثة أيّام، على بريد من الموصل قرية باعَشِيقَا بها نبت مَرْ قلعه وبه بواسير أو خنازير سقطت عنه فإن بعث من به هاتان العلّتان رجلاً بدرهم ومسلّة إلى قوم ثَمَّ يتوارثونها فحملها أحدهم إلى ذلك النبت فقلعه على اسم صاحب العلّة برئ ولو كان بالشاش ويستنفع الرجل بالدرهم.

وكان يقال عجائب الدنيا ثلاث منارة الإسكندريّة وقنطرة سَنْجَة وكنيسة الرُّهَا فلمّا بني المسجد الأقصى جُعل بدل الكنيسة فلمّا هدمته الزلزلة جعل موضعه جامع دمشق وهذه القنطرة على خمسة فراسخ من جبل الجوديّ كبيرة شاهقة متّصلة بالجبل على حجر مخوَّخ مركَّبة إذا زاد عليها الماءُ اهتزَّت.

ويجب أن نذكر أسباب القُسْطَنْطِينيَّة لأن للمسلمين بها داراً يجتمعون فيها ويظهرون الإسلام بها وقد كثر الاختلاف والكذب فيها وأمر البلد ومساحته وبنيانه فرأيتُ أن أصوّر ذلك للعيون وأوضحه للقلوب وأذكر الطرق إليها لحاجة المسلمين

إلى ذلك وقصدهم في شراءِ الأسارى والرسالات والغزو والتجارات.

اعلم أن مَسْلَمَة بن عبد الملك لمّا غزا بلد الروم ودخل هذا المصر شرط على كلب الروم بناء دار بإزاءِ قصره في الميدان ينزلها الوجوه والأشراف إذا أسروا ليكونوا تحت كنفه وتعاهده فأجابه إلى ذلك وبنى دار البلاط والبلاط خلف الميدان يصنع به الديباج الملكيّ فالقسطنطينيّة تكون في العظم مثل البصرة أو أصغر، بناؤهم حجر وهي محصّنة كسائر البلدان منيعة بحصن واحد لا غير، والبحر من جانب على حافته الميدان ودار البلاط ودار الملك على صفّ والميدان بين الدارين أبوابها متقابلة في وسط الميدان دكّة بدرج ولا يسكن دار البلاط من المسلمين إلاّ وجيه في إجراءٍ وتعاهد وتنزُّه، وسائر الأسارى من عامّة المسلمين يستعبدون ويستعملون في الصنائع فالحازم الذي إذا سُئل عن صنعته لم يقرّ بها وربّما اتّجر الأسارى بينهم وانتفعوا ولا يُكرهون أحداً على أكل لحم الخنزير ولا يثقبون أنفاً ولا يشقُّون لساناً.

ومن دار الكلب إلى دار البلاط حبل ممدود فيه صورة فرس من نحاس ولهم أوقات يجتمعون فيها للّعب واسم الملك وينطوا واسم الوزير براسيانا فإذا أرادوا أن يتفاءلوا في لعبهم صاروا حزبين وأرسلوا الخيل حول الدكّة، فإن سبقت خيل حزب الكلب، قالوا: ستكون الغلبة للروم فصاحوا وينطوا وينطوا، وإن غلبت خيل حزب الوزير قالوا: ستكون الغلبة للمسلمين، فصاحوا براسيانا براسيانا، وذهبوا إلى المسلمين، فيخلعون عليهم ويصلونهم لكون الغلبة لهم وللبلد أسواق حسنة والأسعار به رخيصة والفواكه كثيرة.

ويمدن التبن مسلمون وكذلك بمعدن النحاس وبأَطْرَابَزُنْد أيضاً مسلمون وأقصد الطرق إلى القسطنطينيّة من هذا الإقليم لأجل ذلك وصفناها فيه وكان ثغر هذا الإقليم ملطية وبلدانها وقد خرّبها العدوّ.

وأما المسافات فتأخذ من الموصل إلى مَرّ جُهَيْنَة، أو إلى بَلَد، أو إلى المَخْلَبِيَّة، أو إلى مزارعي مرحلة مرحلة، ثم من مر جهينة إلى الحَدِيثَة مرحلة، ثم إلى البقيعة مرحلة، ثم إلى السِّنّ مرحلة.

وتأخذ من بلدَ إلى بَرْقَعِيد مرحلة، ثم إلى أَذْرَمَة مرحلة، ثم إلى المُونِسَة مرحلة، ثم إلى نصيبين مرحلة، ثم إلى دارا مرحلة.

وتأخذ من المحلبيّة إلى الشحّاجيّة مرحلة، ثم إلى تلّ أعفر مرحلة، ثم إلى سِنْجار مرحلة.

وتأخذ من مزارعي إلى معلثايا مرحلة، ثم إلى الحَسَنيّة مرحلة، ثم إلى ثمانين مرحلة، ثم إلى جزيرة ابن عمر مرحلة، ثم إلى تلّ فافان مرحلة، ومن الموصل إلى شهرزور ٩٠ فرسخاً. وتأخذ من آمد إلى ميّافارقين مرحلة، ثم إلى أَرْزَن مرحلة، ثم إلى مسجد أُوَيس مرحلة، ثم إلى المعدن مرحلة، ثم إلى بدليس مرحلة.

وتأخذ من آمد إلى شِمْشاط مرحلة، ثم إلى تلّ حوم مرحلة، ثم إلى جرنان مرحلة، ثم إلى بامقرا مرحلة، ثم إلى جُلاَّب مرحلة، ثم إلى الرُّهَا بريدين، ثم إلى حَرَّان مثلها، ثم إلى باجَرْوَان مرحلة، ثم إلى الرقَّة نصف مرحلة.

وتأخذ من الرَّحْبَة إلى قرقيسيا مرحلة، ثم إلى الدالية، أو إلى بِيرَا مرحلة، ومن قرقيسيا إلى فُدَين مرحلة، ثم إلى السُّكيْر مرحلة. وتأخذ من آمد إلى تلّ حور مرحلة، ثم إلى ملطين مرحلة، ثم إلى طبوس مرحلة، ثم إلى شمشاط مرحلة، ثم إلى الفعونية مرحلة، ثم إلى حصن زياد مرحلة، ثم إلى مَلَطِين مرحلة، ثم إلى عَرْقَة مرحلة، ثم إلى الصَّفْصاف مرحلة، ثم إلى الرُّمَّانَة مرحلة، ثم إلى سَمَنْدُو مرحلتين، ثم إلى مرج قيساريّة مرحلة، ثم إلى أنْقِرَة مراحل ثقالاً، ثم إلى جسر شاغر.

في بلد ابن الملاين ٣ مراحل، ثم إلى النِقْمُوذِيّة مرحلة، ثم إلى ملعب الملك مرحلة، ثم إلى حارفة مرحلة، ثم إلى القسطنطينيّة مرحلة.

وإن شئتَ تأخذ من ميّافارقين إلى مُوش مراحل، ثم إلى قنب مرحلة، ثم إلى سنّ نحاس مرحلة وهي صليب طريق قَالِيقَلاَ، وطريق مَلاَزْكِرْد، وطريق مُوش، وطريق الخالديات مرحلتان، ثم إلى سموقموش مثلها، ثم إلى قَلُونِيّة العوفيّ مرحلتين، ثم إلى نفشارية مراحل، ثم إلى عقبة الشهداءِ مرحلة، ثم إلى الأفلاَغُونِيّة مرحلة، ثم إلى السونشة مرحلة، ثم إلى دمولصة مرحلة، ثم إلى بلد ابن السوانيطي مرحلة، ثم إلى دوسنية مرحلة، ثم إلى ماحورية مرحلة، ثم إلى قطابولي فيها جيش للمسلمين مرحلة، ثم إلى بلد ابن الملاين مرحلتين، فيه ضيافة للمسلمين، ثم إلى البحيرة الحلوة مرحلة، ثم إلى حصن صاعس مرحلة.

إقليم الشام

إقليم الشام[1] جليل الشان ديار النبيّين، ومركز الصالحين، ومعدن البدلاء، ومطلب الفضلاء، به القبلة الأولى، وموضع الحشر والمسرى، والأرض المقدّسة والرباطات الفاضلة والثغور الجليلة والجبال الشريفة، ومهاجر إبراهيم وقبره وديار أيُّوب وبئره ومحراب داود وبابه وعجائب سليمان ومدنه، وتربة إسحاق وأمّه، ومولد المسيح ومهده، وقرية طالوت ونهره، ومقتل جالوت وحصنه، وجبُّ أرميا وحبسه، ومسجد أوريًا وبيته، وقبّة محمّد وبابه، وصخرة موسى، وربوة عيسى، ومحراب زكريًا، ومعرك يحيى، ومشاهد الأنبياءِ، وقرى أيُّوب، ومنازل يعقوب، والمسجد الأقصى، وجبل زيتا، ومدينة عكا، ومشهد صديقا، وقبر موسى، ومضجع إبراهيم ومقبرته، ومدينة عسقلان، وعين سُلْوَان، وموضع لقمان، ووادي كنعان، ومدائن لوط، وموضع الجنان، ومساجد عمر، ووقف عثمان، والباب الذي ذكره الرجلان، والمجلس الذي حضره الخصمان، والسور الذي بين العذاب والغفران، والمكان القريب ومشهد بيسان، وباب حُطّة ذو القدر والشان، وباب الصور، وموضع اليقين، وقبر مريم وراحيل، ومجمع البحرين، ومفرق الدارين، وباب السكينة، وقبّة السلسلة، ومنزل الكعبة مع مشاهد لا تحصى، وفضائل لا تخفى، وفواكه ورخا، وأشجار وأميا، وآخرة ودنيا، به يرقُّ القلب وينبسط للعبادة الأعضا، ثم به دمشق جنّة الدنيا، وصُغَر البصرة الصغرى، والرملة البهيّة وخبزها الحوّارى، وإيليا الفاضلة بلا لأوى.

---

(١) الشام: الشَّأَم بفتح أوله، وفتح همزته، وفيها لغة ثانية وهي الشام، بغير همز، كذا يزعم اللغويّون، وقد تُذكّر وتُؤنّث، قيل: سمّيت الشام شاماً لكثرة قراها، وتداني بعضها من بعض فشبّهت بالشامات، وقيل: سميت بذلك لأن قوماً من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاءموا إليها أي أخذوا ذات الشمال فسميت بالشام لذلك. وقيل: سميت الشام بسام بن نوح عليه السلام، وذلك لأنه أول من نزلها فجعلت السين شيناً لتغيّر اللفظ العجمي. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٥٣).

وحمص المعروفة بالرخص وطيب الهوا، وجبل بُصْرَى وكرومه فلا تنسى، وطبريّة الجليلة بالدخل والقرى، ثم البحر يمدُّ على غربيّه فالحمولات فيه إليه أبداً وبحر الصين متّصل بطرفه الأقصى، له سهل وجبل وأغوار وأشياء، والبادية على تخومه كالزقاق منه إلى تيماء، وبه معادن الرُّخام وعقاقير كلّ دواء، ويسار وتجار ولباقة وفقهاء، وكتّاب وصنّاع وأطبّاء، إلاّ أنهم على خوفٍ من الروم وفي جلا، والأطراف قد خربت وأمر الثغور قد انقضى، وليسوا كالأعاجم في العلم والدين والنهي، بعض قد ارتدَّ وبعض للجزية في إدا، يقدّمون طاعة المخلوق على طاعة ربّ السماء، عامّتهم جهّال أو غوغا، لا نهضة في جهادٍ ولا حميّة على الأعداء.

ويقال: إنّما سمّيت الشام لأنها شامة الكعبة، وقيل: بل من تشاؤُم الناس إليها، وقيل: بل لشامات بها حمر، وبيض، وسود، وأهل العراق يسمُّون كلَّ ما كان وراءَ الفرات شاماً ولهذا أرسل محمّد بن الحسن القول في دواوينه، وليس وراءَ الفرات من الشام غير كورة قنّسرين حسب والباقي بادية العرب والشام من ورائها، وإنّما أراد محمّد التقريب والمتعارف بين الناس كما يقال لخراسان المشرق، وإنّما هو من ورائها، وإنّما الشام كلّما قابل اليمن، وكان الحجاز بينهما، فإن قال قائل: ما تنكر أن يكون طرف البادية إلى حدود العراق من الشام ليصحَّ ما قاله أهلُ العراق؟ قيل: قد قسمنا الأقاليم، ورسمنا الحدود فلا ينبغي لنا أن ندخل في إقليم من غيره.

فإن قال قائل: فمن أين لك أنه ليس منه في القديم، قيل له: لم يختلف فقهاءُ الشريعة، وأهل هذا العلم أن هذه الأرض المتنازع فيها أنها من جزيرة العرب ولو جعلنا أحد من الشام لا مجازاً لكان لنا أن نقول له: حدود الشام التي رسمناها مُجْمَع عليها، وما زدتم مختلف فيه، وعلى من ادَّعى الزيادة الدليل.

وقد أعرضنا عن ذكر طَرَسُوس وأعمالها لأنها بيد الروم، وأما الكهف فإن المدينة هي طرسوس وبها قبر دقيانوس وبرستاقها تلٌّ عليه مسجد قالوا هو على الكهف.

وحدَّثنا الفقيه أبو عبد الله محمّد بن عمر البخاريّ قال حدَّثنا أبو طالب اليماني، قال حدَّثنا الحسن بن يحيى. قال حدَّثنا أبي قال حدَّثنا محمّد بن سهل الخراسانيُّ قال: قرأتُ على هشام بن محمّد حدَّثنا مجاهد بن يزيد قال: خرجتُ مع

خالد البريديّ في أيّام وجّه إلى الطاغية سنة ١٠٢ وليس معنا ثالث من المسلمين فقدمنا القسطنطينيّة، ثم خرجنا منصرفين إلى عمُّوريه ثم أتينا اللاذقيّة[1] المحترقة في أربع ليالٍ، ثم انتهينا إلى الهويّة وهي جوف جبل فذُكر لنا أن بها أمواتاً لا يدرى ما هم وعليهم حرّاس فأدخلونا سرباً طوله نحو من خمسين ذراعاً في عرض ذراعين بالسُّرُج، وإذا وسط السرب باب من حديد ومكمن لعيالهم إذا يجيئُهم العرب وإذا خربة عظيمة وسطها نقرة من ماءٍ عرضها نحو من خمسة عشر ذراعاً يرى منها السماءُ، وإذا كهف ذلك المكان إلى جوف ذلك الجبل فانطلق بنا إلى كهف ممّا يلي الجوف من الهويّة طوله نحو من عشرين ذراعاً وإذا فيه ثلاثة عشر رجلاً رقوداً على أقفيتهم على كلّ رجل منهم جبّة لا أدري من صوف أو وبر، إلاّ أنها غبراءُ وكساءٌ أغبر يتقعقع كما يتقعقع الرقُّ وقد غطّى بكسائه وجهه وسائر جسده وإذا هي ذوات أهداب وعلى بعضهم خفاف إلى أنصاف سوقهم وبعض بنعال وبعض بشمشكات والجميع جُدُد فكشفتُ عن وجه أحدهم فإذا شعر رأسه ولحيته لم يتغيَّر وإذا بشرة وجهه منيرة ودم وجهه ظاهر كأنّما رقدوا تلك الساعة وإذا أعضاؤُهم كألْيَن ما يكون من أعضاءِ الرجل الحيّ وكلُّهم شباب غير أن بعضهم قد وخطه الشيب وإذا بأحدهم قد ضربت عنقه فسألتُهم عن ذلك، فقالوا غلبت علينا العرب وملكت الهويّة فأخبرناهم خبرهم فلم يصدّقونا فضرب أحدهم عنق هذا وزعم أهل الهويّة أنه إذا كان رأس كلّ سنة في يوم عهد لهم يجتمعون فيه يقيمونهم رجلاً رجلاً فيتركونهم قياماً ويمسحونهم وينفضون غبار ثيابهم ويسوُّون أكسيتهم عليهم فلا يسقطون ولا يتجرَّجون ويضجعونهم وأنهم يقلّمون أظفارهم في السنة ثلاث مرّات ثم تنبت فسألناهم عن أسبابهم وأمرهم فزعموا أنهم لا علم لهم بشيءٍ من أمرهم غير أنّا نسمّيهم الأنبياء، قال مجاهد وخالد فيظنّ أنهم أصحاب الكهف والله أعلم.

وقد قسمنا هذا الإقليم ستَّ كور أوّلها من قبل أقور قِنَّسْرِينُ، ثم حِمْصُ، ثم

---

(١) اللاذقية: بالذال وقاف مكسورة، مدينة في ساحل بحر الشام تعدّ من أعمال حمص، وهي غربي جبلة بينهما ستة فراسخ، وهي من أعمال حلب، قال بطليموس في كتاب الملحمة: هي مدينة عتيقة رومية فيها أبنية قديمة مكينة، وهي بلدة حسنة في وطأ من الأرض ولها مرفأ جيد محكم، وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض والبحر على غربيها وهي على ضفّته. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٦).

دِمَشْقُ، ثم الأُرْدُنُّ[1]، ثم فِلَسْطِينُ، ثم الشَّرَاةُ. فأما قِنَّسرين فقصبتها حَلب ومن مدنها أَنطاكِيَةُ بَالِسُ السُّوَيْدِيَّة سُمَيْسَاط مَنبِجُ بيَّاس التِّينات قِنّسرين مَرْعَش إِسكَنْدَرُونَة[2] لَجُون رَفَنِيَّة جُوسِيَّة حَمَاة شَيْزَر وادي بُطْنَان مَعَرَّة النُّعْمَان مَعَرَّة قِنَّسْرِين.

وأما حمص فاسم القصبة أيضاً ومن مدنها سَلَمِيَّة تَدْمُر الخُنَاصِرَة كَفَرْطاب اللَّاذِقِيَّة جَبَلَة أَنطَرْسُوس بُلُنْيَاس حصن الخَوَابِي.

وأما دمشق فاسم القصبة أيضاً ومدنها بَانِيَاس صَيْدَا بَيْرُوت أَطْرَابُلُس عَرْقَة وناحية البِقَاع مدينتها بَعْلَبَكُّ ولها كَامِدُ عَرْجَمُوش الزَّبَدانِيُّ ولدمشق ستُّ رساتيق[3] الغُوطَة حَوْرَان البَثَنِيَّة الجَوْلَان[4] البِقَاع الحُولَةُ.

وأما الأردنُّ فقصبتها طَبَرِيَّة ومن مدنها قَدَس صُور عَكَّا اللَّجُون كابُل بَيْسَان أَذْرِعَات وأما فلسطين فقصبتها الرَّمْلَة ومدنها بَيْتُ المَقْدِس بَيْتُ جِبْرِيل غَزَّة ميماس عَسْقَلان يَافَه أَرْسُوف قَيْسَارِيَّة نابُلُس أَريحا عَمَّان.

وأما الشَّرَاة فجعلنا قصبتها صُغَر ومدنها مَآب مُعَان تَبُوك أَذْرُح ويْلَة مَدْيَن وفي هذا الإقليم قُرًى أجلُّ وأكبر من أكثر مدن الجزيرة مثل داريًا وبيت لِهْيَا وكَفَرْسَلَام وكَفَرْسَابَا غير أنها على رسوم القرى معدودة فيها وقد قلنا أن عملنا موضوع على التعارف.

وأما حَلَب فبلد نفيس خفيف حصين وفي أهلها ظرف ولهم يسار وعقول، مبنيٌّ بالحجارة عامر، في وسط البلد قلعة حصينة واسعة فيها ماءٌ وخزائن السلطان، والجامع في البلد شربهم من نهر قُوَيْق يدخل إلى البلد إلى دار سيف الدولة في شبّاك

---

(١) الأردن: هي كورة واسعة منها: الغور، وطبرية، وصور، وعكا. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٧٦).

(٢) إسكندرونة: هي مدينة في شرقي أنطاكية على ساحل بحر الشام بينها وبين بغراس أربعة فراسخ، وبينها وبين أنطاكية ثمانية فراسخ. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢١٦).

(٣) رساتيق: مفردها رستاق، وهو الرُّزداق بالضمّ: السواد والقُرى فارسية الأصل مُعرّبة. الرُّستا، والرُّزدق هو الصف من الناس والسطر من النخل. (القاموس المحيط، مادة: الرُّزداق).

(٤) الجولان: قرية من نواحي دمشق، وقيل جبل من نواحي دمشق، ولعله الصحيح، قال ابن دريد: يقال للجبل: حارث الجولان. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢١٩).

حديد والقصبة ليست بكبيرة إلاّ أن بها مستقرّ السلطان لها سبعة أبواب: باب حمص، باب الرقّة، باب قنّسرين، باب اليهود، باب العراق، باب دار البِطِّيخ، باب إنطاكية، وباب الأربعين مسدود.

وبالِسُ رأس الحدّ من قبل الرقّة عامرة وقِنّسْرِين مدينة قد خفّ أهلها حدّثنا الشيخ العدل أبو سعيد أحمد بن محمّد بنيسابور قال حدّثنا أبو بكر محمّد بن إسحاق بن خُزَيمة قال حدّثنا أبو عمّار بن حُرَيث المروزيّ قال حدّثنا الفضل أبو موسى عن عيسى بن عبيد عن غَيْلان بن عبد الله العامريّ عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن النبيّ ﷺ قال: «إن الله عزّ وجلّ أوْحَى إليّ أيَّ هؤلاءِ الثلاث نزلتَ فهي دار هجرتك المدينة، أو البحرين، أو قنّسرين»[1]، فإن قال قائل: لمَ جعلتَ قصبة الكورة حلب وههنا مدينة على اسمها؟ قيل له: قد قلنا: إن مثل القصبات كالقوّاد والمدن كالجند ولا يجوز أن نجعل حلب على جلالتها وحلول السلطان بها وجمع الدواوين إليها وإنطاكية ونفاستها وبالس وعمارتها جناداً لمدينة خربة صغيرة، فإن قال: هلاّ استعملتَ هذا القياس في شيراز فأضفتَ إليها إصطخر ومدنها؟ قيل: لمّا وجدنا بشيراز مُدناً أحدقت بها وتباعدت إصطخر عنها استحسنّا ما فعلناه ثمّ والاستحسان في علمنا هذا ربّما غلب القياس كما قلنا في مسائل المكاتب ألا ترى أن التأجيل بالنيروز والمهرجان باطل في سائر الأحكام جائز في الكتابة استحساناً.

حِمْص ليس بالشام بلد أكبر منها وفيه قلعة متعالية عن البلدَ ترى من خارج، أكثر شربهم من ماءِ المطر، ولهم أيضاً نهر ولمّا فتحها المسلمون عمدوا إلى الكنيسة فجعلوا نصفها جامعاً، عِنده بالسوق قبّة على رأسها شبه رجل من نحاس واقف على سمكة تديرها الأرياح الأربع وفيه أقاويل لا تصحُّ، والبلد شديد الاختلال متداعٍ إلى الخراب والقوم وسائر المدن مختلّة والأسعار بها رخيصة وما كان منها على الساحل حصينة وكذلك تَدْمُر وهي على مثل كرسيّ من مدن سليمان بن داود والقصبة قريبة من البادية رحبة طيّبة.

دِمَشْقُ هي مصر الشام ودار الملك أيّام بني أُمَيّة وثَمَّ قصورهم وآثارهم، بنيانهم خشب وطين وعليها حصن أُحْدِثَ وأنا به من طين، أكثر أسواقها مغطّاة، ولهم سوق

---

(١) أخرجه الترمذي في السنن (٣٩٢٣).

على طول البلد مكشوف حسن وهو بلد قد خرقته الأنهار، وأحدقت به الأشجار، وكثرت به الثمار، مع رخص أسعاره، وثلج وأضداد لا ترى أحسن من حمّاماتها ولا أعجب من فوّاراتها ولا أحزم من أهلها، الذي عرفتُ من دروبها باب الجابِيَة، باب الصغير، باب الكبير، باب الشرقيّ، باب تُومَا، باب النهر، باب المَحَامليّين، وهي طيّبة جدًا غير أن في هوائها يبوسة، وأهلها غاغة، وثمارها تفهة، ولحومها قاسية، ومنازلها ضيّقة، وأزقّتها غامّة، وأخبازها رديّة، والمعايش بها ضيّقة، تكون نحو نصف فرسخ في مثله في مستوى، والجامع أحسن شيءٍ للمسلمين اليوم ولا يعلم لهم مال مجتمع أكثر منه قد رفعت قواعده بالحجارة الموجَّهة كباراً مؤلّفة، وجعل عليها شُرَف بهيّة وجعلت أساطينها أعمدة سوداً ملساً على ثلاثة صفوف واسعة جدًا وفي الوسط إزاءِ المحراب قبّة كبيرة وأدير على الصحن أروقة متعالية بفراخ فوقها، ثم بُلط جميعه بالرخام الأبيض وحيطانه إلى قامتين بالرخام المجزَّع، ثم إلى السقف بالفسافساءِ الملوّنة في المذهبة صور أشجار وأمصار وكتابات على غاية الحسن والدقّة ولطافة الصنعة وقلَّ شجرة أو بلد مذكور إلاّ وقد مُثّل على تلك الحيطان وطليت رؤوس الأعمدة بالذهب وقناطر الأروقة كلُّها مرصّعة بالفسيفساءِ وأعمدة الصحن كلُّها رخام أبيض وحيطانه بما يدور والقناطر، وفراخها بالفسيفساءِ نقوش وطروح والسطوح كلُّها ملبسة بشقاق الرصاص والشرافيّات من الوجهين بالفسيفساءِ وعلى الميمنة في الصحن بيت مال على ثمانية عمد مرصّع حيطانه بالفسافساءِ وفي المحراب وحوله فصوص عقيقية وفيروزجيّة كأكبر ما يكون من الفصوص وعلى الميسرة محراب آخر دون هذا للسلطان، وقد كان تشعّث وسطه فسمعتُ أنه أنفق عليه خمسمائة دينار حتّى عاد إلى ما كان، وعلى رأس القبّة ترنجة فوقها رمّانة كلاهما ذهب، ومن أعجب شيءٍ فيه تأليف الرخام المجزّع كلّ شامة إلى أختها ولو أن رَجُلاً من أهل الحكمة اختلف إليه سنةً لأفاد منه كلّ يوم صيغة وعقدة أخرى، ويقال: إن الوليد جمع لبنائه حذّاق فارس، والهند، والمغرب، والروم وأنفق عليه خراج الشام سبع سنين مع ثماني عشرة سفينةً ذهب وفضّة أقلعت من قبرص سوى ما أهدى إليه ملك الروم من الآلات والفسافساءِ.

ويدخل إليه العامّة من أربعة أبواب: باب البريد عن اليمين كبير له فرخان عن يمين وشمال على كلّ واحدٍ من الباب الأعظم والفرخين مصراعان مصفّحة بالصفر

المذهب، وعلى الباب والفرخين ثلاثة أروقة كلُّ باب منهما يفتح إلى رواق طويل قد عقدت قناطره على أعمدة رخام ليست حيطانه على ما ذكرنا وجميع السقوف مزوّقة أحسن تزويق وفي هذه الأروقة موضع الورّاقين ومجلس خليفة القاضي.

وهذا الباب بين المغطّى والصحن يقابله عن اليسار باب جَيْرُون على ما ذكرنا غير أن الأروقة معقودة بالعرض يصعد إليه في درج يجلس فيه المنجّمون وأضرابهم وباب الساعات في زاوية المغطّى الشرقيّة مصراعان سواذج عليه أروقة يجلس فيه الشروطيّون وأشباههم والباب الرابع باب الفَرَادِيس مصراعان قبال المحراب في أروقة بين زيادتين عن يمين وشمال عليه منارة محدثة مرصّعة على ما ذكرنا وعلى كلّ من هذه الأبواب ميضاة مرخّمة بيوت ينبع فيها الماءُ وفوّارات خارجة في قصاع عظيمة من رخام، ومن الخضراء وهي دار السلطان أبواب إلى المقصورة مصفّحة مطليّة.

وقلتُ يوماً لعمّي يا عمّ لم يحسن الوليد حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق ولو أصرف ذلك في عمارة الطرق والمصانع ورمّ الحصون لكان أصوب وأفضل قال لا تَفْعَل يا بنيَّ إن الوليد وُفق وكشف له عن أمر جليلٍ وذلك أنه رأى الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعاً حسنة قد أفتن زخارفها وانتشر ذكرها كالقُمَامة وبيعة لُدّ والرُّهَا فاتَّخذ للمسلمين مسجداً أشغلهم به عنهنّ وجعله أحد عجائب الدنيا ألا ترى أن عبد الملك لمّا رأى عظم قبّة القمامة وهيئتها خشى أن تعظم في قلوب المسلمين فنصب على الصخرة قبّةً على ما ترى، ووجدتُ في كتاب بخزائن عضد الدولة عَرُوسَا الدنيا دمشق والريُّ.

وقال يحيى بن أكثم ليس بالأرض أنزه من ثلاث بقاع سمرقند وغوطة دمشق ونهر الأبلّة، ودمشق بناها دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام قبل مولد إبراهيم بخمس سنين. وقال الأصمعيُّ: لا بل اشتقّ اسمها من دمشقوها أي أسرعوها، ويقال: إن عمر بن عبد العزيز أراد أن ينقص الجامع ويجعله في مصالح المسلمين حتّى ناظروه في ذلك، وقرأتُ في بعض الكتب إنّما أنفق عليه ثمانية عشر حمل بغل ذهب، وقد قال بعض من يهجوهم:

يَـا أَيُّهَـا السَّـائِـلُ عَـنْ أَدْيَـانِنَـا لَمَّـا رَأَى هَيْئَـةَ أحبَـارِهِـمْ
وَحُسْـنَ سَمْـتٍ لَهُـمُ ظَـاهِـراً إِعْـلاَنُهُـمْ لَيْـسَ كَـأسْـرَارِهِـم
مَـا إِنْ لَهُـمْ فَخْـرٌ سِـوَى مَسْجِـدٍ بِـهِ تَعَـدَّوْا فَـوْقَ أَطْـوَارِهِـمْ

لَـوْ جَـاءَهُـمْ جَـارٌ لَهُـمْ قَـابِسـاً مَـا قَبَسُـوهُ الـدَّهْـرَ مِـنْ نَـارِهِـمْ
أَشَـدُّ عَلَـى الجِيـرَانِ أَعْـدَاءُهُـمْ آمِنَـةٌ تَخْطُـرُ فِـي دَارِهِـمْ

وكذب في هذا البيت لأن الأعداء أبداً يخافونهم ومدينة بَانِيَاس على طرف الحُولة وحدّ الجبل أرخى وأرفق من دمشق وإليها انتقل أكثر أهل الثغور لمّا أُخذت طَرَسُوس وزادوا فيها وهي كلّ يوم في زيادة، لهم نهر شديد البرودة يخرج من تحت جبل الثلج وينبع وسط المدينة وهي خزانة دمشق رفقة بأهلها بين رساتيق جليلة غير أن مائها رديٌّ وصَيْدَا وبَيْرُوت مدينتان على الساحل حصينتان وكذلك طرابلس إلا أنها أجلّ. بعلبك قديمة فيها مزارع وعجائب معدن الأعناب، وسائر مدنها طيّبة رحاب، وبحَوْرَان والبَثَنِيَّة ضياع أيُوب ودياره مدينتها نَوَى معدن القموح والحبوب والحُولَة معدن الأقطان والأزهار وهي أغوار وأنهار والغُوطَة تكون مرحلة في مثلها يعجز عن وصفها.

طَبِرَيَّة قصبة الأردنّ وبلد وادي كنعان موضوعة بين الجبل والبحيرة فهي ضيّقة كربة في الصيف مؤذية طولها نحو من فرسخ بلا عرض، وسوقها من الدرب إلى الدرب والمقابر على الجبل بها ثماني حمّامات بلا وقيد ومياضٍ عدّة حارّة الماءِ والجامع في السوق كبير حسن قد فرش أرضه بالحصى على أساطين حجارة موصولة، ويقال أهل طبريّة شهرين يرقصون وشهرين يقمقمون وشهرين يثاقفون، وشهرين عراة، وشهرين يزمرون، وشهرين يخوضون يعني يرقصون من كثرة البراغيث، ويلوكون النبق، ويطردون الزنابير عن اللحم، والفواكه بالمذابّ، وعراة من شدّة الحرّ، ويمصّون قصب السكّر، ويخوضون الوحل، وأسفل البحيرة جسر عظيم عليه طريق دمشق وشربهم منها، عليها بما يدور قرى ونخيل والسفن فيها تذهب وتجيءُ، وماءُ الحمّامات والدواميس إليها لا يستطيبها الغرباءُ كثيرة الأسماك خفيفة الماءِ، والجبل مطلٌّ على البلد شاهق.

وقَدَس مدينة صغيرة على سفح جبل كثيرة الخير، رستاقها جَبَلَ عَامِلَة بها ثلاث عيون شربهم منها وحمّامهم واحد تحت البلد والجامع في السوق فيه نخلة وهو بلد حارٌّ ولهم بحيرة على فرسخ تصبُّ إلى بحيرة طبريّة قد عمد إلى النهر فسجر ببناءٍ عجيب حتّى يتبحّر إلى جنبها غابة حلفاء رفقهم منها أكثرهم ينسجون الحصر ويفتلون الحبال وفي البحيرة أنواع من السمك منه البُنّيُّ حُمل من واسط كثيرة الذمّة.

وجبل عاملة ذو قرى نفيسة وأعناب وأثمار وزيتون وعيون المطرُ يسقى

زروعهم يطلّ على البحر ويتّصل بجبل لبنان، أَذْرِعَاتُ مدينة قريبة من البادية رستاقها جَبَلُ جَرَش يقابل جبل عاملة كثير القرى وجلّت طبريّة بهٰذين الجبلين، بَيْسَان على النهر كثيرة النخيل وأرزاز فلسطين والأردنّ منها غزيرة المياه رحبة إلاّ أن ماءَها ثقيل، اللَّجُّون مدينة على رأس حدّ فلسطين في الجبال بها ماءٌ جارٍ رحبة نزيهة.

كابُل مدينة ساحليّة بها مزارع الأقصاب وبها يطبخ السكّر الفائق، والفَرَاذية قرية كبيرة، بها منبر معدن الأعناب والكروم، بها ماءٌ غزير وموضع نزيه، عَكّا مدينة حصينة على البحر كبيرةُ الجامع فيه غابة زيتون تقوم بسرجه وزيادةٍ ولم تكن على هذه الحصانة حتّى زارها ابن طيلون وقد كان رأى صُورَ ومنعتها واستدارة الحائط على ميناها فأحبَّ أن يتّخذ لعكّا مثل ذلك المينا فجمع صُنَّاع الكورة وعرض عليهم ذلك، فقيل: لا يهتدي أحد إلى البناءِ في الماءِ في هذا الزمان، ثم ذُكر له جدُّنا أبو بكر البنّاءُ.

وقيل: إن كان عند أحدٍ علم هذا فعنده، فكتب إلى صاحبه على بيت المقدس حتّى أنهضه إليه، فلمّا صار إليه وذكر له ذلك، قال: هذا أمر هيّن عليَّ بفِلَق الجُمَّيز الغليظة فصفّها على وجه الماءِ بقدر الحصن البرّيّ وخيّط بعضها ببعض وجعل لها باباً من الغرب عظيماً، ثم بنى عليها بالحجارة والشيد وجعل كلّما بنى خمس دوامس ربطها بأعمدة غلاظ ليشتدّ البناء، وجعلت الفلق كلّما ثقلت نزلت حتّى إذا علم أنها قد جلست على الرمل تركها حولاً كاملاً حتّى أخذت قرارها، ثم عاد فبنى من حيث ترك كلّما بلغ البناءُ إلى الحائط القديم داخله فيه وخيّطه به ثم جعل على الباب قنطرة فالمراكب في كلّ ليلة تدخل المينا وتجرُّ السلسلة مثل صور، قال فدفع إليه ألف دينار سوى الخلع وغيرها من المركوب واسمه عليه مكتوب وقد كان العدوُّ قبل ذلك يغير على المراكب، والجَشُّ قرية وهي قريبة من القصبة موضوعة بين أربعة من الرساتيق قريبة من البحر، وصُورُ مدينة حصينة على البحر، بل فيه يدخل إليها من باب واحد على جسرٍ واحدٍ قد أحاط البحر بها ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا أرض تدخل فيه المراكب كلَّ ليلة، ثم تجرُّ السلسلة التي ذكرها محمّد بن الحسن في كتاب الإكراه، ولهم ماءٌ يدخل في قناة معلّقة وهي مدينة جليلة نفيسة بها صنائع ولهم خصائص وبين عكّا وصور شبه خليج ولذلك يقال عكّا حذاءَ صور، إلاّ أنك تدور يعني حول الماءِ.

الرَّمْلَة قصبة فلسطين بهيّة حسنة البناء خفيفة الماءِ مريّة واسعة الفواكه جامعة

الأضداد بين رساتيق جليلة ومدن سريّة ومشاهد فاضلة وقرى نفيسة والتجارة بها مفيدة والمعايش حسنة ليس في الإسلام أبهى من جامعها ولا أحسن وأطيب من حُوّاريها ولا أبرك من كورتها ولا ألذُّ من فواكهها موضوعة بين رساتيق زكيّة ومدن محيطة ورباطات فاضلة ذات فنادق رشيقة وحمّامات أنيقة وأطعمة نظيفة وإدامات كثيرة ومنازل فسيحة ومساجد حسنة وشوارع واسعةٍ وأمور جامعة، قد خُطَّت في السهل وقربت من الجبل والبحر وجمعت التين والنخل وأنبتت الزروع على البعل وحوت الخيرات والفضل غير أنها في الشتاءِ جزيرة من الوحل وفي الصيف ذريرة من الرمل، لا ماءَ يجري ولا خضر ولا طين جيّد ولا ثلج، كثيرة البراغيث، عميقة الآبار مالحة، وماءُ المطر في جباب مقفلة، فالفقير عطشان، والغريب حيران، وفي الحمّام ديوان، ويدور في الدولاب خدّام، وهي ميل راجح في ميل بنيانهم حجارة منحوتة حسنة وطوب الذي أعرف من دروبها درب بئر العسكر، درب مسجد عَنّبَة، درب بيت المقدس، درب بيلعة، درب لُدّ، درب يافا، درب مصر، درب دَاجُون، يتّصل بها مدينة تسمّى داجون فيها جامع، وجامع القصبة في الأسواق أبهى وأرشق من جامع دمشق يسمّى الأبيض ليس في الإسلام أكبر من محرابه ولا بعد منبر بيت المقدس أحسن من منبره وله منارة بهيّة بناه هشام بن عبد الملك.

وسمعتُ عمّي يقول لمّا أراد بناءَه قيل له: إن للنصارى أعمدة رخام مدفونة تحت الرمل استعدُّوها لكنيسة بالعة، فقال لهم هشام بن عبد الملك: إمّا أن تظهروها، وإمّا أن نهدم كنيسة لُدّ[1] فنبني هذا الجامع على أعمدتها فأظهروها، وهي غليظة طويلة حسنة، وأرض المغطّى مفروشة بالرخام والصحن بالحجارة المؤلّفة وأبواب المغطّى من الشربين والتنُّوب مداخلة محفورة حسنة جدًّا.

بَيْتُ المَقْدِسِ ليس في مدائن الكور أكبر منها وقصبات كثيرة أصغر منها كإصطخر وقاين والفَرَما لا شديدة البرد، وليس بها حرٌّ، وقلّ ما يقع بها ثلج وسألني القاضي أبو القاسم ابن قاضي الحرمين عن الهواءِ بها، فقلتُ: سَجْسج لا حرٌّ ولا برد شديد. قال: هذا صفة الجنّة، بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه ولا أتقن من بنائها،

---

(١) لدّ: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين ببابها يُدرك عيسى بن مريم عليه السلام الدجّال فيقتله، وقيل: لدّ، اسم رملة يُقتل عندها الدجّال. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٧).

ولا أعفّ من أهلها ولا أطيب من العيش بها، ولا أنظف من أسواقها، ولا أكبر من مسجدها، ولا أكثر من مشاهدها عنبها خطير، وليس لمعنَّقتها نظير، وفيها كلُّ حاذق وطبيب، وإليها قلب كلّ لبيب، ولا تخلو كلَّ يوم من غريب، وكنتُ يوماً في مجلس القاضي المختار أبي يحيى بن بهرام بالبصرة فجرى ذكر مصر إلى أن سُئلتُ: أيُّ بلدٍ أجلُّ؟ قلتُ: بلدنا، قيل: فأيُّها أطيب؟ قلتُ: بلدنا، قيل: فأيُّها أفضل؟ قلت: بلدنا، قيل: فأيُّها أحسن؟ قلتُ: بلدنا، قيل: فأيُّها أكثر خيرات؟ قلتُ: بلدنا، قيل: فأيُّها أكبر؟ قلتُ: بلدنا، فتعجَّب أهل المجلس من ذلك، وقيل: أنت رجل محصّل، وقد ادَّعيتَ ما لا يقبلُ منك، وما مثلك إلاّ كصاحب الناقة مع الحجّاج، قلتُ: أما قولي أجلُّ، فلأنّها بلدة جمعت الدنيا والآخرة، فمن كان من أبناءِ الدنيا، وأراد الآخرة وجد سوقها، ومن كان من أبناءِ الآخرة فدعته نفسه إلى نعمة الدنيا وجدها، وأما طيب الهواءِ فإنه لا سمَّ لبردها ولا أذى لحرّها، وأما الحسن فلا ترى أحسن من بنيانها ولا أنظف منها ولا أنزه من مسجدها.

وأما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الأغوار والسهل والجبال والأشياء المتضادّة كالأترجّ، واللوز، والرطب، والجوز، والتين، والموز.

وأما الفضل فلأنّها عرصة القيامة ومنها المحشر وإليها المنشر وإنّما فُضّلت مكّة والمدينة بالكعبة والنبيّ ﷺ ويومَ القيامة تزفّان إليها فتحوى الفضل كلّه.

وأما الكبر فالخلائق كلُّهم يحشرون إليها فأيُّ أرض أوسع منها فاستحسنوا ذلك وأقرُّوا به، إلاّ أن لها عيوباً عدّة.

يقال: إن في التوراة مكتوب بيت المقدس طشت ذهب مُلِئ عقارب، ثم لا ترى أقذر من حمّاماتها، ولا أثقل مؤنة، قليلة العلماءِ كثيرة النصارى، وفيهم جفاءٌ على الرحبة، والفنادق ضرائب ثقال على ما يباع فيها رجّالة على الأبواب فلا يمكن أحداً أن يبيع شيئاً ممّا يرتفق به الناس إلاّ بها مع قلّة يسار، وليس للمظلوم أنصار، والمستور مهموم، والغنيُّ محسود، والفقيه مهجور، والأديب غير مشهود، لا مجلس نظر ولا تدريس قد غلب عليها النصارى واليهود وخلا المسجد من الجماعات والمجالس، وهي أصغر من مكّة، وأكبر من المدينة عليها حصن بعضُه على جبل وعلى بقيّته خندق، ولها ثمانية أبواب حديد: باب صِهْيَوْن، باب التيه، باب البلاط، باب جبّ أرميا، باب سلوان، باب أريحا، باب العمود، باب محراب داود.

والماء بها واسع، ويقال: ليس ببيت المقدس أمكن من الماءِ، والأذان قلّ دار ليس بها صهريج وأكثر. وبها ثلاث برك عظيمة بركة بني إسرائيل، بركة سليمان، بركة عياض عليها حمّاماتهم لها دواعٍ من الأزقّة، وفي المسجد عشرون جبًّا متبحّرة، وأقلُّ حارة إلاّ وفيها جُبٌّ مسبَّل غيرَ أن مياهها من الأزقّة، وقد عُمد إلى وادٍ فجُعل بركتان يجتمع إليهما السيول في الشتاءِ وشُقَّ منهما قناة إلى البلد تدخل وقت الربيع فتملأ صهاريج الجامع وغيرها.

وأما المسجد الأقصى فهو على قرنة البلد الشرقيّ نحو القبلة أساسه من عمل داود طول الحجر عشرة أذرع وأقلُّ منقوشة موجَّهة مؤلَّفة صلبة وقد بنى عليه عبد الملك بحجارة صغار حسان وشرّفوه وكان أحسن من جامع دمشق لكن جاءَت زلزلة في دولة بني العبّاس فطرحت المغطّى إلاّ ما حول المحراب فلمّا بلغ الخليفة خبره قيل له: لا يفي بردّه إلى ما كان بيت مال المسلمين فكتب إلى أمراءِ الأطراف وسائر القوّاد أن يبني كلُّ واحد منهم رواقاً، فبنوه أوثق وأغلظ صناعةً ممّا كان، وبقيت تلك القطعة شامة فيه وهي إلى حدّ أعمدة الرخام وما كان من الأساطين المشيَّدة فهو محدث، وللمغطّى ستّة وعشرون باباً باب يقابل المحراب يسمّى باب النحاس الأعظم مصفَّح بالصفر المذهب لا يفتح مصراعه إلاّ رجل شديد الباع قويُّ الذراع عن يمينه سبعة أبواب كبار في وسطها باب مصفَّح مذهب، وعلى اليسار مثلهنَّ، ومن نحو الشرق أحد عشر باباً سواذج، وعلى الخمسة عشر رواق على أعمدة رخام أحدثه عبد الله بن طاهر، وعلى الصحن من الميمنة أروقة على أعمدة رخام وأساطين وعلى المؤخّر أروقة آزاج من الحجارة، وعلى وسط المغطّى جمل عظيم خلف قبّة حسنة والسقوف كلُّها إلاّ المؤخّر ملبسة بشقاق الرصاص والمؤخّر مرصوف بالفسيفساءِ الكبار، والصحن كلُّه مبلَّط وسطه دكّة مثل مسجد يثرب يصعد إليها من الأربع جوانب في مراقٍ واسعة وفي الدكّة أربع قباب قبّة السلسلة قبّة المعراج قبّة النبيّ ﷺ وهذه الثلاث لطاف ملبسة بالرصاص على أعمدة رخام بلا حيطان وفي الوسط قبّة الصخرة على بيت مثمّن بأربعة أبواب كلُّ باب يقابل مرقاة، باب القبليّ، باب إسرافيل، باب الصور، باب النساءِ يفتح إلى الغرب جميعها مذهبة في وجه كلّ واحد باب ظريف من خشب التنّوب مداخل حسن أمرت بهنَّ أمُّ المقتدر بالله وعلى كلّ باب صفّة مرخّمة بالتنّوبيّة تطبّق على الصفريّة من خارج، وعلى أبواب الصفاف أبواب

أيضاً سواذج، داخل البيت ثلاثة أروقة دائرة على أعمدة معجونة أجلُّ من الرخام وأحسن لا نظير لها قد عقدت عليها أروقة لاطية داخلها رواق آخر مستدير على الصخرة لا مثمَّن على أعمدة معجونة بقناطر مدوَّرة فوق هذه منطقة متعالية في الهواءِ فيها طيقان كبار والقبّة من فوق المنطقة طولها عن القاعدة الكبرى مع السفُّود في الهواءِ مائة ذراع ترى من البعد فوقها سفُّود حسن طول قامة وبسطة والقبّة على عظمها ملبسة بالصفر المذهب.

وأرض البيت وحيطانه مع المنطقة من داخل وخارج على ما ذكرنا من جامع دمشق، والقبّة ثلاث سافات، الأولى من ألواح مزوَّقة، والثانية من أعمدة الحديد قد شبّكت لئلاَّ تميلها الرياح، ثم الثالثة من خشب عليها الصفائح، وفي وسطها طريق إلى عند السفُّود يصعدها الصنَّاع لتفقُّدها ورمّها فإذا بزغت عليها الشمس أشرقت القبّة وتلألأت المنطقة، ورأيت شيئاً عجيباً وعلى الجملة لم أر في الإسلام ولا سمعتُ أن في الشرك مثل هذه القبّة.

ويدخل إلى المسجد من ثلاثة عشر موضعاً بعشرين باباً: باب حُطَّة، بابي النبيّ ﷺ أبواب محراب مريم، بابي الرحمة باب بركة بني إسرائيل، أبواب الأسباط، أبواب الهاشميّين، باب الوليد، باب إبراهيم، باب أمّ خالد، باب داود، وفيه من المشاهد محراب مريم، وزكريَّا، ويعقوب، والخضر، ومقام النبيّ ﷺ، وجبريل، وموضع النمل، والنور، والكعبة، والصراط متفرّقة فيه، وليس على الميسرة أروقة، والمغطَّى لا يتَّصل بالحائط الشرقيّ، ومن أجل هذا يقال: لا يتمُّ فيه صفٌّ أبداً، وإنَّما ترك هذا البعض لسببَيْن:

أحدهما، قول عمر: اتَّخذوا في غربيّ هذا المسجد مصلى للمسلمين فتركت هذه القطعة لئلاَّ يخالف.

والثاني: أنهم لو مدُّوا المغطَّى إلى الزاوية لم تقع الصخرة حذاءَ المحراب فكرهوا ذلك والله أعلم.

وطول المسجد ألف ذراع بذراع الملك الأشبانيّ، وعرضه سبعمائة وفي سقوفه من الخشب أربعة آلاف خشبة وسبعمائة عمود رخام، وعلى السطح خمسة وأربعون ألف شقفة رصاص وحجم الصخرة ثلاثة وثلاثون ذراعاً في سبعة وعشرين، والمغارة

التي تحتها تَسَعُ تسعاً وستّين نفساً، وكانت وظيفته في كلّ شهر مائة قسط زيت وفي كلّ سنة ثمانُ مائة ألف ذراع خضر وخدّامه مماليك له أقامهم عبد الملك من خُمْس الأسارى ولذلك يسمّون الأخماس لا يخدمه غيرهم ولهم نُوَب يحفظونها.

وسُلْوَان محلّة في ربض المدينة تحتها عين عذيبيّة تسقى جناناً عظيمة أوقفها عثمان بن عفّان على ضعفاءِ البلد تحتها بئر أيّوب ويزعمون أن ماء زمزم يزور ماء هذه العين ليلة عَرَفَة، وادي جَهَنَّمَ على قرنة المسجد إلى آخره قبل الشرق فيه بساتين وكروم وكنائس ومغاير وصوامع ومقابر وعجائب ومزارع، وسطَه كنيسة على قبر مريم ويشرف عليه مقابر فيها شدّاد بن أوس الخزرجيُّ وعُبَادة بن الصامت وجبل زُيْتَا مطلٌّ على المسجد شرقيٌّ هذا الوادي على رأسه مسجد لعمر نزله أيّام فتح البلد وكنيسة على الموضع الذي صعد منه عيسى عليه الصلاة والسلام.

وموضع يسمّونه السَّاهِرَة وحدّثونا عن ابن عبّاس أن الساهرة هي أرض القيامة بيضاءُ لم يسفك عليها دم، وبَيْتُ لَحْمَ قرية على طرف فرسخ من نحو حَبْرَى بها وُلِدَ عيسى، وثَمَّ كانت النخلة وليس يرطب النخيل بهذا الرستاق، ولكن جُعلت لها آية وبها كنيسة ليس بالكورة مثلها.

وحَبْرَى هي قرية إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فيها حصن منيع يزعمون أنه من بناءِ الجنّ من حجارة عظيمة منقوشة وسطه قبّة من الحجارة إسلاميّة على قبر إبراهيم، وقبر إسحاق قدّام في المغطّى، وقبر يعقوب في المؤخّر حذاءَ كلّ نبيّ امرأته، وقد جُعل الحير مسجداً، وبُنِيَ حوله دور للزوّار، واختلطت به العمارة ولهم قناة ضعيفة وهذه القرية إلى نحو نصف مرحلة من كلّ جانب قرى وكروم وأعناب وتفّاح يسمّى جَبَل نَضْرة لا يرى مثله ولا أحسن من فواكهه عامّتها تحمل إلى مصر وتنشر، وفي هذه القرية ضيافة دائمة، وطبّاخ، وخبّاز، وخدّام، مرتّبون، يقدّمون العدس بالزيت لكلّ من حضر من الفقراءِ، ويدفع إلى الأغنياءِ إذا أخذوا ويظنُّ أكثر الناس أنه من قِرَى إبراهيم وإنّما هو من وقف تميم الداريّ وغيره، والأفضل عندي التورُّع عنه، وعلى فرسخ من حبرى جبل صغير مشرف على بحيرة صُغَر وموضع قُرَيات لوط ثمَّ مسجد بناه أبو بكر الصباحيُّ فيه موضع مرقد إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد غاص في القفّ نحو ذراع يقال: إن إبراهيم لمّا رأى قُرَيات لوط في الهواءِ رقد ثَمَّ وقال: أشهد أن هذا هو الحقُّ اليقين.

وحدُّ القُدْس ما حول إيلِيّا إلى أربعين ميلاً يدخل في ذلك القصبة ومدنها واثنا عشر ميلاً في البحر وصُغَر ومَآب وخمسة أميال من البادية ومن قبل القبلة إلى ما وراءَ الكُسَيفة وما يحاذيها ومن قبل الشمال تخوم نابلس وهذه الأرض مباركة كما قال الله تعالى مشجرة الجبال زريعة السهول من غير سقي ولا أنهار كما قال الرجلان لموسى ابن عمران: وجدنا بلداً يفيض لبناً وعسلاً.

وبَيتُ جِبْرِيلَ مدينة سهليّة جبليّة رستاقها الدّارُوم فيه مقاطع الرخام وميرة القصبة وخزانة الكورة بلد الغوالّ والرخاءِ ذات ضياع جليلة إلاّ أنها قد خفَّت وهي كثيرة المخنّثين.

غَزَّة كبيرة على جادّة مصر وطرف البادية وقرب البحر بها جامع حسن وفيها أثر عمر بن الخطّاب ومولد الشافعيّ، وقبر هاشم بن عبد مناف ميماس على البحر حصينة صغيرة تنسب إلى غزّة عَسْقَلَان، على البحر، جليلة كثيرة المحارس، والفواكه، ومعدن الجُمَّيز جامعها في البزّازين قد فرش بالرخام بهيّة فاضلة طيّبة حصينة قزُّها فائق وخيرها دافق والعيش بها رافق أسواق حسنة ومحارس نفيسة إلاّ أن ميناها رديٌّ وماءَها عذيبيٌّ ودلمها مؤذٍ.

ويَافَه على البحر صغيرة إلاّ أنها خزانة فلسطين وفرضة الرملة عليها حصن منيع بأبواب محدَّدة وباب البحر كلُّه حديد والجامع مشرف على البحر نزه وميناها جيّد.

وأَرْسُوف أصغر من يافه حصينة عامرة بها منبر حسن بُني للرملة ثم كان صغيراً فحمل إلى أرسوف.

وقَيْسَارِيّة ليس على بحر الروم بلد أجلُّ ولا أكثر خيرات منها تفور نعماً وتندفق خيرات طيّبة الساحة حسنة الفواكه عليها حصن منيع وربض عامر قد أدير عليه الحصن، شربهم من آبار وصهاريج ولها جامع حسن.

نابُلُس في الجبال كثيرة الزيتون يسمُّونها دمشق الصغرى وهي في وادٍ قد ضغطها جبلان سوقها من الباب إلى الباب وآخر إلى نصف البلد والجامع وسطها مبلَّطة نظيفة لها نهر جارٍ بناؤهم حجارة ولهم دواميس عجيبة.

وأَرِيحاءُ هي مدينة الجبَّارين وبها الباب الذي ذكره الله لبني إسرائيل وهي معدن النيل والنخيل، رستاقها الغُور وزروعهم تسقى من العيون شديدة الحرّ معدن الحيّات

والعقارب أهلها سمر وسودان، كثيرة البراغيث غير أن ماءَها أخفُّ ماء في الإسلام، كثيرة الموز والأرطاب والريحان.

وعَمَّان على سيف البادية ذات قرّى ومزارع رستاقها البلقاءُ معدن الحبوب والأغنام بها عدَّة أنهار وأرحية يديرها الماءُ ولها جامع ظريف بطرف السوق مفسفس الصحن وقد قلنا: إنه شبه مكَّة.

وقصر جالوت على جبل يطلُّ عليها وبها قبر أُوريَّا عليه مسجد وملعب سليمان، رخيصة الأسعار كثيرة الفواكه غير أن أهلها جهَّال وإليها الطرق الصعبة.

والرَّقيمُ قرية على فرسخ من عمَّان على تخوم البادية فيها مغارة لها بابان صغير وكبير يزعمون أن من دخل الكبير ولم يمكنه الدخول من الصغير فهو ممذر وفي المغارة ثلاثة قبور وهي التي حدَّثنا أبو الفضل محمَّد بن منصور، قال حدَّثنا أبو بكر بن سعيد قال حدَّثنا الفضل بن حمَّاد قال حدَّثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة قال أخبرني نافع عن عبد الله ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «بينما نفر ثلاثة يتماشون إذ أخذهم المطر فمالوا إلى غار في الجبل فانحطَّت إلى فم غارهم صخرة من الجبل فطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها لله عزَّ وجلَّ صالحة فادعوا الله بها لعلَّه يفرجها، فقال أحدهم: اللهمَّ كان لي والدان شيخان كبيران ولي صبية صغار كنت أرعى عليهم فإذا رحتُ عليهم فحلبتُ بدأتُ بوالديَّ أسقيتُهما قبل ولدي وأنه نابني السخر يوماً فلم آت حتَّى أمسيت فوجدتُهما قد ناما فحلبتُ كما كنتُ أحلب فجئتُ بالحلاب فقمتُ عند رؤوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية ينضاعون فلم نزل كذلك حتَّى طلع الفجر فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرج لنا فرجةً نرى منها السماءَ، ففرج الله تعالى فرجة رأوا منها السماءَ، وقال الآخر: اللهمَّ أنه كانت لي ابنة عمَّ أحببتُها كأشدّ ما يحبُّ الرجال فطلبتُ إليها نفسها فأبت حتَّى آتيها بمائة دينار فسعيتُ حتَّى جمعتُ مائة دينار فجئتُها بها فلمَّا وقعتُ بين رجليها، قالت: يا عبد الله اتَّق الله ولا تفتح الخاتم إلاَّ بحقّه فقمتُ عنها فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرج لنا منها فرجاً، ففرج الله لهم فرجة، وقال الآخر: اللهمَّ إني كنتُ استأجرتُ أجيراً بعُرْف من أرزّ فلمَّا قضى عمله قال: أعطني حقّي فعرضتُ عليه حقَّه فتركه ورغب عنه فلم أزل أزرعه حتَّى جمعتُ منه بقراً وراعيها فجاءَني، وقال: اتَّق الله

ولا تظلمني وأعطني حقّي، فقلتُ: اذهب إلى تلك البقر وراعيها فخذها، فقال: اتّق الله ولا تهزأ بي، فقلتُ: إني لا أهزأ بك خذ تلك البقر وراعيها فأخذها وانطلق بها فإن كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافرج ما بقي ففرّج الله عنهم»[1].

ولهذه الكورة قرى جليلة ذات منابر أعمر وأجلُّ من أكثر مدن الجزيرة وهي مذكورة غير أنه لمّا لم يكن لها قوّة المدن في الآئين ولا ضعف القرى في الخمول وتردُّد أمرها بين الرتبتَيْن وجب أن نستظهر بذكرها ونبيّن مواضعها منها لُدُّ وهي على ميل من الرملة بها جامع يجمّع به خلق كثير من أهل القصبة وما حوله من القرى وبها كنيسة عجيبة على بابها يقتل عيسى الدجَّالَ.

وكَفَرْسابا كبيرة بجامع على جادَّة دمشق وعاقر قرية كبيرة بها جامع كبير لهم رغبة في الخير وليس مثل خبزهم على جادَّة مكّة.

ويُبْنَا[2] بها جامع نفيس معدن التين الدمشقيّ الفائق. وعَمَوَاس ذكروا أنها كانت القصبة في القديم وإنّما تقدَّموا إلى السهل والبحر من أجل الآبار لأن هذه على حدّ الجبل.

وكَفَرْ سَلاَّم من قرى قيساريّة كبيرة آهلة بها جامع على الجادَّة ولهذه القصبة رباطات على البحر يقع بها النفير، وتقلع إليها شلنديات الروم، وشوانيهم معهم أسارى المسلمين للبيع كلُّ ثلاثة بمائة دينار، وفي كلّ رباط قوم يعرفون لسانهم، ويذهبون إليهم في الرسالات، ويُحْمَل إليهم أصناف الأطعمة وقد ضُجَّ بالنفير لمّا ترايت مراكبهم فإن كان ليل أوقدت منارة ذلك الرباط، وإن كان نهار دخَّنوا ومن كلّ رباط إلى القصبة عدّة منابر شاهقة قد رتّب فيها أقوام فتوقد المنارة التي للرباط ثم التي تليها، ثم الأخرى فلا يكون ساعة إلاّ وقد أُنفر بالقصبة، وضرب الطبل على المنارة، ونودي إلى ذلك الرباط، وخرج الناس بالسلاح والقوّة، واجتمع أحداث الرساتيق، ثم يكون الفداءُ فرجل يشتري رجلاً، وآخر يطرح درهماً، أو خاتماً حتّى يشتري ما معهم، ورباطات هذه الكورة التي يقع بهنَّ الفداءُ.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢: ١١٦).

(٢) يبنا: ضبطها صاحب معجم البلدان يُبنى وهي بليدة قرب الرملة. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٩١).

غزّة ميماس عسقلان ماحُوز أَزْدُود ماحوز يُبْنَا يافَه أَرْسُوف. صُغَر أهل الكورتين يسمُّونها صقر وكتب مقدسيٌّ إلى أهله من سقر السفلى إلى الفردوس الأعلى وذلك أنه بلد قاتل للغرباءِ رديُّ الماءِ ومن أبطأ عليه ملك الموت فليرحل إليها، ولا أعرف في الإسلام لها نظيراً في هذا الباب، وقد رأيتُ بلداناً وبيّةً، ولكن ليس كهذه أهلها سودان غلاظ، وماؤها حميم وكأنها جحيم إلأ أنها البصرة الصغرى، والمتجر المربح وهي على البحيرة المقلوبة، وبقيّة مدائن لُوط، وإنّما نجت لأن أهلها لم يكونوا يعملون الفاحشة، والجبال منها قريبة، ومآب في الجبل، كثيرة القرى، واللوز، والأعناب قريبة من البادية، ومؤتَة من قراها، وثَمَّ قبر جعفر الطيّار، وعبد الله بن رواحة.

وأَذْرُح مدينة متطرّفة حجازيّة شاميّة وعندهم بردة رسول الله ﷺ وعهده وهو مكتوب في أديم.

ووَيْلَة مدينة على طرف شعبة بحر الصين عامرة جليلة ذات نخيل وأسماك فرضة فلسطين وخزانة الحجاز والعامُّ يسمُّونها أَيْلَة وأيلَة قد خربت على قرب منها وهي التي قال الله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

ومَدْيَن على تخوم الحجاز في الحقيقة لأن جزيرة العرب كلّما دار عليه البحر ومدين في هذه الخطّة وثَمَّ الحجر الذي رفعه موسى عليه الصلاة والسلام سقى غنم شُعَيب والماءُ بها غزير وأرطالهم ورسومهم شاميّة، وفي ويلة تنازع بين الشاميّين والحجازيّين والمصريّين كما في عبّادان وإضافتها إلى الشام أصوب لأن رسومهم وأرطالهم شاميّة وهي فرضة فلسطين ومنها يقع جلابهم، وتَبُوك مدينة صغيرة بها مسجد النبيّ ﷺ.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم متوسّط الهواءِ إلأ وسطه من الشَّرَاة إلى الحُولَة فإنه بلد الحرّ، والنيل، والموز، والنخيل.

وقال لي يوماً غسّان الحكيم ونحن بأريحاءَ: ترى هذا الوادي؟ قلتُ: بلى، قال: هو يمدُّ إلى الحجاز، ثم يخرج إلى اليمامة، ثم إلى عمان وهجر، ثم إلى البصرة، ثم إلى بغداد، ثم يصعد إلى ميسرة الموصل إلى الرقّة، وهو وادي الحرّ

والنخيل، وأشدُّ هذا الإقليم برداً بَعْلَبَكُّ وما حولها، ومن وأمثالهم: قيل: للبرد أين نطلبك؟ قال: بالبلقاءِ. قال: فإن لم نجدك؟ قال: بعلبكُّ بيتي، وهو إقليم مبارك، بلد الرخص، والفواكه، والصالحين، وكلّما علا منه نحو الروم كان أكثر أنهاراً، وثماراً، وأبرد هواءً، وما سفل منه فإنه أفضل وأطيب، والذُّ ثماراً، وأكثر نخيلاً، وليس فيه نهر يسافر فيه إنّما يعبر قليل العلماءِ كثير الذمّة والمجذّمين ولا خطر فيه للمذكّرين، والسامرة فيه من فلسطين إلى طبريّة، ولا تجد فيه مجوسيًا، ولا صابئاً مذاهبهم مستقيمة، أهل جماعة وسُنّة، وأهل طبريّة، ونصف نابلس وقدس، وأكثر عمّان شيعة، ولا ماءَ فيه لمعتزليّ، إنّما هم في خفية.

وببيت المقدس خلق من الكرّاميّة، لهم خوانق، ومجالس، ولا ترى به مالكيًا، ولا داوديًا، وللأوزاعيّة مجلس بجامع دمشق، والعمل كان فيه على مذهب أصحاب الحديث، والفقهاء شفعويّة، وأقلُّ قصبة، أو بلد ليس فيه حنفي، وربّما كانت القضاة منهم فإن قيل: لِمْ لَمْ يُقَل، والعمل فيه على مذهب الشافعيّ والصدور، ثَمّ شفعويّة؟ قيل له: هذا كلام مَنْ لا تمييز له، لأن مذهب الشافعيّ الجهر بالبسملة، والقنوت في الفجر، ولا نقنت إلاّ في النصف الأخير من شهر رمضان في الوتر، وغير ذلك ما لم يكن يستعمله أهلُ الشام وينكرونه، ألا ترى أن ملكهم لمّا أمر بالجهر بالبسملة بطبريّة كيف تظلّموا منه إلى كافور الإخشيديّ واستبشعوا ما فعله، واليوم أكثر العمل على مذاهب الفاطميّ، ونحن نذكرها مع رسومهم في إقليم المغرب إن شاء الله تعالى.

والغالب فيه من القراءات حروف أبي عمرو إلاّ بدمشق فإنه لا يؤمُّ في الجامع إلاّ من يقرأ لابن عامر وهي شائعة فيهم مختارة عندهم وقد فشت قراءَة الكسائيّ في الإقليم ويستعملون السبع ويجتهدون في ضبطها.

والتجارات به مفيدة يرتفع من فلسطين الزيت، والقُطَين، والزبيب، والخرنوب، والملاحم، والصابون، والغوط.

ومن بيت المقدس الجبن، والقطن، وزبيب العينونيّ، والدوريّ غاية، والتفّاح، وقضم قريش الذي لا نظير له، والمرايا، وقدور القناديل، والإبر، ومن أريحاءَ نيل غاية، ومن صغر، وبيسان النيل، والتمور.

ومن عمّان الحبوب، والخرفان، والعسل، ومن طبريّة شقاق المطارح،

والكاغد وبزٌّ، ومن قدس ثياب المنيَّرة، والبلعيسيَّة، والحبال. ومن صور السكَّر، والحرز والزجاج، المخروط، والمعمولات، ومن مآب قلوب اللوز، ومن بيسان الرزُّ.

ومن دمشق المعصور، والبلعيسيُّ، وديباج، ودهن بنفسج دون، والصفريَّات، والكاغد، والجوز، والقطَّين، والزبيب.

ومن حلب القطن، والثياب، والأشنان، والمغرة، ومن بعلبكَّ الملابن، ولا نظير لقطَّين، وزيت الأنفاق، وحوَّاري، وميزر الرملة، ولا لمعنَّقة، وقضم قريش، وعينوني، ودوريّ، وترياق، وترذوغ، وسُبَح بيت المقدس.

واعلم أنه قد اجتمع بكورة فلسطين ستَّة وثلاثون شيئاً ولا تجتمع في غيرها فالسبعة الأولى لا توجد إلاَّ بها، والسبعة الثانية غريبة في غيرها والاثنان والعشرون لا تجتمع إلاَّ بها وقد يجتمع أكثرها في غيرها مثل قضم قريش، والمعنَّقة، والعينونيّ، والدوريّ، وأنجاص الكافوريّ، وتين السباعيّ، والدمشقيّ، والقلقاس، والجمَّيز، والخرنوب، والعكُّوب، والعُنّاب، وقصب السكَّر، والتفَّاح الشاميّ، والرطب، والزيتون، والأترجّ، والنيل، والراسن، والنارنج، واللُّفَّاح، والنبق، والجوز، واللوز، والهليون، والموز، والسُّمَّاق، والكرنب، والكماة، والترمس، والطريّ، والثلج، ولبن الجواميس، والشهد، وعنب العاصميّ، والتين التمريّ.

وأما القُبّيط فقد يرى مثله غير أن له طعماً آخر وقد ترى الخسَّ غير أنه في جملة البقل إلاَّ بالأهواز فإنه غاية ويفرد عن البقل أيضاً بالبصرة.

وأما المكاييل فلأهل الرملة القفيز، والوَيْبة، والمكُّوك، والكيلجة فالكيلجة نحو صاع ونصف، والمكُّوك ثلاث كيالج، والويبة مكُّوكان، والقفيز أربع ويبات، وينفرد أهل إيليا بالمدى وهو ثلثا القفيز، وبالقبّ وهو ربع المدى، ولا يستعمل المكُّوك إلاَّ في كيل السلطان، ومدى عمّان ستّ كيالج، وقفيزهم نصف كيلجة، وبه يبيعون الزبيب، والقطَّين، وقفيز صور مدى إيليا، وكيلجتهم صاع، وغرارة دمشق قفيز ونصف بالفلسطينيّ، والأرطال من حمص إلى الجفار ستُّمائة غير أنه يتفاوت فأملاه رطل عكَّا، وأزلُّه الدمشقيُّ، وأوقيتهم من خمسين إلى بضع وأربعين، وكلُّ رطل اثنا عشر أوقية، ورطل قنَّسرين ثلثا هذا، والسنج متقاربة الدرهم ستُّون حبَّة، وحبَّتهم شعيرة واحدة، والدانق عشر حبَّات، والدينار أربعة وعشرون قيراطاً،

والقيراط ثلاث شعيرات ونصف. ورسومهم أنهم يقدون القناديل في مساجدهم على الدوام يعلّقونها بالسلاسل مثل مكّة وفي كلّ قصبة بيت مالٍ بالجامع معلّق على أعمدة وبين المغطّى والصحن أبواب إلاّ أريحاءَ، ولا ترى الحصى إلاّ في صحن جامع طبريّة والمناير مربّعة وأوساط سقوف المغطى مجمّلة وعلى أبواب الجوامع وفي الأسواق مطاهر، ويجلسون بين كلّ سلامين من التراويح، وبعض يوترون بواحدة، وكان وترهم في القديم ثلاثاً، وفي أيّامي أمر أبو إسحاق المروزيّ حتّى قطعوه بإيليا، وإذا قام إلى كلّ ترويحة نادى منادي الصلاة رحمكم الله، ويصلّون بإيليا ستّ ترويحات والمذكّرون به قصّاص ولأصحاب أبي حنيفة بالمسجد الأقصى مجلس ذكرٍ يقرؤون في دفتر وكذلك الكرّاميّة في خوانقهم وكان الحرّاس يهلّلون بعد صلاة الجمعة ويجلس الفقهاءُ بين الصلاتين وبين العشائين وللقرّاءِ مجالس في الجوامع.

ومن أعياد النصارى التي يتعارفها المسلمون ويقدّرون بها الفصول الفصح وقت النيروز والعنصرة وقت الحرّ، والميلاد وقت البرد، وعيد بَرْبَاره وقت الأمطار، ومن أمثال الناس: إذا جاءَ عيد بَرْبارَه، فليتّخذ البنّاءُ زَمّارَه، يعني فليجلس في البيت والقَلَنْدِس، ومن أمثالهم: إذا جاءَ القَلَنْدِسْ، فتدفّأ واحتبِسْ، وعيد الصليب وقت قطاف العنب، وعيد لُدّ وقت الزرع، وشهورهم روميّة تشرين الأوّل والثاني، كانون الأوّل والثاني، شباط، آذار، نيسان، أيّار، حزيران، تمّوز، آب، أيلول.

وأقلّ ما ترى به فقيهاً له بدعة أو مسلماً له كتابة إلاّ بطبريّة فإنها ما زالت تخرج الكتّاب، وإنّما الكتبة به وبمصر نصارى لأنهم اتّكلوا على لسانهم فلم يتكلّفوا الأدب كالأعاجم، وكنتُ إذا حضرتُ مجلس قاضي القضاة ببغداد أخجل من كثرة ما يلحن، ولا يرون ذلك عيباً، وأكثر الجهابذة، والصبّاغين، والصيارفة، والدبّاغين، بهذا الإقليم يهود، وأكثر الأطبّاء، والكتبة نصارى.

واعلم أن خمساً في خمسة مواضع من الإسلام حسن رمضان بمكّة، وليلة الختمة بالمسجد الأقصى، والعيدين بأصقليّة، ويوم عرفة بشيراز، ويوم الجمعة ببغداد، وأيضاً ليلة النصف من شعبان بإيليا، ويوم عاشوراءَ بمكّة حسن، ولهم تجمّل يلبسون الأردية كلُّ عالم وجاهل ولا يتخفّفون في الصيف إنّما هي نعال الطاق، وقبورهم مسنّمة، ويمشون خلف الجنائز، ويسلّون الميّت، ويخرجون إلى المقابر لختم القرآن ثلاثة أيّام إذا مات ميّت، ويكشفون المماطر، ولا يقوّرون الطيالسة،

ولأجلَّة البزَّازين بالرملة حُمُر مصريّة بسروج ولا يركب به الخيل إلاّ أمير، أو رئيس، ولا يتدرَّع إلاّ أهل القرى والكتبة ولباس القرياتيّين برستاق إيليا، ونابلس كساءٌ واحد حسب بلا سراويل، ولهم الأفرنة وللقرياتيّين الطوابين تنُّور في الأرض صغير قد فرش بالحصى فيوقد الزبل حوله وفوقه فإذا احمرَّ طرحت الأرغفة على الحصى، وبه طبَّاخون للعدس والبَيْسار ويقلون الفول المنبوت بالزيت، ويصلقونه، ويباع مع الزيتون، ويملحون الترمس، ويكثرون أكله، ويصنعون من الخرنوب ناطفاً يسمُّونه القُبَّيط، ويسمُّون ما يتَّخذون من السكَّر ناطفاً، ويصنعون زلابيةً في الشتاء من العجين غير مشبَّكة، وعلى أكثر هذه الرسوم أهل مصر، وعلى أقلّها أهل العراق وأقور.

وبه معادن حديد في جبال بيروت وبحلب مغرة جيّدة وبعمّان دونها وبه جبال حمر يسمَّى ترابها السمقة وهو تراب رخو وجبال بيض تسمَّى الحوَّارة فيه أدنى صلابة يبيَّض به السقوف ويطيَّن به السطوح.

وبفلسطين مقاطع حجارة بيض ومعدن للرخام ببيت جبريل وبالأغوار معادن كبريت وغيره، ويرتفع من البحيرة المقلوبة ملح منثور، وخير العسل ما رعى السَّعْتَر بإيليا، وجبل عاملة وأجود المُرِي ما عمل بأريحاء، وقد ذكرنا أكثر المشاهد في عنوان الإقليم، وإن ذكرنا مواضعها طال الكتاب غير أن أكثرها بإيليا، ثم بسائر فلسطين، ثم بالأردنّ، ومياه هذا الإقليم جيّدة إلاّ ماء بانياس، فإنه يطلق، وماءُ صور يحصر، وماءُ بيسان ثقيل ونعوذ بالله من صُغر، وماء بيت الرام رديّ، ولا ترى أخفّ من ماءِ أريحاء، وماء الرملة مريّ، وماء نابلس خشن، وفي ماءِ دمشق، وإيليا أدنى خشونة، وفي الهواءِ أدنى يبوسة، وفيه عدَّة من الأنهار تقلب في بحر الروم إلاّ بَرَدَى، فإنه يشقُّ أسفل قصبة دمشق فيسقى الكورة، وقد شقَّ منه شعب يتدوَّر في أعلى القصبة، ثم ينقسم قسمين بعض يتبحَّر نحو البادية، وبعض ينحدر فيلقى نهر الأردنّ، ونهر الأردنّ ينحدر من خلف بانياس فيتبحَّر بإزاءِ قدس، ثم ينحدر إلى طبريّة، ويشقُّ البحيرة، ثم ينحدر في الأغوار إلى البحيرة المقلوبة، وهي مالحة جدًّا، وحشة مقلوبة منتنة فيها جبال، وليس فيها أمواج كثيرة، وبحر الروم يمدُّ على طرفه الغربيّ وبحر الصين يمسُّ طرفه الجنوبيّ وبإزاءِ صور تقع جزيرة قبرص يقال أنها اثنا عشر يوماً كلُّها مدن عامرة وللمسلمين فيها رفق وسعة لكثرة ما يحمل منها من الخيرات والثياب والآلات وهي لمن غلب، المسافة إليها في البحر أقلاع يوم وليلة

ثم إلى بلد الروم مثل ذلك. ومن العجائب بإيليا مغارة بظاهر البلد عظيمة سمعتُ بعض العلماءِ وقرأتُ في بعض الكتب أنها تنفذ إلى قوم موسى وما صحّ لي ذلك وأنها مقاطع للحجارة وفيها طرق يدخل فيها بالمشاعل، بين فلسطين والحجاز الحجارة التي رمى بها قوم لوط على طريق الحجَّاج مخطَّطة صغار وكبار، بطبريَّة عين تغلي تعمُّ أكثر حمَّامات البلد وقد شقَّ إلى كلّ حمَّام منها نهر فبخاره يحمّي البيوت فلا يحتاج إلى وقيد، وفي البيت الأوَّل ماءٌ بارد يمزج مقدار ما يتطهَّرون به، ومطاهرهم من ذلك الماءِ، وفي هذه الكورة ماءٌ مسخن يسمَّى الحَمَّة، حارٌ من اغتسل فيه ثلاثة أيّام، ثم اغتسل في ماءِ آخر بارد وبه جرب، أو قروح، أو ناسور، أو أيُّ علَّة تكون برأ بإذن الله.

وسمعتُ الطَّبَرَانيّين يذكرون أنه كان عليها بما يدور بيوت كلُّ بيت لعلَّة، فكلُّ من به تلك العلَّة، واغتسل فيه برأ إلى وقت أرسطاطاليس، ثم سأل ملك ذلك الزمان هدم هذه البيوت لئلاَّ يستغنوا عن الأطبَّاءِ، وصحَّت لي هذه الحكاية، لأن كلَّ من دخله من أصحاب العلل وجب أن يخوض الماءَ كلَّه ليوافق موضع شفائه.

وبحيرة صُغَر أعجوبة يقلب فيها نهر الأردنّ، ونهر الشراة، فلا يحيل فيها، ويقال: إنها لا تغرق سريعاً، وإن احتقن بمائها أشفى من عللٍ كثيرة، ولها موسم في شهر آب يذهب إليها الأحداث، وأصحاب العلل.

وفي جبال الشراة أيضاً حمَّة ينزل على فلسطين في كلّ ليلةِ الندى في الصيف إذا هبَّت الجنوب حتَّى يجري منه مزاريب المسجد الأقصى.

أبو رياح حمص طلسم جُعل للعقارب، ومن أخذ طيناً، وطبعه عليه نفع من لدغ العقارب بإذن الله تعالى فالعمل للطبع لا للطين، مدن سليمان عليه الصلاة والسلام بعلبكُّ وتدمر من العجائب، وقبَّة الصخرة وجامع دمشق وميناء صور وعكًّا من العجائب.

ووضع هذا الإقليم ظريف هو أربعة صفوف فالصفُّ الأوَّل يلي بحر الروم وهو السهل رمال منعقدة ممتزجة يقع فيه من البلدان: الرملة، وجميع مدن السواحل.

والصفُّ الثاني: الجبل مشجر ذو قرى وعيون ومزارع يقع فيه من البلدان: بيت جبريل، وإيليا، ونابلس، واللُّجُّون، وكابل، وقدس، والبقاع، وإنطاكية.

والصفُّ الثالث: الأغوار ذات قرى وأنهار ونخيل ومزارع ونيل يقع فيه من البلدان ويلة وتبوك وصغر وأريحاءُ وبيسان وطبريّة وبانياس والصفُّ الرابع سيف البادية وهي جبال عالية باردة معتدلة مع البادية ذات قرى وعيون وأشجار يقع فيه من البلدان مآب وعمّان وأذرعات ودمشق وحمص وتدمر وحلب، وتقع الجبال الفاضلة مثل: جبل زيتا، وصدّيقا، ولبنان[1]، واللكام في الصفّ الثاني، وسرّة الأرض المقدّسة في الجبال المطلّة على الساحل، وكنتُ يوماً في مجلس أبي محمّد الميكاليّ رئيس نيسابور، وقد حضر الفقهاءُ للمناظرة فسُئل أبو الهيثم عن دليل جواز التيمُّم بالنورة، فاحتجَّ بقول النبيّ ﷺ: «جعلت ليَ الأرض مسجداً وطهوراً»[2] فعمَّ الأرضين كلَّها، فقال السائل: إنّما عنى السهل لا الجبال، ثم كثر الكلام والجلبة، وأعجبوا بقولهم، فقلتُ لأبي ذرّ بن حمدان، وكان أشغبهم: ما تنكر على قائل لو قال العلّة ما ذكرها هذا الفقيه الفاضل، لأن الله تعالى قال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة: ٢١]، وهي جبال فجعل يخردل في كلامه ويورد ما لا ينقض ما ذكرناه، ثم قال الفقيه سهل بن الصعلوكيّ: إنّما قال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [المائدة: ٢١]، ولم يقل أصعدوا الجبل ووقف الكلام.

فإن قال قائل: لِمَ لم يقل إن الباب بأريحاءَ، والله أمرهم بدخوله وأريحاءُ بالغور لا بالجبال فصحَّ ما قاله الإمام ابن الإمام؟

قيل له: لنا في هذا جوابان: أحدهما فقهيٌّ، وهو أن الأرض المقدّسة جبال لا محالة وأريحاءُ في سهولها ومن أتباعها فظاهر الآية مصروف إلى حقيقة القدس، وهي إيليا، وإنّما هي في الجبال لا إلى التبع من السهول، والأغوار.

فإن قال: بل الآية مصروفة إلى مدينة الجبّارين، وهي أريحاءُ التي أُمروا بدخولها فتفيد الآية أمرين دخول الأرض المقدّسة، والمدينة المذكورة، وفائدتُها على ما ذهبتَ إليه مقصورة على الأرض حسب، وكلّما حملنا القرآن على كثرة الفوائد كان أحسن، قيل: إن الله عزَّ اسمه قد أوضح ما ذهبنا إليه بقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]، فدخلت سهول فلسطين وجبالها تحت هذه الآية وصار قولهم: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا

---

(١) لبنان: هو اسم جبل مُطلّ على حمص. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٢).
(٢) أخرجه البخاري في الصحيح (١: ٩١)، الترمذي في السنن (٣١٧).

جَبَّارِينَ﴾ [المائدة: ٢٢] يعني في نواحيها. والجواب الآخر إقليميٌّ وذلك أنهم أُمروا بدخول القدس، والجبَّارون بأريحاءَ وهي في غور بين الجبال، والبحيرة، ولا يجوز أن تقول: إنهم أمروا بركوب البحر، فلم يبق إلاَّ دخولها من نحو الجبال، وكذلك فعلوا، لأنهم دخلوها من تحت البلقاءِ، وعبروا الأردنَّ إلى أريحاءَ مع أنه يلزم صاحب هذه المقالة شيئانِ:

إما أن يقول: إنهم لم يؤمروا بدخول جبال القدس، وإما أن يقول: إن جبال إيلياء، والبلقاءِ ليست من الأرض المقدَّسة، ومن زعم شيئاً من هذين فتَرْك الكلام معه أصوب، وقد كان الفقيه أبو ذرّ لمَّا ضيَّقت عليه هذه المسألة قال لي: إنك لم تدخل بيت المقدس، ولو دخلتها لعلمتَ أنها سهل بلا جبل، حتَّى قال له الرئيس أبو محمَّد: هو منها.

وسمعتُ خالي عبد الله بن الشوا يقول: أراد بعض السلاطين أن يتغلَّب على دير شمويل، وهي قرية على فرسخ من إيلياء، فقال لصاحبها: صِفْ لي قريتك، قال: هي ـ أيَّدك الله ـ قريبة من السماء بعيدة من الوطا، قليلة الأبروط، كثيرة البلُّوط، تحتاج إلى الكدّ، ولا تزكى بالردّ، يغالب غرّ، ولوز مرّ، أزرع قبّا وخذ قبّا، إلاَّ أن الذي نذرتَ كان أنبل جبّا، فقال: اذهب لا حاجة لنا في قريتك.

وأما الجبال الشريفة فجبل زَيْتَا يطلُّ على بيت المقدس ـ وقد ذكرناه ـ وجبل صِدِّيقا بين صور، وقدس، وبانياس، وصيدا ثَمَّ قبر صدّيقا، عنده مسجد له موسم يوم النصف من شعبان يجتمع إليه خلق كثير من هذه المدن، ويحضره خليفة السلطان، واتَّفق وقت كوني بهذه الناحية يوم الجمعة في النصف من شعبان فأتاني القاضي أبو القاسم بن العبَّاس حتَّى خطبتُ بهم فبعَثتُهم في الخطبة على عمارة ذلك المسجد، ففعلوا، وبنوا به منبراً، وسمعتُهم يزعمون أن الكلب يعدو خلف الوحش، فإذا بلغ ذلك الحدَّ، وقف وما يشبه هذه من الحكايات.

وأما جبل لُبْنَان فهو متَّصلٌ بهذا الجبل كثير الأشجار والثمار المباحة وفيه عيون ضعيفة يتعبَّد عندها أقوام قد بنوا لأنفسهم بيوتاً من القشّ يأكلون من تلك المباحات ويرتفقون بما يحملون منها إلى المدن من القصب الفارسيّ والمرسين وغير ذلك وقد قلُّوا به.

وجبل الجَوْلاَن[١] يقابله من نحو دمشق على ما ذكرنا وبه لقيتُ أبا إسحاق البلُّوطيّ في أربعين رجلاً لباسهم الصوف ولهم مسجد يجتمعون فيه ورأيتُه فقيهاً عالماً على مذهب سفيان الثوريّ، ورأيتُ تقوّتهم بالبلُّوط ثمرة على مقدار التمر مرّ يفلق، ويُحلى ثم يطحن، وثَمَّ شعير بَرِّيٌّ يخلط به.

وأما جبل لُكَام فإنه أعمر جبال الشام وأكبرها وأكثرها ثماراً هو اليوم بيد الأرمن وطرسوس من ورائه وإنطاكية دونه.

والولايات لصاحب مصر وقد كان سيف الدولة غلب على أعلاه، والضرائب فيه هيّنة إلاّ ما يكون على الفنادق، فإنه منكر على ما ذكرنا من بيت المقدس، وحماياته ثقيلة على قِنَّسرين والعواصم ثلاثمائة ألف وستُّون ألف دينار وعلى الأردنّ مائة ألف وسبعون ألف دينار، وعلى فلسطين مائتا ألف وتسعة وخمسون ألف دينار وعلى دمشق أربعمائة ألف ونيّف، وقرأتُ في كتاب ابن خرداذبه خراج قِنَّسرين أربعمائة ألف دينار، وخراج حمص ثلاثمائة ألف وأربعون ألفاً، وخراج الأردنّ ثلاثمائة ألف وخمسون ألفاً، وخراج فلسطين خمسمائة ألف دينار.

وأما المسافات فتأخذ من حلب إلى بالس يومين ومن حلب إلى قِنَّسرين يوماً وكذلك إلى الأَثَارِب ومن حلب إلى منبج يومين ومن حلب إلى أنطاكية ومن أنطاكية إلى اللاذقيّة ٣ أيّام ومن منبج إلى الفرات مرحلة، وتأخذ من حمص إلى جُوسِيَة[٢] مرحلة، ثم إلى يَعَاث مرحلة ،ثم إلى بعلبك نصف مرحلة، ثم إلى الزَّبَدَانيّ مرحلة، ثم إلى دمشق مرحلة.

وتأخذ من حمص إلى شَمْسِين مرحلة، ثم إلى قارا مرحلة، ثم إلى النَّبْك مرحلة، ثم إلى القُطَيِّفَة مرحلة، ثم إلى دمشق مرحلة.

وتأخذ من حمص إلى سَلَمِيّة مرحلة، ثم إلى القَسْطَل مرحلتين، ثم إلى الزَّرّاعة مثلها، ثم إلى الرصافة مثلها، ثم إلى الرقّة نصف مرحلة.

---

(١) الجولان: قرية من نواحي دمشق، وقيل جبل من نواحي دمشق، ولعله الصحيح، قال ابن دريد: يقال للجبل: حارث الجولان. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢١٩).

(٢) جوسية: قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق بين جبل لبنان وجبل سنير، فيها عيون تسقي أكثر ضياعها سيحاً، وهي كورة من كور حمص. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢١٥).

ثم تأخذ من حمص إلى حماة مرحلة، ثم إلى شيزر مرحلة، ثم إلى كَفَرْطاب مرحلة، ثم إلى قنَّسرين مرحلة، ثم إلى حلب مرحلة.

وتأخذ من دمشق إلى طرابلس، أو إلى بيروت، أو إلى صيدا، أو إلى بانياس، أو إلى الحوران، أو البثنيَّة يومين يومين.

وتأخذ من دمشق إلى أقصى الغُوطَة، أو إلى بيت سرعا مرحلة مرحلة.

وتأخذ من دمشق إلى الكُسْوَة بريدين، ثم إلى جَاسِم مرحلة، ثم إلى فِيق مثلها، ثم إلى طبريَّة بريداً.

وتأخذ من بانياس إلى قدس، أو إلى جبّ يوسف بريدين بريدين، وتأخذ من بيروت إلى صيدا، أو إلى طرابلس مرحلة مرحلة.

وتأخذ من طبريَّة إلى اللَّجُون، أو إلى جبّ يوسف، أو إلى بيسان، أو إلى عقبة أَفيق، أو إلى الجَشّ، أو إلى كَفَرْكِيلاَ مرحلة مرحلة.

وتأخذ من اللجُون إلى قَلَنسُوَة مرحلة، ثم إلى الرملة مرحلة، وإن شئتَ فخذ من اللجُّون إلى كفرسابا بالبريد مرحلة، ثم إلى الرملة مرحلة.

وتأخذ من بيسان إلى تعاسير بريدين، ثم إلى نابلس مثلها، ثم إلى بيت المقدس مرحلة.

وتأخذ من جبّ يوسف إلى قرية العيون مرحلتين، ثم إلى القَرْعُون مرحلة، ثم إلى عين الجرّ مرحلة، ثم إلى بعلبكّ مرحلة، وهذا يسمّى طريق المدارج.

وتأخذ من الجشّ إلى صور مرحلة، ومن صور إلى صيدا مرحلة، ومن صور إلى قدس، أو إلى مَجْدَل سلم بريدين، ومن مجدل سلم إلى بانياس بريدين.

وتأخذ من طبريَّة إلى عكّا مرحلتين، ومن جبل لبنان إلى نابلس، أو إلى قدس، أو إلى صيدا، أو إلى صور نحو مرحلة مرحلة.

وتأخذ من الرملة إلى بيت المقدس، أو إلى بيت جبريل، أو إلى عسقلان، أو إلى السُّكَّريَّة مرحلة مرحلة.

وتأخذ من الرملة إلى نابلس، أو إلى كفرسلاَّم، أو إلى مسجد إبراهيم، أو إلى أريحاءَ مرحلة مرحلة.

وتأخذ من الرملة إلى يافه، أو إلى الماحوز، أو إلى أرسوف، أو إلى أزدود، أو إلى رفح[1] مرحلة مرحلة.

وتأخذ من بيت المقدس إلى بيت جبريل، أو إلى مسجد إبراهيم، أو إلى نهر الأردنّ مرحلة مرحلة.

وتأخذ من بيت المقدس إلى نابلس مرحلة، وتأخذ من بيت المقدس إلى أريحاءَ بريدين.

وتأخذ من غزّة إلى بيت جبريل، أو إلى أزدود، أو إلى رفح مرحلة مرحلة.

وتأخذ من مسجد إبراهيم إلى قاووس مرحلة، ثم إلى صُغر مرحلة، وتأخذ من نهر الأردنّ إلى عمّان مرحلة.

وتأخذ من نابلس إلى أريحاء مرحلة، وتأخذ من أريحاء إلى بيت الرام بريدين، ثم إلى عمّان مرحلة.

وتأخذ من صغر إلى مآب مرحلة، وتأخذ من عمّان إلى مآب، أو إلى الزّرقاء مرحلة مرحلة.

وتأخذ من الزرقاءَ إلى أذرعات مرحلة، ومن أذرعات إلى دمشق مرحلتين.

وتأخذ من قيساريّة إلى كفرسلاّم، أو إلى كفرسابا، أو إلى أرسوف، أو إلى الكنيسة مرحلة مرحلة، ومن يافه إلى عسقلان مرحلة.

---

(١) رفح: مدينة عامرة فيها سوق، وجامع، ومنبر، وفنادق، وأهلها من لخم وجُذام، وفيهم لصوصية وإغارة على أمتعة الناس حتى إن كلابهم أضرّ كلاب أرض بسرقة ما يسرق مثله الكلاب. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٦٢).

إقليم مِصْرَ

هذا هو الإقليم الذي افتخر به فرعون على الورى، وقام على يد يوسف بأهل الدنيا فيه آثار الأنبياء، والتيه وطور سينا، ومشاهد يوسف وعجائب موسى، وإليه هاجرت مريم بعيسى، وقد كرَّر الله في القرآن ذكره، وأظهر للخلق فضله، أحد جناحي الدنيا، ومفاخره فلا تحصى، مصره قبّة الإسلام ونهره أجلُّ الأنهار وبخيراته تعمر الحجاز وبأهله يبهج موسم الحاجّ وبرُّه يعمُّ الشرق والغرب قد وضعه الله بين البحرين، وأعلى ذكره في الخافقين، حسبك أن الشام على جلالتها رستاقه، والحجاز مع أهلها عياله.

وقيل: إنه هو الرَّبْوَه، ونهره يجري عسلاً في الجنّة، قد عاد فيه حضرة أمير المؤمنين، ونسخ بغداد إلى يوم الدين، وصار مصره أكبر مفاخر المسلمين، غير أن جدبه سبع سنين متواليه، والأعناب والإتيان به غاليه، ورسوم القبط به عاليه، وفي كلّ حين تحلُّ بهم الداهيه، عمره مصر بن حام بن نوح عليه الصلاة والسلام، وهذا شكله ومثاله.

وقد جعلنا إقليم مصر على سبع كور ستٌّ منها عامرة ولها أيضاً أعمال واسعة ذات ضياع جليلة ولم تكثر مدائن مصر لأن أكثر أهل السواد قبط ولا مدينة في قياس علمنا هذا إلاّ بمنبر، فأوّلها من نحو الشام الجِفَارُ، ثم الحَوْفُ، ثم الرِّيفُ، ثم إسْكَنْدَرِيّة، ثم مَقَدُونِيَة، ثم الصَّعِيدُ، والسابعة الواحات.

فأما الجفار فقصبتها الفَرَما ومدنها البَقَّارَة الوَرَّادَة العَرِيش. وأما الحوف فقصبتها بَلْبَيْس ومن مدنها مَشْتُول جُرجِير فاقُوس غَيْفَا دَبَقُو تُونَة بَرَيم القُلْزُم.

وأما الريف فقصبتها العَبَّاسِيّة ومن مدنها شُبْرُو دَمَنْهُور سَنْهُور بَنْهَا العَسْل شَطْنُوف مَلِيج محلّة سِنْدر محلّة كَرْمين المحلّة الكبيرة سَنْدَفَا دَمِيرَة بُورَة دَقَهْلَة محلّة زيد محلّة حفص محلّة زياد سنهور الصغرى بردس.

وأما إسكندريّة فهي القصبة أيضاً ومن مدنها الرَّشِيد، مَرْيُوط[1]، ذاتُ الحُمَامِ، بَرُلُّس.

وأما مَقَدُونِيَّة فقصبتها الفسطاط وهو المصر ومن مدنها العَزِيزِيَّة الجِيزَة عَيْنُ شَمْس.

وأما الصعيد فقصبتها أُسْوَان، ومن مدنها: حُلْوَان، قُوص، إِخْمِيم، بُلْيَنَا، عَلاَّقِي، أجمع، بُوصِير، الفَيُّوم، أَشْمُونَيْن، سُمُسْطَا، تَنْدَة، طَحَا، بَهْنَسَة، قَيْس. وبإزاءِ الحوف جزيرتان في بحيرتين فيهما تِنِّيس ودِمْيَاط.

الفَرَمَا على ساحل بحر الروم وهي قصبة الجفار على فرسخ من البحر عامرة آهلة عليها حصن ولها أسواق حسنة وهي في سبخة وماؤُها مالح وحولها مصايد السلوى معدن الأسماك الجيّدة وبها أضداد عدَّة وخيرات كثيرة وهي مجمع الطَرق مذكورة سريَّة غير أن ماءها مالح وطيرها مُزْمِن، وهذه الكورة كلُّها رمال ذهبيَّة والمدن التي ذكرناها وسطها وفيها طرق ونخيل وآبار وعلى كلّ بريد حانوت إلاّ أن الريح ربَّما لعبت بالرمال فغطَّت الطريق والسير فيها صعب.

بِلْبَيْس قصبة الحوف كبيرة كثيرة القرى، والمزارع عامرة، بنيانهم من طين.

والمَشْتُول كثيرة الطواحين، ومنها يحمل أكثر ميرة الجاز من الدقيق، والكعك، وأحصيتُ في وقت من السنة، فإذا هو يبلغ ثلاثة آلاف حمل جمل في كلّ أسبوع كلُّها حبوب ودقيق.

والقُلْزُم بلد قديم على طرف بحر الصين يابس عابس لا ماءَ، ولا كلأ، ولا زرع، ولا ضرع، ولا حطب، ولا شجر، ولا عنب، ولا ثمر يحمل إليهم الماءُ في المراكب، ومن موضع على بريد يسمَّى سُوَيْس على الجمال ماءٌ آجن رديٌّ، ومن أمثالهم: ميرة أهل القلزم من بِلْبَيْس، وشربهم من سُوَيْس.

يأكلون لحم التَّيْس ويقدون سقف البيت هي أحد كنف الدنيا مياه حمَّاماتهم زعاق وحشة ملولة، والمسافة إليها صعبة غير أن مساجدها حسنة، وبها قصور

(١) مريوط: قرية من قرى مصر قرب الإسكندرية ساحلية تضاف إليها كورة من كور الحوف الغربي. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٤٠).

جليلة، ومتاجر مفيدة هي خزانة مصر، وفرضة الحجاز، معونة الحاجّ، واشترينا يوماً بدرهم حطباً فاحتجنا له بدرهم حطباً، وهذه الكورة غير طيّبة ولا أرى في ذكر بقيّة مدائنها فائدة.

العَبَّاسِيَّة هي قصبة الريف عامرة طيّبة قديمة شربهم من النيل موضع الريف والخَصب بنيانهم أفرج من بنيان مصر بها أضداد تحمل إليها وجامع حسن من الآجرّ رفقة سريّة.

والمَحَلَّة الكبيرة ذات جانبين اسم الجانب الآخر سَنْدَفَا بكلّ جانب جامع وجامع المحلّة وسطها وجامع تلك على الشطّ لطيف وهذه أعمر وبها سوق زيت حسن والناس يذهبون ويجيئون في الزواريق شبَّهتها بواسط. ودَمِيرَة أيضاً على الشطّ طويلة عامرة بها بطّيخ نادر.

الإِسْكَنْدَرِيَّة قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع، وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبّدين، شربهم من النيل يدخلَ عليهم أيّام زيادته في قناةٍ فيملأ صهاريجهم وهي شاميّة الهواءِ والرسوم، كثيرة الأمطار جامعة للأضداد جليلة الرستاق جيّدة الفواكه والأعناب طيّبة نظيفة، بناؤُهم من الحجارة البحريّة معدن الرخام وبها جامعان وعلى جبابهم أبواب تغلق بالليل كيلا يصعد منها اللصوص، وسائر المدن عامرات طيّبات، وفي نواحيها خرنوب، وزيتون، ولوز، ومزارع على البعل، وثَمَّ يصبُّ النيل في بحر الروم وهي مدينة ذي القرنين، ولها قصبة عجيبة.

الفُسْطَاط هو مصر في كلّ قول لأنه قد جمع الدواوين، وحوى أمير المؤمنين، وفصل بين المغرب وديار العرب، واتَّسعت بقعته، وكثر ناسه، وتنضّر إقليمه، واشتهر اسمه، وجلَّ قدره، فهو مصرُ مصر، وناسخ بغداد، ومفخر الإسلام، ومتجر الأنام، وأجلُّ من مدينة السلام، خزانة المغرب، ومطرح المشرق، وعامر الموسم، ليس في الأمصار آهَلُ منه كثير الأجلَّة، والمشايخ، عجيب المتاجر والخصائص، حسن الأسواق، والمعايش إلى حمَّاماته المنتهى، ولقياسيره لباقة وبَها، ليس في الإسلام أكبر مجالس من جامعه، ولا أحسن تجمُّلاً من أهله، ولا أكثر مراكب من ساحله، آهَلُ من نيسابور، وأجلُّ من البصرة، وأكبر من دمشق به أطعمة لطيفه، وأدامات نظيفه، وحلاوات رخيصة، كثير الموز، والرطب، غزير البقول، والحطب، خفيف الماء، صحيح الهواء، معدن العلماء، طيّب الشتا، أهل سلامةٍ وعافيه، ومعروف كثير وصدقة، نغمتهم بالقرآن حسنة، ورغبتهم في الخير بيّنة،

وحسن عبادتهم في الآفاق معروفة قد استراحوا من أذى الأمطار، وأمنوا من غاغة الأشرار، ينتقدون الخطيب، والإمام، ولا يقدّمون إلاّ طيّباً وإن بذلوا الأموال، قاضيهم أبداً خطير، والمحتسب كالأمير، ولا ينفكّون أبداً من نظر السلطان والوزير، ولولا عيوب له كثير، ما كان له في العالم من نظير، وهو نحو ثلثي فرسخ طبقات بعضها فوق بعض، وكانت جانبين: الفسطاط، والجيزَة، ثم شقَّ بعض الخلفاءِ من ولد العبّاس خليجاً على قطعة منها، فسمّيت تلك القطعة الجَزِيرَة لأنها بين العمود والخليج، وسمّي خليج أمير المؤمنين منه شربهم، ودورهم أربع طبقات، وخمس كالمناير يدخل إليهم الضياءُ من الوسط.

وسمعتُ أنه يسكن الدار الواحدة نحو مائتي نفس، وأنه لمّا صار إليها الحسن بن أحمد القرمطيُّ خرج الناس إليه فرآهم مثل الجراد فهاله ذلك، وقال: ما هذا؟ قيل: هؤلاءِ نظّارة مصر ومن ما يخرج أكثر.

وكنتُ يوماً أمشي على الساحل، وأتعجّب من كثرة المراكب الراسية، والسائرة فقال لي رجل منهم: من أين أنت؟ قلتُ: من بيت المقدس، قال: بلد كبير أعلمك يا سيّدي ـ أعزّك الله ـ أن على هذا الساحل وما قد أقلع منه إلى البلدان والقرى من المراكب ما لو ذهبتْ إلى بلدك لحملتْ أهلها، وآلاتها، وحجارتها، وخشبها حتّى يقال: كان هٰهنا مدينة.

وسمعتُهم يذكرون أنه يصلّي قدّام الإمام يوم الجمعة نحو عشرة آلاف رجل فلم أصدّق حتّى خرجتُ مع المتسرّعة إلى سوق الطير، فرأيتُ الأمر قريباً ممّا قالوا، وأبطيتُ يوماً عن السعي إلى الجمعة فألفيتُ الصفوف في الأسواق على أكثر من ألف ذراع من الجامع، ورأيتُ القياسير، والمساجد، والدكاكين حوله مملوءَة من كلّ جانب من المصلّين، وهذا الجامع يسمّى السفلانيّ من عمل عمرو بن العاص، وفيه منبره حسن البناءِ في حيطانه شيءٌ من الفسيفس على أعمدة رخام أكبر من جامع دمشق، والازدحام فيه أكثر من الجوامع الستّ قد التفّت عليه الأسواق إلاّ أن بينها وبينه من نحو القبلة دار الشطّ، وخزائن، وميضاة وهو أعمر موضع بمصر وزقاق القناديل عن يساره وما يدريك ما زقاق القناديل.

والجامع الفوقانيُّ من بناءِ بني طيلون أكبر وأبهى من السفلانيّ على أساطين واسعة مصهرجة وسقوفه عالية في وسطه قبّة على عمل قبّة زمزم فيها سقاية مشرف

على فم الخليج وغيره وله زيادات وخلفه دار حسنة ومنارته من حجر صغيرة درجها من خارج والحدُّ بين أسفل وفوق مسجد عبد الله قد بنى على مساحة الكعبة ويطول الوصف بنعت أسواقه وجلالته غير أنه أجلُّ أمصار المسلمين وأكبر مفاخرهم وَآهَلُ بلدانهم ومع هذه الكثرة اشتريتُ به الخبز الحوّاري ولا يخبزون غيره ثلاثين رطلاً بدرهم والبيض ثمانية بدانق والموز والرطب رخيص يجئ أبداً إليه ثمرات الشام والمغرب.

وتسير الرفاق إليه من العراق والمشرق ويقطع إليه مراكب الجزيرة والروم تجارته عجيبة ومعايشة مفيدة وأمواله كثيرة لا ترى أحلى من مائه ولا أوطأ من أهله ولا أحسن من بزّه ولا أبرك من نهره، إلاّ أنه ضيّق المنازل كثير البراغيث عفن كرب البيوت قليل الفواكه مياه كدرة وآبار وضرة ودور قذرة وبقّ منتن وجرب مزمن ولحوم عزيزة وكلاب كثيرة ويمين فظيعة ورسوم وحشة أبداً على خوفٍ من القحط وانقطاع النهر وإشرافٍ على الجلا، وتربُّص بالبلا، لا يتورّع مشايخهم عن شرب الخمور، ولا نساؤهم عن الفجور، للمرأة زوجان، وترى الشيخ سكران، وفي المذهب حزبان، مع سمرة وقبح لسان.

والجَزِيرَة خفيفة الأهل الجامع والمقياس على طرفها عند الجسر ممّا يلي المصر وبها بساتين ونخيل ومتنزّه أمير المؤمنين عند الخليج بموضع يسمّى المُخْتَارَة.

والجِيزَة مدينة خلف العمود كانت الطريق إليها من الجزيرة على جسر إلى أن قطعه الفاطميُّ بها جامع وهي أعمر وأكبر من الجزيرة والجادّة منها إلى المغرب ويلقى الخليج العمود تحت الجزيرة عند المختارة.

والقَاهِرَةُ مدينة بناها جَوْهَر الفاطميُّ لمّا فتح مصر وقهر من فيها كبيرة حسنة بها جامع بهيٌّ وقصر السلطان وسطها محصّنة بأبواب محدّدة على جادّة الشام ولا يمكن أحداً دخول الفسطاط إلاّ منها لأنهما بين الجبل والنهر ومصلّى العيد من ورائها والمقابر بين المصر والجبل.

والعَزِيزِيّة قد اختلّت وخربت عامّتها وكانت المصر في القديم وبها كان ينزل فرعون وثَمّ قصره ومسجد يعقوب ويوسف.

وعَيْنُ شَمْس مدينة على جادّة الشام كثيرة المزارع بها مسدُّ النيل أيّام زيادته جامعهم في السوق.

والمَحَلَّة مدينة على نهر الإسكندريّة بها جامع لطيف وليس بها كثير أسواق غير أنها عامرة نزيهة الشطّ حسنة النهر يقابلها صَنْدَفَا به جامع عامرة شبّهتُها بواسط إلاّ أنه ليس بينهما جسر يعبرون في المراكب.

وحُلْوَان مدينة من نحو الصعيد ذات مغاير ومقاطع وعجائب بها حمّام من فوقه حمّام آخر. وسائر المدن على عمود النيل وخليجيه.

وأُسْوَان قصبة الصعيد على النيل عامرة كبيرة بها منارة طويلة ولها نخيل وكروم كثيرة وخيرات وتجارات وهي من الأمّهات.

وإخْمِيم مدينة كثيرة النخيل على بعض شعب النيل ذات كروم ومزارع منها كان ذو النون الزاهد وهذه الدورة أعلى أرض مصر وفيها يخرج النيل. والفَيُّوم جليل به مزارع الأرزّ الفائق والكتّان الدون ولها قرى سريّة تسمّى الجوهريّات.

والعَلاّقِي[1] مدينة في آخر الكورة على طريق عيذاب، وأما الواحات فإنها كانت كورة جليلة ذات أشجار، ومزارع وإلى اليوم يوجد فيها صنوف الثمار وأغنام ونعم قد توحّشت، متّصلة بأرض السودان تمسُّ طرف إقليم المغرب وبعض يجعلونها منه.

تِنِّيس بين بحر الروم والنيل بحيرة فيها جزيرة صغيرة قد بنيت كلُّها مدينة وأيُّ مدينة هي بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب أسواق ظريفة وأسماك رخيصة وبلد مقصودة ونعم ظاهرة وساحل نزيه وجامع نفيس وقصور شاهقة ومدينة مفيدة رفقة إلاّ أنها في جزيرة ضيّقة والبحر عليها كحلقة ملولة قذرة والماءُ في صهاريج مغلقة أكثر أهلها قبط والبلاذات تطرح إلى الطرق وبها يعمل الثياب والأردية الملوّنة وثَمَّ موضع قد نضد فيه موتى الكفّار بعض على بعض ومقابر المسلمين وسط البلد.

دِمْيَاط تسير في هذه البحيرة يوماً وليلة ربّما لقيك ماءٌ حلو وأزقّة ضيّقة إلى مدينة أخرى وهي أطيب وأرحب وأوسع وأفسح وأحزب وأكثر فواكه وأحسن بناءً وأوسع ماءً وأحذق صنّاعاً وأرفع برًّا وأنظف عملاً وأجود حمّامات وأوثق جدارات وأقلُّ أذايات من تنّيس عليها حصن من الحجارة كثيرة الأبواب وفيها رباطات كثيرة حزبة ولهم موسم كلَّ سنة يقصدها المرابطون من كلّ جانب وبحر الروم منها على

---

(١) العلاقي: حصن في بلاد البجّة في جنوبي أرض مصر، به معدن التبر. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٦٣).

صيحة دور القبط على ساحله، وثَمَّ يفيض النيل في البحر. وشَطَا قرية بين المدينتين على البحيرة. يسكنها القبط. وإليها ينسب هذا البزُّ.

وطحَا قرية بالصعيد، يعمل بها ثياب الصوف الرفيعة، ومنها كان الفقيه الإمام أبو جعفر الأزديّ، ويصنع ببَهْنَسَة الستور والأنماط والكتّان الرفيع مزارعه ببُوصِير.

جمل شؤون هذا الإقليم

هذا إقليم إذا أقبل فلا تسأل عن خصبه ورخصه وإذا أجدب فنعوذ بالله من قحطه، يمدُّ سبع سنين حتَّى يأكلون الكلاب، ويقع فيهم الوباءُ المبرّح أشدُّ حرًّا من سواحل الشام ويبرد في طُوبَه برداً شديداً.

به نخيل كثيرة وعامّة ذمّته نصارى يقال لهم القبط ويُهود قليل كثير المجذّمين، وبيت الجرب لأنه عفن، وأكثر أدمهم السمك.

وعلى مذاهب أهل الشام غير أن أكثر [فقهائهم][1] مالكيُّون ألا ترى أنهم يصلُّون قدَّام الإمام، ويربُّون الكلاب، وأعلى القصبة، وأهل صَنْدَفَا شيعة وسائر المذاهب بالفسطاط موجودة ظاهرة.

وثَمَّ محلَّة الكرّاميّة وجلبة للمعتزلة، والحنبليّة والفتيا اليوم على مذاهب الفاطميّ التي نذكرها في إقليم المغرب والقراءات السبع فيه مستعملة غير أن قراءَة ابن عامر أقلها ولمَّا قرأتُ بها على أبي الطيّب بن غلبون قال: دع هذه القراءَة، فإنها عتيقة، قلتُ: قيل لنا عليكم بالعتيق، قال: فعليك بها، وقرأتُ عليه لأبي عمرو فكان يأمرني بتفخيم الراءِ من مريم والتوراة والغالب عليهم والمختار عندهم قراءَة نافع، وسمعتُ شيخاً في الجامع السفلانيّ يقول: ما قدم في هذا المحراب إمام قطُّ إلاَّ وهو يتفقَّه لمالك، ويقرأ لنافع غير هذا يعني ابن الخيَّاط، قلتُ: ولم ذلك؟ قال: لم نجد أطيب منه، وكان شفعويًا أبو عمريًا لم أر في الإسلام أحسن نغمةً منه. لغتهم عربيّة غير أنها ركيكة رخوة وذمّتهم يتحدّثون بالقبطيّة.

---

(١) وردت في الأصل: «فقهاءِهم»، ولعلّ الصحيح ما أثبتناه.

وهو بلد التجارات يرتفع منه أديم جيّد صبور على الماءِ ثخين ليّن، والبطائن الحمر، والهملختات، والمثلّث، هذا من المصر.

ومن الصعيد: الأرزّ، والصوف، والتمور، والخلّ، والزبيب. ومن تنّيس إلى دمياط: الثياب الملوّنة.

ومن دمياط القصب، ومن الفيُّوم: الأرزّ، وكتّان دون. ومن بُوصِير: قُرِيدُس الكتّان الرفيع.

ومن الفرما الحيتان. ومن مدنها القفاف، والحبال من الليف في غاية الجودة، ولهم القباطيُّ، والأزر، والخيش، والعبّادانيُّ، والحصر، والحبوب، والجلّبان، ودهن الفجل، والزنبق وغير ذلك من الخصائص ولا نظير لأقلامهم، وزاجهم، ورخامهم، وخلّهم، وصوفهم، وخيشهم، وبزّهم، وكتّانهم، وجلودهم، وحذوهم، وهملختاتهم، وليفهم، ووزّهم، وموزهم، وشمعهم، وقندهم، ودقّهم، وصبغهم، وريشهم، وغزلهم، وأشنانهم، وهريستهم، ونيدتهم، وحمّصهم، وترمسهم، وقرطمهم، وقلقاسهم، وحصرهم، وحمرهم، وبقرهم، وحزمهم، ومزارعهم، ونهرهم، وتعبُّدهم، وحسن نغمتهم، وعمارة جامعهم، وحالومهم، وخَيْسهم، وحيتانهم، ومعايشهم، وتجاراتهم، وصدقاتهم كلُّ ذلك في غاية الجودة.

وقد اجتمع بها من خصائص فلسطين القلقاس وهو شيءٌ على قدر الفجل المدوّر عليه قشر وفيه حدّة يقلى بالزيت ويطرح في السكباج والموز، وهو على مقدار الخيار عليه مزود رقيق يقشر عنه، ثم يؤكل له حلاوة وعفوصة والجمّيز، وهو أصغر من التين له ذنب طويل، والترمس وهو على قدر الظفر يابس مرٌّ يحلّى ويملح، والنبق وهو على قدر الزعرور فيه نواة كبيرة حلو وهو ثمرة شجرة السدر ويزيدون عليهم بالنيدة وهي السمنوا غير أنه عجيب الصنعة يبسط على القصب حتى يجفّ وينعلك، ودهن البلسان من نبت ثَمّ.

والنقود القديمة المثقال والدرهم ولهم المزبقة خمسون بدينار ويكثرون التعامل بالراضي وقد غيّر الفاطميُّ النقود إلاّ هذين وأبطل القطع والمثاقيل.

والمكاييل الويبة وهي خمسة عشر مناً والأردب ستُّ ويبات والتلّيس ثمان وهي بطّالة.

والرسوم بجوامع هذا الإقليم إذا سلَّم الإمام كلَّ يوم صلاة الغداة وضع بين يديه مصحفاً يقرأ فيه جزءاً ويجتمع الناس عليه كما يجتمع على المذكّرين، ولهم أذان ينفردون به على طريق النياحة ثلث الليل الأخير وله قصّة يأثرونها وبين العشائين جامعهم مغتصٌّ بحَلَق الفقهاءِ وأئمّة القرّاءِ وأهل الأدب والحكمة ودخلتُها مع جماعةٍ من المقادسة فربَّما جلسنا نتحدَّث فنسمع النداءَ من الوجهين دوّروا وجوهكم إلى المجلس فننظر فإذا نحن بين مجلسين على هذا جميع المساجد وعددتُ فيه مائة وعشرة مجالس فإذا صلّوا العشاءَ أقام البعض إلى ثلث وأكثر سوقهم إذا رجعوا من الجامع ولا ترى أجلَّ من مجالس القرّاءِ به وبه مجلس للمتلعّبين ولهم إجراءٌ ويضربون على جوامعهم شراعات وقت الخطبة مثل البصرة وتخلو أسواقهم أيّام الجمع، قلَّ ما يلبسون ثوباً غسيلاً أو نعلاً قد امتعطت ولا يكثرون أكل اللحم ويكثرون الإشارة في الصلاة والنخع والمخاط في المساجد ويجعلونه تحت الحصر ويخبزون في الرساتيق وقت البيادر ما يكفيهم إلى عام قابل، ثم ييبّسونه، ويخبونه، ولهم باذهنجات مثل أهل الشام أهل تجمُّل وتردُّ وتملُّق يمينهم الكبرى و«راس الله» والصغرى و«حقّ عليّ» يحبُّون رؤُوس السمك ويقال: إنهم إذا رأوا شاميًا قد اشترى سمكاً اتبعوه، فإذا رمى رؤُوسها أخذوها يكثرون أكل الدلّينس أقذر شيءٍ حيوان بين زكَفتين صغيرتين يفلقان ويُحْسَى مثل المخاط.

ومن عيوبهم ضعف قلوبهم، وقلّة ثمارهم، وأهل الشام أبداً يُعيبونهم، ويسخرون منهم.

يقولون: مطر أهل مصر الندى، وطيرهم الحُدا، وكلامهم يا سيدي رخو مثل النسا، أعزَّك الله ما لك كذا، أكلهم الدلّينس، ونقلهم الحمّص، وجبنهم الحالوم، وحلواهم النيدة، وقطائعهم الخنازير، ويمينهم كفر.

وأما النيل فلم أذق ولا سمعتُ أنَّ في جميع الدنيا ماءً أحلى منه إلاَّ نهر المنصورة وزيادته من شهر بَؤنَه إلى شهر توت وقت عيد الصليب ولهم سدّان أحدهما بعين شمس ترعة تسدُّ بالحلفاءِ والتراب قبل زيادته فإذا أقبل الماءُ ردَّه السدُّ وعلا الماءُ على الجرف أعلى القصبة فيسقى تلك الضياع مثل بَهْتِيت، والمُنْيَتَيْن، وشبرو، ودمنهور، وهو سدُّ خليج أمير المؤمنين فإذا كان يوم عيد الصليب وقت انتهاءِ حلاوة العنب خرج السلطان إلى عين شمس فأمر بفتح هذه الترعة وقد سدَّ أهل الجرف أفواه

أنهارهم حتّى لا يخرج الماءُ منها وجعلوا عليها الحرّاس فينحدر الماءُ إلى ضياع الريف كلّها والترعة الأخرى أسفل من هذه وأعظم غير أن السلطان لا يحضرها ويبين بفتحتها النقصان في النيل وهي بسَرْدُوس. والمقياس بركة وسطها عمود طويل فيه علامات الأذرع والأصابع وعليه وكيل وأبواب محكمة يرفع إلى السلطان في كلّ يوم مقدار ما زاد ثم ينادي المنادي زاد الله اليوم في النيل المبارك كذا وكذا وكانت زيادته عام الأوّل في هذا اليوم كذا وكذا وعلى الله التمام ولا ينادي عليه إلاّ بعد أن يبلغ اثني عشر ذراعاً إلاّ ما يرفع إلى السلطان حسب والاثنا عشر ما يعمُّ ضياع الريف فإذا بلغ أربعة عشر سقى أسفل الإقليم فإذا بلغ ستّة عشر استبشر الناس وكانت سنة مقبلة فإن جاوزها كان خصب وسعة فإذا نضب الماءُ أخذوا في الحرث والبذر وفي أيّام زيادته تتبحّر مصر حتّى لا يمكن الذهاب من هذه الضيعة إلى الأخرى إلاّ في الزواريق في بعض المواضع.

وقد كانت له سنّة سوءٍ في القديم على ما حدَّثنا أبو ياسر مسافر بن عبد الله الأنصاريُّ قال حدَّثنا يوسف بن عليّ قال حدَّثنا المأمون قال حدَّثنا محمَّد بن خلف قال أخبرنا أبو صالح عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجّاج قال: لمّا افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل بَوْنَه، فقالوا: أيُّها الأمير إن لنيلنا هذا سنّة لا يجري إلاّ بها إذا كانت ثنتا عشرة ليلة من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضيناهما وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فيه، فقال لهم عمرو: هذا ما لا يكون أبداً إن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا ذلك الشهر وشهراً آخر وشهراً آخر لا يجري فيه النيل بقليل ولا بكثير حتّى همُّوا بالجلاء، فلمّا رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطّاب بذلك فكتب إليه: إنك قد أصبتَ بالذي فعلتَ وإن الإسلام ليهدم ما قبله فبعث ببطاقة في داخل كتابه، وكتب إلى عمرو إني قد بعثتُ إليك ببطاقة فألقها في النيل، فلمّا قدم الكتاب افتتحه ونظر فإذا في البطاقة

«من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر.

أما بعد،

فإن كنتَ إنّما تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهّار الذي يجريك فنحن نسأله تعالى أن يجريك»، فألقاها قبل الصليب، وقد تهيّأ أهلها للجلاءِ

فأصبحوا يوم الصليب، وقد أجراه الله ستَّة عشر ذراعاً، وقطع الله تلك السُّنَّة السيِّئة عنهم إلى اليوم.

ويكدر ماؤُه أيّام زيادته فيلقون فيه نوى المشمش المرضوض ليصفو ويبرد أيّام البرد نحو شهرين، وكنتُ يوماً في مجلس الحَلِيميّ بالجامع فأُتي بكوز ماءٍ فشرب منه ثم قال قد استوينا معكم يا مقدسيُّ في الماءِ قلتُ ولا سواء أيّد الله الفقيه برد مائنا دائم وهذا عارض.

ولهم مشارع على الشطّ يحملون منها الماءَ في الروايا ويصعدون كلَّ طبقة بنصف دانق مزبَّقة، وإذا هبَّت ريح الشمال تراكضت أمواج البحر ودفعت ماءَ النيل من البحيرة فإذا هبَّت الجنوب ردَّت ماءَ البحر عن البحيرة وغلب عليها النيل وملأ أهل تنّيس صهاريجهم في تلك الأشهر الأربعة بالروايا والقرب.

وسمعتُ جماعةً بالفرما يذكرون أن النيل ربَّما بلغ المناير، ويصل النيل أيضاً إلى قصبة الإسكندريّة ويدخلها في شبّاك حديد فيملؤون صهاريجهم ثم ينقطع.

وفي النيل دابّة تسمَّى التمساح على شبه الحرذون رأسه ثلث بدنه لا يعمل فيه السلاح إلاّ تحت إبطيه وفمه يختطف الإنسان وأكثر ما يظهر بالصعيد وسَرْدُوس، ومن أمثالهم: «احذر سردوس، ولو كان الماءُ في قادوس»، والقادوس كوز الدولاب.

وكنتُ يوماً في سفينة عند سردوس فحكَّت، فقلتُ: أبالأرض حكت؟ قيل: لا، ولكن بظهر تمساح.

ولم يكن النيل يبلغ الفيُّوم فشكوا ذلك إلى يوسف عليه الصلاة والسلام فبنى وسط النهر سدًّا عظيماً وجعل في أسفله منافس في قَنَى زجاج فردَّ السدُّ الماءَ فارتفع حتَّى حاذى أرض الفيُّوم فسقاها فهي اليوم أكثر أرض مصر ماءً ألا ترى أن بها مزارع الأرزّ أو لا ترى إلى ثقل خراجها وكثرة دخلها والماءُ حين زيادته ينهال من فوق السدّ فربَّما خلَّوا المراكب مع البحرية، فانحدرت سالمةً وربَّما عطفت فانقلبت فإذا استغنوا عن الماء فُتحت المنافس وانحطَّ الماء.

وكلَّما قرُب إلى النيل من الآبار حلوة وما بعُد كريهة وأطيب الحمَّامات ما كان على الشطّ ولهم قنيٌّ تدخل البلد يستقى لها الماءُ بالدواليب وعلى النيل أيضاً دواليب

كثيرة تسقي البساتين وقت نقصانه، وماءَ الفيُّوم حار لأنه يجري على مزارع الرزّ.

وهم يقولون أن الجدي أوّل ما يولد يقول أخرجوا يا غرباء، وبالإسكندريّة سمك مخطَّط يسمَّى الشُّرْب من أكل منه رأى منامات وحشة إلاَّ أن يكون ممَّن يشرب الخمر فإنه لا يضرُّه، وبالفرما طير السُّمَانَى من أكل منه زَمِنَ وتعقَّدت مفاصله، من واظب في الفسطاط على أكل السمك جرب جرباً لا يفارقه سبع سنين.

وبه جبل فيه معدن الذهب ولهم معادن زاج الحبر لا ترى مثله وطين يسمَّى الطفل، وفي المقطَّم مقاطع حجارة بيض حسنة تنشر كما ينشر الخشب.

وبه مشاهد قد قال بعض المفسّرين أن ﴿ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون: ٥٠] هي مصر وقد كان عيسى ومريم بها مدَّةً، وطور سينا قريب من بحر القلزم يخرج إليه من قرية تسمَّى الأمن وهو الموضع الذي خرج فيه موسى وبنو إسرائيل وثَمَّ اثنتا عشرة عيناً عذبيّة، الطور منه على يومين فيه دير للنصارى ومزارع كثيرة وثَمَّ زيتونة يزعمون أنها التي لها قال الله: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥] يحمل زيتها إلى الملوك.

وبالفسطاط الموضع الذي بيع فيه يوسف عليه الصلاة والسلام وبالمقطَّم مواضع يفضّلونها وصوامع يقصدونها لليالي الجمع، وعلى صيحة من الفسطاط موضع يسمَّى القَرَافَة فيه مسجد وسقايات حسنة وخلق من العبّاد وموضع خلوة وسوق لطلاَّب الآخرة وجامع حسن، ومقابرهم في غاية الحسن والعمارة ترى البلد غبراءَ والمقابر بيضاً ممتدَّة على طول المصر فيها قبر الشافعيّ بين المزنيّ وأبي إسحاق المروزيّ، والموضع الذي دخل منه بنو إسرائيل البحر عند القلزم، وبقرب سَرْدُوس مسجد الخضر عليه الصلاة والسلام.

وتيه بني إسرائيل فيه خلاف والصحيح أنه بين مصر والشام يكون نحو أربعين فرسخاً رمال وسباخ وسِمَاق وفيه نخيل وعيون له حدٌّ متَّصل بالجفار وآخر بطور سينا وحدٌّ المفازة الريف من نحو القلزم وحدٌّ بالشام وفيه طريقهم إلى مكَّة.

وفيه عجائب منها الهرمان اللذان هما أحد عجائب الدنيا من حجارة شبه عماريَّتين ارتفاع كلّ واحدة أربعمائة ذراع بذراع الملك في عرض مثلها قد ملئت بكتابة يونانيّة وفي داخلهما طريقان إلى أعلاهما وطريق تحت الأرض نبيّة موضوعة

في الرمال. وسمعتُ فيهما أشياءَ مختلفة فمنهم من قال: هما طلسمان، ومنهم من قال: كانتا أهراءَ يوسف، وقيل: بل كانت هي قبورهم، وقرأتُ في كتاب ابن الفقيه: أنهما للرمل المحبوس، ويقال: مكتوب عليهما أنّي بنيتُهما، فمن كان يدّعي قوّةً في ملكه فليهدمهما فإن الهدم أيسر من البناءِ فأراد بعض الملوك هدمهما، فإذا خراج مصر لا يقوم بهدمهما فتركهما، وهما أملسان مثل العماريّتين يُرَيان من مسيرة يومين، وثلثة لا يصعد فوقهما إلاّ كلُّ شاطرٍ وحولهما أمثالهما عدّة صغار وهذا يدلُّ على أنها مقابر ألا ترى إلى ملوك الديلم بالريّ كيف اتّخذوا على قبورهم قباباً عالية وأحكموها جهدهم وعلّوها طاقتهم كيلا تندرس ومن دونهم أصغر منها.

وثَمَّ صنم يزعمون أن الشيطان كان يدخله فيكلّمه حتّى كسر أنفه وشفتاه وبعين شمس شبه منارتين طويلتين قطعة واحدة على رأسهما شبه حربة تسمّيان المسلّتين.

وثَمَّ أيضاً على هذا العمل دونهما وسمعتُ فيهما أشياءَ لا يقبلها العقل وقرأتُ في كتاب الطلسمات أنهما طلسمان للتماسيح ويجوز هذا ألا ترى أن التماسيح في كورة الفسطاط لا تضرُّ مع عظمها وكثرتها، وفي الفسطاط عند قصر الشمع امرأة ممسوخة على رأسها سفل من حجر يقال: إنها كانت غسّالة لآل فرعون، وأنها آذت موسى فمسخت.

على طريق الصعيد بيوت تسمّى البرابي فيها تصاوير كثيرة وبها، وبالهرمين عقود وطروح كثيرة، بحلوان مغاير عجيبة منكرة يتيه الإنسان فيها وذكروا أن فيها طريقاً إلى القلزم أملس كأنما أجرى عليها الماءُ المالح.

منارة الإسكندريّة قد أرسى أساسها في شبه جزيرة صغيرة يدخل إليها في طريق ضيّقة بالصخرة مُحْكمة فالماءُ يسطح المنارة من جانب الغرب، وكذلك حصن المدينة إلاّ أن المنارة في جزيرة، وفيها ثلاثمائة بيت يصعد إلى بعضها الفارس بفرسه، وإلى كلّها بدليل وهي مشرفة على جميع مدن البحر، ويقال: إنه كان فيها مرآة يُرى فيها كلُّ مركب أقلع من سواحل البحر كلّها، وإنه ما زال عليها قيّم ينظر فيها كلَّ يوم وليلة فإذا ترايا له مركب أعلم الأمير فأنفذ الطيور إلى السواحل ليكونوا على عدّة فبعث كلبُ الروم من احتال وتلطّف حتّى جُعل قيّماً ثم ذهب بها وقيل بل كسرها وطرحها في البحر.

وفي كتاب الطلسمات أنها بنيت طلسماً لئلاَّ يغلب ماءُ البحر على أرض مصر وأن كلب الروم احتال في هدم رأسها من أجل ذلك فلم يصل إليه.

بالجفار طلسم للرمال حتَّى لا تغلب على المدن والقرى ولا تكون الطلسمات إلاَّ بمصر والشام ويقال هي من عمل الأنبياءِ ورأيتُ بفارس أيضاً طلسمات.

وأسماءُ شهورهم القبطيَّة أوَّل الشتويَّة توت وفيه النيروز بابه هتور كيهك طوبه أمشير والصيفيَّة برمهات برموده بشنس باونه أبيب مسرى.

وأما وضعه فإن بحر الروم على تخومة الشماليَّة وبحر الصين يمدُّ على ثلثيْه من قبل الشرق وهذان الثلثان صفوف خمسة صفٌّ بين البحر والجبل يابس والصفُّ الثاني جبل المقطَّم والصفُّ الثالث الصعيد يقع فيه النيل وما عليه من البلدان والصفُّ الرابع جبل أيضاً خلفه كورة الواحات، وطول مصر من بحر الروم إلى النوبة أقلُّ من شهر وعرضه من الجنوبيّ ثماني مراحل ومن الشماليّ اثنتا عشرة وللدخلة فيه عند بحر القلزم أربع مراحل.

وأما الولايات فللفاطميّ وهم في عدلٍ وأمنٍ لأنه سلطان قويٌّ غنيٌّ والرعيَّة في راحةٍ وثَمَّ سياسة ونفاذ أمر وكلٌّ سامع مطيع من الأركان سرًا وعلانية لا يخطب إلاَّ لأمير المؤمنين حسب.

وأما الدخل فقرأتُ في كتاب الخراج لقدامة بن جعفر فإذا هو يذكر إن دخل مصر من العين ألفا ألف وخمسمائة ألف دينار وقرأتُ في كتاب ابن الفقيه لوناً آخر وقضيَّة طويلة يذكر دخله أيَّام فرعون ثم أيَّام الحجَّاج وأيَّام ولد العبَّاس ويسمّيه خراجاً وسألتُ بعض المصريّين ببخارا عن الخراج، فقال: ليس على مصر خراج، ولكن يعمد الفلاّح إلى الأرض فيأخذها من السلطان، ويزرعها فإذا حصد، ودرس، وجمع رشمت بالعرام وتركت، ثم يخرج الخازن وأمين السلطان فيقطعون كرى الأرض ويعطى ما بقي للفلاّح، قال: وفيهم من يأخذ من السلطان تقويةً فيزاد عليه في كرى الأرض بمقدار ما اقتطعه، قلتُ: فلا يكون لأحد ثَمَّ ملك وضيعة، قال: لا، اللهمَّ إلاَّ أن يكون رجل قد اشترى ممَّن أقطعه السلطان في القديم ووهبها فاحتاج هو، أو ذرِّيَّته إلى ثمنها فباعها لعامَّة الناس، قلتُ: فهذا الذي، يقال: إن أرض مصر لا تملك لأن أهلها باعوها من يوسف عليه الصلاة والسلام، قال: هذا كلام أَلَمْ تعلم أن

الإسلام يهدم ما قبله أولم تعلم أن يوسف عليه الصلاة والسلام ردَّ على الناس أملاكهم لمّا أخصبت مصر، وإنّما هذا شيءٌ صالحوا عليه المسلمين وقت فتوحها، قلتُ: فلمَ لم يصالحوا كما صالح أهل الشام وكلاهما فتحا عنوةً؟ قال: الشام بلد يمطر في كلّ سنة فلا يتعطّل الزرع فيه إلاّ أنه ربّما أخصب وربّما أجدب، ومصر معوله على النيل ربّما لا جرى وربّما بلغ أربعة عشر وستّة عشر وربّما زاد على ذلك والأمر في جريانه شديد التفاوت فلو فرض عليه الخراج لزم أن يؤدّيه من أمكنه أن يزرع ومن لا يمكنه.

وأما الضرائب فثقيلة بخاصّة تنّيس ودمياط وعلى ساحل النيل، وأما ثياب الشطويّة فلا يمكن القبطيّ أن ينسج شيئاً منها إلاّ بعد ما يختم عليها بختم السلطان ولا أن تباع إلاّ على يد سماسرة قد عقدت عليهم وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدته ثم تحمل إلى من يطويها ثم إلى من يشدُّها بالقشّ ثم إلى من يشدُّها في السفط وإلى من يحزمها وكلٌّ واحد منهم له رسم يأخذه ثم على باب الفرضة يؤخذ أيضاً شيءٌ وكلٌّ واحد يكتب على السفط علامته ثم تفتّش المراكب عند أقلاعها ويؤخذ بتنّيس على زقّ الزيت دينار ومثل هذا وأشباهه ثم على شطّ النيل بالفسطاط ضرائب ثقال.

رأيتُ بساحل تنّيس ضرائبيًا جالساً قيل قَبالة هذا الموضع في كلّ يوم ألف دينار ومثله عدّة على ساحل البحر بالصعيد وساحل الإسكندريّة وبالإسكندريّة أيضاً على مراكب الغرب وبالفرما على مراكب الشام ويؤخذ بالقلزم من كلّ حمل درهم.

وأما المسافات فتأخذ من الفَرَمَا إلى البَقَّارَة مرحلة، ثم إلى الوَرَّادَة مرحلة، ثم إلى العَرِيش مرحلة ثم إلى رَفَح مرحلة.

ويؤخذ في الصيف من الفرما إلى جُرْجِير مرحلة، ثم إلى فَاقُوس مرحلة وفي الشتاءِ من الفرما إلى الرَّصَد مرحلة، ثم إلى فاقوس مرحلة.

وتأخذ من الفرما في الماءِ إلى تِنِّيس مرحلة، ثم إلى دمْيَاط مرحلة، ثم إلى المحلّة الكبيرة مرحلة، ثم إلى الإسكندريّة مرحلتين.

وتأخذ من دمياط إلى سَرْدُوس مرحلة، ثم إلى الفسطاط مرحلة، وتأخذ من بِلْبَيْس إلى المَنْصَف مرحلة، ثم إلى القُلْزُم مثلها.

وتأخذ من الفرما إلى دير النصارى ذات الساحل مرحلة ثم إلى المخلصة مرحلة ثم إلى العريش مرحلة، ومن بلبيس إلى الفسطاط مرحلة.

وتأخذ من الإسكندريّة إلى الرافقة مرحلة، ثم إلى كُوم شَرِيك مرحلة، ثم إلى تَرْنُوط مرحلة، ثم إلى ذات السلاسل مرحلة، ثم إلى الفسطاط مرحلة.

وتأخذ من الإسكندريّة إلى بُومِينَه مرحلة، ثم إلى سفا مرحلة، ثم إلى أرمسا بريدين، ثم إلى ذات الحُمَام مرحلة.

وتأخذ من الإسكندريّة إلى الغاضرة مرحلة، ثم إلى فاقوس مرحلة، وتأخذ من الفسطاط إلى بلبيس مرحلة، ثم إلى المَنْصَف مرحلة، ثم إلى القلزم مرحلة، ومن القلزم إلى جُدَّة في البحر من ٣٥ يوماً إلى ٦٠ على قدر الريح، وهي ٣٠٠ فرسخ.

وتأخذ من الجُبّ إلى البُوَيْب مرحلة ثم إلى منزل ابن بُنْدُقَة مرحلة ثم إلى عَجَرُود مرحلة، ثم إلى المدينة مرحلة، ثم إلى الكُرْسيّ مرحلة، ثم إلى الحَفَر مرحلة، ثم إلى وَيْلة مرحلة، من أسوان إلى عيذاب طريق آمنة لا أنعتها.

إقليم المَغْرِب

هذا إقليم بهي، كبير سريّ، كثير المدن والقرى، عجيب الخصائص والرخا، به ثغور جليلة وحصون كثيرة ورياض نزهة وبه جزائر عدّة مثل الأندلس الفاضلة العجيبة وتاهرت الطيِّبة النزيهة وطنجة[1] البلدة البعيده، وسجلماسة المختارة الفريدة، وأصقليّة الجزيرة المفيده، أهلها في جهاد دائم، ثم الغنى فيه سالم، به كالبصرة مدن عدّة ولهم أيضاً في الخير رغبه، وللسلطان عدل ونظر وحسبه، متّصل بالبحر خير جار، وخير قوم لكلّ سائر ومارّ، قد غاب في الزيتون مدنه، وبالتين والكرمات أرضه، يجري خلالها الأنهار، ويملأ غيطانها الأشجار، إلاّ أنه بعيد الأطراف كثير المفاوز صعب المسالك كثير المهالك في زاوية الإسلام موضوع، وبعضه خلف البحر مقطوع، فلا فيه راغب، ولا له ذاهب، ولا عنه سائل، ولا يفضّله قائل، لم يخرج عالماً مذكوراً، ولا زاهداً مشهوراً، إلاّ القليل ثقلاءُ وإن كانوا مستورين، بخلاءُ وإن كانوا منعمين، وهذا شكله ومثاله.

وقد جعلنا المغرب مع الأندلس كهيطل، وخراسان غير أنّا لم ندخل الأندلس فنكوّرها، فأوّل كورة من قبل مصر بَرْقَة، ثم إفْرِيقِيَة[2]، ثم تَاهَرْت، ثم سِجِلْمَاسَة، ثم فاس، ثم السُّوس الأقصى، ثم جزيرة إصْقِلِيَّة تقابل أفريقية، والأندلس وراءَ البحر على أرض الروم وناحيتان لفاس طنجة والزاب.

فأما برقة فاسم القصبة أيضاً ومن مدنها ذات الحُمَام رَمَادَة أَطْرَابُلُس أَجْدَابِيَة صَبْرَة قَابِس غَافِق.

---

(١) طنجة: مدينة على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء، وهي من البرّ الأعظم وبلاد البربر. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٩).

(٢) إفريقية: وهي القارة المعروفة اليوم وهي بعيدة عن الجزيرة العربية معظم سكانها من السودان وكان فيها البربر وكانوا على عداء مع العرب. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٧٠).

وأما أفريقية فقصبتها القَيْرَوَان ومن مدنها صَبْرَة أَسْفَاقُس المَهْدِيَّة سُوسَة[1] تُونس بَنْزَرْد طَبَرْقَة مرسى الخَرَز بُونَة باجة لُرْبُس قَرْنَة مَرْنِيسَة مس بنجد مَرْمَاجَنَّة سَبِيبَة قَمُودَة قَفْصَة قَسْطِيلِيَة نَفْزَاوَة لافس أودنة قلانش قَبِيشَة رُصْفَة بنونش لَجَم جَزِيرَة أَبي شَرِيك باغاي سُوق ابن خَلَف دوفانة المَسِيلَة أَشِير سُوق حَمْزَة جزيرة بني زَغَنَّايَة مَتِّيجَة تَنَس دار سوق إبراهيم الغُزَّة قلعة برجمة باغر يَلَل جبل زَالاَغ أَسْفَاقُس مُنَسْتِير مرسى الحَجَّامِين بنزرت طبرقة هياجة باغر غيبث قرية الصَّقَالِبَة لُرْبُس مرسى الحجر جَمُونَس الصابون طرس قَسْطِيلِيَة نَفْطَة بَنْطِيُوس تَقِيُوس مدينة القصور مَسْكِيَانَة باغاي دوفاتة عَيْنُ العَصَافِير دار مَلُوَّل طُبْنَة مَقَّرَة تِيجِس مدينة المَهْرِيِّين تامسنت دكَّمَا قَصْرُ الإفْرِيقِيّ ركوى القُسْطَنْطِينِيَّة مِيلَى جِيجِل تابرّيت سَطِيف إيكِجَا مرسى الدَّجَاج أَشِير.

وأما تاهرت فهي اسم القصبة أيضاً ومن مدنها يمّمة تاغليسية قلعة ابن الهرب هزارة الجعبة غدير الدروع لَمَايَة مِنْدَاس سوق ابن حبلة مَطْمَاطَة جبل تُجَان وَهْرَان شَلِف طير الغُزَّة سُوق إبراهيم رهباية البَطْحَة الزيتونة تمما يَعُود الخَضْراءُ وَأرِيفَن تَنَس قَصْرُ الفُلُوس بحريَّة سوق كرى مَنْجَصَة أوزكى تبرين سوق ابن مبلول ربا تاويلت أبي مغول تامزيت تاويلت أخرى لَغْوَا وفَكَّان.

وأما سجلماسة فهي اسم القصبة أيضاً ولها من المدن دَرْعَة تادنقوست أثر إيلا ويلميس حصن ابن صالح النخّاسين حصن السودان هلال إمْصَلى دار الأمير حصن برارة الخيامات تَازْرُوت.

وأما فاس فإن أهلها ولدانهم علوق وهي اسم القصبة أيضاً وتسمَّى الكورة السوس الأدنى ومن مدنها البَصْرَة زَلُول الجاحد سوق الكتاميّ وَرْغَة سبُوا صَنْهَاجَة هُوَارَة تِيزَا مَطْمَاطة كَزَنَّايَة سلا مدينة بني قرباس مزحاحيّة وأَزِيلاَ سَبْتَا بلد غُمَار قلعة النُّسُور نكُور بَلَش مَرْنِيسَة تابَرِيدَا وصاع مِكْنَاسَة قلعة شميت مدائن برجن أوزكى تيونوا مكسين أمليل أملاه أبي الحسن قسطينة نَفْزَاوَة نِقَاوُس بِسْكَرَة قَبِيشَة مدينة بني زَحّيق لُوَاتَة عبد الله، لواتة بركية أَكْذَار ابن شراك مدينة جبل زالاغ وناحيتها طَنْجَة مدنها وَلِيلَة مدركة متروكة زَقُّور غُزَّة غُمِيرَة الحاجر تاجراجرا البيضاءُ الخضراءُ.

---

(١) سوسة: بلد بالمغرب، وهي مدينة عظيمة بها قوم لونهم لون الحنطة يضرب إلى الصفرة، ومن السوسة يُخرج إلى السوس الأقصى على ساحل البحر المحيط. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٢٠).

والزاب مدينتها المَسِيلَة ولها مقَّرَة طُبْنَة بِسْكَرَة بَادِس تَهُوذَا طَوْلَقَا جميلا بَنْطِيُوس أَذنَة أَشِير.

وأما السوس الأقصى فقصبتها طرفانة ومن مدنها أَغْمَات[1] وَيْلاَ وَرِيكَة تَنْدَلِي ماسَّة وغيرهنَّ.

وأما أصقليّة فقصبتها بَلَرْم ومن مدنها الخَالِصَة أطْرَابُنش مَازر عَيْنُ المُغَطَّا قَلْعَةُ البَلُّوط جِرْجَنْت بُثِيرَة سَرَقُوسَة لَنْتِيني قَطانِيَة اليَاج بَطَرْنُوا طَبَرْمِين مِيقُش مَسّينَة رِمْطَة دَمَنُّش جاراس قَلْعَة القَوَارِب قَلْعَة الصَّرَاط قلعة أبي ثور بَطَرْلِيَة تِرْمة بُورقَاد قُرْلِيُون قرينش بَرْطِنِيق أخياس بَلْجَة بَرْطَنَّة.

وأما الأندلس فنظيرها هيطل من جانب المشرق غير أنّا لا نقف على نواحيها فنكوّرها ولم ندخلها فنقسمها ويقال: إنها ألف ميل وقال ابن خرداذبه: الأندلس أربعون مدينة يعني المشهور منها لأن أحداً لم يسبقنا إلى تفصيل الكور ووضع القصبات فبعض المدن التي ذكر قصبات على قياس ما رتبنا وسألتُ بعض العقلاءِ منهم على الرساتيق المحيطة بقرطبة والمنسوبة إليها والمدن، فقال: إنّا نسمّي الرستاق إقليماً.

فالأقاليم المحيطة بقرطبة ثلاثة عشر مع مدنها فذكر أَرْجُونَة قَسْطَلَّة شَوْذر مارتُش قَنَبَانُش فجّ ابن لقِيط بِلاَط مَرْوَان حصن بُلْكُونَة الشنيدة وادي عبد الله، قرسيس، المَائِدة جيَّان وعلى ما دلَّ آخر الاسم هي ناحية مدنها الجفر بَيْغُوا مارتُش قانت غَرْنَاتَة مَنْتِيشَة بَيَّاسَة، وسائر مدن أندلس المذكورة طُرْطُوشَة بَلَنسِيَة مُرْسِيَة بَجَّانَة مَالِقَة جزيرة جبل طارق شَذُونَة إِشْبِيلِيَة أُخْشُنبَة مَرِيَّة شَنْتَرِين بَاجَة لَبْلَة قَرْمُونَة مَوْرُور إسْتَجَة.

بَرْقَة قصبة جليلة عامرة نفيسة كثيرة الفواكه والخيرات والأعسال مع يسار وهي ثغر قد أحاط بها جبال عامرة ذات مزارع على نصف مرحلة من البحر في هويّة قد أحاط بها تربة حمراءُ شربهم من آبار وما يحوونه من أمطار في جباب وهي على جادّة مصر يحسنون إلى الغرباءِ، أهل خير وصلاح وأقلُّ انقلاب من غيرهم.

وأَطْرَابُلُس مدينة كبيرة على البحر مسوَّرة بحجارة وجيل لها باب البحر، وباب

---

(١) أَغْمات: ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش وليس بالمغرب بلد ـ فيما زعموا ـ بلد أجمعُ لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظاً ولا خصباً منها. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٦٦).

الشرق، وباب الجوف، وباب الغرب. شربهم من آبار وماءِ مطر كثيرة الفواكه، والأنجاص، والتفّاح، والألبان، والعسل، واسمها كبير.

وأَجْدَابِيَة عامرة بنيانهم حجارة على البحر، وشربهم من الأمطار، وسُرْت[1] كذلك ولهما بوادٍ وشعارى.

وصَبْرَة في بادية وهي حصينة بها نخيل وتين شربهم من ماءِ المطر. وقابِس أصغر من طرابلس لهم وادٍ جرّار وبنيانهم من الحجارة والآجرّ كثيرة النخيل والأعناب والتفّاح مسوَّرة باديتها برابر ولها ثلاثة أبواب.

وغَافِق ناحية واسعة كثيرة القرى وأسواق على أيّام الجمعة بحريّة ومن الناس من ينسبها إلى أفريقية.

وذاتُ الحُمَام مدينة عمرت من قريب وسمعتُ عمَّن يسأل أبا العبّاس ابن الراعي عنها ويقول: عمارتها أحد إمارات ظهور الفاطميّ على مصر.

القَيْرَوَان مصر الإقليم بهيٌّ عظيم حسن الأخبار، جيّد اللحوم قد جمع أضداد الفواكه، والسهل، والجبل، والبحر، والنعم مع علم كثير، ورخص عجيب اللحم خمسة أمناءٍ بدرهم، والتين عشرة، ولا تسأل عن الزبيب، والتمر، والأعناب، والزيت هي فرضة المغربين، ومتجر البحرين لا ترى أكثر من مدنها، ولا أرفق من أهلها ليس غير حنفيّ، ومالكيّ مع ألفةٍ عجيبة لا شغب بينهم، ولا عصبيّة لا جرم أنهم على نور من ربّهم قد أقبلوا على ما يعنيهم وارتفع الغلُّ من قلوبهم فهي مفخر المغرب ومركز السلطان وأحد الأركان أرفق من نيسابور وأكبر من دمشق وأجلُّ من أصبهان إلاّ أن ماءَهم ضعيف، وأدبهم طفيف، ولا فيها ظريف، الماءُ مخزون في مواجين، والضرائب موضوعة على أصحاب الدكاكين، تعيُّشهم في صَبْرَة وأسواق المصر معطَّلة، والعوامُّ كالأغنام المرسلة، لا تراويح تصلَّى، ولا بقي للفريقين بها ما، تكون أقلَّ من ثلاثة أميال في مثلها بلا سور وشربهم من مواجين وصهاريج يجتمع فيها ماءُ المطر.

---

(١) سرت: مدينة على ساحل البحر الرومي بين برقة وطرابلس الغرب لا بأس بها، وفي سمتها من ناحية الجنوب في البر أجدابيّة، ومنها يقصد إلى طرابلس الغرب، وهي مدينة كبيرة على سيف البحر عليها سور من طوب وبها جامع وحمّام وأسواق. ولها ثلاثة أبواب: قبلي وجنوبي وباب صغير إلى البحر ليس حولها أرباض، ولهم نخل وبساتين وآبار عذبة وجباب كثيرة. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢٣٢).

وقد أجرى لهم المعزُّ قناة من الجبل تملأُ المواجين بعدما تدخل قصره بصَبْرَة بنيانهم مدر وآجرٌ ومواجين الزيت بها كثيرة.

الجامع بموضع يسمَّى السِّمَاط الكَبير وسط الأسواق في سرّة البلد أكبر من جامع ابن طيلون بأعمادة من الرخام مفروش وناره الرخام ومزاريبه رصاص له باب السّمّاط، باب الصرّافين، باب الرهادنة، باب الفضوليّين، باب المأذنة، باب الصبّاغين، باب الحوّاريّين، باب سوق الخميس، باب الميضاة، باب الخاصّة في التمّارين، ولهم باب اللحّامين، وسوق الرمّاحين، ودروبها خمسة عشر: درب الربيع، درب عبد الله، درب تونس، درب أَصْرَم، درب أسلم، درب سوق الأحد، درب نافع، درب الحذّاءيّين.

وصَبْرَة بناها الفاطميُّ أوّل ما ملك الإقليم، واشتقَّ اسمها من صبر عسكره في الحرب، وهي مدوَّرة مثل الكأس لا ترى مثلها، ودار السلطان وسطها على عمل مدينة السلام، والماءُ يجري وسطها شديدة العمارة، حسنة الأسواق، بها جامع السلطان، وعرض سورها اثنا عشر ذراعاً منفصلة عن العمارة بينها وبين المصر عرض الطريق وتجارها يغدون ويروحون إليها من المصر على حمير مصريّة والأبواب: باب الفتوح، باب زويلة، باب وادي القصّارين، كلُّها محدَّدة الحيطان آجرٌ مكحَّل بالجيل.

وأَسْفَاقُس، وسُوسَة مدينتان بحريَّتان مسوَّرتان بالجيل، والحجر، شربهم من آبار، وجباب.

والمَهْدِيَّة على البحر مسوَّرة بالحجر، والجيل، شربهم من آبار، وجباب ماءِ المطر، هي خزانة القيروان، ومطرح أصقليّة، ومصر عامرة آهلة، ومن أحبَّ أن ينظر إلى القسطنطينيّة فلينظر إليها، ولا يتعنَّى إلى بلد الروم، فإنها على عملها في جزيرة يدخل إليها من طريق واحد مثل الشراك.

وبَنْزَرْد مسوَّرة بناؤهم حجر، والجامع وسط البلد، وثَمَّ وادٍ يجري مالح يدخل من بحيرة إلى جنب البحر، ثم يرجع إليه ويعدى فيه الناس في القوارب.

وطَبْرَقَة بحريّة يطلُّ عليها جبل، وقد خرب حصنها، والناس في الربض، شربهم من آبار، وبها وادٍ مالح.

ومرسى الخَرَز مدينة في جزيرة على البحر يدخل إليها من موضع واحد، ومنها يرتفع المرجان لا معدن له غيرها، ولا يخرج إلاّ من بحرها.

وبُونَة بحريّة مسوّرة بها معدن حديد شربهم من آبار. وبَاجَة بين القيروان والبحر كثيرة الحبوب والخيرات وسطها عين وبها ماءٌ جارٍ.

ولُرْبُس تحت جبل بورغ فيها مزارع الزعفران مسوّرة بحجارة، شربهم من آبار وحولها، وحول باجة أسواق ومواعيد يطول ذكرها.

وقَرْنَة تسمَّى باسم نهر فيها حلو مسوّرة بحجارة. ومَرْنِيسَة غير مسوّرة بناؤُهم مدر، شربهم من آبار كثيرة القرى واسعة الرستاق.

وقَمُودَة رستاق جليل اسم المدينة جَمُونَس الصابون، بناؤُهم مدر، وشربهم من آبار كثير التين، والزيتون، واللوز، وبه قرية عظيمة تسمَّى خور الكاف.

ومَرْمَاجَنة كبيرة من عمل رستاق تَبَسَّا شربهم من آبار كثيرة الفواكه. قلانس اسم رستاقها مكنة أبي منصور كثيرة التين، والزيتون، والخيرات.

وقَبِيشَة رستاق مدينته طرنانسه وبه بنو العبَّاس كثير قد غلبوا عليه حسن السفرجل، كثير الزيتون، والتين شربهم من آبار.

رُصْفَة رستاق اسم مدينة بنهونش تكون مثل الرملة شربهم من آبار بها ثلاثمائة وستُّون معصرة للزيت بناؤُهم مدر.

وجَزِيرَةُ أَبِي شَرِيك في البحر لها اثنا عشر رستاقاً اسم مدينتها منزل باشُو بلا سور بناؤُهم مدر وشربهم من آبار منها سقي مزارعهم كشيراز وسرخس. باغاي كبيرة مسوَّرة تحت جبل يقال له أَوْرَاس يجري إليهم منه ماءٌ كثيرة البساتين.

وسُوقُ حَمْزَة مدينة في البحر بناؤهم من الطُوب وشربهم من نهر وأَعْيُن. وجَزِيرَةُ بَنِي زغَنَّايَة على ساحل البحر مسوّرة يعبر منها إلى الأندلس ولهم عيون.

ومِتَّيجة في مرج لهم ماءٌ جار عليه أرحية وشعبة من النهر تدخل الدور كثيرة البساتين.

وهياجة على اسم رستاقها وهو واسع كثيرة القموح. والقُسْطَنْطِينيَّة مدينة جاهليّة على يومين من المصر.

ولولا خوف الملال وطول الكتاب لوصفتُ بقيَّة مدائن أفريقية وأكثر مدائن الكور في جميع الإسلام، ولكنَّا نميل إلى الإيجاز ونذكر ما لا بدَّ منه ولا أعرف كورة

أكثر مدائن من هذه كلّها آهلة جيّدة لأنّا ربّما نذكر مدناً هي أصغر من قرى كثيرة في أقاليم أُخر، ولكنّها مشهورة في المدن وعلمنا موضوع على التعارف ألا ترى أن مُخَا والجامعَيْن والمنيفة مدن بلا نزاع وكَفَرْسَلاّم وقصر الرِّيح وراس التين أكبر منهنّ وهي قرى بلا خلاف واعلم أن الكورة لا تجلّ بكثرة مدنها، ولكن بجلالة رساتيقها ألا ترى إلى جلالة نيسابور وبخارا[1] مع قلّة مدنهما وإلى بثيس زَبيد وهَجَر مع كثرة مدنهما.

تَاهَرْت هي اسم القصبة أيضاً هي بلخ المغرب قد أحدق بها الأنهار والتفّت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين وجلّ بها الإقليم وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب يفضّلونها على دمشق وأخطؤوا وعلى قرطبة، وما أظنّهم أصابوا.

هو بلد كبير كثير الخير رحب رفق طيّب رشيق الأسواق غزير الماءِ جيّد الأهل قديم الوضع محكم الرصف عجيب الوصف غير أنه متى يقاس المغرب بالشام، وأين مثل دمشق في الإسلام، ولقرطبة اسم وذكر وشان بها جامعان على ثلثي البلد قد بُنيا بالحجارة والجيل قريبان من الأسواق ومن دروبها المعروفة أربعة: باب مجّانة، درب المَعْصُومَة، درب حارة القفير، درب البساتين، بقربها مدينة تسمّى رُهَا وقد خربت.

وتَنَس مسوَّرة على البحر شربهم من نهر وكذلك قَصْرُ الفُلُوس. وتاهَرْت السفلى على وادٍ عظيم ذات أعين وبساتين. وفكّان مسوَّرة على وادٍ جارٍ ذات بساتين.

ويَلَل وجبل تُوجان على ما ذكرنا سواءً. وَهْرَان بحريّة مسوَّرة يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة. وسَبْتَة على زقاق بحر الأندلس ترى منها البرّين وهي أحد المعابر المشهورة.

جَبَل زَالاَغ مدينة على جبل عالٍ يطلّ على كورة فاس بناها خَلُوف بن أحمد المعتليّ، وبقيّة المدن أكثرهنّ مسوَّرات ذات بساتين.

فَاس بلدان جليلان كبيران كلّ واحد منهما محصّن بينهما وادٍ جرّار عليه بساتين وأرحية قد استولى على أحدهما الفاطميّ وعلى الآخر الأمويّ وكم ثَمّ من حروب وقتل وغلبة بناؤهما مدر وحصنهما طوب.

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

وبها قلعة شميت بناها ابن البُوريّ وأخرى على الوادي بناها ابن أحمد وهو بلد كثير الخيرات والتين والزيتون غير أنهم كما ترى وفيهم ثقل وغباً، قليل العلماءِ كثير الغوغاءِ.

قَسْطِيلِيَة هي نظيرة البصرة في الدنيا حمل جمل تمر بدرهمين ولهم نهر عظيم قد غاب في النخيل ولا تسأل عن كثرة البساتين وكذلك نَفْزَاوة بعيدتان من البحر.

والبَصْرَة كانت مدينة كبيرة عامرة وقد خربت وكانت جليلة. ونِقَاوُس حسنة نزهة كثيرة المياه والجوز باردة.

وبلد غُمَار رستاقها ثلاثة أيّام في مثلها كلُّها قرى عامرة. وقَسْطِيلِيَة كثيرة التمور على ما ذكرنا من قابس وقر الجمل بدرهمين ولهم نهر عظيم وكذلك نَفْزَاوَة وبِسْكَرَة بلدان النخيل والأنهار.

ونِقَاوُس باردة بلد الجوز والثمار الجبليّة. ومستقرُّ أمراءِ فاس من قبل الفاطميّ بجبل زالاغ واسم ناحيتهم من فاس عدوة القَرَويّ والأخرى مدينة الأندلسيّ بناها الأمويّ وقد عبر البحر وغلب على فاس، وسائر المدن عامرات، وبين فاس وصاع مدينة جليلة نزهة كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار في رستاق مكناسة الصاغة لا أذكر اسمها.

وطَنْجَة ناحية جليلة عامرة المدن بريّة وبحريّة نفيسة سريّة. والزاب مدينتها المَسِيلَة وهي أيضاً ناحية على ما وصفنا مذكورة في الإقليم غير أن طنجة أجَلُّ.

سِجِلْمَاسَة قصبة جليلة على نهر بمعزلٍ عنها يفرغ في قبليّها وهي طولانيّة نحو القبلة عليها سور من طين وسطها حصن يسمّى العسكر فيه الجامع ودار الإمارة شديدة الحرّ والبرد جميعاً، صحيحة الهواءِ، كثيرة التمور، والأعناب، والزبيب، والفواكه، والحبوب، والرمّان، والخيرات، كثيرة الغرباءِ، موافقة لهم يقصدونها من كلّ بلد، ومع ذلك ثغر فاضل برستاقها معادن الذهب، والفضّة، وهم أهل سنّة، وقوم جياد بها علماءُ، وعقلاءُ لها باب القبليّ، باب الغربيّ، باب غدير الجزّارين، باب موقف زناتة، وغيرها، وهي في رمالٍ ولهم مياه.

ودَرْعَة لها رستاق واسع ومنابر على نهر جرّار نحو ستّة أيّام. وعَرِيش رستاق فيه منابر وسائر المدن محيطة بها في الرمال عامرات، ومعادن الفضّة بتازَرْت ومعدن الذهب بين هذه الكورة وبلد السودان وليس في العالم أصفى ولا أوسع منه والطرق

إلى الكورة صعبة لأنه في مفاوز وحشة ذات رمال. بَلَرْم هي قصبة أصقليّة على البحر في الجزيرة أوسع من الفسطاط إلاّ أنها متفرّقة بناؤُهم حجر وجيل وهي حمراءُ وبيضاءُ يحدق بها الفوّارات والخيازير ويسقيها نهر يقال له وادي عبّاس والأرحية وسطها كثيرة الفواكه والخيرات والأعناب الماءُ يضرب الحائط ولها مدينة داخلة بها الجامع والأسواق في الربض، ومدينة أخرى خارجة مسوَّرة تسمَّى الخالِصَة بأربعة أبواب: باب كتامة، باب الفتوح، باب البنود، باب الصناعة، وبها أيضاً جامع ولها أسواق.

واطْرَابُنش بحريّة غربيّة مسوَّرة شربهم من نهر. وعين المغطَّا ومازَر غربيّتان. وقلعة البَلُّوط محصَّنة في الهواءِ ماؤُهم من عين تنبع فيها.

وجِرْجَنْت بحريّة مسوَّرة شربهم من آبار. وبُثِيرَة بحريّة غربيّة مسوَّرة بسور حصين كأنها قلعة.

وسَرَقُوسَة مدينتان ملتزقتان لها مينا عجيب ولها خندق يدور فيه ماءُ البحر.

ولَنتِيني مسوَّرة على نهر قريبة من البحر بناؤُهم حجر. وقَطَانِيَة بحريّة قبليّة مسوَّرة وهي مدينة الفِيلَة.

والبَاج مسوَّرة بحريّة قبليّة شربهم من ماءٍ جارٍ. وبَطَرْنُوا شرقيّة تحت جبل النار الجارية.

وطَبَرْمِين بحريّة شرقيّة تطلُّ على بلد الروم شرقيّة لها قلعة من حجارة فرضة من البحر وسائر المدن الشرقيّات عشر على ما ذكرنا غير أن قلعة الصِّرَاط في الهواءِ.

وبَطَرْلِيّة قبليّة برّيّة مسوَّرة في وسطها قلعة فيها كنيسة. وبَرْطِنِيق غير بحريّة كثيرة الحنّاءِ وكذلك أخيلس وبلجة في فحص.

وصِقِلِيّة جزيرة واسعة جليلة ليس للمسلمين جزيرة أجلُّ ولا أعمر ولا أكثر مدناً منها طولها اثنا عشر يوماً في عرض أربعة أيّام وبينها وبين الروم مجاز من نحو مطلع الشمس عرضه اثنا عشر يوماً وهو الخليج الذي يعدُّ في البحار الخمسة.

قُرْطُبَة هي مصر الأندلس سمعتُ بعض العثمانيّة يقول: هي أجلُّ من بغداد في صحراء يطلُّ عليها جبل، ولها مدينة جوّانيّة، وربض الجامع في المدينة، وأسواق، وأغلب الأسواق، ودار السلطان في الربض قدّامها وادٍ عظيم سطوحهم قراميد الجامع

من حجر وجيل وسواريه رخام حواليه مياضٍ وللمدينة خمسة أبواب: باب الحديد، باب العطّارين، باب القنطرة، باب اليهود، باب عامر، وقد دلّت الدلائل واتّفقت الآراءُ على أنه مصر جليل رفق طيّب، وأن ثَمَّ عدلاً ونظراً وسياسة وطيبة ونعماً ظاهرة وديناً، وأن ناحية الأندلس على سجيّة هيطل أبداً ثَمَّ غزاة أبداً في جهاد ونفير مع علم كثير وسلطان خطير وخصائص وتجارات وفوائد.

وحدَّثني بعض الأندلسيّين أنها ثلاثة عشر رستاقاً على خمسة عشر مَيلاً أَرَجُونَة مسوَّرة ليس لها بساتين وأشجار لكنها بلد الحبوب ولهم عيون ومزارعهم على المطر.

وقَسْطَلَّة على ثلاثة عشر ميلاً من أرجونة وهي في سهلة كثيرة الأشجار والزيتون والكرمات ومشاربهم من آبار ويسقون البساتين بالسواني. شَوْذَر على ثمانية عشر ميلاً من قرطبة وهي في سهلة كثيرة الزيتون جدًّا شربهم من أعين. مارْتُش على خمسة عشر ميلاً من قرطبة، وهي جبليّة ليس لها غير الكرمات، ولهم أعين.

وقَنْبَانُش على خمسة عشر ميلاً، وهي سهليّة ذات مزارع أكثرها بموضع يقال له: قَنْبَانِيَة مشاربهم من آبار. وفجُ ابن لَقِيط على خمسة وعشرين ميلاً في سهلة كثيرة المزارع شربهم من آبار.

وبِلاَط مَرْوَان على ثلاثين ميلاً لها وادٍ جرَّار سهليّة ذات مزارع. وبُرْيَانَة ذات مزارع سهليّة شربهم من آبار وفيها حصن من حجارة والربض حوله والجامع في الحصن والأسواق في الربض. وحصن بُلْكُونَة كثيرة الزيتون والأشجار والعيون مسوَّرة بحجارة شربهم من عين واحدة وآبار على أربعين ميلاً من قرطبة.

الشنيدة على جبل كثيرة الكروم والمزارع والتين والعنب شربهم من أعين وآبار على يومين من قرطبة المنزل فجُ ابن لقيط. وَادِي عَبْد الله من نحو القبلة على أربعين ميلاً من قرطبة المنزل وادي الرُمَّان سهليّة ذات مزارع وأنهار وأشجار.

قرسيس على ستّين ميلاً من قرطبة سهليّة كثيرة التين والأعناب، والزيتون الكبير شربهم من أعين.

جيّان على خمسين ميلاً من قرطبة اسم الرستاق أَوْلَبَة ومدينة جيّان على جبل كثيرة الأعين قد خرب حصنها غير أنها منيعة بالجبل بها اثنتا عشرة عيناً ثلاث عليها أرحية تقوم بالأندلس، ومن ثَمَّ ميرة قرطبة، وثمارها كثيرة وصفْ ما شئتَ من طيبها

ورحبها، فإنها جنّة الأندلس على ما حُكي لي ودلّ آخر الاسم على أنها ناحية بنيانهم بالحجارة باردة كثيرة الرياح وبكورتها حرٌّ هي في عداد النواحي قياساً على ما رتّبنا، ومدنها الجفر على الجبل كثيرة الأودية، والأرحية على عشرة أميال من جيّان كلُّها أشجار وثمار وزيتون وأعناب على وادٍ تجمع الفواكه.

وبَيْغُوا وهي جبليّة لها أودية تخرُّ منها عيون تدير الأرحية كثيرة التوت والزيتون والتين. ومارتُش مسوَّرة على جبل شربهم من أعين كثيرة التين والزيتون والكروم. قانت مسوَّرة في قنبانية لا بساتين لها زاكية. وغَرْنَاطَة على وادٍ به مُنْية طوله ثلاثة عشر ميلاً للسلطان فيه من كلّ الثمار حسن عجيب سهليّة كثيرة المزارع قلتُ وما المُنْية قال البستان.

مَنْتِيشَة مسوَّرة على وادٍ كثيرة الزيتون والتين سهليّة. وبَيَّاسَة مسوَّرة في جبل بناؤُهم طين وشربهم من أعين كثيرة التين والكرمات، قلتُ: هل بقي لقرطبة غير هذه الرساتيق والمدن؟ قال: لا. قلتُ: فإشْبِيلية وبَجّانة وذكرتُ عدّةً من البلدان؟ قال: هذه نواحٍ لها أقاليم كما تقول القيروان، وتاهرت، وسجلماسة.

وهم يسمُّون الرستاق إقليماً فعلمتُ أنها كور على قياسنا، وأنها إن لم تكن أجلَّ من كور هيطل فليست بأقلَّ منها فيحصل القول وأثبتُ الدلائِل على أن مثل المغرب كمثل المشرق كلُّ واحد منهما جانبان فكما أن المشرق خراسان وهيطل يفصل بينهما جيحون، فكذلك المغرب والأندلس يفصل بينهما بحر الروم، غير أنّا نعجز عن تكوير الأندلس فتركناها على الجملة ووصفنا كورة قرطبة لمّا كثر المخبرون عنها واتّضح عندنا أمرها، وعرضت كتابي على شيخ من مشايخهم فقال: على هذا القياس يجب أن تكون الأندلس ثماني عشرة كورة فعدَّ: بَجَّانَة، مَالِقَة، بَلَنْسِيَة، تُدْمِير[1]، سَرَقُوسَة، يَابِسَة، وادي الحجارة، تُطِيلَة، وَشْقَة، مدينة سَالم، طُلَيْطُلَة، إشْبِيلِيَة، بَطَلْيُوث، باجة، قرطبة، شَذُونَة، الجزيرة الخضراءِ، وسألتُ آخر، فقال: صدق وزاد إلبِيرَة[2]، خُشُنُبَة.

---

(١) تدمير: كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جَيّان، سمّيت باسم ملكتها تدمير، وهي شرقي قرطبة، ولها معادن قصيرة، ومعاقل، ومدن، ورساتيق، وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢٢).

(٢) إلبيرة: هي كورة كبيرة من الأندلس ومدينة متصلة بأراضي كورة قَبْرَة، بين القبلة والشرق من =

ويجوز أن يكون بعض هذه البلدان نواحي قياساً على إيلاق وكشّ والصغانيان والله أعلم بالصواب.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم جليل كبير طويل يوجد فيه أكثر ما يوجد في سائر الأقاليم مع الرخص كثير النخيل، والزيتون. به مواضع الحرّ ومعادن البرد كثير اليهود جيّد الهواءِ والماءِ فأما الحرُّ فإنك تجده من مصر إلى السوس الأقصى إلاّ في مواضع فإن بها جبالاً وبلداناً باردة والغالب على الأندلس البرد كثير المجذّمين والخصيان والثقلاءِ والبخلاءِ قليل القصّاص رفق يحبُّون العلم وأهله ويكثرون التجارات والتغرُّب.

وأما المذاهب فعلى ثلاثة أقسام أما في الأندلس فمذهب مالك وقراءَة نافع وهم يقولون لا نعرف إلاّ كتاب الله وموطّأ مالك فإن ظهروا على حنفيّ أو شافعيّ نفوه وإن عثروا على معتزليّ أو شيعيّ ونحوهما ربّما قتلوه.

وبسائر المغرب إلى مصر لا يعرفون مذهب الشافعيّ رحمه الله تعالى إنّما هو أبو حنيفة ومالك رحمهما الله وكنتُ يوماً أذاكر بعضهم في مسألةٍ فذكرتُ قول الشافعيّ رحمه الله، فقال: أسكتْ مَنْ هو الشافعيُّ إنّما كانا بَحْرَين أبو حنيفة لأهل المشرق، ومالك لأهل المغرب أفنتركهما ونشتغل بالساقية.

ورأيتُ أصحاب مالك رحمهم الله يبغضون الشافعيَّ، قالوا: أخذ العلم عن مالك، ثم خالفه، وما رأيتُ فريقين أحسن اتّفاقاً، وأقلّ تعصُّباً منهم.

وسمعتُهم يحكون عن قدمائهم في ذلك حكايات عجيبة حتّى قالوا: إنه كان الحاكمَ سنةً حنفيٌّ وسنةً مالكيٌّ، قلتُ: وكيف وقع مذهب أبي حنيفة رحمه الله إليكم ولم يكن على سابلتكم؟ قالوا: لمّا قدم وهب بن وهب من عند مالك رحمه الله وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز استنكف أسد بن عبد الله أن يدرس عليه لجلالته وكبر نفسه فرحل إلى المدينة ليدرس على مالك فوجده عليلاً فلمّا طال مقامه عنده قال له

= قرطبة، أرضها كثيرة الأنهار والأشجار وفيها مدن عدّة منها: قسطيلية، وغرناطة، وفي أرضها معادن: فضة وذهب، وحديد، ونحاس، ومعدن حجر التوتيا. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٨٩).

ارجع إلى ابن وهب فقد أودعتُه علمي وكفيتُكم به الرحلة فصعب ذلك على أسد وسأل هل يُعرف لمالك نظير، فقالوا: فتًى بالكوفة يقال له: محمَّد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، قالوا: فرحل إليه وأقبل عليه محمَّد إقبالاً لم يقبله على أحدٍ ورأى فهماً وحرصاً فزقَّه الفقه زقًّا فلمَّا علم أنه قد استقلَّ وبلغ مراده فيه سيَّبه إلى المغرب فلمَّا دخلها اختلف إليه الفتيان ورأَوا فروعاً حيَّرتهم ودقائق أعجبتهم ومسائل ما طنَّت على أذن ابن وهب وتخرَّج به الحلق وفشا مذهبُ أبي حنيفة رحمه الله بالمغرب، قلتُ: فلمَ لم يفشُ بالأندلس؟ قالوا: لم يكن بالأندلس أقلَّ منه هٰهنا، ولكن تناظر الفريقان يوماً بين يدي السلطان، فقال لهم: من أين كان أبو حنيفة؟ قالوا: من الكوفة، فقال: مالك، قالوا: من المدينة، قال: عالم دار الهجرة يكفينا، فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة، وقال: لا أحبُّ أن يكون في عملي مذهبان، وسمعتُ هذه الحكاية من عدَّة من مشايخ الأندلس.

والقسم الثالث مذاهب الفاطميّ وهي على ثلاثة أقسام أحدها ما قد اختلف فيه الأئمّة مثل القنوت في الفجر والجهر بالبسملة[1] والوتر بركعةٍ وما أشبه ذلك.

والثاني الرجوع إلى ما كان عليه السلف مثل الإقامة مثنى التي ردَّها بنو أميّة إلى واحدةٍ ومثل لبس البياض الذي ردَّه بنو العبَّاس إلى السواد.

والثالث ما تفرَّد به ممَّا لا يخالف الأئمّة وإن لم يعرف له قدمة مثل الحيعلة[2] في الأذان وجعل أوَّل الشهر يوماً يرى فيه الهلال وصلاة الكسوف بخمس ركعات وسجدتين في كلّ ركعة وهذه مذاهب الشيعة ولهم تصانيف يدرسونها.

ونظرتُ في كتاب الدعائم فإذا هم يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول ويقولون بمذهب الإسماعيليّة، ولهم فيه سرٌّ لا يُعلِّمونه ولا يأخذونه على كلّ أحدٍ إلاّ من وثقوا به بعد أن يحلفونه ويعاهدونه، وإنَّما سمُّوا باطنيّةً، لأنهم يصرفون ظاهر القرآن إلى بواطن وتفاسير غريبة ومعانٍ دقيقة، وهذه الأصول مذاهب الإدريسيّة، وغلبتهم بكورة السوس الأقصى، وهي قريبة من مذاهب القرامطة، وأهل المغرب، والمشرق في مذاهب الفاطميّ على ثلاثة أقسام، منهم: من أقرَّ بها واعتقدها، ومنهم: من كفر بها وأنكرها، ومنهم: من جعلها في اختلاف الأمّة، وأكثر أهل أصقليّة حنيفيُّون.

---

(١) البسملة: قول بِسم الله الرحمٰن الرحيم.

(٢) الحيعلة: قول حيَّ على الصلاة حيَّ على الفلاح.

وقرأتُ في كتاب صنّفه بعض مشايخ الكرّاميّة بنيسابور أن بالمغرب سبعمائة خانقاه لهم فقلتُ: لا والله ولا واحدة. وأما القراءات في جميع الإقليم فقراءَة نافع حسب الرسوم لا يشهد في هذه الأقاليم الستّة إلاّ معدّل.

وحضرنا يوماً أملاكاً فأمرني أبو الطيّب حمدان أن أكتب شهادتي فهُنّيتُ بذلك، ولا يأخذون الميّت إلاّ من الرأس، أو الرجلين، ويصلُّون كلّ ترويحة، ويجلسون، ولا يسلخون الأغنام إذا شووها، ويدخلون الحمّامات بلا ميازر إلاّ القليل.

وبالمغرب رسومهم مصريّة إلاّ أنهم أقلّ ما يتطلّسون، وكثيراً ما يجعلون الرداءَ بطاقين، ثم يطرحونه على ظهورهم مثل العباة.

أصحاب قلانس مصبّغة، والبربر ببرانس سود، وأهل الرساتيق بأكسية، والسوقة بمناديل، والتجار يركبون أحمرة مصريّة، وبغالاً وكلُّ مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق.

وأهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة خطوطهم مدوَّرة، وبه تجارات تحمل من برقة ثياب الصوف والأكسية، ومن أصقليّة الثياب المقصورة الجيّدة، ومن أفريقية الزيت، والفستق، والزعفران، واللُّوز، والبرقوق، والمزاود، والأنطاع، والقرب، ومن فاس التمور وجميع ما ذكرنا، ومن الأندلس بزٌّ كثير، وخصائص وعجائب.

ومن خصائص الإقليم المرجان يخرج من جزيرة في البحر اسم مدينتها مرسى الخَرَز يدخل إليها في طريق دقيق كالمهديّة من بحرها يرتفع القرن، وهو المرجان لا معدن له غيرها، وهي جبال في البحر يخرجون إلى جمعه في قوارب، ومعهم صلبان من خشب قد لفُّوا عليها شيئاً من الكتّان المحلول، وربطوا في كلّ صليب حبلين يأخذهما رجلان فيرميان بالصليب ويدير النواتي القارب فيتعلّق بالقرن، ثم يجذبونه فمنهم من يخرج عشرة آلاف إلى عشرة دراهم، ثم يجلي في أسواق لهم ويباع جزافاً رخيصاً، ولا إشراق له قبل جليه ولا لون، وبتُطِيلة سمُّور كثير.

وبالأندلس السفن الذي يتّخذ منه مقابض السيوف ويقع إليهم من البحر المحيط عنبر كثير في وقت من السنة، ويرتفع من أصقليّة نوشاذر كثير أبيض وسمعتُ أنه قد انقطع معدنه واستغنى عنه أهل مصر بدخان الحمّامات.

وأما الأرطال فكانت بغداديّة في الإقليم كلّه إلاّ الذي يوزن به الفلفل فإنه يشف

على البغداديّ بعشرة دراهم، والآن هو المستعمل في أعمال الفاطميّ بالمغرب كلّه.

والمكاييل قفيز القيروان اثنان وثلاثون ثمناً والثمن ستّة أمداد بمدّ النبيّ ﷺ وقفيز الأندلس ستُّون رطلاً والربع ثمانية عشر رطلاً وفنيقة نصف القفيز، ومكاييل الفاطميّ الدوار وهي التي تشقّ على ويبة مصر بشيء يسير قد أُلجم رأسها بعارضة من حديد وأقيم عمود من قاعها إلى العارضة فوقه حديد يدور على رأس الويبة فإذا أترعها أدار الحديدة فمسحت فم الويبة وصحّ الكيل، وأرطاله رصاص على كلّ رطل اسم أمير المؤمنين فإن اجتمعت أرطال بموضع واحد بُسط صبّها وطبع على كلّ رطل ولو كانت عشرة.

وأما نقوده في جميع أعماله إلى أقصى دمشق فالدينار يزلّ عن المثقال بحبّة أعني شعيرة والسكّة مدوّرة الكتابة وله ربع صغير يؤخذان بالعدد والدرهم أيضاً زالّ له نصف يسمُّونه القيراط وربع وثمن ونصف ثمن يسمُّونه الخرنوبة يؤخذ الجميع بالعدد ولا يرخّصون في المعاملة بالقطع وسنجهم من زجاج مطبوع كما ذكرنا من الأرطال، ورطل مدينة تونس اثنتا عشرة أوقيّة اثنا عشر درهماً.

والعجائب بهذا الإقليم كثيرة منها أبو قلمون وهي دابّة تحتكّ بحجارة على شطّ البحر فيقع منها وبرها وهو في لين الخزّ لونه لون الذهب لا يغادر منه شيئاً، وهو عزيز الوجود فيجمع وينسج منه ثياب تتلوّن في اليوم ألواناً، ويمنع السلطان من حمل ذلك إلى البلدان إلاّ ما يخفى عنهم ربّما بلغ الثوب عشرة آلاف دينار.

بأصقليّة جبل تفور منه النار أربعة أشهر في كلّ عشر سنين مرّة وسائر الأوقات يدخن حوله ثلوج متلبّدة إلاّ موضع الدخان. بمدينة إيكِجّا عيون تخرج أوقات الصلاة، ثم تغور فإن قصدها رجل كان قد قتل نفساً بغير حقّ لم يخرج له شيءٌ، فإن قال قائل: إنك تركتَ كثيراً من العجائب في هذا الإقليم لم تذكرها. قيل له: إنّما تركنا ما ذكره مَن قبلنا في تصانيفهم، ومن مفاخر كتابنا الإعراض عمّا ذكره غيرنا، وأوحش شيء في كتبهم ضدُّ ما ذكرنا ألا ترى أنك إذا نظرتَ في كتاب الجيهانيّ وجدتَه قد احتوى على جميع أصل ابن خرداذبه وبناه عليه، وإذا نظرتَ في كتاب ابن الفقيه، فكأنّما أنت ناظر في كتاب الجاحظ، والزيج الأعظم، وإذا نظرتَ في كتابنا وجدتَه تسبّح وحده يتيماً في نظمه ولو وجدنا رخصة في ترك جمع هذا الأصل ما اشتغلنا به.

ولكن لمّا بلّغنا الله تعالى أقاصي الإسلام، وأرانا أسبابه، وألهمنا قسمته وجب

أن ننهي ذلك إلى كافة المسلمين الا ترى إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١١]، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا﴾ [يوسف: ١٠٩]، وفيما نذكر عبرة لمن اعتبر وفوائد لمن سافر.

وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الإقليم ومصر من قبل الجنوب وهي بلدان مقفرة واسعة شائقة وهم أجناس كثيرة وفي جبالهم عامّة ما يكون في جبال المسلمين من الفواكه غير أن أكثرهم لا يذوقونه، ولهم فواكه أخر وأغذية وأطعمة وحشائش لا توجد عندنا ولا تعامل بينهم بالذهب والفضّة.

أما القرماطيّون فتعاملهم بالملح والنوبة والحبش بالثياب، والنوبة من وراءِ مصر، والبُجة وراءَ عيذاب، والحبش وراءَ زَيْلَع.

والخدم الذين ترى على ثلاثة أنواع جنس يُحملون إلى مصر وهم أجود الأجناس، وجنس يحملون إلى عدن وهم البربر وهم شرُّ أجناس الخدم، والجنس الثالث على شبه الحبش.

وأما البيض فجنسان الصقالبة وبلدهم خلف خوارزم إلاّ أنهم يحملون إلى الأندلس فيخصون، ثم يخرجون إلى مصر والروم يقعون إلى الشام وأقور وقد انقطعوا بخراب الثغور.

وسألتُ جماعةً منهم كيف يخصون فتحصَّل لي أن الروم يسلُّون أولادهم ويحرزونهم على الكنائس لئلاّ يشغلوا بالنساءِ وتؤذيهم الشهوة وكان المسلمون إذا غزوا أغاروا على كنائسهم وأخرجوا الصبيان منها.

وأما الصقالبة فإنهم يحملون إلى مدينة خلف بجّانة أهلها يهود فيخصونهم، واختلفوا على هذا فقال بعض: يمسح القضيب والمزودان في مرّة واحدة، وقال بعضهم: يشقُّ المزودان وتخرج البيضتان، ثم تجعل تحت القضيب خشبة ويقطُّ من أصله، وسألتُ عُريب الخادم، وكان من أهل العلم والصدق، فقلتُ: أيُّها المعلّم أخبرني عن أمر الخدم فإن العلماءَ قد اختلفوا فيهم، وأبو حنيفة يجعل لهم فراشاً، ويلحق بهم ما تلد نساؤُهم، وهذا علم لا يستفاد إلاّ منكم، قال: صدق أبو حنيفة رحمه الله، وسأُخبرك بحالهم، اعلم أنهم إذا قربوا للاختصاءِ شُقَّ الخصوتان، فأخرجت البيضتان فربّما فزع الصبيُّ فصعدت إحدى البيضتين إلى جوفه، وطلبت

فلم توجد في الوقت، ثم تنزل بعد ما التحم الشقّ، فإن كانت اليسرى كانت له شهوة ومنيّ، وإن كانت اليمنى خرجت له لحية مثل فلان وفلان، فأبو حنيفة رحمه الله أخذ بقول النبيّ ﷺ: «الولد للفراش»[1].

وجاز أن يكون من الخدم الذين بقيت بيضتهم، وذكرتُ قوله لأبي سعيد الجُوريّ بنيسابور، قال: قد يجوز هذا لأن إحدى بيضتيّ صغيرة، وكانت لحيته نزراً خفيفةً، وإذا خصوهم جعلوا في منفذ البول مرود رصاص يخرجونه أوقات البول إلى أن يبرؤوا كي لا يلتحم.

ولغتهم عربيّة غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم، ولهم لسان آخر يقارب الروميّ وكلّما قرب من مغرب الشمس كان أشدّ بياضاً وزرقة عيون وكثافةً في لحاهم. . . كبر.

وموضعهم بمدينة سَطِيف وهم مهّدوا الأمر لعُبَيد الله، والغالب على بوادي هذا الإقليم البربر أكثرهم بكورة السوس، وهم قوم على عمل الخوارزميّة لا يفهم لسانهم، ولا ترضى طباعهم مع خسّةٍ وشدّة.

سمعتُ أن أحدهم يشدُّ وسطه بنفقته فيذهب إلى الحجّ ويرجع وهي معه فحينئذٍ تزوّج، وأقلُّ من لا يزور بيت المقدس منهم.

ومن عيوبهم أن بأفريقية مدينتين بهما تباع لحوم الكلاب على القنّارات، وهما قَسْطِيلِيَة، ونَفْطَة، ويتّهمون بطرح لحوم الكلاب في الهرائس مع غشامةٍ، وسوءِ خلقٍ، وغلظةٍ يرى أحدهم يطبخ القدر، ثم يبيع اللحم أو الثردة، والطرق إلى أقاصيه صعبة في رمال ومفاوز.

وأما الولايات فلم يخطب لغير بني أميّة بالأندلس قطُّ، وأما السوس الأقصى فإن أوّل من غلب عليها إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب، وذلك أن إدريس أفلت من وقعة العبّاسيّين بالطالبيّين بفَخٍّ في خلافة الهادي، فوقع بمصر وعلى بريدها واضح مولى المنصور، وكان شيعيًا فحمله على البريد إلى المغرب، فوقع بأرض طنجة، فاستجاب له من فيها وحولها، فلمّا استخلف الرشيد أعلم بذلك فضرب عنق واضح وصلبه ودسّ إلى إدريس الشمّاخ اليماميّ مولى

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح (بيوع: ٣).

المهديّ، وكتب له كتاباً إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على أفريقية فخرج حتّى وصل إلى زويلة(١)، وذكر لهم أنه طبيب، وأنه وليٌّ من أوليائهم فاطمأنَّ إليه وآنس به، فشكا إليه علّةً في أسنانه فأعطاه سنوناً مسموماً ليلاً وأمره أن يستنَّ به عند طلوع الفجر، وهرب فلمّا استنَّ به قتله، وطُلب الشمّاخ فلم يقدر عليه فولّى الرشيد الشمّاخ بريد مصر.

وأما المسافات فتأخذ من برقة إلى النَّدَامَة مرحلة، ثم إلى تاكَنْسْت مرحلة، ثم إلى المَغَار مرحلة، ثم إلى حَلِيمان مرحلة، ثم إلى مَخِيل مرحلة، ثم إلى جبّ المَيْدَعان مرحلة، ثم إلى جيّاد الصغير مرحلة، ثم إلى حيّ عبد الله مرحلة، ثم إلى مَرْج الشَّيْخ مرحلة، ثم إلى العَقَبَة مرحلة، ثم إلى خرائب أبي حَلِيمَة مرحلة، ثم إلى خِرْبَة القَوْم مرحلة، ثم إلى قصر الشمَّاس مرحلة، ثم إلى سِكَّة الحَمَام مرحلة، ثم إلى جُبّ العَوْسَج مرحلة، ثم إلى كَنَائِس الحَرِير مرحلة، ثم إلى الطَّاحُونَة مرحلة، ثم إلى حَنِيَّة الرُّوم مرحلة، ثم إلى ذات الحُمَام مرحلة، ثم إلى بُومِينَه مرحلة، ثم إلى الإسكندريّة مرحلة.

وتأخذ من طرابلس إلى المَسْدُودَة مرحلة، ثم إلى أرسطا مرحلة، ثم إلى الراشديّة مرحلة، ثم إلى قصور حسّان مرحلة، ثم إلى مغمداش مرحلة، ثم إلى سُرْت مرحلة، ثم إلى قصر العِبَادِيّ مرحلة، ثم إلى اليَهُودِيَّتَيْن مرحلة، ثم إلى قَصْر العَطِش مرحلة، ثم إلى سبخة مَنْهُوسَا مرحلة، ثم إلى بلدروب مرحلة، ثم إلى برمست مرحلة، ثم إلى سُلُوق مرحلة، ثم إلى أوْبران مرحلة، ثم إلى قصر الفيل مرحلة، ثم إلى مليتية مرحلة، ثم إلى برقة مرحلة.

وتأخذ من أطرابلس إلى بئر الجمّالين مرحلة، ثم إلى قصر الدَّرَق مرحلة، ثم إلى بارجمت مرحلة، ثم إلى الفَوَّارَة مرحلة، ثم إلى قَابِس مرحلة، ثم إلى الزَّيْتُونَة مرحلة، ثم إلى كَتَانة مرحلة، ثم إلى الكبس مرحلة، ثم إلى القيروان مرحلة، ثم تركب المفاوز إلى السوس الأدنى ألفين ومائة وخمسين ميلاً، ثم إلى السوس الأقصى ٢٣ يوماً وعرض بحر الروم هناك ١٨ ميلاً.

---

(١) زويلة: مدينة في أول حدود بلاد السودان، وفيها جامع، وأسواق، وحمّام، وبها نخيل، وبساط للزرع. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٧٩).

وتأخذ من القيروان ٧ مراحل إلى قَفْصَة، ثم إلى قَسْطِيلِيَة ٣ مراحل، ثم إلى تَاهَرْت ١٥ يوماً في رمال وقرى، ثم تقع في البربر ٣ أيّام إلى فاس، ثم تقع في عمارات ٨ مراحل إلى الشقور، ثم كذلك في قرى وأنهار إلى البَصْرَة وأنت في حدّ السوس الأدنى، وإن شئتَ فخذ من القيروان إلى سَطِيف ١٠ مراحل، ثم إلى تاهرت ٢٠، ثم إلى فاس ٥٠، ثم إلى السوس الأقصى ٣٠.

وتأخذ من القيروان إلى زَوِيلَة شهراً، وتأخذ من القيروان إلى سِجِلْمَاسَة في البرّيّة ٣٠ مرحلة وفي العمارة ٥٠.

وتأخذ من القيروان إلى تُونِس ٣ مراحل، ثم إلى طَبَرْقَة ١٠ مراحل، ثم إلى تَنَس ٦ مراحل، ثم إلى جزيرة بني زَغَنّاي ٥ مراحل.

وتأخذ من القيروان إلى قابس، أو إلى نَفْطَة، أو إلى قَرْنَة، أو إلى سَبِيبَة، أو إلى مدينة القُصُور، أو إلى المهديّة مرحلتين مرحلتين.

وتأخذ من القيروان إلى لافس، أو إلى الجَزِيرة، أو إلى أُبّة، أو إلى مرسى الخَرَز ثلاث مراحل ثلاث مراحل.

وتأخذ من القيروان إلى قابس، أو إلى قصر الإفْرِيقِيّ، أو إلى مَجّانة خمساً خمساً.

وتأخذ من مجّانة إلى تَبَسّة، أو إلى باغاي، أو دُوفَانَة، أو عَيْن العَصَافِير، أو دار مَلُول، أو طُبْنَة، أو مَقّرَة، أو المَسِيلَة مرحلة مرحلة وبين كلّ واحدة والأخرى على الترتيب مرحلة.

وتأخذ من المسيلة غرباً إلى أَشِير ٣ أيّام، ثم إلى تاهَرْت ٥، ثم إلى فَكّان مثلها، ثم إلى تِلِمِسَان[1] مرحلتين، ثم إلى جُرَاوَة مثلها.

وتأخذ من تلمسان إلى صاع مرحلتين مثلها ومسيلة رأس حدّ أفريقية، وتأخذ من تاهرت إلى ناكور مرحلة، ثم إلى سجلماسة ١٥، وتأخذ من فاس إلى البصرة ٦

---

(١) تلمسان: بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسوّرتان إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها الملثّمون ملوك المغرب، واسمها تافرزت، فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان وأصناف من الناس، واسم القديمة أقادير، تسكنها الرعية. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٥٢).

مراحل، ومن فاس إلى أَزِيلَة ٨ مراحل. وقد اختصرنا مسافات هذا الجانب وأجملناها لطولها وكثرتها وقلّة المسافرين فيها، ومن القيروان إلى سُوسَة، أو إلى قَلْشَانَة، أو إلى تُمَاجِر مرحلة مرحلة.

وأما مسافات الأندلس فصحَّ عندي أن من قرطبة وهي القصبة إلى أشبيلية ٣ مراحل، ثم على سمت القبلة إلى أستجة مرحلة، ومن قرطبة إلى طليطلة ٦ أيام، ومنها إلى وادي الحجارة مرحلتان، ومن قرطبة إلى مِكْنَاسَة ٤ أيّام، ثم إلى هُوّارَة مثل ذلك، ثم إلى نَفْزَة ١٠ أيّام، ثم إلى سَمُّورَة ٤ أيّام، ومنها إلى قُورِية ١٢ مرحلة، ثم إلى مارِدَة ٤ أيّام، ومن قورية إلى باجة ٦ أيّام ومن باجة إلى آخر مدن شَنْتِرِين ١٧ يوماً، ومنها إلى فَحص البَلُّوط يومان، ثم إلى لَبْلَة ١٤، ومنها إلى قَرْمُونَة ٤ أيّام بين باجة، وإشبيلية نحو الغرب على طريق ماردة.

ومن قرمونة إلى أشبيلية مرحلتان، ومن أستجة إلى مَوْرُور مرحلة، ثم إلى شَذُونَة يومان، أو إلى جبل طارق ٣ أيّام، ومن أستجة إلى مالقة ٧ أيّام طريق الشرق، أو إلى أَرْجِذُونَة ٣ مراحل، ومنها إلى بجّانة ٦ مراحل، ومنها إلى مُرْسِيَة ٧ أيّام، ومنها إلى بلنسية أيضاً ٢٠ يوماً، ثم إلى طُرْطُوشَة ١٢ مرحلة.

ومن مرسية إلى بجّانة ٦ أيّام، ثم إلى مالقة ١٠ أيّام، ثم إلى جبل طارق ٤ أيّام، ثم إلى شَذُونَة ٣ أيّام، ثم إلى أشبيلية ٤ أيّام، وهذه الإشبيلية يضرب بها أهل المغرب الأمثال في البعد كما يضرب أهل المشرق بفرغانة ولا أعرف الإشبيلية الأولى.

ذكر بادية العرب

اعلم أن بين أقاليم العرب غير المغرب بادية ذات مياه وغدران، وآبار وعيون وتلال، ورمال، وقرى، ونخيل قليلة الجبال كثيرة العرب مخيفة السبل خفيّة الطرق طيّبة الهواءِ رديّة الماءِ ليس بها بحيرة ولا نهر إلا الأزرَق ولا مدينة إلاّ تَيْمَاءُ ومن الناس من يعدُّها من الجزيرة، وليست منها، ومنهم من يجزّئها على الأقاليم، ومنهم من يجعلها من الشام وقد رأينا نحن أن نفرزها ونفرد صورتها لأن أحداً من أهل الأقاليم الثلاثة عشر لا طريق له إلى مكّة في البرّ إلاّ فيها ولا غنى له عن معرفتها وأيضاً فإن فيها مناهج لا تعرف ومياهاً قد تجهل وفي ذكرها فوائد لا تحصى وأجر وحسبة لا تخفى وقد سافرتُ فيها غير مرّة ومسحتُها يمناً وشاماً وشرقاً وغرباً وتفحّصت عن طرقها وسألتُ عن مياهها وتبحّرتُ في معرفتها حتّى حزتُ الكثير من أسبابها وعرفتُ معظم طرقها. وهذه صورتها وبالله التوفيق.

وقد جعلناها من وَيْلَة إلى عَبَّادَان ثم إلى بالس مقوّسةً وقسمناها اثني عشر طريقاً تسع طولاً يؤدّين إلى مكّة وثلاث عرضاً يؤدّين إلى الشام وبها طريق آخر لقُرْح يؤدّي إليها من البصرة، ثم إلى مصر، فأوّلها طريق مِصْر، ثم طريق الرَّمْلَة، ثم طريق الشَّرَاة، ثم طريق تَبُوك، ثم طريق وُبَيْر، ثم طريق بَطْن السِّرّ، ثم طريق الرَّحْبَة، ثم طريق هِيت، ثم طريق الكُوفَة، ثم طريق القَادِسِيّة، ثم طريق وَاسِط، ثم طريق وَادِي القُرَى، ثم طريق البَصْرَة، وهذه الطرق على الترتيب ووصفها على التفريق.

فأما طريق مصر تأخذ من البُوَيْب إلى بُنْدُقَة مرحلة، ثم إلى عَجْرُود مرحلة، ثم إلى المدينة مرحلة، ثم إلى الكُرْسِيّ مرحلة، ثم إلى الحَفَر مرحلة، ثم إلى المنزل مرحلة، ثم إلى ويلة مرحلة.

وأما طريق الرملة فتأخذ من السُّكَّرِيّة إلى الثُّلَيل مرحلتين، ثم من التليل إلى

الغَمْر مرحلتين، ثم إلى وَيْلَة مرحلتين. وأما طريق الشراة فإن من صُغَر إلى وَيْلَة مراحل وهاتان الطريقان وإن كانا في الشام فإن السلوك في بادية وحشة وتمسُّ هذه البادية المذكورة.

وأما طريق تبوك فتأخذ من عمَّان إلى مُعان منهلين، ثم إلى تبوك مثلهما، ثم إلى تَيْمَاءَ أربعاً، ثم إلى وَادِي القُرَى أربعاً.

وأما طريق وبير فتأخذ من عَمَّان إلى وُبَيْر ٣ مناهل، ثم إلى الأَجْوَليّ ٤ مراحل، ثم إلى ثَجْر منهلين، ثم إلى تَيْمَاءَ ٣ مناهل.

وأما طريق بطن السرّ فتأخذ من عمَّان إلى العَوَيْد نهارين، ثم إلى المُحْدَثة نصف نهار، ثم إلى النَّبْك مثله، ثم إلى ماءٍ نهاراً، ثم إلى الجَرْبَى نهاراً، ثم إلى عَرْفَجَا نهاراً ونصفاً، ثم إلى مُخْرِي ثلاثاً، ثم إلى تيماءَ أربعاً، وهذه المحجَّات الثلاث طرق العرب إلى مكَّة، وفيها كان بريد ملوك بني أميّة وقت كونهم بدمشق وإيَّاها سلكت جيوش العُمَرين وقت فتح الشام وهنَّ قريبات آمنات أصحابها بنو كلاب ويصحبهم كثير من أهل الشام يجتمعون في عمَّان وقد سلكتُها غير مرَّةٍ.

وأما طريق القادسيّة فتأخذ من القادسيّة إلى المُغِيثَة ١٧ ميلاً، ثم إلى القَرْعَاءِ ٢٢ ميلاً، ثم إلى وَاقِصَة ٢٤ ميلاً، ثم إلى العَقَبَة ٢٩ ميلاً، ثم إلى القاع ٢٤ ميلاً، ثم إلى زُبَالَة ٢٤ ميلاً، ثم إلى الشُّقُوق ٢١ ميلاً، ثم إلى البِطَان ٢٩ ميلاً، ثم إلى الثَّعْلَبِيَّة ٢٩ ميلاً، ثم إلى الخُزَيْمِيَّة ٣٢ ميلاً، ثم إلى أَجْفَر ٢٤ ميلاً، ثم إلى فَيْد ٣٦ ميلاً.

وأما طريق واسط فلم أسلكها إلاّ أنها تلقى الجادَّة بالثعلبيّة. وأما طريق البصرة فتأخذ من البصرة إلى الحُفَيْر ١٨ ميلاً، ثم إلى الرُّحَيْل ٢٨ ميلاً، ثم إلى الشَّجِي ٢٧ ميلاً، ثم إلى حَفَر أبي موسى ٢٦، ثم إلى ماوِيّة ٣٢ ميلاً، ثم إلى ذات العُشَر ٢٩ ميلاً، ثم إلى اليَنْسُوعَة ٢٣ ميلاً، ثم إلى السُّمَيْنَة ٢٩، ثم إلى القَرْيَتَيْن ٢٢، ثم إلى النَّبَاج ٢٣، فهذه طرق العراق إلى مكَّة وهذه التسع محجَّات في الطول.

وأما طريق الكوفة فتأخذ من الكوفة إلى الرُّهَيْمَة ١٢ ميلاً، ثم إلى النَّحِيت نهارين، ثم إلى القراي مثلهما، ثم إلى الخَنْفَس نهاراً، ثم إلى الحشية مثله، ثم إلى الغُرَيْفَة مثله، ثم إلى قُرَاقِر مثله، ثم إلى الأَزْرَق مثله، ثم إلى عمَّان مثله الجميع ١١ مرحلة خفافاً.

وأما طريق هيت فتأخذ من هيت إلى دمشق عشرة أيّام. وكذلك من طريق الرحبة.

وأمّا طريق وادي القرى فمن البصرة إلى الشام نحو من العراق، وهذه المحجّات الثلاث في العرض ولها بُنَيّات تخرج إلى أذرعات وغيرها.

وأما طريق وادي القرى فيقال: إنها تخرج على المنهب خلف فَيْد، ومن المنهب إلى وادي القرى ٥ ليالٍ، ومنه إلى تيماءَ ٤، ومنه إلى تبوك ٧، ومنه إلى وادي طيّء ليلتان.

ومن البصرة إلى الكوفة على تخوم هذه البادية ١٠ مراحل ثقال، وأكثر ما ذكرنا من المنازل مياه وغدران.

وهذا وصف هذه البادية ومياهها، اعلم أنها بادية واسعة كثيرة العرب فيها نبت يقال له الفَثُّ على عمل الخردل ينبت من نفسه، فيجمعونه إلى الغدران، ثم يبلُونه بالماءِ فيتفتّح عن ذلك الحبّ، ثم يطحنونه، ويخبزونه ويتقوّتون به، ويكثرون أكل لحم اليربوع، والحيّات، ويقطعون الطريق، ويؤون الغريب، ويهدون الضالَّ، ويخفرون القوافل، وعلى الجملة لا يمكن أن يعبر أحد هذا الطريق إلاّ بخفير، أو قوّة، وترى الحاجَّ مع قوّتهم يهتكون وتؤخذ أباعرهم وخزائنهم.

وتخوم هذه البادية تأخذ من ويلة على مدائن قوم لوط وتصعد إلى مآب، ثم على تخوم عمّان، وأذرعات، ورساتيق دمشق، وتدمر، وسلميّة، وأطراف حمص إلى بالس، ثم ترجع إلى الفرات وتعطف على الرقّة، والرحبة، والدالية إلى هيت، والأنبار، ثم على الحيرة، والقادسيّة، ومغارب البطائح، ثم على سواد البصرة إلى عبّادان، ومنهم من أضاف الشراة إليها، وأدخل مدنها فيها وهذا أصحُّ.

وليس في هذه البادية مدينة إلاّ تَيْمَاءُ وهي مدينة قديمة، واسعة البقعة، كثيرة النخيل، هائلة البساتين غزيرة الماءِ مع خفّة عجيبة وعين مليحة تخرج في شبّاك حديد إلى بركة ثم يتفرّق في البساتين ولهم آبار حلوة وهي في سهلة إلاّ أن أكثرها خرابات الجامع فيها، والعمارات حول السوق وكلُّ تمورها جيّدة وفي أهلها شره لا عالم بها يرجع إليه ولا حاكم يعوّل عليه، ورأيتُ خطيبهم بقّالاً وحاكمهم نخّالاً مع تعصُّب عظيم، ودروع داوديّة يلبسونها في الفتن.

والمنازل بين مصر وويلة يسقى لها بالسواقي. والغَمْرُ ماءٌ وحشة وقربه رمل يحفر فيخرج عليهم منه ماءٌ حلو كثير.

وبُيَرْ آبار حلوة في بقعة حسنة نيّرة. والأَجْوَلِيُّ خزاه الله ماءٌ يتورّم من شرب منه وربّما قضى نحبه.

ونَجْر ماءٌ غير طيّب ولا كثير الغدران. والعَوْنِيد غديران قريبان ماؤهماكريه في وسط الرملة.

المُحْدَثَة قناة حلوة قد حدّت بحجارة سود. النَّبْكُ غديران أحدهما أحلى من الآخر المحجّة بينهما وثَمَّ نخيلات، بعده غدير واحد في غيضة ودحل حلو غير غزير قد أنسيتُ اسمه.

والجَرْبَى غدير أو اثنان منتن الماءِ بين دغل وطرفاءَ. وعَرْفَجَا في موضع حسن نزيه غديران حلوان.

ومُخْزِي قبّحه الله من ماءٍ مالح يطلق الناس والأباعر غديران في أرض سوداءَ واشتقَّ اسمه من الأسهال وسواءً شربتَ منه أو خبزتَ أو طبختَ الأمر واحد.

والمُغِيثَة خربة بها بئر واحدة. والقَرْعاءُ لها عدّة آبار لا ينتفع بها، وَاقِصَة بها حصن عامر وآبار حلوة وبركة عظيمة ينبع فيها الماءُ. والعَقَبَة بها آبار بعيدة جدًّا ومواضع قد خربت.

والقاع موضع قد خرب وقد كان عامراً حسناً آهلاً بها بئر. وزُبَالة حصن عامر وآبار عجيبة في الصخر وعدّة آبار صغار وربّما أودع بها الحاجُّ من أزوادهم ويقصدها عرب كثير بالأباعر والحشيش وغير ذلك وفيها فرج للحاجّ.

والبِطَان بها آبار معطّلة ومواضع خربة. والثَّعْلَبِيَّة ثُلث الطريق عامرة كثيرة البرك يسقى لها بالسواقي وفي الحصن سُكّان والبئر عذبيٌّ.

وقَبْرُ العِبَادِيّ في أوّل هذا المنهل عليه رجم عظيم وهذه مواضع رمال هَبِير. والخُزَيمِيّة بها برك معطّلة وآبار لا ينتفع بها.

فَيْد مدينة صغيرة ذات حصنين وبها حمّام وبركة بأبواب حديد وآثارات لعضد الدولة يوجد بها كلُّ خير وبها يودع الحاجُّ أزوادهم وثَمَّ ثقات وبها عيون وآبار وبرك

عذيبيّة وبالبعد ماءٌ حلو وهي من مدن الحجاز لا محالة ولكن أوصلنا إليها طريق القادسيّة لأن الحاجة إلى ذلك ماسّة.

فإن قال قائل: أنت رجل قد عملتَ في السياحة بيقين وعلم وعرفت أيضاً طرق هذه البادية ومواضع المياه فيها فما تقول في الحجّ على التوكُّل والخروج بلا زاد؟ قيل له: يحكى عن سفيان بن عيينة أنه قال رجلان إذا استفتياك فقوّ عزمهما فإنهما يسألانك عن ضعفٍ أعزبٌ يريد التزويج، ومُرِيدٌ يسأل عن الحجّ بلا زاد، وحكى لي عن بعض الزهّاد ببلدنا في وقتي أنه خرج في هذه البادية بلا زاد، فلمّا تمّت له ثلاثة أيّام جاع قال: فعثرتُ بشيءٍ ليّن فنظرتُ فإذا برقاقة ملفوفة على خبيص حارّ.

وأما أنا فخرجتُ من بعض السواحل عند العصر وأنا صائم وعزمتُ على الحجّ بلا زاد فلمّا وصلتُ إلى عاقِر صلّيتُ المغرب وانفتلت إلى زاوية الجامع أصلّي وكنتُ لا أفطر كلّ ليلة إلاّ بعد الوتر وصلّيتُ العشاءَ فلمّا انصرفوا أتاني المؤذّن بخبز وقُطَين وجرّة ماءَ، وقد كنتُ نويتُ أن لا أحمل معي ركوة ولا كوزاً: وقلتُ الذي يرزق الطعام هو يبعث بالماءِ أيضاً، فتعشّيتُ أطيب عشاءٍ من حيث لم أحتسب، فلمّا صلّيتُ الغداة ركبتُ الطريق إلى السُّكَّرِيّة، فلمّا صلّيتُ العشاءَ أتاني رجل برغيف رستاقيّ وكوز ماءٍ فأكلتُ وشربتُ وسرتُ من الغد إلى أن بلغتُ رأس الزاوية، فدفعتُ ما كان عليّ من ثياب إلى بعض الطوّافين، وأخذتُ منهم مدرعة شعر ونعلاً خلقاً ومنديلاً رثّاً وسرتُ إلى العصر وأنا لا أطمع في عشاءٍ فترايا لي حصن فقصدتُه، فلمّا دخلتُ الباب إذا ثَمَّ رجل من بيت المقدس فعانقني ورحّب بي وجعل يذكر لأهل الحصن محلّي فحمل إليّ صنوف الطعام، والدثار فهربتُ منهم في السحر، وسرتُ إلى بعد العصر فإذا قوم من المغرب فأمسكوني، وقالوا: أنت جاسوس فلمّا صلّيتُ بهم المغرب اعتذروا إليّ وأضافوني، ثم خرجتُ من الغد أسير إلى أن بلغتُ الكُسَيْفَة، فلم أر بها ديّاراً، فإذا بخمس فوارس قد أقبلوا فساقوني كرهاً إلى موضع لهم وأضافوني، فلمّا رأيتُ أنّي كلّ ليلة في دعوة، وأن الله يردُّني إلى خلف قصدتُ بلدي وحججتُ في تلك السنة بالزاد والراحلة.

تمّ الجزءُ الأوّل ويليه الجزءُ الثاني في أقاليم العجم أوّله إقليم المشرق

بسم الله الرحمن الرحيم

إقليم الشرق

هذا ذكر أقاليم الأعاجم الثمانية وشرح أسبابها على ترتيب التخوم وأهلها أحسن أحوالاً وأكثر أموالاً وأشدُّ بأساً وأعظم خلقاً وأرسخ في العلم وأمكن في الدين لهم في الخير رغبة، وفي الأعمال حسبه، تجري خلال أقاليمهم الأنهار، وتلتفُّ بضياعهم الأشجار، وسنفصّل أوصافهم ونشرح أسبابهم في أقاليمهم ونقدّم في هذا الفصل ما يجب تقديمه.

بلغنا عن أبي المنذر هشام بن السائب أنه قال: لمّا ظفر قُتَيبة بن مسلم بفيروز بن كسرى أخذ ابنته شاهين، ومعها سفط فبعث بها إلى الحجّاج فحملها إلى الوليد وفتح السفط فإذا فيه بسم الله المصوّر ميّز قباذ بن فيروز إقليمه ووزن المياه والترب ليبني لنفسه مدينةً ينزلها فوجد أنزه بقاع الأرض إقليمه بعد أن بدأ بالعراق التي هي سرّة الأقاليم فوجد أنزهها ثلاثة عشر موضعاً المَدَاين والسُّوس وجُنْدَيْسابُور وتُسْتَر وسابُور وأصْفَهَان والريّ وبَلْخ وسَمَرْقَنْد وأَبِيوَرْد وماسَبَذان ومِهْرِجَانقَذَق[1] وقَرْمَاسِين، ووجد أبرد إقليمه دَبِيل وهَمَذَان وقَزْوِين وجُوانق ونَهَاوَنْد وخُوَارِزْم وقَالِيقَلاَ، ووجد أوبأ إقليمه البَنْدَنِيجِين وجُرْجَان وخُوار الريّ وكَشّ وبَرْذَعَة وزَنْجَان، ووجد أقحط إقليمه مَيْسان ودَسْتَ مَيْسَان وبَادَرَايَا وباكُسَايَا وماسَبَذان والريّ وأصفهان، ووجد أبخلهم خُرَاسَان وإصْفَهَان وأَرْدَبِيل وبادَرايا وباكُسَايا وإصْطَخَر

(١) مِهْر جان قذق: ثلاث كلمات، مِهْر: معناه الشمس أو المحبّة والشفقة. جان: معناه النفس والروح، قذق: وأظنه اسم رجل، فيكون المعنى: محبّة أو شمس نفس قذق، وهي كورة حسنة واسعة ذات مدن، وقرى قرب الصيمرة من نواحي الجبل عن يمين القاصد من حُلوان العراق إلى همذان في تلك الجبال. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٦٩).

وشِيرَاز وفَسَا، ووجد أخصبها أَرْمِينِيَة وآذَرْبِيْجَان[1] وجُور ومُكْرَان[2] وماه الكوفة وماه البصرة وَأَرَّجان ودَوْرَق، ووجد أجملهم المَدَاينَ وكَلْوَاذَى وسابُور وإِصْطَخْر وجَنَّابَة والرَّيّ وقُمّ وأصفهان والنَّشْوَى، ووجد أعقلهم سبعاً عُكْبَرَا وَقُطْرُبُّل وعَقَرْقُوف والريّ وأصفهان وماسَبَذَان ومِهْرِجَانْقَذَق، ووجد أقنطهم أهل إِسْكَافَيْن وكَسْكر وعَبْدَس ومرو والريّ، ووجد أعلمهم بالسلاح هَمَذَان وحُلْوَان وأصفهان وشَهْرَزُور وخوارزم والشاش[3] وأَسْبِيجَاب، ووجد أخفَّ المياه عشرة دِجْلَة والفُرَات وجَيْحُون وجُنْدَيْسَابُور وماسَبَذَان وقَزْوين وماءَ سُورَا وماءَ ذات المَطَامِير وماءَ فَنْجاي، ووجد أمكرهم أحد عشر خراسان وأصفهان وَالريّ وهمذان وأرمينية وآذربيجان وماسبذان ومِهْرجانقَذَق وتُسْتَر والمَذار وَأَرَّتُوَان، ووجد شرَّ الفواكه بالمداين وسابور وأرَّجان والريّ ونهاوند وماسبذان وحُلْوان، ووجد أقلّهم نظراً في العواقب النُّوبَنْدَجَان وماسبذان وسِيرَاف ورَام هُرْمُز وأرمينية وآذربيجان وإصطخر.

ووجد أسفلهم ستّة النوبندجان وبادرايا وباكسايا ووِيَهْنَد ونهاوند وأصفهان،

---

(1) آذربيجان: بالمدة رواية عن المهلب، والمهلّب هذا غير معروف، قال ابن المقفّع: أذربيجان مسمّاة بأذرباذ بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل: أذر اسم النار بالفهلوية، وبايكان معناه الحافظ والخازن، فكأن معناه: بيت النار، أو خازن النار، وهذا أشبه بالحقّ وأحرى به، لأن بيوت النار في هذه الناحية كانت كثيرة جداً. وهي مملكة جليلة، الغالب عليها الجبال، وفيها قلاع كثيرة وخيرات واسعة، وفواكه جمّة، مياهها غزيرة لا يحتاج السائر بنواحيها إلى حمل إناء للماء، لأن المياه الجارية تحت أقدامه أين توجه، وهو ماء بارد عذب صحيح، وأهله صِبَاح الوجوه حُمْرها، رقاق البشرة، ولهم لغة يقال لها: الأذرية لا يفهمها غيرهم، وفي أهلها لين وحسن معاملة، إلا أن البخل يغلب على طباعهم، وهي بلاد فتنة وحروب ما خلت قطّ منها. (معجم البلدان ج ١/ ص ١٥٥).

(2) مُكْران: هي اختصار ماه كرمان، ومكران: اسم لسيف البحر، قال أهل السير: سميت مكران بمكران بن فارك بن سام بن نوح عليه السلام، أخي كرمان لأنه نزلها واستوطنها لما تبلبلت الألسن في بابل، وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى، وهذه الولاية بين كرمان من غربيّها وسجستان شماليها والبحر جنوبيها والهند في شرقيها، قال الإصطخري: مكران ناحية واسعة عريضة والغالب عليها المفاوز، والضرّ، والقحط، والمتغلّب عليها في حدود سنة ٣٤٠ هـ رجل يعرف بعيسى بن معدان ويسمّى بلسانهم مهرا، ومقامه بمدينة كيز، وبها نخل كثير. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٠٨).

(3) الشاش: هي ما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك وأهلها شافعية المذهب، وليس بخُراسان وما وراء النهر إقليم على مقداره من المساحة أكثر منابر منها، ولا أوفر قرًى وعمارة. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٤٩).

ولم يجد بين دجلة وعقبة همذان أنزه من قرماسين فأنشأها لنفسه ثم بنى الأكاسرة بعده من المداين إلى العقبة ما ترى.

ووجدتُ في كتاب بخزانة عضد الدولة فصلاً في المتنزّهات مسجّعاً وزدتُ فيه ما لا يجب تركه لاشتهار ذكره وطيبه وليجمع الفصل منازه الأرض ويشفي صدور الخلق، وقال أحسن الأرض مخلوقة الرّيُّ وفيها السُّرُّ والسُّرْبَان، وأحسنها مصنوعة جرجان، وأحسنها معروفة طبرستان، وأحسنها مستخرجةً نيسابور ولها بُشْتَنِقَان، وأحسنها قديمةً وحديثةً جنديسابور ولها الآبان، ومرو ولها رَزِيق ومَاجَان، وغوطة دمشق ولها الزاربان، ونَصِيبين ولها الهِرْمَاس، وإيليا ولها البقعة وماماس، والصَّيْمَرَة ولها الحصنان، وبفارس شِعْب بَوَّان.

ونهر الأُبُلَّة تحار فيه العينان، ولا يتمارى في نزهة صُغْد[1] اثنان، وبلخ ولها بَرْوان، ونهاوند ورياض أصفهان، وعلى البحرَيْنِ قَيْسَارِيَّة وعُمَان، وباليمن الأعجوبة صنعان، ولا تسأل عن جِيرَفْت كرمان، وعن بُسْت ومُوقَان، وسواد بُخَارا[2] فله شأن، وسنذكر الشاش وفسا وسابور وحلوان.

وجلّت قرى الرَّمْلة بلا نهر بزيتون وإتيان، وقد ذكرنا لك تاهَرْت وجَيَّان، وقد مدَّ من الكوفة نهر ونخيل وأشجار بريدان، فهذا قولنا في منازه الأرض بعرفان.

---

(١) الصغد: كورة عجيبة قصبتها سمرقند، وقيل هما صغدان: صغد سمرقند، وصغد بخارى، وقيل: جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق، وصغد سمرقند، ونهر الأبلة، وشعب بَوّان. وهي قرى متصلة خلال الأشجار والبساتين من سمرقند إلى قريب من بخارى لا تبين القرية حتى تأتيها لالتحاف الأشجار بها، وهي من أطيب أرض الله، كثيرة الأشجار غزيرة الأنهار متجاوبة الأطيار. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٤٦٤).

(٢) الترك: بضم التاء وسكون الراء المهملة وكاف في الآخر، وهم من الأمم المشهورة الذين حكموا بلاد مصر، وهم من بني تُرْك بن كومر بن يافث بن نوح عليه السلام، وقيل: من بني طيراش بن يافث. ونسبهم ابن سعيد إلى ترك بن عابر بن شمويل بن يافث، قال في العِبر: ويدخل في جنس الترك القفجاق، وهم الخفشاج، والطغرغر وهم التتر. ويقال: التتار بزيادة ألف. والخطا، والخزلخية والخزر وهم الغز الذين كان منهم ملوك السلاجقة، والهياطلة وهم الصغد، والغور، والعلان، ويقال: اللان، والشركس، والأزكش، والروس كلهم من جيل الترك ونسبهم داخل في نسبهم. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «الترك أول من يسلب أمتي ما خُوِّلوا»، وعن ابن عباس أنه قال: «ليكونن الملك أو الخلافة في ولدي حتى يغلب على عزّهم الحمر الوجوه الذين كأن وجوههم المجانّ المطرقة». (صبح الأعشى ج ١/ ص ٤٢٠، معجم البلدان ج ٢/ ص ٢٧).

واعلم أن أكثر بلدان الأعاجم موضوعة على اسم من أنشأها وبناها نذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى، وكلام أهل هذه الأقاليم الثمانية بالعجميّة إلاّ أن منها دَرِيّة ومنها منغلقة وجميعها تسمّى الفارسيّة واختلافها بيّن وانعجامها مشكل وسنبيّن ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى ونقرّبه جهدنا ونذكر من كلام كلّ قوم حروفاً يستدلُّ بها على مواضعها مَن سمعها في الآفاق وبالله التوفيق.

إقليم المشرق

هو أجلُّ الأقاليم وأكثرها أجلّةً وعلماءَ ومعدن الخير ومستقرُّ العلم وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم ملكه أجلُّ الملوك وجنده خير الجنود قوم أولو باس شديد ورأيٍ سديد، واسم كبير، ومال مديد، وخيل، ورَجْل، وفتح، ونصر، وقوم كما كُتب إلى عمر لباسهم الحديد، وأكلهم القديد، وشربهم الجليد، ترى به رساتيق جليلة وقرى نفيسة وأشجاراً ملتفّة، وأنهاراً جارية، ونعماً ظاهرة، ونواحي واسعة، وديناً مستقيماً، وعدلاً مقيماً في دولةٍ أبداً منصورة مؤيّده، ومملكة جعلها الله عليهم مؤبّدة، فيه يبلغ الفقهاءُ درجات الملوك، ويملك في غيره من كان فيه مملوك، هو سدُّ الترك[1]، وترس الغُزّ، وهول الروم، ومفخر المسلمين، ومعدن الراسخين، ومنعش الحرمين، وصاحب الجانبين.

وجزيرة العرب أوسع منه رقعة غير أنه أعمر منها، وأكثر كوراً، وأموالاً، وأعمالاً، وقد جعله أبو زيد ثلاثة أقاليم خراسان وسجستان وما وراءَ النهر.

وأما نحن فجعلناه واحداً ذا جانبين يَفصل بينهما جيحون ونسبنا كلَّ جانب إلى الذي اختطّه وبناه، ومثّلنا كلَّ جانب ووصفناه على حِدَة لكبر الإقليم وعمارته وكثرة كوره ومدنه، فإن قال قائل: ولمَ لم تجعل كلَّ جانب إقليماً كما هو متعارف عند الناس ألم تعلم أنهم يقولون خراسان وما وراء النهر؟ قيل له: ومن المتعارف أيضاً أن من تخوم قومس إلى طِرَاز تسمّى خراسان، أولم تعلم أن آل سامان يسمّون ملوك خراسان، ومقامهم بهذا الجانب مع أنّا لم نسمّ هذا الجانب خراسان حتّى يلزمنا ما قلتُ؟ فإن قال: فلِمَ أدخلتَ فيه سجستان وخالفتَ المتقدّمين في هذا العلم؟ قيل له: قد تعارف الناس أيضاً أنها من خراسان، ألا تعلم أنهم يخطبون لآل سامان؟ ولو

---

(١) أشروسنة: هي مدينة بما وراء النهر. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢١٠).

جعلنا سجستان إقليماً لوجب أن نجعل خوارزم إقليماً لشدَّة عمارتها وكثرة مدنها وخلافهم في اللسان والطبع والرسوم وهذا ما لا يجوز ولم يُقَل، فإن قال: ولِمَ جعلتَه جانبين؟ قيل: كما كان اليمن جهتَين والمغرب قطعتين، وقد سبق القول فيه.

واعلم أن هذا الإقليم عمره أخوان هَيْطَل وخراسان ابنا عالم بن سام بن نوح وهذا الجانب يسمَّى جانب الهياطلة.

جانب هَيطَل

اعلم أن هذا الجانب أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها خيراً وفقهاً وعمارة ورغبةً في العلم واستقامةً في الدين وأشدُّ بأساً وأغلظ رقاباً وأدوم جهاداً وأسلم صدوراً وأرغب في الجماعات مع يسار وعفّة ومعروف وضيافة وتعظيم لمن يفهم وعلى الجملة الإسلام به طريٌّ والسلطان قويٌّ والعدل ظاهر والفقيه ماهر والغنيُّ سالم والمحترف عالم والفقير غانم، قلَّ ما يقحطون منابره أكثر من أن توصف ونواحيه أوسع من أن تنعت غير أنّا قد اجتهدنا طاقتنا وأفرغنا استطاعتنا.

وقد جعلنا هذا الجانب ستّ كور وأربعة نواحٍ فأوّلها من قبل مطلع الشمس وحدّ الترك فَرْغَانَة ثم إِسْبِيجَاب ثم الشَّاش ثم أُشْرُوسْنَة[١]، ثم الصُّغْد ثم بُخَارا[٢] وفي الصغد كلام كثير والنواحي إِيلَاق كَشّ نَسَف الصَّغَانِيَان.

فأما فرغانة فإنها كورة في زاوية الإقليم من تلقاءِ الطلوع قبل يسار المنحدر كثيرة الخير يقال: إن بها أربعين منبراً قصبتها أَخسِيكَت ومن مدنها المِيَانُروذِيَّة نَصْرَابَاذ منارة رنجد شِكِت زاركان خَيْرَلَام بشبشان أُشتيقان وزَرَنْدَرَامش أُوزكَند.

ومن [النَّسَائِيَّة][٣] أُوش قُبَا برنك مَرْغِينَان رِشْتَان وأنكت كَنْد ومن الواغزيّة بوكند كاسان باب جارك أشت تويكار أوال دكركرد نَوْقَاد مسكان بيكان أشحيحان جِدغِل شاودان.

وأما أسبيجاب فإنها على تخوم الإقليم المعتدلة القصبة على اسمها ومن مدنها

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٢) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٣) وردت في الأصل: «النَّسَاوِيَّة»، ولعلَّ الصحيح ما أثبتناه.

خورلوغ جمشلاغو أرسُبَانِيكَث باراب شاوَغر سَوْران تُرَار زراخ شغلجان بلاج بروكت بروخ يكانكت أَذَخكَت دِه نُوجِيكَت طِرَازَ بالوا جِكِل بَرسُخَان أطلخ جموكت شِلْجِي كُول سُوس تَكَابْكَت دِهْ نَوى كُولاَن ميركي نوشكت لقرا جموك أُرْدُوا نَوِيكَث بَلاَسَكُون لبان شوى أبالغ مَادَانكَت برسيان بلغ جِكَرْكَان يغ يكالغ روانجم كتاك شُور جَشْمه دل أواس جركرد.

وأما الشاش فهي خلفهما قصبتها بِنْكَث ومن مدنها نُكُث جِينَانْجَكَث نجاكث بَنَاكَث خَرَشْكَث غرجند غَنَّاج جبوزن وَرْدُك كبرنه نمدوانك نُوجَكَث غَزَك أَنُوذكت بِشْكَت بركوش خاتونكت جَبْغوكت فَرَنْكَد كداك نكالك بارسكث أشتوركث البيكث كباشكث غَنَّاج ده كوران تل أوش غُزْكَرْد زرانكث دروا فردكث أجخ.

وإيلاق ناحيتها قصبتها تُونكَث مدنها شَاوعكَث بانخاش نُوكَث بالايان أربلخ نموذلغ تُكَث خُمْرَك سِيكَث كُهْسِيم أدَخكَت خاس خجاكث غرجند سام سرك بِسنكَت.

وأما أشروسنة فإنها تتَّصل بهذه الكورة قصبتها بُنْجِكَث ومن مدنها أرسُبَانِيكَث كُرْدَكَث غَزَق فغكث سَابَاط زَامين دِيزَك نُوجَكَث قَطَوَان دِزَه خَرَقَانَة خشت مرسمندة ولها سبعة عشر رستاقاً بشاغر مسحا بُرْغر وقر بانغام مينك بسكر أرسبانيكث البُتَّم لا مدائن لهذه والبواقي يوافقن مدائنها في الأسامي.

وأما الصغد فإن قصبتها سَمَرْقَنْد وهي مصر الإقليم ولها اثنا عشر رستاقاً ستَّة جنوبيّ النهر بُنجِكث، ثم وَرَغْسَر، ثم مايَمُرْغ، ثم سنجرفغن، ثم الدَّرْغَم، ثم أوفر.

فأما الشماليّة فأعلاها يَاركَث، ثم بُوْرنَمَذ، ثم بوزماجن، ثم كبُوذَنْجَكَث، ثم وَذَار، ثم المَرْزُبَان في بعضها مدائن نصفها في الرساتيق، وبقيّة مدن الكورة رِيوْدَد أَبْغَر إِشْتِيخَن[1] كُشَانِي[2] دَبُوسِيَة كَرْمِينِيَة رَبنجَان قَطَوَانَة.

---

(١) إشتيخن، وهي من قرى صغد سمرقند، قال الإصطخري: وأما إشتيخن فهي مدينة مفردة في العمل عن سمرقند، ولها رساتيق وقرى، وهي على غاية النزهة، وكثرة البساتين، والخصب، والأشجار، والثمار، والزروع، ولها مدينة وربض وأنهار مطّردة وضياع. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢٣٣).

(٢) كشانية: بلدة بنواحي سمرقند شمالي وادي الصغد، بينها وبين سمرقند اثنا عشر فرسخاً، وهي قلب مدن الصغد، وأهلها أيسر من جميع مدن الصغد. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٥٢٤).

وأما بخارا[1] فإنها كورة غير واسعة الرقعة إلاَّ أنها عامرة حسنة يدور على خمس من مدنها حائط سعته اثنا عشر فرسخاً في مثله ليس فيه أرض بائرة ولا ضيعة عطلة، اسم قصبتها نُمُوجَكَث ومن مدنها بِيكَنْد الطَّوَاوِيس زَنْدَنَة بِمَجْكَث خُجَادَى مَغْكَان خَرْغَانْكَث خُدِيمَنْكَن عروان بخسون سِيكَث جرغر سِيشَكَث أرياميثَن وَرَخْشَى وزَرْمِيثَن كمجكث فغرسين كشفغن نويدك وَرْكَى. ولها ناحية كِشّ ولها نَوْقَد قُرَيْش سُونَج أسكيفَغَن، ونسف ولها بَزْدَة كَسْبَة، والصغانيان ولها دَارَزَنْجِي بَاسَنْد بهام زينور بوراب ريكدشت بانباب شُومَان هنبان دَسْتَجِرْد ولها ستَّة عشر ألف قرية.

وأما الاختلاف في هذه الكور والنواحي فإن الجيهانيَّ ذكر في كتابه أن الصغد كصورة إنسان رأسه بُنجِكَث ورجلاه الكُشَانِيَة وظهره أوفر وبطنه كَبُوذَنْجَكَث وتركسفي ويداه مايْمُرْغ وبوزماجن وجعل طوله ستَّة وثلاثين فرسخاً في ستَّة وأربعين فرسخاً، وقال: منبرها الأجلُّ سَمَرْقَنْد، ثم كشُّ، ثم نَسَف، ثم الكُشَانِيَة إلى آخره.

وقال غيره: قصبة الصغد إشْتِيخَن، وفصَّلها عن سمرقند، ،وجعل بخارا[2] أيضاً من الصغد واحتجَّ بأن النهر من أصله إلى بخارا[3] يسمَّى نهر الصغد وهذا خطأ ألا تعلم أن نهر الأردنّ بفلسطين يسمَّى أيضاً نهر الأردنّ، ولم يقل أحد: إن أغوار فلسطين من الأردنّ، وإنَّما قولهم نهر الصغد أي أنه يمدُّ من الصغد ويسقى فيها، وإن شرعنا في الاحتجاج إلى ما ذهبنا وترجيحه على ما سواه طال كتابنا وإنَّما غرضنا في ذكر هذه المقالات وإيضاحها لئلاَّ يظنَّ الناظر في كتابنا أنها غابت عنَّا مع أن أبا زَيد البلخيَّ قد ذكر في كتابه فصلاً يغني أولي البصائر عن الاحتجاج في هذا الباب أراد به تصحيح ما صوَّر، لا وضع الكور لأن أحداً لم يتقدَّمنا إلى تفصيل كور الأقاليم وهو أنه قال ليس في جمع هذه الأطراف بعضها إلى بعض ولا في تفريقها كبير درك غير الإبانة عمَّا في أعراضها من المدن والأنهار وسهولة العبارة في التفصيل والصّور ولعمري قد صدق ليس فيه إبطال حقّ ولا إثبات.

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٢) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٣) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

ألم تعلم أن صدور الأمّة قد رأوا آراءً، وقدّموا، وأخّروا، وورّثوا، وحرّموا، وأحلّوا، وحرّموا، وجوّزوا، وأبطلوا، وتلقّاه الناس بالقبول وسكنت إليه قلوبهم، ولم ينكر هذا عليهم عاقل، بل به أمر النبيّ ﷺ معاذاً لمّا بعثه إلى اليمن وعمل به الصحابة فلا عجب أن نرى نحن أيضاً في هذا العلم آراءً، ويكون لنا فيه قياس واختيار، فاختيارنا أن نجعل الصغد من جملة سمرقند ومدنها من أجنادها وننصبها مصراً لهذا الجانب لأنها أقدم وأوسع وأكثر رساتيق، فإن قال قائل: لِمَ لم تجعل المصر بخارا[1] إذ هي دار المملكة، وموضع الدواوين؟ قيل له: كون الملوك بها لا يوجب أن تكون هي المصر لأن بخارا[2] بلد تبرّكت به ملوك آل سامان، ورحلوا إليه من سمرقند، وأيضاً فإنه لا يجوز أن نجعل سمرقند، ونيسابور على جلالتهما قوّداً لبخارا[3] لأن هذه العلّة التي ذكرتَ توجب أن تكون نيسابور أيضاً قائداً لبخارا[4]، فإن قال: أليس لما نزل ولد العبّاس مدينة السلام صارت مصر الإقليم فهلاّ قست عليها بخارا[5]؟

قيل له: الجواب عن هذا سهل وذلك أن أمصار العراق محدثة أبداً ينسخ في الإسلام بعضها بعضاً ألا تعلم أنه كانت الكوفة، ثم الأنبار، ثم بغداد، ثم صارت سامرّا، ثم عادت إلى بغداد، وأمصار المشرق قديمة لا ينقص بعضها بعضاً، فإن قال قائل: أليس نيسابور قد نقصت طوس؟

قيل له: لم يكن بطوس مصر قطُّ فينسخ، وإنّما انضافت إليها للعلّة التي سنذكرها، فإن قال: إن لم تنسخ طوسَ فقد نسخت مرو، قيل له: قد تحرّزنا من هذا

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٢) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٣) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٤) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٥) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

بقولنا ينسخ في الإسلام بعضها بعضاً ونيسابور إنّما نسخت مرو بمجيء الإسلام، فإذا كان الأمر على هذا السبيل علمتَ أن بخارا[1] لم تنسخ سمرقند لأنّا لم نجد لها نظيراً في الأصول ألا تعلم أنه لما لم نجد في الأصول التقرّب إلى الله تعالى بركعة لم يجز الوتر بركعة فإن قال أليس قد نزل المأمون والرشيد قبله مرو قيل له لم ينزلاها على سبيل الإقامة وهذا ظاهر جليٌّ.

أخْسِيكَث هي قصبة فرغانة بلد كبير خطير بالمشاجر المحيطة به والأنهار الفائضة إليه مع عمارة وخصب ورخص وله مدينة داخلة يتخلّلها عدّة من القنيّ فتقلب في حياض لهم حسنة من الآجرّ والجصّ مصهرجة، والجامع ومعظم العمارات فيها ويحويها ربض واسع فيه قهندز وأسواق يكون في عظم الرملة مرّة ونصفاً كثيرة الخير باردة وفي أهلها غلظة وحمّرة.

ونَصْرَابَاذ كبيرة قد التفّت بها الأشجار من أسبيدال وحور بناها ملك لإبنه نصر وسمّاها له ومنارة صغيرة على باب الجامع نهر.

ورنجد ذات مزارع كثيرة ولها جامع نزيه في الأساكفة. شكت كبيرة كثيرة الجوز حتّى ربّما وجدت ألف جوزة بدرهم والجامع في السوق.

تسحان كبيرة آهلة الجامع في الكرابيسيّين. وزاركان متوسّطة كثيرة الأرزّ نزهة غزيرة المياه على باب الجامع روضة مشجرة. وخَيْرَلام كبيرة بها جامع حسن في الأسواق.

ويشبشان كبيرة وللجامع باب يشرع إلى الميدان. وأُشتيقان صغيرة الجامع في الأسواق. وأُوزكَنْد على بابها نهر يخاض ليس له جسر يحيط بربضها حائط ومدينتها عامرة فيها الأسواق والجامع والقهندز والماءُ يدخل إلى الجميع ولها أربعة أبواب ولا أعلم في مدن هذه الكورة قهندزاً غيره.

وأُوش كثيرة الأنهار لها فضائل وهي رحبة منعمة جامعها وسط الأسواق قريبة من الجبل كثيرة الخير واسعة المياه وبها رباط عظيم يقصده المطّوّعة من كلّ جانب.

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

وقُبَا هي أرحب وأوسع وأطيب وأنزه وأعجب من القصبة وقد كان يجب في القياس أن تكون هي القصبة لكن لما كان التعارف عندنا مقدماً على القياس عدلنا عنه لذلك وهي مدينة وسطها ميدان وجامعها في الأسواق وقد قالت الحكماءُ: فرغانة قبا، وما سواها حشيش وماء. وبرنك صغيرة جامعها ظاهر البلد تلقاءَ سمرقند.

ومَرْغِينَان صغيرة أيضاً وجامعها ناءٍ عن الأسواق على بابه نهر. ورشتان كبيرة للجامع باب في الأسواق وآخر في الميدان ووانكث مثلها ويكند نهر يجري وسط الأسواق وعُدَّ عليَّ لهذه الكورة أربعون مدينة.

خُجَنْدَة[1] مدينة نزيهة ليس بهذا الجانب أطيب منها وسطها نهر جارٍ والجبل متَّصل بها وهي رأس الحدّ وقد مدحها العقلاءُ ونعتها الشعراءُ.

أَسْبِيجَاب قصبة خطيرة لها ربض ومدينة عامرة بها التيمات وسوق الكرابيس والجامع بأربعة أبواب على كلّ باب رباط باب نُوجَكَت باب فرخان باب شاكرانة باب بُخَارَا[2] والرباطات رباط النَّخْشَبيّين، رباط البُخَاريّين، رباط السمرقنديّين، رباط قَرَاتَكِين، وثَمَّ قبره، وسوق قد أوقفه غلَّته في كلّ شهر سبعة آلاف درهم يجري على الضعفاءِ الخبز والأدام، ويقال: إن بها ألفاً وسبعمائة رباط وهي ثغر جليل ودار جهاد، وعلى ربضها حصن، وبها قهندز خرب لا يعرفون القحط، ولا الخراج، ولا للفواكه عندهم كثير مقدار، نفيسة طيّبة، وبلدة نزهة، وعيشة راضية، إلا أنهم غاغة، وفيهم سلامة، وفي قلوبهم غلظة، معجبون بمذاهبهم، وأنفسهم سواءَ أسيتَ أم أحسنتَ إليهم.

أهل الرساتيق خير من أهل القصبة تراهم فيها سباعاً وفي غيرها نعاجاً.

خورلوغ مدينة متوسّطة فيها نهر بالأسواق لا حصن عليها ولا لها قهندز ولا رستاق.

---

(١) خُجندة: هي بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون، بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً، وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصُقع أنزه منها ولا أحسن فواكه، وفي وسطها نهر جار والجبل متّصل بها. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٣٩٧).

(٢) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

جمشلاغو كبيرة رحبة بها ماءٌ جارٍ وقد رحل إليها كثير من الحشم والجامع ناءٍ عن الأسواق. وأَرْسُبَانِيكَث نبيلة نظيفة محصَّنة الجامع بها والعمارات في الربض. وبَارَاب هو اسم للرستاق وليس بالواسع اسم أكبر مدائنه أيضاً باراب وهي كبيرة تخرج نحو سبعين ألف رجل عليها حصن فيه الجامع وأسواق وقهندز ومعظم الأسواق في الربض وبالحصن حوانيت يسيرة.

ووَسِيج صغيرة عليها حصن وبها أمير قويٌّ والجامع في السوق. وكدر مدينة محدثة جرى وقت نصب منبرها حروب وهم قوم فيهم بأس ولأصحاب الحديث بها الغلبة.

وشَاوَغَر كبيرة واسعة الرستاق عليها حصن والجامع على طرف السوق وهي من الجادَّة بمعزل.

وسَوْرَان كبيرة عليها حصون سبعة بعضها خلف بعض والربض فيها والجامع في المدينة الداخلة وهي ثغر من الغُزّ والكيماك.

وتُرَار زراخ مدينة لرستاق خلف سوران نحو الترك وهي صغيرة محصنة لها قهندز، وزراخ قرية في الرستاق، وشغلجان كبيرة وهي ثغر في وجه الكيماك عليها حصن كثيرة الخير.

وبلاج مدينة صغيرة قد خرب حصنها والجامع في السوق وقد رجعنا نحو القصبة.

وبروكت كبيرة وهي وبلاج ثغران على التركمانيّين الذين قد أسلموا رهبة قد خرب حصنها.

وبروخ قديمة كبيرة والجامع في السوق. يَكَانْكَت جليلة طيّبة وهي مدينة خَراخراف وثَمَّ رباطه وقبره.

وأَذَخْكَث كبيرة عليها حصن فيه الجامع وربض عامر به الأسواق كثيرة الرباطات.

ودَه نُوجِكَث مدينة صغيرة لها سوق ثلاثة أشهر أيّام الربيع يكون اللحم المخلَّع أربعة أمناءٍ بدرهم وكانت كبيرة فلما فتح إسماعيل بن أحمد الكورة خفَّت وهي مع ذلك كثيرة العمارات حصينة ولها قهندز.

وطرَاز مدينة جليلة حصينة كثيرة البساتين مشتبكة العمارة لها خندق وأربعة أبواب ولها ربض عامر على باب المدينة نهر كبير خلفه قطعة من البلد عليه درب والجامع في الأسواق. وجِكِل صغيرة على صيحة من طراز عليها حصن ولها قهندز والجامع في السوق.

وبَرْسُخَان مدينة على صيحتين من نحو المشرق عليها حصن قد خرب والجامع في الأسواق.

ويَهْلُو أكبر من برسخان على يسار جكل بنصف فرسخ لها خمسة رساتيق وقهندز والجامع في الأسواق.

وأطلخ مدينة عظيمة تقارب القصبة في الرقعة عليها حصن وأكثرها بساتين والغالب على رستاقها الأعناب والجامع في المدينة والأسواق في الربض.

وجموكت كبيرة عليها حصن والجامع فيه والأسواق بالربض. وشِلْجِي صغيرة كثيرة الغرباءِ يقال: إن بها عشرة آلاف أصفهانيّ ولها قهندز الجامع خارج منه وهي بين الجبال لهم نهر في وسطه سبع قرى.

وسُوس كبيرة وكُول أصغر منها على كلّ واحدة منهما حصن ونهر. وتكَابْكَث كبيرة نصفها كفّار وهذه الثلاث مدن يقربن من جبال معادن الفضّة.

وكُولاَن محصّنة والجامع فيها وقد خفّت وهي على جادّة طراز. وميركي متوسّطة الرقعة محصّنة ولها قهندز وكان الجامع في القديم كنيسة وقد بنى الأمير عميد الدولة فائق خارج الحصن رباطاً.

وأَرْدُوا صغيرة بها ملك التركمان لا زال يبعث الهدايا إلى صاحب أسبيجاب عليها حصن ولها خندق ملآن من الماءِ ودار الملك في القهندز.

حرّان الغالب عليها الكفّار وسلطانها مسلم عليها حصن فيه قهندز يسكنه الدهقان.

ووَلاَسَكُون كبيرة آهلة كثيرة الخير، وبقيّة المدن يتقارب بعضها من بعض في الرقعة والعمارة.

بِنكَث هي قصبة الشاش واسعة الرقعة فسيحة المنازل أقلّ بيت إلاّ وفيه البستان

والإصطبل والكرم وجملة وصفها أنها بلد قد قابل خيره وشرّه وساوى مفاخره عيوبه هي كثيرة الخير والفتن لسان مليح وهرج قبيح أحسن ما تراها عامرة إلاّ وقد خربت ومستقيمة إلاّ وقد تشوّشت أهل سُنّة مع عصبيّة وأهل منعة غاغة عُدّة للسلطان ومشغلة صالحهم نفيس وطالحهم خسيس في العلم راغبون وبالمذاهب معجبون يحكمون عمل القسيّ إلاّ أن أطرافها رخوة حسان إلاّ أن فيهم برداً شهام وفيهم بله أسخياءُ مع عنف برد شديد وثمار كثير معاش قليل وأسعار رخيصة تكون فرسخاً في مثله غير أن البساتين على ما ذكرنا ولها ربضان على كلّ ربض حصن وأبواب المدينة باب أبي العبّاس باب كِشٍّ باب الجنيد والقهندز خلفها له باب يفتح إليها وباب إلى الربض وللربض الداخل ثمانية دروب درب رباط أحمد درب الحديد درب الأمير درب فرخان درب سُورَكَدَه درب كَرْمابَج درب سكّة خاقان درب قصر الدهقان[1]، وعلى الربض الخارج سبعة دروب درب فرغكد درب خاسكث درب سنديجا درب الحديد درب بركردجا درب سكرك درب در ثغرباذ، والجامع على حائط القهندز ومعظم الأسواق بالربض.

وأُشْتُورْكَث تكون مثلها في الرقعة عليها حصن وبها ماءٌ جارٍ وتيمات حسنة.

وبِنَاكَث مثل أشتوركث أهل شعب ليس عليها حصن الجامع في السوق. وجِينَانْجَكَث ليس عليها حصن بنيانهم خشب ولبن، وسائر المدن قريبات ممّا وصفنا ذوات مياه جارية وأشجار ملتفّة.

وتُونْكَث على جرف كبيرة عامرة وهي قصبة إيلاق ومدنها عامرات تكون مثل نصف بنكث ولها قهندز ومدينة وربض ودار الإمارة في القهندز والجامع خارجه وفي المدينة أسواق وبقيّتها بالربض ولهم ماءٌ جارٍ يدخل المدينة وهي منعمة طيّبة وبها دهقان قويّ.

بُونْجكَث هي قصبة أشروسنة بلد كبير خصيب خطير ماءٌ غزير وخلق كثير ملتفّة بالبساتين حسنة البيوت على ما ذكرنا من الشاش غير أن هؤلاء أسلم صدوراً وأقلُّ تخليطاً، لها مدينة ببابين باب المدينة باب الأعلى والجامع فيها والقهندز خارج عنها

---

(١) الدهقان: وهو بالفارسية التاجر صاحب الضياع، وهو اسم موضع ذكره الأعشى في بعض أشعاره:
فظل يعلو لوى الدّهقان معترضاً   في الرمل أظلافه صفر من الزهر

ولها ربض واسع بأربعة دروب: درب زَامِين، درب مرسمندة، درب نُوجَكَت، درب كهلباذ، وبها ستّة أنهار تخرقها سوى النهر الأعظم الذي إليها وهي في غاية الطيبة والنزهة. وزَامِين[1] ذات جانبين بينهما نهر عليه جسور صغار والجامع على يمين الخارج إلى سمرقند والأسواق في الجانبين وهي على الجادّة.

وسَابَاط عامرة جلُّ أسواقها مظلّلة بسقوفُ قصار وبها عين ماؤها جارٍ يحدق بها بساتين ويجمع الطرق فيها. ومرسمندة جليلة لها ماءٌ جارٍ بلا بساتين شديدة البرد بها أسواق عامرة الجامع على ناحية من السوق.

خشت بين جبال عامرة خصبة القرى قريبة من معادن الفضّة، وسائر المدن قريبات ممّا ذكرنا.

سَمَرْقَنْد قصبة[2] الصغد ومصر الإقليم بلد سريٌّ جليل عتيق، ومصر بهيٌّ رشيق، رخيٌّ كثير الرقيق، وماءٌ غزير بنهر عميق، بناءٌ قويٌّ سنيٌّ وثيق، ودرس كثير لأهل الفريق، وعيش هنيٌّ إليها الطريق، وحمل المتاع من كلّ فجّ عميق، علوم كثير وصدر نفيق، وخيل ورجال ومال دفيق، ذو رساتيق جليلة ومدن نفيسة وأشجار وأنهار، وتنّاءٍ وتجار، في الصيف جنّة، أهل جماعة وسنّة، ومعروف وصدقه، وحزم وهمّة، غير أن في أهلها وهوائها برداً جفاة مع الغرباء، بليّة في الشتاء، يشغبون على الأمراء، وفيهم نفخ وعجب ومرا، جيّدة الجواري رديّة الغلمان، على جانب النهر وسطها مدينة بأربعة أبواب: باب الصين، باب نُوبَهَار[3]، باب بُخَارَا[4]، باب كشّ،

---

(١) زامين: بليدة من نواحي سمرقند، أكبر مدن أسروشنة. (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٤٣).

(٢) القصبة: وهو اسم لمدينة الكورة، ويقال كورة كذا قصبتها فلانة، يعني أنها أشهر مدينة بها وهي أرض من اليمامة. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤١٦).

(٣) النوبَهار: قال عمر بن الأزرق الكرماني: كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف، وكان دينهم عبادة الأوثان فوُصفت لهم مكة وحال الكعبة بها، وما كانت قريش ومن والاها من العرب يأتون إليها ويعظّمونها، فاتّخذوا بيت النوبَهار مضاهاة لبيت الله الحرام، ونصبوا حوله الأصنام وزيّنوه بالديباج والحرير، وعلّقوا عليه الجواهر النفيسة، وتفسير النوبَهار: البهار الجديد لأن نو جديد، وكانت سنّتهم إذا بنوا بناء حسناً أو عقدوا باباً جديداً، أو طاقاً شريفاً كلّلوه بالريحان، وتوّخوا لذلك أول ريحان يطلع في ذلك الوقت، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان، وكان البهار، فسمي نوبَهار لذلك، وكانت الفرس تعظّمه وتحجّ إليه، وتُهدي له وتُلبسه أنواع الثياب وتنصب على قُبته الأعلام. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣٥٥).

(٤) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، =

وللربض ثمانية دروب: درب غَدَاوَد، درب إِسْبَسْك، درب سُوخَشِين، درب إفشينة، درب كُوهَكْ، درب وَرْسَنِين، درب رِيودَد، درب فرّخشيد.

بناؤهم طينٌ وخشب أعمر موضع بها رأس الطاق والجامع في المدينة عند القهندز ومعظم الأسواق بالربض وعلى المدينة خندق والماءُ يدخل إليها في قناةٍ من رصاص فوق الخندق.

وبَنْجِكَث رستاق كثير الثمار خصب مشجر بالجوز وغيره. ووَرَغْسَر اسم الرستاق والمدينة معاً وهو دون الأوّل.

ومَايَمُرْغ ليس في جميع الرساتيق أكثر قرى وأشجاراً وخيرات منه وبها كان مقام الإخْشِيد ملك سمرقند وثَمَّ قصوره.

وسنجرْفَغَن رستاق صغير قليل القرى غير أنه عامر وأصحُّ الرساتيق هواءً وثماراً طوله نحو مرحلتين.

الدَّرْغَم هو أزكى الرساتيق وأكثرهنَّ مراعي ومياهاً طوله نحو من مرحلة. أوفر هو رستاق عامّته مباخس كثير القرى أهله أصحاب مواشٍ طوله نحو من مرحلتين، ويقال: إن غلاّته إذا أقبلت قامت بالصغد كلّه وبخارا[1] سنتين.

يَاركَث هو أعلى الرساتيق الشماليّة يتاخم أشروسنة شرب مزارعهم من عيون كثير المباخس والمراعي زكيُّ المزارع.

وبُورنَمَدَ قليل القرى صغير. وبوزماجن يتّصل بياركث مدينة أَبَاركَث وهو أعرض رساتيق هذا الوجه وأكثرها قرى يكون مرحلة في مثلها.

وكَبُوذَنْجَكَث مشتبك القرى والأشجار مدينته على اسمه. ووَذَار مدينته على اسمه كثير المزارع سهل وجبل ومباخس وسقي.

والمَرْزُبَان ليس به منبر. كُشَانِي وإِشْتِيخَن مدينتان جليلتان ولا تسأل عن طيبهما وعمارتهما وخيراتهما وهما من الصغد في كلّ مقالة طول رستاق إشتيخن

= وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

خمس مراحل في عرض مرحلة وعرض الكشاني نحو مرحلتين في مثلهما وهما من قبل الشمال.

نُمُوجكَث هي قصبة بخارا[1] قد شابهت الفسطاط في العفن وسواد الطين وسعة الأسواق وشاكلت دمشق في البنيان والسواد وضيق البيوت وكثرة الأجنحة وهي في سهلة كلّ يوم في زيادة ومدينتها في غاية العمارة لها سبعة أبواب محدَّدة: باب نُور، باب حُفْرَة، باب الحديد، باب القهندز، باب بني سعد، باب بني أسد، باب المدينة وخلفها قهندز قد استولى عليه السلطان فيه خزائنهم والحبوس له بابان باب السهلة وباب الجامع والجامع في المدينة له رحبات عدَّة نظاف كلُّهنّ وكلّ مساجدها بهيّة وأسواقها نفيسة.

وللربض عشرة دروب: درب الميدان، درب إبراهيم، درب مردكشان، درب كلاباذ، درب نُوبَهَار، درب سمرقند، درب فغاسكون، درب الرَّامِيثِنِيَّة، درب حدشرون، درب غُشَج، وقد جاوزها العمارة وداخلها عشر دروب أُخر إليها كانت العمارة في القديم مخالف بعض هذه في الأسماءِ ودار الملك في السهلة تقابل القهندز وتستدبر القبلة ولم أر في الإسلام باباً أجلّ ولا أهيب من هذا الباب ولا في الإقليم بلد أشدُّ عمارة وأكثر زحاماً على سكناه من هذا مبارك على من قصده منعش لمن تعيَّش فيه رفق بمن سكنه به أطعمة مريّة وحمامّات طيّبة وشوارع واسعة وماءٌ خفيف وبناءٌ ظريف رفقة في المطاعم والمعايش كثيرة الفواكه والمجالس أمرهم في الجماعات عجب وللعوامّ فقه وأدب كثيرة المرابطين قليلة الجاهلين ومستقرُّ ملوك المسلمين غير أنها ضيّقة البيوت كثيرة الحريق منتنة مبرغثة حارّة باردة آبار مالحة وأنهار مذمومة ومستراحات مؤذية وطينة وحشة ومساكن عالية وتيمات غامّة، ولواطة ظاهرة هي كنيف الجانب وأضيق بلدان المشرق وقد رحل إليها أقوام أظهروا الفساد وأساءُوا المعاملة وتهاونوا بالجماعات ونشأ حشم لبسوا الحرير والديباج وشربوا في أواني الذهب والفضّة وهوّنوا أمور الدين.

وطَوَاوِيس جليلة لها سوق يقوم في كلّ سنة وقد خرب حصنها ونأى جامعها وطال سوقها وكثر خيرها.

وزَنْدَنَة هي من قبل الشمال كثيرة الضياع لها حصن به الجامع وربضها عامر.

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

وخُجَادَى كبيرة عليها حصن فيه الجامع حسنة ظريفة. ومغكان لها حصن وربض حسن وجامع ظريف به ماءٌ جارٍ كثيرة القرى.

وبَمِجْكَث على ما ذكرنا، فهذه المدن الخمس داخل الحائط. وبَيْكَنْد من نحو جيحون على حد الرمال عليها حصن بباب واحد فيه سوق عامر وجامع في محرابه جواهر وتحتها ربض فيه سوق ونحو ألف رباط عامرة وخراب ولها فضائل ولجامعها نور.

وأَفْشَنَة من نحو الغرب كثيرة الغزاة واسعة العمل نزهة. أَمْدِيزَى غربيٌّ بيكند على فم المفازة لها حصن. وأوشر كبيرة كثيرة البساتين من نحو الترك تعدُّ قرية. وريامِيثَن هي بخارا[1] القديمة كبيرة خربة الأطراف.

وبَرَخْشَى كبيرة لها حصن وخندق يدور فيه الماءُ. زَرْمِيثَن لها قهندز وحصن والجامع وسط المدينة. ووخسون كبيرة لها حصن وقهندز، وسائر المدن على ما ذكرنا وههنا قرى كبار لا يعوزها من رسوم المدن وآلاتها إلاَّ الجامع لأن الأمير ببخارى والمقدَّم عند السلطان والمتمثّل رأيه أصحاب أبي حنيفة وعندنا لا جمعة ولا تشريف إلاَّ في مصر جامع يقام فيه الحدود وكم تعب أهل بيكند حتَّى وضعوا المنبر.

وكشُّ بلد كبير له مدينة وربض وأخرى متَّصلة بالربض الداخلة مع قهندزها خراب والخارجة عامرة ودار الإمارة خارج المدينة والجامع في المدينة الخربة والأسواق في الربض بناؤهم طين وخشب مثل بخارا[2] وهي خصبة ومنها تحمل البواكير، للمدينة الداخلة أربعة أبواب: باب الحديد، باب عبيد الله، باب القَصَّابين، باب المدينة الداخلة، وللخارجة بابان: باب المدينة الخارجة، باب بركنان.

وبها نهران كبيران نهر القصَّارين ونهر أسرود يجريان على باب المدينة وهي مدينة سريّة لو لم تكن وبيّة.

ونَسَف يسمُّونها نَخْشَب نفيسة لها قهندز خراب وربض عامر في مستواة والنهر يشقُّها ودار الإمارة على ضفَّته عند رأس القنطرة ولها ربض الجامع فيه عند الأسواق

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٢) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

وهي كثيرة الأعناب الجيّدة والمزارع العذبة الطيّبة كبيرة إلاّ أن ماءَها ضيّق ونهرها ينقطع وأهلها غاغة وبها عصبيّات وحشة وهم قوم سوءٍ يصلحون للشرط، وكَسْبَة أكبر منها ويَزْدَة أصغر.

الصَّغَانِيَان هي ناحية شديدة العمارة كثيرة الخيرات والقصبة على هذا الاسم أيضاً تكون مثل الرملة إلاّ أن تلك أطيب والناحية مثل فلسطين إلاّ أن هذه أرحب.

مشاربهم من أنهار تمدُّ إلى جيحون غير أن موادّها تنقطع عنه في بعض السنة والناحية تتّصل بأرض تِرْمِذ فيها جبال وسهولة يتاخمها قوم يقال لهم: كيجى وترك كنجينة بها ستّة عشر ألف قرية وتُخرج نحو عشرة آلاف مقاتل بنفقاتهم ودوابّهم إذا خرج على السلطان خارجيٌّ وأسواق القصبة مغطّاة ظريفة خبز رخيص، ولحم كثير، وماءٌ غزير، والجامع وسط السوق لطيف على سواري آجرّ بلا طيقان في كلّ بيت ماءٌ جارٍ قد التفّت بها الأشجار وهي من معادن أجناس الطيور وموضع الصيد طيّبة في الشتاءِ كثيرة الأمطار والثلوج حشيشها عجب يغيب فيه الدوابُّ أهل جماعة وسنّة يحبُّون الغريب والصالحين إلاّ أنها قليلة العلماء خالية من الفقهاءِ.

دَارزَنْجِي[1] طيّبة من نحو جيحون عامّة أهلها صوّافون يعملون الأكسية شربهم من نهر والجامع وسط الأسواق ولهم نهر آخر على طرف البلد.

وبَاسَنْد من نحو الجبال رحبة كثيرة البساتين، وسنكردة مثلها. وشُومَان من الأمّهات عامرة طيّبة.

دَسْتَجِرْد كبيرة موضوعة بين نهرين من شعب جيحون. وقُوَادِيَان[2] شبه ناحية على جيحون نذكرها في شرح نواحيه وسائر مدن الصغانيان طيّبة عامرة.

---

(١) دارزنجي: ضبطها صاحب معجم البلدان دارزنج من قرى الصغانيان. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٨٠).

(٢) القواديان: هي مدينة وولاية على جيحون فوق الترمذ بينها وبين الخُتّل، وهي أصغر من الترمذ، وهي مجاورة للصغانيان. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٦٥).

ذكر جيحون وما عليه

هذا نهر يشقُّ الإقليم ويفيض في بحيرة خوارزم وعليه كور جليلة ومدن عدّة وينشعب منه أنهار كثيرة ويقلب إليه الأنهار الستّة فأما الكور فالخُتَّل ثم قُوَادِيَان ثم خُوَارِزْم.

وأما المدن فتِرْمِد ثم كالِف ثم نويده ثم زَمُّ ثم فِرَبرْ ثم آمُل وسنصف الجميع قبل شروعنا في شرح كور خراسان لأن من الناس من يسمّي هذه المواضع ما وراء النهر وسائر هَيْطَل بلد العجم إلى حدّ الترك ومنهم من جعل خوارزم من جانب هيطل وإنّما أكبر مدنها بخراسان فاحترزنا بهذا التفصيل عن هذه المقالات وبالله التوفيق.

فأما خُوَارِزْم فهي كورة على حافتي جيحون قصبتها العظمى بهيطل ولها قصبة أخرى بخراسان وهم يخالفون أهل الجانبين في الرسوم واللسان والخلق والطباع وهي كورة جليلة واسعة كثيرة المدن ممتدّة العمارة على عمل بلاد الروم وسجستان وكازرون لا ينقطع المنازل والبساتين كثيرة المعاصر والمزارع والشجر والفواكه والخيرات مفيدة لأهل التجارات.

أهل فهم وعلم وفقه وقرائح وأدب وأقلُّ إمام في الفقه والأدب والقرآن لقيتُه إلاّ وله تلميذ خوارزميٌّ قد تقدَّم وزجا إلاّ أن فيهم انغلاقاً ولا لهم ظرف ولا لباقة ولا آئين ولا لطافة رغفانهم صغار وفراسخهم كبار قد رزقهم الله تعالى الرخص والخصب وخصَّهم بصحّة القراءَة والذهن أهل ضيافة ونهمة في الأكل بأس وشدّة في الحرب ولهم خصائص وعجائب، ويقال: إن ملك الشرق في القديم قد غضب على أربعمائة رجل من أهل مملكته وخاصّة الحاشية فأمر بحملهم إلى موضع منقطع عن العمارات بحيث يكون على مائة فرسخ منها فاتّفق ذلك بموضع كاث فلمّا كان بعد مدّة مديدة بعث أقواماً يعطونه خبرهم فلمّا صاروا إليهم وجدوهم أحياءً قد بنوا لأنفسهم كخاخات ورأوهم يصيدون السمك ويتقوّتون به وإذا ثَمَّ حطب كثير، قال: فلمّا رجعوا إلى الملك أعلموه بذلك قال: فما يسمُّون اللحم؟ قالوا: خوار، قال:

والحطب؟ قالوا: رزم، قال: فإنّي قد أقررتُهم بتلك الناحية وسمّيتُها خوارزم.

وأمر أن يحمل إليهم أربعمائة جارية تركيّات فإلى اليوم قد بقي فيهم شبه من الترك، قال وقد كان الملك لمّا نفاهم إلى خوارزم شقّ إليهم نهراً من عمود جيحون يعيشون به وكان العمود ينتهي إلى مدينة خلف نَسَا يقال: لها بَلْخَان، قال فوقع إليهم أمير تلك المدينة قال فرأى قوماً فيهم جلادة فنادم ملكهم ولاعبه فقمره الخوارزميُّ، وقد كان الدست على أن يعطيهم ثقبة النهر يوماً وليلة فوفى له فلمّا أرسله غلب الماءُ ولم يمكن حبسه وبقي إلى اليوم فشقُّوا منه أنهاراً وبنوا عليه مدناً وخربت بلخان.

وسمعتُ طائفة من أهل نَسَا وأَبِيوَرْد يذكرون أنهم يذهبون إلى بلخان ويحملون من ثَمَّ بيضاً كثيراً، قالوا: وأبقار ودوابُّ قد توحّشت، قلتُ: فلمَ رؤُوسكم تخالِف رؤُوس الناس؟ قالوا: إن قدماءَنا فعلوا ثلاثة أشياءَ غلبوا بها أهل البلدان أما الواحدة فإنهم كانوا يغزون الترك فيأسرونهم وفيهم شبه من الترك فما كانوا يعرفون فربّما وقعوا إلى الإسلام فبيعوا في الرقيق فأمروا النساءَ إذا ولدن أن يربطن أكياس الرمل على رؤُوس الصبيان من الجانبين حتّى ينبسط الرأس فبعد ذلك لم يسترقُّوا وردُّ من وقع منهم إلى الكورة.

والثانية جعلوا الدرهم أربعة دوانق لئلاّ يخرجها التجار من عندهم فإلى اليوم الفضّة تحمل إلينا ولا تخرج من عندنا وأُنسيتُ الثالثة.

واعلم أن مثل خوارزم في إقليم المشرق كسجلماسة في المغرب وطباع خوارزم كالبربر وهي ثمانون في ثمانين متّصلة المنازل غزيرة الأنهار معدن السمك والأغنام ومطرح الغُزّ والأتراك اسم قصبتها الكبرى كاث ومن مدنها الهيطليّة غردمان وإيخان أَرْذَخِيوَه نوكفاغ كُرْدَر مَزْدَاخكَان جشيرة سَدُور زردوخ قرية براتيكن مَذكمينية.

واسم قصبتهم الخراسانيّة الجُرْجَانِيّة ومن مدنها نوزوار زَمَخْشَر روزوند وزارمند دسكاخان خاس وخُشْمِيثَن مدامِيثَن خِيوَه كَرْدَرَانْخَاس هَزَارَاسْب جِكَرْبَنْد وجاز دَرْغَان جيت جرجانيّة الصغرى جيت أخرى سَدْفَر مساسان كاردار أندرستان.

كاث يسمُّونها شَهْرَسْتَان وهي على الشطّ نحو نيسابور وهي شرقيّ النهر لها جامع في وسط الأسواق على أساطين حجارة سود إلى قامةٍ ثم فوقها سواري الخشب ودار الإمارة وسط البلد ولهم قهندز قد خرّبه النهر ولهم أنهار في البلد وهو نفيس ذو

علماءَ وأدباءَ ومياسير وخيرات وتجارات بنَّاؤون حذاق وقُرَّاءٌ ليس مثلهم بالعراق وحسن نغم وجودة قراءَة ومنظر وخبر إلاّ أنها في كلّ حين يغلب عليها النهر ويتأخّرون عن الشطّ أوسخ من أردبيل كثيرة الميازيب إلى الطريق عامّة تغوُّطهم في الشوارع ويجمعون البلاذات في الحفائر ثم ينقلونها إلى السواد في المشافل لا يمكن الغريب أن يظهر إلاّ أن يضيءُ النهار من كثرة البلاذات وهم يدوسونها بأرجلهم إلى الجماعات طبع غليظ وخلق بغيض وأكل فاحش وبلد وحش.

وغردمان عليها حصن وخندق ملآن من الماءِ سعته رمية سهم لها بابان. وليخان عليها حصن وخندق وعلى الأبواب عرّادات.
وأَرْذَخِيوه على فم البَرّية عليها حصن بباب واحد تحت جبل. ونوكفاغ حولها نهر من جيحون إلى البَرّية وهي حصينة، وكُرْدَر أكبر وأحصن.

مَزْدَاخكَان كبيرة حولها اثنا عشر ألف حصن ورستاق واسع. وجشيرة كبيرة عليها حصن.

وسدور على حافة جيحون بحصن وربض والجامع وسط البلد في الحصن. وزردوخ كبيرة عليها حصن ولها ربض. وقرية براتكين كبيرة في مفازة بقرب الجبل ومن ثَمَّ تحمل الحجارة ولها سوق عامر الجامع فيه بنيانهم من طين ليّن جيّد.

وسائر المدن عامرة محصَّنة إلاّ أن مزداخكان أكبرهنّ تقارب الجرجانيّة في الرقعة عليها بما يدور حصن.

الجُرْجَانِيّة هي قصبة ناحية خراسان على جيحون حتّى إن الماءَ يمسُّ جوانبها وقد احتالوا في ردّه بالخشب والحطب حتّى عاد شرقاً وعمل عملاً عجيباً ثم عطف بالماءِ في المفازة إلى قرية فراتكين وصار من ناحية واحدة وشقُّوا منه أنهاراً لشربهم على أبواب البلد ولا تدخلها من ضيق الموضع وهي كلّ يوم في زيادة وعلى باب الحجّاج قصر بناه المأمون عليه باب ليس بجميع خراسان أعجب منه وقد بنى ابنه عليٌّ آخر قدّامه على بابه سهلة تشاكل سهلة بخارا فيها تباع الأغنام وللبلد أربعة أبواب.

ونوزوار صغيرة عليها حصن وخندق وأبواب حديد والجادّة تشقُّها لها بابان وجسر يرفع كلّ ليلة وعلى باب المدينة الغربي حمّام ليس بالإقليم مثله والجامع في الأسواق مغطًى كلّه إلاّ قليلاً.

وزَمَخْشَر صغيرة عليها حصن وخندق ومحبس وأبواب محدَّدة والجسور ترفع كلَّ ليلة والجادَّة تشقُّ البلد والجامع ظريف بطرف السوق.

وروزوند متوسّطة في الرقعة محصَّنة بخندق والجادَّة فيها أيضاً والجامع على طرف السوق وشربهم من عين لهم.

وخِيوَه على فم المفازة رحبة على شعبة من النهر بها جامع عامر، وكذلك كردرانخاس وهزاراسب بأبواب خشب وخندق. وجكربند مثل خيوه على الشطّ كثيرة الشجر والبساتين سوقها كبير عامر الجامع في طرفه والجادَّة تشقُّها.

وجاز كبيرة بحصن وخندق واسع وجسور والمدينة من الدرب إلى الدرب والجادَّة على معزل منه والجامع على طرفه.

ودَرْغَان أكبرهنَّ بعد الجرجانيّة لها جامع حسن ليس بالناحية مثله فيه جواهر رفيعة وتزاويق حسنة على الشطّ لها خمس مائة كرم مذكورة طول موضع الكروم فرسخان ممتدَّة على الشطّ معدن الزبيب.

وجيت كبيرة واسعة الرساتيق في المفازة وهي ثغر محصَّنة على حدّ الغُزّ ومنها المدخل إليهم.

قُوَادِيَان كورة صغيرة تتَّصل بجيحون وتتاخم الصغانيان، وبينها وبين خوارزم مدن لكنَّا قدَّمنا الكور على المدن لأنّ أكثر غرضنا في هذا الكتاب البيان والإيضاح لا الترتيب وليس لأحد أن يأخذ علينا فيه الترتيب إلاَّ في الكور فإنَّا قد اجتهدنا في ترتيبها حتَّى لا يجد أحد علينا في ذلك طريقاً إلاَّ أن يكون مغفلاً ونظر في كتابنا رجل من الفقهاءِ وقد كان دوَّخ خراسان فلمّا بلغ إلى كور ما وراءَ النهر قال ليست أشروسنة بين الشاش وسمرقند قلتُ له إذا خرج الرجل من سمرقند يريد الشاش أليس طريقه على زامين وساباط قال بلى قلتُ فهما من مدن أشروسنة وقد صحَّ الترتيب فإذا به قد ذهب إلى القصبة ولم يعتبر الخُطّة، ولقواديان ثلاث مدن شديدة العمارة يتخلَّلها شعب تقلب في جيحون كثيرة الجبال طيّبة أكبر مدنها بيز ليست بواسعة الرقعة الجامع وسط الأسواق عليها حصن بأربعة أبواب.

وسكارا قريبة من الجبل الجامع وسط البلد، وأوزج على شطّ جيحون عامرة نزيهة، وبورم نائية رحبة طيّبة ذات أنهار وخير ورخص.

الخُتَّل كورة واسعة كثيرة المدن منهم من ينسبها إلى بلخ وذلك خطأ لأنها خلف جيحون وإضافتها إلى هيطل أوجب ولهذه المقالات أفرزنا ما على النهر من الأعمال ليكون الاحتجاج فيه واحداً وهي أجلُّ من الصغانيان وأوسع خطّةً وأكبر مدناً وأكثر خيراً وهي على تخوم الإقليم السنديّة قد سمّى القصبة هُلْبُك ولها من المدن مرند أنديجارَغ هَلاَوَرْد لاَوَكَنْد كَارْبَنْك تمليَات إسكندرة مُنْك فارغر بِيك.

هُلْبُك هي قصبة الختَّل وبها مستقرُّ السلطان تكون أصغر من الصغانيان الجامع وسط البلد شربهم من نهر عذيبيّ ومن غيره. ومرند آهلة عامرة.

وأنديجارَغ صغيرة قريبة من جيحون شربهم من أنهار تغيض إليه. وهَلاَوَرْد هي أجلُّ من هلبك كبيرة كثيرة الفواكه خصبة جدًّا. وإسكندرة على جبل في غاية العمارة. ومُنْك أكبر مدائن الكورة وسائر المدن على ما وصفنا.

وتِرْمِذ هي أجلُّ مدينة على جيحون نظيفة طيّبة أحد العرصات، مفروشة أسواقها بالآجرّ والماءُ يسطع جانبيها ويقلع المراكب إليها من كلّ جانب وعليها حصن ولها قهندز والجامع في الحصن والقهندز خارج منه له باب وللمدينة ثلاثة أبواب ولها ربض وسرادقات وهي أوّل المدائن من أعلى النهر.

وكَالِفُ من نحو المغرب على الشطّ بها مسجد في رباط ذي القرنين يقابله بهيطل رباط ذي الكفل وليس على جيحون موضع يمكن أن يتّخذ به بلد ذو جانبين على عمل بغداد وواسط غير كالف لتشمُّر النهر ثَمَّ وخلوّه من البثق والرمل.

وزمٌّ مدينة كبيرة على الشطّ والجامع وسط الأسواق وهي مغطّاة شربهم من جيحون ويدخل الماءُ أيّام الحَصاد إلى وسط البلد.

ونويده مدينة صغيرة من جانب هيطل الجامع وسط البلد. وفِرَبْرْ من نحو هيطل بُعْدَ فرسخ قليلة الضياع رخيصة الخراج حسنة الأعناب ضيّقة المياه لها قهندز عامر وبها رباطات حسنة والجامع على باب المدينة من نحو بخارا والمصلّى خارج الباب وثَمَّ رباط لنصر بن أحمد فيه ضيافة لأبناءِ السبيل. وآمُل عامرة وكلُّ مدن هذا الإقليم عامرة ومن الخيرات مملوءَة وهذه على فرسخ من النهر من نحو خراسان كثيرة الضياع غالية الخراج غزيرة المياه حسنة الضياع على طرف الرمال مضلّلة الأسواق معدن الأعناب النفيسة جامعها على نشزة وآبارها قريبة.

ذكر المعابر والشعب

لهذا النهر معابر كثيرة أحاط علمنا بعد القصد والبحث على خمسة وعشرين سوى الخوارزميّة أوّلها من قبل الخُتّل خُتّلان، ثم ميلة، ثم أوزج في حدّ قواديان، ثم الكودى، ثم تِرْمِذ، ثم آخر أسفل منها، ثم آخر، ثم آخر، ثم آخر، ثم كالِف، ثم خارِزْمِيّان، ثم بُخَارِيّان، ثم بُنْكاه أبي وهب، ثم بابكر، ثم كركوه النهر بينهما، ثم الرباط وبه مجاورون، ثم خواران، ثم شير، ثم نويده فيه يعبر أهل سمرقند، ثم فرحونة، ثم برمادوي هي قرية للعرب، ثم آخر، ثم جادّة خراسان، ثم فِرَبْرَ وآمُل، ثم سكاوى، ثم ماهيكبران، ثم تلقى معابر خوارزم دَرْغَان وجكربند، ثم آخر، ثم هَزَارَاسْب، ثم كاث، ثم بقيّة المعابر إلى البحيرة فيها معبر الجُرْجَانِيّة.

وأما الشعب المنفجرة منه فأكثرها بخوارزم منها نهر كريه يمدُّ إلى خمسة فراسخ ونهر هزاراسب يتّسع حتّى يصير نحو مرحلة، ثم لا يزال يضيق حتّى يصير نحو فرسخ فيسقى الضياع إلى نحو المفازة، وينشعب منه نهر كردران خاس وهو أكبر من نهر هزاراسب وبينهما فرسخان، ثم نهر خيوه وهو كبير أيضاً يجري فيه السفن، ثم بعده نهر مدري تجري فيه السفن أيضاً على نصف فرسخ من نهر خيوه، وكذلك بين نهر مدرى ونهر وداك وأسفل من القصبة نحو العمود نهر بوّه يجتمع فيه مياه الناحيتين بقرية أندرستان تجري فيه السفن إلى الجرجانيّة ثم يردُّه السكر الذي ذكرناه ومن مجتمعه إلى السكر مرحلة ونهر كُرْدَر يأخذ من أسفل القصبة على أربعة فراسخ من أربعة مواضع متقاربة فيصير نهراً واحداً وينشعب من جيحون أيضاً أنهار تسقى رستاق آمل وفربر وسائر المدن التي على الشطّ يطول بذكرها الكتاب ولم نصوّر هذه الأنهار لكثرتها.

جانب خراسان

اعلم أن لهذا الإقليم فضائل تنسب إلى هذا الجانب ويشركه في أكثرها جانب هيطل إلاّ أن هذا لمّا كان أقدم في الاختطاط والفتح في الإسلام وأقرب إلى أقاليم العرب خُصّ بالذكر وعُرّف عند النسبة، يحكى عن ابن قتيبة أنه قال خراسان أهل الدعوة وأنصار الدعوة لما أتى الله بالإسلام كانوا فيه أحسن الأمم رغبة وأشدّهم إليه مسارعة منًّا من الله عليهم أسلموا طوعاً ودخلوا فيه أفواجاً وصالحوا عن بلادهم صلحاً فخفّ خراجهم وقلت نوائبهم ولم يجب عليهم سبي ولم يسفك فيما بينهم دم مع قدرتهم على القتال وكثرة العدد وشدّة البأس فلمّا رأى الله سبحانه سيرة بني أميّة وظلمهم وتعدّيهم على عترة نبيّه ﷺ بعث إليهم جنوداً منها جمعهم من أقطارها وألّفهم من نواحيها فساروا نحوهم كقطع الليل المظلم وما يرتقب منهم عند خروج المهديّ أكثر فهم أهل الدولة والظفر وأنصار الحقّ إذا ما ظهر. ويقال: إن محمّد بن عبد الله قال لدُعاته: أما الكوفة وسوادها فشيعة عليّ، وأما البصرة فعثمانيّة تدين بالكفّ، وأما الجزيرة فحَرُوريّة صادقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق النصارى، وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بني أميّة وعداوة راسخة وجهل متراكم.

وأما مكّة. والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسّمها الأهواءُ ولم تتوزّعها النّحَل ولم يقدح فيها فساد وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحًى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة وبعدُ فإنّي أتفاءَلُ إلى المشرق وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق، فلمّا تمهّد له الأمر أقامهم مع خلفائهم على أسكن ريح وأحسن همّة وأشدّ طاعة وأجمل سيرة في رعيّة تتزيّن بالحسن ولا تعرف القبيح.

وقرأتُ في كتاب بخزانة عضد الدولة خراسان في غذاءِ الهواءِ، وطيب الماءِ،

وصحّة التربة، وعذوبة الثمرة وأحكام الصنعة، وتمام الخلقة، وطول القامة، وحسن الوجوه، وفراهة المراكب، وجودة السلاح، والتجارة، والعلم، والعفّة، والفقه، والدراية، ترس في وجوه الترك أشدّ العدوّ بأساً وأغلظهم رقاباً وأصبرهم على البؤس أنفساً وأقلّهم تنعُّماً وخفضاً.

وأهل خراسان أشدُّ الناس تفقُّهاً وبالحقّ تمسُّكاً، وقال النبيُّ ﷺ: «لينصركم على الدين عوداً كما ضربتموه بدأً» يريد أنهم ينصرونكم بالسيوف على دين الله إذا غيَّرتم وبدلتم كما ضربتموه عليه فوجد تصديق ذلك وقت أبي مسلم.

واعلم أن هذا الجانب في الحقيقة خراسان وهو أجلُّ الجانبين لأن به المصر الأعظم وأهله أظرف وأحلم بالخير والشرّ أعلم وإلى أقاليم العرب ورسومهم أقرب وقصباته أبهى وأطيب وهو أقلُّ برداً في الهواءِ والناس وأحسن آنياً وأكثر أجلّة وعقلاً من هيطل مع العلم الكثير والحفظ العجيب والمال المديد والرأي الرشيد به مرو التي قامت بها الدنيا وبلخ وإليها المنتهى ونيسابور فلا تنسى واسعة الرقعة جليلة القرى إلاّ أن الفساد فيه قد فشا الخراج مرّتين في سنة والضياع أهلها في بليّة. وقد جعلنا خراسان تسع كور وثماني نواحٍ ورتَّبناهنَّ في هذا الفصل على المقادير وعند الوصف على التخوم فأوّلها من قبل جيحون بَلْخ وفي المقادير نَيْسَابُور. وأما النواحي فأجلُّها قدراً بُوشَنْج، ثم بَاذغِيس، ثم غَرْجِسْتَان، ثم مَرْوَ الرُّوذ، ثم طُخَارِسْتَان، ثم بَامِيَان، ثم كَنْج رستاق، ثم أَسْفُزَار، وقد جعلنا طوس وأختيها خزائن لنيسابور، وجعلنا سَرَخْس من المنفردات عن الكور لأنها تشكل. فأما بلخ فإنها اسم القصبة أيضاً ومن مدنها أُشْفُورْقَان سليم كركو جا مَذْر برواز، ومن النواحي طُخَارِسْتَان[1] وهي القصبة أيضاً ومن مدنها وَلْوَالِج الطَّائَقَان خُلْم[2] غَرْبَنْك سِمِنْجَان[3] اسكلكند رُوْب بَغْلَان

---

(١) طخارستان: هي ولاية واسعة كبيرة تشتمل على بلاد عدّة، وهي من نواحي خُراسان، وهي طخارستان العليا والسفلى، فالعليا شرقي بلخ وغربي جيحون، وأما السفلى فهي غربي جيحون أيضاً وهي مدينة في مستوٍ من الأرض. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٦).

(٢) خُلْم: بلدة بنواحي بلخ، وهي بلاد العرب، نزلها الأسد وبنو تميم، وقيس أيام الفتوح، وهي مدينة صغيرة ذات قرى وبساتين، ورساتيق وشعاب، وزروعها كثيرة، لا تكاد الريح تسكن بها ليلاً ولا نهاراً في الصيف. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٤٠).

(٣) سمنجان: بلدة من طخارستان وراء بلخ وبغلان، وبها شعاب كثيرة، وبها طائفة من عرب تميم، ومن بلخ إلى خُلْم يومان، ومن خُلْم إلى سمنجان خمسة أيام. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢٨٦).

السفلى بغلان العليا أسكيمشت رَاوَن آرْهَن أَنْدَرَاب[1] خَسْت سَرَاي عاصم، والبَامِيَان ومدنها بسغُورفَنْد سكاوند لخراب، ولبلخ أيضاً من الرستاق بَدَخْشَان بَنْجَهِير جاربايه بزْوَان جميعهنَّ مدن جليلة وأعمال واسعة.

وأما غَزْنِين فإنها كورة جليلة وهي اسم القصبة أيضاً ومن مدنها كَرْديس سكاوند نَوَه بردن دمراخي حشُّ باري فرمل سرهون لجرا خواست زاوه كاويل كَابُل لَمْغان بودن لهوكر، وناحية والشْتَان ولها ستُّ منابر أبشين أسبيجه مَسْتَنْك شال سكيرة سِيوه وألف ومائة قرية وللكورة ألفان ومائتا قرية.

وأما بُسْت فإنها اسم القصبة أيضاً ومن مدنها جَهَالِكَان بان قرمة بوزاد أرض دَاوَر صروستان قرية الجوز رَخُود بَكْرَاوَاذ بَنْجَوَى كِشُّ رُوذَان سفنجاوى طلقان[2] ولها ألف ومائة قرية ومن هذه المدن ما يضاف إلى سجستان وهو خطأ وأقلُّ من يميّزهنَّ تمييزنا وأبو زيد جعل غزنين وبست من سجستان ومن الناس من يجعلهما كورة واحدة ويسمّيها كَابُلِسْتَان.

وأما سجستان فإنها كورة متَّصلة العمارة منقطعة المساكن قليلة المدن كثيرة القصور ومعدن النخيل والحيَّات قصبتها زَرَنْج ومن مدنها كُوَيْن زَنْبُوك فَرَه درهند قَرْنِين كواربواذ بارنواذ كِزَه سنج باب الطعام كَرْوَادِكَن نِه الطاق.

وأما هراة فإنها القصبة أيضاً ومن مدنها كَرُوخ أَوْبَه مَالِن خَيْسَار أستربينان مَارَابَاذ، ونواحيها بُوشَنْج ولها أربع مدن خَرِكَرْد فَرْكَرْد كوسوى كره.

وبَاذَغِيس وهي ثماني مدائن دِهِسْتَان كوغاناباذ كُوفَا بُشْت جَاذَوَا كابرون كالوون جبل الفضَّة.

وكَنْج رُسْتَاق وهنَّ ثلاث مدائن بَبَن كيف بَغْ شُور، وأَسْفُزَار وهنَّ أربع مدائن كواشان كواران كوشك أدرسكر.

---

(١) أندراب: بلدة بين غزنين وبلخ وبها تذاب الفضة المستخرجة من معدن بنجهير، ومنها تدخل القوافل إلى كابُل، ويقال لها: أندرابة وهي مدينة حسنة نُسب إليها جماعة من أهل العلم. (معجم البلدان ج ١/ ص ٣٠٩).

(٢) الطالقان: بلدة بخُراسان بين مرو الروذ وبلخ، قال الإصطخري: أكبر مدينة بطخارستان طالقان، وهي مدينة في مستوى الأرض ولها نهر كبير وبساتين. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٧).

وأما جُوزْجَانَان[1] فإنها كورة ليس لها قدم الكور وإنّما كانت تضاف إلى نواحي بلخ وهي اليوم أحد الأصول ومن أمّهات الكور وسلطانها مقدَّم وليست بكثيرة المدن مع قلّة أهل أهلُ سخاوة وديانة وعلم ودراية قصبتها اليَهودِيّة ومن مدنها أَنْبَار برزور فاريّاب[2] كلان شَبُورْقَان[3].

وأما مَرْوُ الشَّاهِجَان فإنها كورة قديمة رسمها الإسكندر، وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنه قال: نعم البلد مرو بناها ذو القرنين وصلّى فيها العُزَير أنهارها تجري بالبركة ما منها باب إلاّ وعليه ملك شاهر سيفه يدفع عنها الشرّ.

وعن قَتَادَة في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى: ٧] قال: أمّ القرى بالحجاز مكّة، وبخراسان مرو، قال: ولما همّ طهمورت ببناءِ قهندز القصبة اتّخذ سوقاً فيه ما يحتاج إليه، فكان إذا أمسى الرجل أعطى أجرته، فاشترى به طعامه وأدامه، وقوت أهله، فيعود الدرهم إليه، فلمّا فرغ حسبوا فإذا به قد ناب عليه ألف درهم.

وهي كورة حسنة الوضع إلاّ أن الماءَ ضيّق وطريق النهر في كلّ حين ينبثق وأكثر ضيق الماءِ من قبل ضياع السلطان، ولم يكونوا في المقدم يَدّعون سلطانيًا يشتري ضيعةً، وسمعتُهم يذكرون: أن امرأة أخرجت المأمون من بلدنا قلتُ: كيف؟ قال: جاءَت إليه، فقالت: خرِبَتَ مرو وهي لا تحتمل أن يملك ضياعها غير العوامّ، قال: فأمر بالخروج منها.

وهي القصبة أيضاً، ويقال: إنّما سمّيت مرو الشاهجان لأن الشاه الملك، والجان الروح.

وهي كثيرة الأعناب والحبوب والحمام نزيهة والقصبة على اسمها ولها من المدن خَرَق هُرْمُزفَرَّه باشان سِنْجَان سَوْسِقَان صهبة كِيرَنْك سِنْك عَبّادي دَنْدَانقَان،

---

(١) الجوزجان: اسم كورة واسعة من كور بلخ بخُراسان، وهي بين مرو الروذ وبلخ، ويقال لقصبتها اليهودية، ومن مدنها الأنبار، وفارياب، وكلاّر. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢١١).

(٢) فارياب: بكسر الراء، مدينة مشهورة بخُراسان من أعمال جوزجان قرب بلخ غربي جيحون. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٢٦٠).

(٣) شبورقان: وتخففها العامة فتقول: شُبْرقان، وهي مدينة طيبة من الجوزجان قرب بلخ. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٦٦).

وناحيتها مَرْو الرُّوذ ومدنها الطَّالَقَان قَصْرُ أَحْنَف حسة لَوْكَر. وأما نَيْسَابُور فقد اختلف الناس في اسم لها وهو إيرَانْشَهْر فمنهم من جعله اسماً لجميع هذه الكورة مع جَابُلِسْتَان فتدخل فيه سجستان وما حولها ومنهم من جعله اسماً لهذه الكورة ومنهم من أوقعه على القصبة حسب وبه نأخذ لكون القصبة من إيرانشهر بإجماع فلا يحتاج فيه إلى دليل إذ الدليل واجب على من ادَّعى الزيادة.

وهي كورة واسعة جليلة الرساتيق والضياع والقنيّ، ويقال: إن أبا بكر العبدويّ، قال: قستُ مياه دجلة إلى مياه نيسابور فتساويا، وهي قويّة الهواءِ لا ترى بها مجذوماً، ومن واظب بها على أكل الدسم، ودخول الحمّام، واستعمل دهن البنفسج فليس يَعُدُّها ويحكى عن حمّوَيْه أنه قيل له: لو اتَّخذتَ بنيسابور بيمارستان، قال: لا يسع لذلك بيت مالي، قالوا: كيف وأنت صاحب الجيش؟ قال: لأنه ينبغي أن يدار على البلد كلّه الحائط، أي إنهم كلُّهم يحتاجون إلى البيمارستان لطيشهم وخفّة رؤوسهم.

اسم قصبتهم إيرانشهر ولها أربع خانات واثنا عشر رستاقاً وثلاث خزائن، وقصر ودار، فالخانات الشامات رِيوَنْد مَازُل بُشْتَقَرُوش، والرساتيق بُشْت بَيْهَق كُويَان جَاجَرْم أَسْفَرَايِنُ[1] أُسْتُوَا أَسْفَنَد جَام بَاخَرْز خَوَاف زَاوَه رُخّ، والدار زُوزَن، والقصر بُوزْجَان، والخزائن طُوس نَسَا أَبِيوَرْد، ولهذه الرساتيق التي ذكرنا غير الخزائن ستّة آلاف قرية مثل عَمَوَاس[2] وبها عشرون ومائة منبر.

وأما قوهستان فقصبتها قَايِن ومدنها تُون جُنَابِد طَبَس العُنَّاب الرَّقّة خُور خَوسْت كُرِي طَبَس التَّمْرِ.

بَلْخُ نبدأ فنَصِفُها بما وصفها به أبو القاسم العكّيُّ لأنها بلده قال بلخ في الأخلاق الجميلة والشجاعة وشدّة الخلق والعقل وجودة الرأي ونبل الهمّة وحسن المعاشرة والحرص على قضاءِ الحقوق والتباذل عند الحاجة وحسن وضع الكورة

---

(١) إسفرائين: بليدة حصينة من نواحي نيسابور على منتصف الطريق من جرجان، واسمها القديم مهرجان، سماها بذلك بعض الملوك لخضرتها ونضارتها. (معجم البلدان ج ١/ ص ٢١١).

(٢) عمواس: هي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، ثم نشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يُحصى من الصحابة رضي الله عنهم، وذلك سنة ١٨ هـ. (معجم البلدان ج ٤/ ص ١٧٨).

وتقديرها وتقارب أحوال أهلها ورخص الأسعار بها وكثرة الخضر واختراق الأنهار المحفوفة بالشجر في المحالّ والمنازل وقرب الجبال والأودية ومرافقها نظير دمشق الشام.

وفضل بغداد راجع إلى خراسان لأنها لهم بنيت ثم أنظر إلى بهاءِ بلخ وحسن موقعها وسعة طرقها وبهجة شوارعها وكثرة أنهارها والتفاف شجرها وصفاءِ مائها وإشراق قصورها وسور مدينتها ومسجد جامعها وإحكام صنعته وجلالة موضعه ليس بأقاليم العجم مثلها حسناً ويساراً يحمل من غلاَّتها في كلّ سنة مال عظيم إلى خزانة السلطان زائداً عما يحتاج إليه وهي في مستوى منها إلى أقرب الجبال أربعة فراسخ وعليها سور ولها ربض ويقال: إن اسمها في كتب الأعاجم بلخ البهيّة.

وخُلْم هي بلاد الأزديّين[1] صغيرة إلاّ أن قراها ورستاقها ومزارعها كثيرة وهواءَها صحيح كثيرة الأرياح.

وسِمِنْجَان أكبر من خلم بها منبر واحد وبها ثمار وأودية وصيد ومواشٍ وخلق من التميميّين.

وأَنْدَرَابَة لها أودية مشجرة وبها أسواق حارّة. وخَسْت نزهة مشجرة خصبة بها عرب.

والطَّالَقَان لها سوق كبير يشقُّها نهران من شعب جيحون حبلاب وتراب وهي في غاية النزهة والخصب.

وإسْكَلْكَنْد صغيرة غير أنها نزيهة كثيرة الخيرات. وبَغْلاَن هما اثنتان السفلى والعليا وهي من منازه خراسان المنبر في السفلى والعليا قرية كبيرة لها وادٍ مشجر.

وشيان مدينة رستاق إسكيمشت وبها عين عجيبة على حافتها مسجد قُتَيبة بن مسلم. وبَنْجَهِير هي جبل الفضّة والدراهم بها واسعة أقلّ ما توجد المقطَّعة.

وفَرْوَان كبيرة متطرّفة بها جامع عامر. وبَذَخْشَان متاخمة لبلاد الترك فوق

---

(١) الأزد: قال أبو عبيد: ويقال بالسين بدل الزاي، قال الجوهري: بالزاي أفصح، وهم بنو الأزد بن يغوث بن مالك بن أُدَد بن زيد بن كهلان، وهم من أعظم الأحياء وأكثرهم بطوناً. (صبح الأعشى ج ١/ ص ٣٧٠).

طخارستان وبها معدن الجوهر الذي يشبه الياقوت لا معدن له غيره وهي رباط فاضل وثَمَّ حصن لزُبيدة عجيب وبها معدن اللازورد والبلّور وحجر البازهر وحجر الفتيلة وهو شيءٌ يشبه البرديَّ لا تحرقه النار يوضع في الدهن فيقد كما تقد الفتيلة ولا ينقص ويخرج ويطرح في النار المتأجّجة ساعةً فيعود إلى ما كان وينسج منه الخوان فإذا اتّسخت وأرادوا غسلها طرحوها في التنُّور فتعود نظيفة وثَمَّ حجم يجعل في البيت المظلم فيضيءُ أدنى شيءٍ. والبَامِيّان ناحية واسعة كثيرة الخير وقصبتها صغيرة.

غِزْنين قصبة ليست بالكبيرة إلاّ أنها رحبة منعمة رخيصة الأسعار كثيرة اللحوم طيّبة الفواكه مع كثرة ولها مدن جليلة والمعايش بها حسنة وهي أحد فرض خراسان وخزائن السند ومن اختلف إليها أفاد صحّة جيّدة لا براغيث ولا عقارب رفقة مباركة غير أن البرد بها شديد والثلوج كثيرة، وبنيانهم عامّته خشب يقع فيه شيءٌ يقال له غشك يشبه فسيفس مصر، صغيرة في الاسم والموضع وهواءُها يابس وماؤها غير مريّ في مستوى منها إلى الجبال فرسخ وهي جانبان القلعة وسط المدينة ينزلها السلطان والجامع نحو القبلة مع بعض الأسواق في المدينة وبقيّة الأسواق والبيوت في الربض.

وللمدينة أربعة أبواب: باب الباميان، باب سيبان، باب كردن، باب السير، وهم مياسير، وأهل ثروة ولهم نهر بلا بساتين.

وكَابُل لها ربض عامر وبها يجتمع التجار ولها قهندز حصين عجيب بلد الهليلج الرفيع ولها عند الهنود شان، وسائر المدن على ما ذكرنا أكثرهنَّ نحو السند على ما ذكر لنا.

بُسْت قصبة جليلة أهل دين ومروّة ويسار ونعمة طيّبة خصبة ولهم آئين ولباقة وإسناد ودراية موضوعة بين نهرين وجامعة للفاكهتين ليّنة الهوائَيْن نفيسة المدن كثيرة القرى رطب غزير وعنب كثير وسدر وريحان.

وسمعتُ أبا منصور فقيه سجستان يقول ما رأيتُ بلداً على صغره أخصب ولا أكثر فواكه ونعماً من بست إلاّ أنها وبيّة متطرّفة صغيرة الرقعة لها مدينة عامرة والجامع فيها وربض الأسواق فيه شربهم من هِيرمِيد والنهر الآخر اسمه خردروي يجتمعان على فرسخ وعلى هيرميد جسر من سفن بقرب موضع مجمع النهرين، وعلى نصف

فرسخ من نحو غزنين شبه مدينة تسمّى العَسْكر ينزلها السلطان. وبَنْجَوَاي على قرب الجادّة منيعة بها جامع حسن شربهم من نهر. وبَكْرَوَاذ مدينة كبيرة الجامع في السوق وشربهم من نهر.

ودَاوَر كبيرة طيّبة على حدّ الغُور وهي ثغر جليل عليها حرّاس مرتّبون منها إلى حدّ الغور مرحلة ومن الناس من ينسب هذه الكورة إلى سجستان وهو مذهب أبي زيد البلخيّ وأقلّ من يميّز مدنها عن سجستان وما ذهبنا إليه حسن إن شاءَ الله تعالى.

زَرَنْج هي قصبة سجستان محكمة الحصن عجيبة البنيان ومعدن الحيّات والرجال الشهام أصحاب همّة وعقل وفطنة وفقه وحفظ ودهاءٍ وبهاءٍ وأدب وخطب وحذاق وهندسة وحكمة ومتاجر ومعادن ومعايش ورخص وفواكه هي بَصْرَة خراسان وأكيس من أهلها لا ترى في التزاويق والبناءِ في الإقليم ولهم حصن عجيب يدور حوله خندق ينبع الماءُ منه ويجري إليه فضلات المياه نظيفة الأطعمة كثيرة المشايخ مفيدة في المتاجر غزيرة المياه غير أن حيّاتها كثيرة وحرّها شديد وتمرها دقل وهرجها عجب أبداً تدور عليهم الدوائر وتعصّب الفريقين ثَمّ ظاهر فبين مقتول ترى منهم وهارب وكلٌّ بلقب لغيره يباين وأولاد الزناءِ بها عصائب لهم عقارب وهم في ذاتهم عقارب يطعن بعضهم على بعض في القصائد مع ثقلهم وبردهم قد طبّقوا العمائم خوارج وجلّهم لصهري النبيّ ﷺ ثالب، بيوتهم كربة في تربة عفنة وبلدة قشفة لستُ في مثلها براغب.

لها مدينة عليها حصن وخندق الجامع فيها والحبس يقابله قد بنى بناءً عجيباً وله منارتان القديمة وأخرى من صُفرٍ بناها يعقوب ابن الليث وثَمّ قلعة وهي في سهلة كثيرة الأبواب والدروب نصفها من بناءِ أَرْدَشِير ونصفها من بناه خُسْرو.

والطَّاق صغيرة كثيرة الأعناب واسعة الرستاق. وكُوَيْن عليها حصن منيع كبير وليس بها منبر من أجل أنهم خوارج، وكذلك زَنْبُوك وفوقه. وفَرَه ذات جانبين جانب للخوارج وجانب لأهل الجماعة.

ودرهند كبيرة قريبة من الجبل بناؤهم حجارة ولهم نهر، وهذه المدن غير الطاق فإنه من تلقاءِ هراة من نحو بست.

وقَرْنين عليها حصن ومنها كان بنو الليث الصفّارون الذين خرجوا وغلبوا على

فارس وخوزستان بها جامع ولها ربض ونهر وهي صغيرة. وبارنواذ عليها حصن وبها جامع وليس بها خوارج وهي بلد الحبوب. وسنج قريبة من الجبل وبها جامع وبناؤهم حجر.

وباب الطُّعَام ناحية واسعة ذات قرى جليلة نحو سوسكن وسكوكس وملكان وكرسواد وبربك وأدوراس وكوين وديارود وديار وغيرهنّ من الأمّهات وقد قلنا أن سجستان منقوشة العمارة كأنها رستاق واحد قليلة المدن.

وورزنك رباط في وجه الغُور فيه مرابطون وحرّاس وخيل مسبّلة وعدد وآلاف يقصد من كلّ جانب.

وأما المدن من نحو فارس فكَرْوَادِكن بها منبر بناؤهم طين وشربهم من النهر غير محصَّنة والجامع وسط البلد اسم رستاقها حورسونه، ورِنهُ عليها حصن وبها جامع بناؤهم طين وشربهم أكثره من قنيّ.

فهذه الكور الأربع على صفّ واحد عن يسار المغرب، وأوّل الصفّ الثاني من نحو جيحون رمال دهسة إلى مرو وتدخل في الصفّ جُوزْجَانَان ونبتدئ من هراة على ما رتّبنا.

هَرَاة قصبة جليلة هي بستان هذا الجانب معدن الأعناب الجيّدة والفواكه النفيسة آهلة عامرة حسنة السواد مشتبكة العمارة جليلة القرى أهل أدب وبلاغة وظرف ودراية من عندهم تحمل صنوف الحلاوات وبزُّهم يحمل إلى الأقاليم والأطراف حصينة طيّبة غير أن أهلها غاغة والقتل عندهم عادة وليس لمذكّرهم فقه ولا عبادة لسان قبيح وفسق فضيح، لا يُشبع خبزهم ولا ينقضي هرجهم.

لها مدينة عامرة وقهندز وعلى ربضها حصن وأبواب الربض تقابل أبواب المدينة وتوافقها في الأسماءِ القديمة، باب زياد إلى نيسابور، باب فيروز، باب سراي إلى بلخ، باب خُشْك إلى الغور، والجامع وسط المدينة بين الأسواق عامر، ولهم قنطرة عجيبة وهي بلدة آهلة.

وكَرُوخ هي أكبر مدن الكورة ذات مياه وبساتين. وأَوْفَه صغيرة والجامع في محلّة سبيدان بناؤهم طين وهي بين جبلين سعة رستاقها عشرون فرسخاً كلُّها بساتين مشتبكة ومياه جارية وقرى عامرة. ومَالِن تكون نحو أوفه لها بساتين ومياه وبناؤهم

طين. وخَيْسَار متوسّطة قليلة الأشجار والمياه وهي أصغر من مالن. وأستربيان ذات مياه جارية وبساتين قليلة الغالب عليهم المزارع وهي في الجبال.

ومَارَابَاذ أصغر من مالن كثيرة البساتين غزيرة المياه خصبة نزهة. وبُوشَنْج هي أجلّ نواحي هراة مذكورة في الأقليم وسيعاب علينا إضافتنا إيّاها إلى هراة لأن سلطانها ربّما أفرد عن هراة، ويقال: إن اسمها مقدَّم على هراة في الديوان، والقول فيها كالقول في طوس غير أن أمامنا فيما ذهبنا إليه أبو زيد، وقد كان أعلم بدواوين خراسان وتفصُّل أعمالها من غيره، تكون مثل نصف هراة في مستوى ومنها إلى الجبل نحو من فرسخين لها مياه وأشجار كثيرة ويحمل من عندهم الخشب إلى سائر النواحي ولها حصن وخندق وثلاثة أبواب باب عليّ باب هراة باب قهستان.

وأكبر المدن بعدها كوسوي نحو ثلثها لهم بساتين وبناؤهم طين. وليس لفَرْكَرْد بساتين كثيرة إنّما هم أصحاب نعم وسوائم ولهم ماءٌ جارٍ.

ولخَرْكَرْد مياه وبساتين كثيرة غير أنها صغيرة. وبَاذَغِيس أكبر مدنها دِهِسْتان مثل نصف بوشنج بناؤهم طين وهي على جبل ولهم ماءٌ ضعيف يجري بلا بساتين ومزارعهم مباخس ولهم أسراب تحت الأرض ومقام السلطان بكوغناباذ ودهستان أعمر.

وجبَلُ الفِضَّة على جبل وقد تعطَّل معدنها. وكُوفا في صحراء لها بساتين ومياه جارية ومزارع على العذي وكذاك كوغناباذ وجاذَوَى وكالوون وكابرون فليس لها بساتين ولا مياه جارية، وإنّما مشاربهم من الأمطار ومن آبار وهم أصحاب زروع وحبوب وهي على طريق سرخس.

وكَنجُ رُسْتَاق أكبر مدنها بَبَن بها مقام السلطان أكبر من بوشنج وبَغْشُور نحو بوشنج في الرقعة وكيف مثل نصفها ولها مياه جارية غزيرة وبساتين وكروم كثيرة بناؤهم طين، وبغشور في مفازة ومزارعهم عذي، وشربهم من آبار هي صحيحة التربة خليقة الهواءِ خفيفة الماءِ على طريق مرو الروذ.

وأَسْفُزَار أكبر مدنها كواشان لها مياه وبساتين كثيرة وكروم بناؤهم طين وسائر المدن أصغر منها كلُّهنّ مشجرات ذوات مياه ومنازه. ولهراة أعمال جليلة ومواضع حسنة يطول بذكرها الكتاب.

غَرجُ الشَّار الغَرْج هي الجبال والشار هو الملك فتفسيره جبال الملك والعوامُّ يسمُّونها غَرْجِسْتَان وملوكها إلى اليوم يخاطبون بالشار وهي ناحية واسعة كثيرة القرى بها عشرة منابر أجلُّها أبشين وفيها مستقرُّ الشاريّين وثَمَّ قصورهم وبها جامع حسن ورباطات ولهم نهر وهو نهر مرو الروذ.

وشُورمين أيضاً من مدن هذه البلاد وهما متقاربتان في الكبر، وبليكان أيضاً منهنَّ وهي في الجبال وعلى هذه الولاية دروب وأبواب حديد فلا يمكن أحداً دخولها إلاَّ بإذن وثَمَّ عدل حقيقيٌّ ونظر عزيزيٌّ وبقيّة من سنن العُمَرين ورسوم تقرُّ بها العين لا عُمَّال ظلمة ولا أسباب مغيِّرة ما يؤخذ من أغنيائهم فهو موضوع في فقرائهم ومن جنى جنايةً فالعفو أو الحدُّ ومع ذلك قوم سلماءُ صالحون من الطينة الأولى وصدق رسول الله ﷺ: «كما تكونون يولَّى عليكم» وقد وقفنا فيها من أجل هذه الأسباب فلم يمكننا أن نضيفها إلى واحدة من هذه الكور التي حولها لأنها مستقلَّة بنفسها جليلة بشارها ولا أن نجعلها كورة فينتقض أصلنا في بوشنج ونظائرها، فإن قال قائل: يجب أن تضاف إلى بلخ لأنها تجتمع مع نواحيها في معنى وهو آخر الاسم ألا ترى أنهم يقولون غرجستان كما يقال: طخارستان الباميان بروان، قيل له: التعارف في علمنا أوكد ممَّا ذكرت لأنه مبنيٌّ على مسائل الإيمان، وقد سمَّى الله تعالى الأرض بساطاً، ولو أن رجلاً حلف لا يجلس على بساط فجلس على الأرض لم يحنث لأنه غير متعارف.

مَرْوُ تعرف بمَرْو الشَّاهِجَان قصبة نفيسة طيّبة ظريفة، بهيَّة رحبة خفيفة، أطعمة لذيذة بها نظيفه، منازل مليحة لهم أنيقة، من طرْفها للجانبين هي صنيفه، مشايخ أجلَّة عقولهم شريفة، الجامعان باناط لا خشب ولا سقيفه، وكلَّ ليلة بمجلس عصائب عفيفة، مذكّر فقيه يقفه أبا حنيفة، مدارس لكلّ دارس وظيفة، أسواقهم حسنة ألا ترى صفوفها بالجامع الأعلى من كلّ جانب لفيفه، وثَمَّ الدار المذكورة الرفيفه، بها إيوان صاحب الدولة الشريفة، ولا تسأل عن حمَّامات مرو ولا الهريسة والخبز والعقل والبأس فإنها معروفة وسلْ عن مياههم وكسبهم والمروَّات فإنها ضعيفة، وعن دهائهم وهرجهم فعندي منها صحيفة، أنباءُ صدق أنفسها مُعْرِبة ظريفة، ولستُ ممَّن يأكل بعلمه رغيفه، لكنَّني طالب جنَّة وراغب في دعوة كثيفة.

فمرو بلدة سريّة لو لم تكن من أهلها خفيفة، قد خربت إلاَّ منازل طفيفة،

وربض ثُلثه مهدَّم كأنها سليفه، منازل قد شعثت وأسقطوا سقوفه، وفسق ظاهر هروجهم معروفه، مكاسب ضيّقة لهم في طرّهم لطيفة، لا سخاوة ولا رواسٍ نظيفة، ولا لطينهم علاكة وفي الصيف حارّة رشيفة، بالجامع دواوين الخراج والشرط ونهرهم في كلّ حين ينبثق، والزاءُ قبل الياءِ في النسبة تلتزق، أهل طنز وخبل، يعرف ذاك مَنْ عَقَل، وهي في مستواة بعيدة عن الجبال والمدينة القديمة على تلّ في وسطها مسجد كان الجامع في القديم حوله منازل يسيرة وعند باب الربض عمارات وسويقة وبالربض جامعان أحدهما عند باب المدينة والآخر في الصيارفة الغالب عليه أصحاب أبي حنيفة وهو وما حوله من بناءِ أبي مسلم صاحب الدولة وهي نظيفة الأسواق وعندي إنّما تطرّف أهلها وتعرّقوا من أجل حلول الخليفة بها وأخذ أهل البلد عن حشمه وتباعه رسوم العراق والله أعلم.

وهي أشبه البلدان برملة فلسطين وللمدينة أربعة أبواب باب المدينة يلي الجامع باب سِنْجان من الوجه الآخر باب بالين باب درمشكان عليه كان قصر المأمون والقهندز في المدينة خراب صعب المرتقى لا يدخل إلاّ بدليل معيَّن والماءُ يدخل المدينة ويتخلّل جميع الربض ولهم حياض نظيفة عليها أبواب وأنهار تجري في بعض البلد.

وكِيرَنْك كبيرة ذات جانبين بينهما جسر وللعمود شعبتان عليهما طواحين تشقّان البلد والجامع في ثلث البلد إلى جنبه خان المنارة بينهما.

وسِنْج عامرة الجامع في طرف السوق والنهر خلفه وعليه بستان إلى جنبه كرم لآل المصفى. وخَرَق جامعها خارج السوق شربهم من شعبة نهر نحو قبلة الجامع.

وبَاشَان جامعها في الصاغة وشربهم من شعبة النهر. ودَنْدَانَقَان صغيرة محصَّنة بباب واحد الحمَّامات والرباط خارجها شبه الجُحْفَة وموضع برباط دِهِسْتَان حسنة الوضع بها جامع حسن ومسجد واحد.

سَرْخَسُ مدينة كبيرة عامرة مذكورة ولو كان لها جند جعلناها كورة أو ناحية وقد تردَّد حالها عندي وأشكل أمرها عليَّ وقرأتُ في بعض الكتب قسمة أعمال خراسان فجعل سرخس وأبيورد ونسا عملاً واحداً ولا يستقيم مذهبنا على هذه المقالة لأن نسا وأبيورد عملان جليلان لكلّ واحد مدن فلا يجوز أن نجعلهما من أجناد سرخس ولا

أن نجعل سرخس أيضاً جنداً لهما. وقال البلاذريّ: خراسان أربعة أرباع الأوّل إيرانشهر وهي نيسابور، وقهستان، وهراة، وطوس.

والربع الثاني: المروان، وسرخس، ونَسا، وأبيورد، والطالقان، وخوارزم.

والربع الثالث: الجوزجانان، وبلخ، والصغانيان. والربع الرابع: ما وراءَ النهر، وهذا أيضاً يخالف مذهبنا وقياسنا يؤدّي أن تكون سرخس خزانة لنيسابور غير أنّا تركنا القياس واستحسنّا أن نجعلها مضافة إلى مرو لأنها معها في أرض واحدة مع تقاربهم في الرسوم واللسان والمسافة، وهو بلد الحبوب والإنعام وسألني أبو العبّاس اليزداديّ، عن بيت المقدس فقلتُ هي مثل سرخس غير أن بيت المقدس بلد نظيف حسن ظريف.

ولسرخس مدينة الجامع فيها مع سويقة ومعظم الأسواق في الربض شربهم من آبار ومنها سقى مزارعهم ولهم نهر ربّما جرى.

مَرْو الرُّوذ مدينة جليلة وناحية واسعة وهي متداخلة في غرج الشار محقوقة لها قريبة منها مرسومة بها ألا تعلم أن أصحاب البرد في فضل الشار وتحت كنفه وتعاهده وهي اسم القصبة ولها أربعة منابر أُخر تكون مثل ثلثي زبيد يشقّ النهر في طرفها كثيرة الخيرات والجامع في السوق على سواري خشب والأسواق تظلّل في الصيف، ومدنها دِزَه كبيرة طيّبة يشقّها النهر والجامع في السوق، قَصْرُ أَحْنَف النهر على حافتها أيضاً والجامع في السوق، وحسة ولَوكَرَا عامرتان رحبتان.

وفي مرو الروذ وسرخس أشكال وكلام مثل ما في غرج الشار ونحن نذكره بعد ونرتّبه على ما يجب وإنّما أضفناها مع سرخس إلى مرو استحساناً لأن مرو هي أمّ القرى بأقاليم الأعاجم وأحقّ بنواحيها وأن يضاف إليها ما يتنازع فيه وبالله التوفيق.

إيرَانْشَهْر هو مصر الجانب وقصبة نيسابور بلد جليل ومصر نبيل لا أعرف له في الإسلام من عديل لما قد اجتمع فيه من الخلال واتّفق فيه من الخصال مثل سعة الرقعة ووسع البقعة وصحّة الماءِ وقوّة الهواءِ وكثرة العلماءِ بلد الأجلّة والراسخين من الأئمّة فواكه واسعة لذيذة ولحوم جيّدة رخيصة ومعايش حسنة مفيدة أسواق فسيحة ودور فرجة وضياع نفيسة وبساتين نزهة وتربة علكة وقرائح دقيقة ومالس أليفة ومدارس رشيقة وظرف ولباقة ورسوم آيين مختارة وصناعة وحذاقة وتجارة وعبارة

وهمَّة ومروَّة ومعروف وصدقة وحفاظ ومودَّة في الآفاق مذكورة، وفي الإسلام مشهورة، ثم هي خزانة المشرقين، متجر الخافقين، بضائعه تحمل إلى الآفاق، ولبزّه نور وإشراق، يتجمَّل به أهل مصر والعراق، يجبى إليه الثمرات، ويرحل إليه في العلم والتجارات، فرضة فارس والسند، وكرمان، ومطرح خوارزم والريّ وجرجان، طيّب الصيف كثير الجمد رخيُّ الشتاءِ مديد العنب، لا يخلو الفقيه من أدب، والعدل من حسب، واليوم من مجلس النظر.

مصر صغَّر الرجال وجوهُه وأنزل الأشراف ساداتُه وحيَّر العلماءِ أئمَّته وزاد على المدن محلاَّته وعلى الأمصار رقعته فهات في الإسلام مثله، وسمعتُ أبا عليّ العلويّ يقول لأبي سعيد الجُوريّ أنت شيخ محلَّة لو كانت منفردة عن نيسابور لاحتاجت إلى طبل وعلم وأمير محكم.

وسُئلتُ عنه بفارس فقلتُ: هو أربع وأربعون محلَّة منها ما يكون مثل نصف شيراز مثل الحيرَة، والجُور، ومنيشك، وهو أوسع من الفسطاط وآهل من بغداد وأكمل من البصرة وأجلُّ من القيروان وأنظف من أردبيل وأعمر من همذان لا عفنة ولا سبخة ولا ملولة ولا كربة إلاَّ أن في هوائها يبوسة وفي أهلها جفوة وفي لسانهم رخاوة وفي رؤوسهم خفَّة لا رفقة ولا بهيَّة ولا مساجد وضيَّة شوارع نجسة وخانات شعثة وحمَّامات وضرة وحوانيت منكرة وجدارات وعرة قد عاندها البلاءُ وخالطها الغلاءُ قليلة الإدامات والحطب ثقيلة المعايش والمؤن سواد يابس وجبل عابس.

ماؤهم تحت الأرض وفتنهم تعمي القلب وعصبيَّاتهم تجرح الصدر ليس لمحتسبهم هيبة ولا صرامة ولا لخطيبهم خفر ولا لباقة ولا لجامعهم في الأيَّام تلك الجماعة ولا لإمامهم حسبة ولا حلاوة ولا لمذكّرهم صدق ولا حقيقة الغالب على عوامّها غير الفريقين، والشيعة والكرَّاميَّة أصحابُ شِقَّيْن، والفقهاءُ معهم في بلاءٍ وشين، وإن عزل الأمير صارت سخنة عين، وغلب عليها العيارة من جهتين، تكون فرسخاً في مثله والمدينة وسطها بحصن وخندق وأربعة أبواب والقهندز متَّصل بها يفصل بينهما طريق من الخندق وله بابان أحدهما في المدينة والآخر إلى الربض ودروب المصر تجاوز الخمسين غير أن المشهور منها: درب الجيق، درب خشنان، درب برد، درب منيشك، درب القِبَاب، درب فارس، درب الخروج، درب أسوار كاريز، والجامع في الربض تحت المدينة عند طرف السوق وهو ستُّ قطع ومسجد

المنبر بعضه من بناءِ أبي مسلم على سواري خشب وبقيّته من بناءِ عمرو بن الليث على أساطين الآجرّ مدوَّرة يدور على قاعته ثلاثة أروقة وسطه بيت مزخرف له أحد عشر باباً على أعمدة رخام مجزَّع سقفه سِدِلاً قد زوّق حيطانه وسقفه مجمَّل.

واعلم أنه مصر جليل غير أنك لا ترى فيه سوقاً حسناً ولا خاناً لبقاً ثم عوامُّ كلّما نعق ناعق اتبعوه مع عصبيّات وحشة ورسوم غير حسنة.

والشَّامَات ربع واسع جيّد القرى كثير المزارع يسمُّونه تَك آب أي إليه يجري الماءُ لأنه أخفض الرساتيق وفي القصبة كلّها يخرج ويظهر ليس به مدينة ولا فواكه كثيرة إنّما هو مزارع.

ورِيونْد ربع سريّ نزه كثير الكروم والأعناب الجيّدة والفواكه الحسنة وبه سفرجل لا يرى مثله به مدينة على اسمه نزهة يشقُّها نهر وبها جامع قد جُدّد من الآجرّ.

ومَازُل ربع نفيس به قرى عجيبة ومنه يرتفع الريباس الفائق وفيه قرية بُشْتَقَان التي عزم عمرو بن الليث على شراءِ محلَّة منها وهي أربع محلاّت الدور وسط البساتين والأنهار تخترقها فلم يَفِ بذلك بيوت ماله ومستفاض إنَّما دخل نيسابور ومعه ألف حمل مال.

وسمعتُ أنهم قالوا له: في هذه القرية شجر يستوي الواحدة عشرة دنانير إلى عشرة دراهم وقد بعناك كلَّ واحدة بدينار.

ويُشْتَفْرُوش ربع كثير الفوائد والأعناب حيث أنه دخل في يوم واحد من باب الجيق وهو يشرع إليه عشرة آلاف حمل عنب.

وسمعتُ أبا سعيد الجُوريّ يقول به بستان فيه مشمش غلَّته كلَّ يوم دينار من أوّل المشمش إلى انقضائه ليس به مدينة وبه قرية على اسمه عظيمة.

وبُشْت هو أجلُّ الرساتيق الاثني عشر كبير به سبعة منابر يقال: إن أبا الفضل البَلْعَميّ وأبا الفضل بن يعقوب حضرا مجلس الأمير السعيد فأطنب البلعميُّ في مدح مرو، فقال: ابن يعقوب لا ننكر فضل مرو إنها لكما ذكرتَ غير أن لنيسابور اثني عشر رستاقاً منها: بُشْت دخل ثلاثة منابر منها مثل دخل مرو فنظروا فإذا الأمر على ما ذكر وهو رستاق يجمع الفواكه والحبوب والأعناب السريّة وسمعتُ أن فيه زيتوناً وبه تين

كثير ومنه تحمل البواكير لأنه معتدل الهواءِ اسم مدينته طُرَيْثيث عامرة جيّدة وبها جامع ليس بعد جامع دمشق أغنى منه حسن نظيف له سوق قد بني جديداً سوى ما حوله من الدكاكين وقد أضيف مسجد من الآجرّ والجصّ وعند بابه حوض للماءِ مدور ينزل إليه بمراقٍ حسن ثم هي فرضة فارس وأصفهان وخزانة خراسان، دونها كُنْدُرِ قرية ممّا ذكرنا في العمارة والخير وسائر المنابر في عداد القرى.

وبَيْهَق يلي هذا الرستاق ويقاربه في الخيرات والخصب ونفاسة القرى وفيه تشقُّ جادة الريّ وبه مدينتان سَوْزوار وخُسْرُوجِرْد عامرتان بينهما فرسخ وقرية في المنصف كلاهما على الجادّة وبه قرى جليلة مثل جزينان ونظائرها وهم أهل أدب وقد أخرج عدّةً من العلماءِ والكتبة ويرتفع منه برٌّ كثير.

وكُويَان رستاق واسع كثير الخير يرتفع منه ثمار وحبوب وثياب وفيه طريق إلى جرجان وهم أصحاب حديث وأهل أدب اسم مدينته أزَاذوَار عامرة آهلة كثيرة الخير.

وجاجَرْم زستاق صغير سريٌّ به مدينة لها جامع حسن وهي كبيرة محصَّنة تدعى بهذا الاسم وله نحو سبعين قرية، ويقال: إن لكلّ رستاق من الاثني عشر، ولكلّ ربع ثلاثمائة وستّين قرية غير هذا.

وأَسْفَرَايِنُ رستاق نفيس بلد الأعناب الجيّدة ومزارع الأرزاز الكثيرة يشقُّه جادَّة جرجان مدينته على هذا الاسم عامرة نفيسة ليس في مدائن الرساتيق أجلُّ منها ذات أسواق حسنة وخصائص عدّة وهم أيضاً أصحاب حديث.

وأُسْتُوَا رستاق كبير على جادّة نَسَا وليس في هذه الرساتيق أخصب ولا أكثر حبوباً منه وهو يقوم بأكثر ميرة نيسابور وبه مباخس ويزرع به ثوم كثير ويرتفع منه ثياب كثيرة واسم مدينته خُوجَان ليست بالكبيرة خلف جبل نائية عن الجادّة وسائر الرساتيق عامرات.

وطَابَرَان هي أكبر مدائن طُوس عليها حصن شبَّهتُها من بعيد بيثرب بها سوق حارٌّ ومشايخ وكبار وفوائد وتجار الجامع في الأسواق قد زخرفه ابن عبد الرزّاق، ولهم قنيٌّ قريبة، وآبار كثيرة الخير رخيّة الأسعار واسعة الحطب حسنة الثمار إلاّ أنها بليذة خربة الأطراف باردة رديّة الحمّامات وبئس قوم إذا دارت الدائرات. ونُوقَان دون طابران قد التفّت الأسواق بجامعها حذّاق في نحت البرام ونظائرها وهم قوم

جياد إلاّ أن ماءهم قليل. وجُنَاوِد أصغر منها لها سبعون قرية وبقيّة المنابر أستورقان جرموكان تُرُوغبَذ سَرْكُو رايْكَان برنوخكان.

نَسَا بلد رحب نزيه طيّب غزير المياه كثير الخيرات مشتبك الأشجار حسن الثمار جامع ظريف وخبز نظيف وسوق رصيف له خصائص وظرائف المذهب واحد والرخص دائم مع فقه وأدب واصل وحسب وبأس ومنعة.

أقلّ دار إلاّ وبها بستان وماءٌ جارٍ وقرى كبار إلاّ أن بها كلّ عيّار قد أخربها العصبيّة وحوى ضياعها الخوارزميّة قد زادوا في القرآن ورجّعوا في الأذان وخالفوا الإسلام.

لها عشرة دروب قد غابت في الأشجار لها مدينتان إسْفِينَقَان وجَرْمَقَان ورباطان أَفْرَاوَة وشَارِسْتَانَة.

أفراوة رباط جليل به رجال شهام وعدد من خيل وسلاح ثلاثة حصون متّصلة على أحدها خندق شربهم من عيون فيه وهو في مفازة إلاّ أن الخيرات تجبى إليه وهم جفاة رديُو المعاملة.

وأَبِيوَرْد أعجب إليّ من نسا وأحرُ سوقاً وأرخى وأخصب شربهم من نهر والجامع بالسوق قد خرب حصنها مدينتها مَهْنَة ورباطها كُوفَن.

قَايِن هي قصبة قوهستان لا طيّبة ولا سريّة بل صغيرة ضيّقة ظمئة لسان وحش وبلد قذر ومعاش قليل إلاّ أن عليها حصناً منيعاً واسمها بعمان كبير، ويحمل منها برٌّ كثير، والرفاق إليها تسير، هي فرضة خراسان وخزانة كرمان مشاربهم من قنيّ ولها ثلاثة أبواب.

وطَبَس التَّمْر عليها حصن وسوقها صغير وجامعها لطيف شربهم من حياض تجري إليها قنيٌّ ظاهرة ورأيتُ بها حمّامات طيّبة.

وكُرِي على ثلاثة فراسخ من نحو المفازة دون هذه في العمارة. والرقّة صغيرة قريبة من المفازة شربهم من عيون.

وتُون عامرة آهلة كثيرة الحاكة وبهما علماءُ وكبراءُ. وخَوْسْت عليها حصن على فم المفازة وهي أكبر وأقلُّ أهلاً من تون قليلة الأشجار شربهم من عيون. وطَبَس العُنَّاب تسمّى طبس مَسِينَان كثيرة العنّاب.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم بارد إلاّ سجستان وبُسْت وطبس التمر فإنهنّ على هواءِ جروم الشام وأما بلخ فهواءُها عراقيٌ وهواءُ مرو شاميٌّ وبرد خراسان ألين من برد هيطل وهذا الإقليم كلُّه يابس ثم لا يتساوى اليبوسة أيضاً وكلّما اشتدَّ برد موضع في هذا الإقليم اشتدَّ حرُّه إلاّ سمرقند فإنها طيبة في الصيف وكذلك نيسابور غير أنها ألين برداً من سمرقند وفي هذا الإقليم كلّه ينامون على السطوح وهم في تعب، قال: ودخل عبد الله بن المبارك على عبد الرزّاق بصنعاءَ فسأله عن الهواءِ بخراسان، فقال: إنّا ننام ثلاثة أشهر في البيوت وثلاثة في الصُّفَاف وثلاثة فوق السطوح ثم نرجع على هذا الترتيب قال: إذاً أنتم يا خراسانيُّ أبداً في سفر لي عمري كلَّه أنام في هذا الموضع، وكذلك أكثر الشام وبعض فارس وبعض كرمان ومكثتُ أنا عشرين سنةً ببيت المقدس أنام في البيت، وغَرْجُ الشار حارّة في الصيف.

وهو كثير الأنهار والثمار وليس فيه بحيرة إلاّ بخوارزم مالحة وأخرى بسجستان وأخرى ببخارا[1] عذبتان ولا تجري السفن إلاّ بجيحون ونهر الشاش.

وهو أكثر الإقليم علماً وفقهاً وللمذكِّرين به صيت عجيب ولهم أموال جمّة وبه يهود كثيرة ونصارى قليلة وأصناف المجوس وليس فيه مجذومون ولا يعرفون الجذام وأولاد عليّ رضي الله عنهم فيه على غاية الرفعة ولا ترى به هاشميًا إلاّ غريباً.

ومذاهبهم مستقيمة غير أن الخوارج بسجستان ونواحي هراة كَرُوخ وأستربيان كثيرة وللمعتزلة بنيسابور ظهور بلا غلبة وللشيعة والكرّاميّة بها جلبة والغلبة في الإقليم أصحاب أبي حنيفة إلاّ في كورة الشاش وإيلاق وطوس ونسا وأبيورد وطَرَاز وصنغاج وسواد بخارا[2] وسِنْج والدَّنْدَانَقَان وأَسْفَرَاين وجُويان فإنهم شفعويّة كلُّهم والعمل في هذه المواضع على مذهبهم ولهم جلبة بهراة وسجستان وسرخس والمروَيْن ولا يكون قاضياً إلاّ من الفريقين وخطباءُ المواضع التي استثنينا.

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٢) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

ونيسابور أيضاً شفعويّة وأحد جامعي مرو أيضاً إلاّ أن الإقامة به وبنيسابور مثنى وللكرّاميّة جلبة بهراة وغرج الشار ولهم خوانق بفرغانة والخُتَّل جُوْزجَانَان وبمرو الروذ خانقة وأخرى بسمرقند وبرساتيق هيطل أقوام يقال لهم: بيض الثياب مذاهبهم تقارب الزندقة وأقوام على مذهب عبد الله السرخسيّ لهم زهد وتقرُّب وأكثر أهل تِرْمَذ جَهْميّة وأهل الرقّة شيعة وأهل كُنْدُر قدريّة والشار يصلّي العيدين على قول عبد الله بن مسعود ومذهب أبي حنيفة يوالون بين القراءَتين ويكبّرون أربعاً.

وأما التجارات فترتفع من نيسابور ثياب البيض الخفيّة والبيباف والعمائم الشَهجَانيّة الخفيّة والراختج والتاختج والمقانع وبين الثوبين والملاحم بالقزّ والمصمت والعتّابيّ والسعيديّ والظرائفيّ والمُشْطيّ والحلل وثياب الشعر والغزل المرتفع والحديد وغير ذلك.

ومن نَسا وأبيورد القزُّ وثيابه، والسمسم ودهنه، وثياب الزَنْبَفْت، ومن نَسا ثياب البنبوزيّة وفرى الثعالب، والبزاة. ومن طوس البرام الفائقة والحصر والحبوب ومن رساتيق نيسابور ثياب كثيرة غليظة.

ومن هراة البزُّ الكثير، وديباج دون، وخلدى، والزبيب الطائفيّ، والعنجد الأخضر والأحمر، ودوشابه، وناطفه، والبولاذ، والفستق، وأكثر حلاوات خراسان.

ومن مرو الملاحم، ومقانع القزّ، والإبريسم، والقطن، والبقر، والجبن، والبزر، والشيرج، والنحاس.

ومن سرخس الحبوب والجمال، ومن سجستان التمور، والزنابيل، والحبال من الليف والحصر، ويرتفع من قوهستان ثياب تشابه النيسابوريّة بيض وبسط ومصلّيات حسنة.

ومن بلخ الصابون، والسمسم، والأرزُّ، والجوز، واللوز، والزبيب، والعنجد، والسمن، وعسل الشمسيّ من العنب، والتين، ولبُّ الرمّان، والزاج، والكبريت، والرصاص، وأسبرك، والزرنيخ، والآخرة والوقيات على عمل الجرجانيّة، والأبراد، والأدهان، والجلود.

ومن غرج الشار الذهب، واللبود، والبسط الحسان، والحقائب وما في

معناها، والخيل الجيّدة، والبغال. ومن ترمذ الصابون، والحلتيت، ومن ولْوَالِج السمسم ودهنه، والجوز، واللوز، والفستق، والأرزُّ، والحمّص، والبيرى، والرخبين، والسمن، والقرون، وجلود الثعالب.

ويرتفع من بخارا الثياب الرخوة، والمصلّيات، والبسط، وثياب الفرش الفندقيّة، وصفر المناير، والطبريّ، وحزم الخيل تنسج في المحابس، وثياب أشمونيّ، والشحم، وجلود الضأن، ودهن الرأس.

ومن كَرْمِينِيَة المناديل، ومن دَبُوسِية، ووَذَار ثياب الوَذَارِيّة وهي ثياب على لون المصمت، وسمعتُ بعض السلاطين ببغداد يسمّيها ديباج خراسان.

ومن رَبِنْجَن أزر الشتاءِ من اللبود الحمر، ومصلّيات، وطاسات أسبيدروى، والجلود، ومرير القنب، والكبريت.

ومن خوارزم السمُّور، والسنجاب، وقاقون، وفنك، ودَلَه، والثعالب، وخزبوست، وخركوش ملوّن، وبزبوست، والشمع، والنشّاب، والتوز، والقلانس، وغرا السمك، وأسنان السمك، وخزميان، وكهروا، والكيمخت، والعسل، والبندق، وأبزز، والسيوف، والدروع، والخلنج، والرقيق من الصقالبة، والأغنام، والبقر كلُّ هذا من بُلْغار.

ويرتفع منها عناب، وزبيب كثير، وملابن، وسمسم، وبرود، وفروش، وثياب اللحف، وديباج بيشكش، ومقانع ملحم، وأقفال، وثياب آرَنْج، والقسيُّ التي لا يقوى على معط القوس إلاّ أشدُّ الرجال والرخبين، والمصل، والسمك، والسفن تنحت وتعمل ومن ترمذ أيضاً.

ويحمل من سمرقند ثياب سيمكون، والسمرقنديّة، والقدور العظيمة من النحاس، والقماقم الجياد، والأخبية، والركب، والحكمات، وسيور، ومن دِزَك اللبود الجياد، والأقبية منها.

ومن بَنَاكِث ثياب تركستان، ومن الشاش سروج الكيمخت الرفيعة، والجعاب، والأخبية، وجلود تجلب من الترك وتدبغ، والأزر، والمصلّيات، والبنيقات، والبزر، والقسيُّ الجيّدة، وأبر دون، والقطن يحمل إلى الترك، والمقاريض

ومن سمرقند أيضاً ديباج يحمل إلى الترك، وثياب حمر تسمّى ممرجل،

وسينيزيّ، وقزٌّ كثير وثيابه، والبندق، والجوز. ومن طوس التكك الحسنة، والأبراد الجيّدة، ومن فرغانة وأسبيجاب الرقيق من الأتراك مع الثياب البيض، وآلات السلاح والسيوف، والنحاس، والحديد من طَرَاز بزبوست.

ومن شَلْجِي الفضّة ومن تركستان إلى هذه المواضع تخرج الخيل والبغال وكذلك من الخُتَّل، ولا نظير لديواج، وطراز، وطين، وكماة، وشهجانيّ وأبر، وسكاكين، ورياس، نيسابور، ولا لملابن، وأشترغاز، وبطّيخ مرو الكبير، وعند كلّ من لم يدخل الرملة أنه ليس في الدنيا مثل خبزهم، ولكن لا نظير له في أقاليم الأعاجم، ولا ترى مثل هريستهم، ولا نظير للحمان بخارا[1] وجنس بطّيخ لهم يسمّى الساف ولا لقسيّ خوارزم وغضائر الشاش وكاغد سمرقند وباذنجان نَسا وأعناب هراة.

وبه معادن كثيرة بنيسابور في رستاق رِيوَنْد معدن الفيروزج وبرستاق [. . .][2] معدن السَّبَج وبرستاق بَيْهَق معدن رخام وبطوس البرام وبزُوزَن طين الأكل وبرستاق [. . .][3]. طين الختم، والكتابة

ومعادن الفضّة ببَرْوَان وبَنْجَهِير وشَلْجِي وهو جبل يمدُّ إلى فرغانة، النوشاذر وفضّة وذهب من بارمان وذو الفأر من كورة إيلاق وهو ما يتصاعد من دخان الفضّة وأقلّ ما يقع إلى الناس من خالصه والزيبق عين تفور قرب قُبًا وليست بمعدن، وقد كان أبو يوسف ظنَّ ذلك، ثم أخبر أنه كما قال أبو حنيفة: وبواشجرد زعفران جيّد، وبقواذيان فوّه، وفي هذا الجانب نفط، وفيروزج لا يمكن منه وبه قير وزفت.

ورسومهم تخالف رسوم أقاليم العرب في أكثر الأشياءِ منها أنهم يأخذون الميّت عند الدفن من قبل القبلة صاحب الرأي منهم والحديث، إلاّ الشيعة فإنهم يسلُّونه، وقلتُ يوماً لأهل أبيورد: أنتم قوم على مذهب الشافعيّ رحمه الله تعالى، والأمر لكم في بلادكم، فلمَ لا تسلُّون الميّت سلاًّ؟ قالوا: ما كنّا لنتابع الشيعة، ونخالف المسلمين، ولا يحوّل الإمام وجهه عن يمين وشمال عند الصلاة على

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.
(٢) بياض في الأصل.
(٣) بياض في الأصل.

النبيّ ﷺ إذا خطب، وللمؤذّنين سرير قدّام المنبر يؤذّنون عليه بتطريب وألحان، ولا يتردّى الخطيب، ولا يتقبّى إنّما عليه درّاعة، ولا يسرع الخروج، وفي جوامعهم قدور من نحاس كبار على كراسيّ يطرح في الماءِ الجمدُ يوم الجمعة، ويلبسون الخفاف في الشتاءِ والصيف، وأقلّ ما ينتعلون ويذكّرون بلا دفاتر، فأما بمرو وسرخس وبخارا[1] فلا يذكّر إلاّ فقيه، أو مفسّر، وسائر الإقليم كلُّ من أراد ورسم أصحاب أبي حنيفة يذكّرون في هذه الثلاث بلدان التي ذكرنا بمستملي، وتضرب المقارع بين يدي أجلّة الأمراءِ ويشهد كلُّ أحد في كلّ شيءٍ غير أن في كلّ بلد عدّة من المزكّين، فإن طعن الخصم على الشاهد سُئل عنه المزكّى، ولا يتحنّك فيه إلاّ فقيه أو رئيس.

وبنيسابور رسوم حسنة منها مجلس المظالم في كلّ يوم أحد وأربعاءَ بحضرة صاحب الجيش أو وزيره فكلُّ من رفع قصّة قُدّم إليه فأنصفه وحوله القاضي، والرئيس، والعلماءُ، والأشراف، ومجلس الحكم كلّ إثنين وخميس بمسجد رجاءٍ لا ترى في الإسلام مثله ولوجوه البلد بالغدوات مجالس على أيّام الجمعة يجتمع فيها القرّاءُ يقرأون إلى ضحى.

وتجمُّلهم على ثلاثة أوجه أما الفقهاءُ والكبراءُ فيتطيلسون، ولا يتحنّكون إلاّ من يستحمق، ولهم لبسة يتفرّدون بها في الشتاءِ يتلبّس أحدهم، ويجعل الطيلسان فوق العمائم، ثم يلبس من فوق ذلك درّاعة، ويرخي ما فوق العمامة على طرف الدرّاعة من خلف، ورأيتُ جماعةً بطوس، وأبيورد، وهراة يفعلون ذلك.

وأهل سجستان يكوّرون العمائم مثل التيجان ولا يتطيلس بما وراءِ النهر إلاّ كبير إنّما هي الأقبية المفتوحة وبمرو أنصاف العلماءِ يجعلون الطيالسة ملى أحد أكتافهم مجتمعة فإذا أرادوا أن يرفعوا فقيهاً أمروه بالتطيلس.

ومياههم واسعة أما نيسابور فلهم قنيٌّ تجري تحت الأرض باردة في الصيف يتجوّز إليها من أربع مراقٍ إلى سبعين ثم تظهر في الضياع فتسقيها، ومنها ما يظهر في البلد، ويدور في المحلاّت مثل التي بالحيرة، وبلفاوا، وباب معمر، وقناة أبي عمرو

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

الخفّاف، وقناة شاذياخ[1]، وزقاق الداريّين، وسوار كاريز، كلُّ هذه تجري على وجه الأرض وتجد في بعض المواضع آبار حلوة ولهم نهر على فرسخ بقرية بُشْتَقَان يُدير سبعين رحًى.

وأما سجستان فلها عدَّة أنهار تسقي المدن والضياع منها نهر هِيرمِيد يخرج من ظهر الغُور نحو الجنوب فينحدر إلى مدينة بُسْت ثم يتشعَّب على مرحلة من زَرَنْج فيأخذ نهر الطعام على الرساتيق حتَّى يبلغ نِيشَك، ثم يأخذ منه نهر باشتروذ فيسقي بست، ثم ينحدر فيسقى عدَّة من القرى إلى كزك، وقد بنى ثَمَّ سكرٌ يردُّ الماءِ لئلاَّ يجري إلى البحيرة، ولهذه الكورة نهر فَرَه يخرج من قرب الغور حتَّى يسقي تلك النواحي، ثم يقع فضله إلى بحيرة الصنط ولها عنده بحيرة من نحو كرمان عذبة هي قرار هذه المياه طولها أكثر من عشرين فرسخاً وعرضها مرحلة يرتفع منها سمك كثير عليها ضياع وغياض تشكل بطائح العراق.

ونهر هراة يخرج من تحت الغور، ثم يتشعَّب عند رأس الكورة فتمدُّ منه شعبة إلى القصبة ويتخلَّل البلد، ثم يخرج إلى البساتين وثَمَّ جسر ليس بجميع خراسان أعجب عملاً منه بناه رجل مجوسيٌّ وكتب عليه اسمه، وأنه أكل الصنَّاع في عمله ألف جريب من ملح، ويقال: إن سلطاناً أراد أن يكتب عليه اسمه منهم من قال: أسلم، ومنهم من قال: طرح نفسه في النهر.

---

(١) الشاذياخ: مدينة نيسابور، وكانت قديماً بستاناً لعبد الله بن طاهر بن الحسين ملاصق مدينة نيسابور، فذكر الحاكم أبو عبد الله بن البيِّع في آخر كتابه في تاريخ نيسابور: أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور والياً على خُراسان ونزل بها ضاقت مساكنها من جنده، فنزلوا على الناس في دورهم غصْباً، فلقي الناس منهم شدّة فاتفق أن بعضِ أجناده نزل في دار رجل، ولصاحب الدار زوجة حسنة، وكان غيوراً، فلزم البيت لا يفارقه غيرةً على زوجته، فقال له الجندي يوماً: اذهب واسقِ فرسي ماء، فلم يجسر على خلافه، ولا استطاع مفارقة أهله، فقال لزوجته: اذهبي أنت واسقي فرسه لأحفظ أنا أمتعتنا في المنزل، فمضت المرأة وكانت وضيئة حسنة، واتفق ركوب عبد الله بن طاهر فرأى المرأة فاستحسنها وعجب من تبذّلها فاستدعى بها، وقال لها: صورتك وهيئتك لا يليق بهما أن تقودي فرساً تسقيه فما خبرك؟ فقالت: هذا فعل عبد الله بن طاهر بنا قاتله الله! ثم أخبرته الخبر، فغضب وحوقل، وقال لقد لقي منك يا عبد الله أهل نيسابور شراً، ثم أمر العرفاء أن ينادوا في عسكره من بات بنيسابور حَلّ ماله ودمه، وسار إلى الشاذياخ وبنى بها داراً له وأمر الجند ببناء الدور حوله، فعُمّرت وصار محلّة كبيرة واتصلت بالمدينة فصارت في جملة محالّها، ثم بنى أهلها بها دوراً وقصوراً. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٣٤٦).

ويتشعَّب منه إلى القصبة سبعة أنهار نهر برخوى يسقي رستاق سنداسنك، ونهر بارشت يسقي رستاق كواشان، وسيوشان، ومالِن، ورتيزان، ونهر أذريجان يسقي رستاق سوسان، وكوكان، ونهر غوسمان يسقي رستاق كرك، ونهر كنك يسقي رستاق غوبان وكربكرد، ونهر سنفغر يسقي رستاق سرخس في حدّ بوشنج، ونهر آنجير يسقي القصبة.

وأما نهر المروَيْن فيخرج من تحت الغور فيمدُّ إلى مرو العليا، ثم يعطف إلى السفلى، فإذا صار منه على نحو مرحلة لقيه واد عظيم قد سُدَّ من الجانبين بالحطب عجيب وانحبس الماءُ حتَّى ساوى المصبُّ، ثم مدَّ إلى مرو، وعليه أمير أقوى من أمير الحماية تحت يده عشرة آلاف رجل مرتزق، وعليه حرَّاس يحفظونه لئلاَّ ينبثق.

ولا ترى أحسن ولا أتقن من قسمته، ويحكى عن الذي قسمه أنه قال: ما تركتُ من العدل شيئاً إلاَّ وقد استعملته فيه إلاَّ ما عجزتُ عنه، وقد أقيم لوح فيه شقٌّ على طوله في عرضه شعيرة ربَّما علا الماءُ فبلغ طوله في اللوح ستِّين شعيرة فتكون سنة خصبة ويستبشر الناس بذلك ورفعت المقادير، وإذا كانت ستُّ شعيرات كانت سنة قحط وموضع مقياسهم على فرسخ من المدينة شبه حوض مستدير فإذا قدر المتولّي لذلك أنفذ البريد ساعيةً إلى ديوان النهر خاصَّةً، ثم ينفذون الرسل إلى جميع المتولّين شعب الأنهار، فيقسموا الماءَ على ذلك المقدار وعلى الموضع الذي ذكرنا أوَّلاً أربعمائة غوّاص يراعونه في ليلهم ونهارهم وربَّما احتاجوا دخول الماءِ في البرد الشديد فيطلون أنفسهم بالشمع وعلى كلّ رجل منهم الخشب، وجمع الشوك بشيءٍ معلوم في كلّ يوم يستعدُّونه لوقت الحاجة، وانبثق وأنا بنيسابور، فأشرف الناس على الانجلاءِ وناب عليه الأموال العظيمة، ويتخلَّل البلد منه أربعة أنهار نهر الزُّرْق يجري على باب المدينة من نحو الربض فيدخلها ويتفرَّق في حياض قليلة عميقة والثاني أسعدي منه يشرب أهل محلَّة باب سِنْجان، ومِيرَمَاهَان، ونهر هُرْمُزْفَرَّه من نحو سَرَخْس يسقي طرف البلد، ويسقي الضياع، ونهر الماجان وهو الذي يشقُّ البلد، ويتخلَّل الأسواق، ثم يخرج إلى رأس البلد في شعاب.

وعليه في البلد جسور تعبر إلى الشوارع ولهم حياض مغطَّاة ومكشوفة بمراق وأبواب يفتح إليها من النهر قدر الحاجة ولهم آبار حلوة، وإن استوعبنا ذكر الأنهار والمشارب طال الكتاب ولحق منه ملال.

وأما نهر الصُّغْد فإنه ينتهي ببخارا[1] ودخوله القصبة من كَلاَبَاذ، وقد سجر، وجعل له مفتح واسع وأقيم فيه الخشب فإذا كان الصيف وغزر الماءُ رفعوا تلك الخشب واحدةً بعد واحدة على قدر زيادة الماءِ حتَّى ينقلب أكثره في المفتح، ثم يمدُّ إلى بَيْكَنْد ولولا هذه الحيلة لقلب الماءُ على القصبة، ويسمَّى هذا الموضع فَاشُون وبأسفل المدينة أيضاً مفتح آخر يسمَّى رأس الوَرَغ على هذا العمل وهذا النهر يشقُّ البلد ويتخلَّل الأسواق ويتشعَّب في الشوارع ولهم حياض في البلد واسعة مكشوفة، قد اتُّخذ على حافتها بيوت من الألواح بأبواب يغتسل فيها وربَّما غلب ماءُ النهر المنقلب إلى بيكند فغرق الضياع في الصيف، وغلب في السنة التي أتيتُ ثَمَّ على ضياع كثيرة، وافتقر أقوام، وخرج المشايخ إلى سدّه، وبذل الشيخ أبو العبَّاس اليزداديُّ في ذلك أموالاً جمَّة احتساباً، وهو ماءٌ كدر، ويطرح فيه بلاذات كثيرة في البلد، ويقال: إن أصل اسم بخارا[2] كوه خوران وطرحت الهاءُ والواو للتخفيف فصارت كخارا، ثم أبدلوا من الكاف باءً ليوهموا على الناس فصارت بخارا[3]، وسمعتُ بعض الأدباء ينشد.

إنَّ باءَ بُخارا[4] بَاءٌ زَائِدَة وَٱلأَلِفُ الوُسْطَى بِلاَ فَائِدة، فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ خِرَا، ومصبُّه من سمرقند إلاَّ أن المياه تلقاه، ومبتدأه من الجبال، ومقرُّه في بحيرة خلف الصغانيان، ثم ينصبُّ إلى رأس السكر، ثم ينشعب أنهار سمرقند منها نهر عظيم على ظهر البلد فيدخل البلد.

ولا أعرف بهذا الإقليم ماءً رديًا إلاَّ ماءِ كشٍّ ونَسَا، وبرستاق طبَس التمر ولا به هواءً رديًا إلاَّ زَمّ فإنَّ أهلها مصفرُّو الألوان، وهواءُ نيسابور وسمرقند حسن يحتاج إلى الدسم، وإنَّما طالت أعمار أهل نيسابور من قوّة الهواءِ.

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٢) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٣) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٤) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

قال: وقيل لعبد الله بن طاهر: لِمَ اخترت نيسابور على مرو. قال لثلاثة أشياءَ: لأنّي رأيتُ هواءَها أقوى، وأهلها أوطأ، والمعمَّرين فيها كثيراً.

ومن العجائب بنيسابور جبل ترابه أسود مثل الأنقاس به يكتبون الرسائل وما يجري مجراها ويختمون الكتب وجبال بهيطل ونيسابور يقطعون منها الملح كما يقطع الحجر وبه شجر لها ثمر إذا شُقَّ خرج منه حيوان له أجنحة يطير وماءُ مَازُل ومسجد رجاءٍ وطاحونة برّ، وإيوان أبي مسلم وطواحين الريح بسجستان وبوشنج.

وحصن زرنج من العجائب بسرخس موضع يقصده طير في يوم من السنة فيطرح نفسه فيه ويجمع الناس منه شيئاً كثيراً، وبمزدوران كهف لا يعلم له منتهى.

وبه مشاهد قبر عليّ الرضي بطوس قد بني عليه حصن فيه دور وسوق، وقد بنى عليه عميد الدولة فائق مسجداً ما بخراسان أحسن منه، وعلى فرسخ من سرخس قبر ابن عمّ له قد بني عليه مشهد، على فرسخين من مرو رباط فيه قبر صغير قالوا: هو قبر رأس الحسين بن عليّ رضي الله عنه

بطَبَس قبر صحابيّين، وبحافة جيحون رباط ذي القرنين يقابله من الشرق رباط ذي الكِفْل يقال: إنه كان يجرُّ بينهما سلسلة، بطرف نَسا رباط أفراوة وبإزاءِ أبيورد رباط كُوفَن، وقد بنى خلفها أبو القاسم الميكاليُّ رباطين أنفق عليهما أموالاً جمَّة، وحمل إليهما عدداً وآلات كثيرة، وحبس لهما أوقافاً جليلة، وأنبط فيهما آباراً حلوة، وأنشأ ثَمَّ ضياعاً عدَّة وقبره ثَمَّ، وبين نيسابور وقهستان رباط سهيل يفضَّل، وثَمَّ عين حارَّة ذكروا أن أصحاب النبيّ ﷺ اشتدَّ بهم البرد فدعوا الله تعالى حتّى خرجت لهم هذه العين للوضوءِ، وثَمَّ عدَّة قبور من الصحابة، وفي بيكند جامع يفضّلونه، ورباط النور خلف بخارا[1] له موسم كلَّ سنة، ودست قَطَوَان.

وألسنتهم مختلفة أما لسان نيسابور ففصيح مفهوم غير أنهم يكسرون أوائل الكلم ويزيدون الياءِ مثل بِيكوا وبِيشَوْ ويزيدون السين بلا فائدة مثل بخردستى وبكفتستي وبخفتستي وما يجري مجراها وفيه رخاوة ولجاج، وأهل طوس ونسا أحسن لساناً، وفي كلام سجستان تحامل وخصومة يخرجونه من صدورهم ويجهرون

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

فيه، ولسان بُسْت أحسن، ولا بأس بلسان المروين غير أن فيه تحاملاً وطولاً ومدًّا في أواخر الكلم ألا ترى أن أهل نيسابور يقولون براي أين وهم يقولون: بترون أين يعني من أجل هذا، فقد زادوا حرفاً فتأمّلْ هذا الضرب تجده كثيراً.

ولسان بلخ أحسن الألسن إلاّ أن لهم فيه كلمات تستقبح، ولسان هراة وحش تراهم يفقمون ويتكلّفون ويتحاملون، ثم يخرجون الكلام آخر ذلك ملوثاً بالكَوَه، وسمعتُ بعض أصحاب المعدانيّ يقول أمر بعض ملوك خراسان وزيره أن يجمع رجالاً من خمس كور خراسان التي هي الأصول، فلمّا حضروا تكلّم السجستانيُّ، فقال الوزير: هذا لسان يصلح للقتال، ثم فاتح النيسابوريَّ، فقال: هذا لسان يصلح للتقاضي، ثم تكلّم المروزيُّ، فقال: وهذا لسان يصلح للوزارة، ثم تكلّم البلخيُّ، فقال: وهذا لسان يصلح للرسالة، فلمّا تكلّم الهرويُّ، فقال: وهذا لسان يصلح للكنيف، فهذه أصول ألسنة خراسان، وغيرها تبع لها ومشتقٌّ منها وراجع إليها، فلسان طوس ونَسا قريب من النيسابوريّ، ولسان سرخس وأبيورد قريب من لسان مرو، ولسان غرج الشار بين لسان هراة ومرو، ولسان جوزجان بين المروزيّ والبلخيّ، ولسان باميان وطخارستان قريب من البلخيّ إلاّ أن فيهما انغلاقاً.

ولسان خوارزم لا يفهم، وفي لسان البخاريّين تكرار ألا ترى كيف يقولون يكى أدرمي، ورأيتُ يكى مردي، وغيرهم يقول: أعطيت أدرمي، وقِسْ عليه.

ويكثرون قول: «دانستي» في خلال كلامهم بلا فائدة غير أنها دريّة، وإنّما سمّى ما جانسها دريًّا لأنها اللسان الذي تكتب به رسائل السلطان، وترفع بها إليه القصص، واشتقاقه من الدر وهو الباب يعني أنه الكلام الذي يتكلّم به على الباب.

وأهل سمرقند يستعملون الحرف الذي بين الكاف والقاف يقولون بكردكم وبكفتكم، ونحو ذلك وفيه برد.

ولسان الشاش أحسن ألسنة هيطل، وللصغد لسان على حِدَة يقاربها ألسنة رساتيق بخارا[1]، وهي مختلفة جدًّا مفهومة عندهم، ورأيتُ الإمام الجليل محمّد بن الفضل يتكلّم بها كثيراً، وأقلُّ بلد ممّا ذكرنا إلاّ ولرساتيقه لسان آخر.

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

وألوانهم مختلفة أحسنهم أهل الشاش وفرغانة وما وقع في ذلك الصقع، ثم أهل نسف وطراز وباراب ولا نظير لنسائهم، ثم السمرقنديّون، ثم البخاريّون، ثم المراوزة، ثم لا شيء، وألوان طبس التمر حجازيّة مثل سجستان، وغزنين، وأهل خوارزم بيض حمر غير أن لهم خلقة أخرى.

وبه عصبيات بين نصف نيسابور الغربيّ وهو ما علا منه ينسب إلى منيشك وبين الآخر ينسب إلى الحِيرَة عصبيّات وحشة على غير المذهب وقد صار الآن بين الشيعة والكرّاميّة، ويقع بسجستان عصبيّات بين السمكيّة وهم أصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى وبين الصدقيّة، وهم أصحاب الشافعيّ رضي الله عنه يهراق فيها الدماءُ، ويدخل بينهم السلطان.

وفي سرخس بين العروسيّة وهم أصحاب أبي حنيفة، وبين الأهليّة وهم أصحاب الشافعيّ، وبهراة بين العمليّة والكرّاميّة، وبمرو بين المدنيّين والسوق العتيق، وبنَسا بين الخنه ورأس السوق

وبأبيورد كرداري، ورأس البلد، وسمعتُ رجلاً يقول: ما شرب من ماءٍ قويق إلاّ وتعصّب.

وببلخ عصبيّات على غير المذهب، وكذلك سمرقند، وجميع البلدان قلّ ما تخلو من عصبيّات.

والولايات والخطبة في هذا الإقليم كلّه على آل سامان ويحمل الخراج إلاّ أمير سجستان، وخوارزم، وغرج الشار، وجوزجان، وبست، وغزنين، والختّل فإنهم يبعثون الهدايا حسب ويرتفق أمراؤهم بالأخرجة، وصاحب الجيش مقامه بنيسابور، وسجستان بيد آل عمرو بن الليث، والغرج بيد الشار، وجوزجان بيد آل فريغون، وغزنين وبست مع الأتراك، وأوّل من ملك هذا الإقليم كلّه إسماعيل بن أحمد سنة ٢٨٧، ثم رحل إلى بخارا[1]، وأضاف إليه المعتضد كرمان وجرجان، وأضاف إليه المكتفي سنة ٩٠ الريّ والجبال إلى عقبة حُلْوان، فلما مات لقّبوه الماضي، وجلس بعده ابنه أحمد فقُتل بفِرَبْر، وسمّوه الشهيد، ثم جلس ابنه نصر، وكان حاجبه أبو

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

جعفر ذوغوا، وصاحب جيشه حمّوَيْه، ووزيره أبو الفضل ابن يعقوب النيسابوريُّ، ثم أبو الفضل البَلْعَمِيُّ، ثم أبو عبد الله الجَيْهَانِيُّ، فلما مات سمَّوه السعيد، وجلس ابنه نُوح كان حاجبه رشيق الهنديُّ، ثم ألْفتكِين، وصاحب جيشه أبو عليّ الصغانيُّ، ثم ابن مالك، ثم ابن قراتكين ووزيره أبو منصور بن عُزَير، ثم الحاكم الجليل، فلما مات سمَّوه الحميد، وقد أضاف ثلاثة من بنيه إلى ثلاثة من الخدم عبد الملك إلى نجاح، ومنصوراً إلى فائق، ونصراً إلى ظريف فأجلسوا عبد الملك، ولم يكن في آل سامان مثله كان حاجبه ألفتكين، ثم استخلف غلامه، وصاحب جيشه ابن مالك، ثم ألفتكين فوقع عن الدابّة ومات فسمَّوه الرشيد، وأجلسوا ابنه نصراً يوماً واحداً فجمع فائق العسكر وخلعه، وأجلس مولاه المنصور وكان حاجبه أبو منصور باقري ثم قلج، وصاحب جيشه ابن عبد الرزّاق، ثم أبو الحسن ابن سيمجور، ووزيره أميرك بلعميّ، ثم العتبيُّ، ثم ردَّ البلعميَّ، ثم ردَّ العتبيَّ، فلما مات سمَّوه السديد، وأجلسوا ابنه نوحاً، وكان حاجبه تاش، ثم هو أنج، وصاحب جيشه ابن سيمجور، ثم ولّاها تاش، ثم ردَّ أبا الحسن ابن سيمجور، ووزيره ابن الجَيْهانيّ، ثم ابن العتبيّ، ثم المزنيُّ، ثم الإصطخريُّ، ثم عبد الله بن عزير، ثم أبو عليّ محمَّد بن عيسى الدامغانيُّ، وهم من قرية بنواحي سمرقند يقال لها: سامان، وأصلهم يرجع إلى بهرام جور، وقد أعطاهم الله الظفر والتمكين، وهم من أحسن الملوك سيرةً، ونظراً، وإجلالاً للعلم وأهله، ومن أمثال الناس: «لو أن شجرة خرجت على آل سامان ليبست» ألا ترى إلى عضد الدولة، وتجبُّره، وتمكُّنه، وكمال دولته، وفتوّة أمره.

خُطب عليه بجميع اليمن وأصابها من غير حرب ولا دبّ إلاّ بكتاب كتبه ورسول أنفذه، وخطب له بالسند وفتح عمان، وملك ما ملك، فلمّا تعرّض لآل سامان وطلب خراسان أهلكه الله وشتَّت جمعه وفرَّق جيوشه ومكَّن أعداءه من ممالكه فتبًّا بمن عاند آل سامان.

ومن رسومهم أنهم لا يكلّفون أهل العلم تقبيل الأرض ولهم مجالس عشيّات جُمَع شهر رمضان للمناظرة بين يدي السلطان فيبدأ هو فيسأل مسألةً ثم يتكلّمون عليها وميلهم إلى مذهب أبي حنيفة وليس من رسمهم الانبساط إلى الرعيّة وإنّما الوزير الذي يمشّي الأمور بلى إذا أرادوا أن يرفعوا رجلاً أجلسوه معهم على الخوان كما فعل بالشيخ أبي العبّاس اليَزْدَاديّ وربّما شافهوا الرسل عند المهمّات كما شافهوا

الشيخ أبا صالح لما أنفذوه إلى صاحب الجيش أبي الحسن، ويختارون أبداً أفقه مَنْ ببخارا[1] وأعفّهم فيرفعونه ويصدرون عن رأيه ويقضون حوائجه ويولّون الأعمال بقوله مثل الشيخ الإمام الجليل محمَّد بن الفضل حتَّى إن الناس قد ترافعوا ذلك فهم يشيرون إلى من يكون بعده ألا ترى إلى إشارتهم إلى الحاكم الإمام محمَّد بن يوسف لأنه أفقه الكهول وأصونهم.

وأما الخراج فعلى فرغانة مائتا ألف وثمانون ألفاً محمَّديّة، وعلى الشاش مائة ألف وثمانون ألفاً مسيّبيّة، وعلى خجندة من مقاطعة الأعشار مائة ألف مسيّبيّة، وعلى الصغد وكشّ ونسف وأشروسنة ألف ألف وتسعة وثلاثون ألف واحد وثلاثون درهماً محمَّديّة، وخراج أسبيجاب أربعة الدوانيق ومكنسة تبعث إلى السلطان كلّ سنة مع الهدايا.

وخراج بخارا[2] ألف ألف ومائة ألف وستّة وستّون ألفاً وثمانمائة وسبعة وتسعون درهماً غطريفيّة، وكانوا ثلاثة أخوة محمَّد ومسيَّب وغِطْرِيف ضربوا هذه الدراهم وهي سود على عمل الفلوس لا تنفق إلاّ بهيطل ولها فضل على البيض، وخراج الصغانيان ثمانية وأربعون ألفاً وخمس مائة وتسعة وعشرون درهماً، وعلى وخّان أربعون ألفاً، وعلى خوارزم أربعمائة ألف وعشرون ألفاً ومائة وعشرون بدراهمهم وهي أربعة دوانيق ونصف.

ووجدتُ في بعض الكتب أصل خراج خراسان أربعة وأربعون ألف ألف وثمان مائة ألف وتسعمائة وثلاثون درهماً وثلاثة عشر درهماً ومن الدوابّ عشرون دابّة وألفا شاة ومن الرقيق ألف واثنا عشر رأساً ومن البرود وصفائح الحديد ألف وثلاثمائة قطعة.

وأما الضرائب فهيّنة ويصعبون بحافة جيحون في الرقيق ولا يعبّرون غلاماً إلاّ بجواز من السلطان ويأخذون مع الجواز سبعين إلى مائة وكذلك على الجواري بلا جواز إذا كانوا أتراكاً ويأخذون على المرأة عشرين إلى ثلاثين درهماً وعلى الجمل

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٢) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

درهمين وعلى قماش الراكب درهماً ويردُّون سبائك الفضّة إلى بخارى ومن أجلها يقع التفتيش وفي المنازل من درهم إلى نصف.

وأما المسافات فتأخذ من أَخسِيكَت إلى قُبَا مرحلة، ثم إلى أُوش مرحلة، ثم إلى أُوزكَند مرحلة، ثم إلى العَقَبَة مرحلة، ثم إلى طباش مرحلة، ثم إلى بَرْسَخَان الأعلى ٦ مراحل، ثم إلى موضع بُغْراخاقان مثلها.

وتأخذ من أخسيكت إلى باب بريدين، ثم إلى تُرْمُغان نصف مرحلة، ثم إلى جاجستان مرحلة، ثم إلى صامْغَر بريدين، ثم إلى خُجَنْدَة مرحلة.

وتأخذ من أَسْبِيجَاب إلى شَاواب بريدين، ثم إلى بَدُوخكَث مثلهما، ثم إلى تمتاج مرحلة، ثم إلى بَارْجَاخ بريدين، ثم إلى منزل مرحلة، ثم إلى شَاوَغَر نصف مرحلة ومن شاوغر إلى طَرَاز بريدين.

وتأخذ من أسبيجاب إلى غَزْكَرْد بريدين، ثم إلى بِنْكَث مرحلة وتأخذ من بنكث إلى سُتُوركث مرحلة، ثم إلى بَنَاكِث بريدين، ثم إلى نهر الشاش بريدين، ثم إلى خَاوَص مرحلة، ثم إلى زَامِين مرحلة.

وتأخذ من بنكث الشاش إلى معدن الفضّة مرحلة، ثم إلى جاجستان مرحلة، ثم إلى ترمغان مرحلة، ومن بنكث إلى غركرد مرحلة، ثم إلى أسبيجاب بريدين.

وتأخذ من زامين إلى خاوص مرحلة وتأخذ من زامين إلى ساباط بريدين، ثم إلى شَاوَكَث مرحلة، ثم إلى خُجَنْدَة مرحلة.

وتأخذ من سمرقند إلى زَرْمَان مرحلة، ثم إلى رِبِنْجَن مرحلة، ثم إلى الدَّبُوسِيَّة مرحلة، ثم إلى كرمِينِية مرحلة، ثم إلى الطَّوَاوِيس مرحلة، ثم إلى دِيمَس مرحلة، ثم إلى بخارا[1] مرحلة.

وتأخذ من سمرقند إلى زامين مرحلة، ثم إلى خَاوَس مرحلة، ثم إلى بَنَاكِث مرحلة، ثم إلى سُتُوركَث مرحلة، ثم إلى بنكث مرحلة.

وتأخذ من سمرقند إلى دِرِزْدَه مرحلة، ثم إلى كِشّ مرحلة، ثم إلى كَنْدَك

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

مرحلة، ثم إلى باب الحديد مرحلة، ثم إلى قرنة مرحلة، ثم إلى تِرْمِذ مرحلة.

وتأخذ من بخارا[1] إلى بَيْكَنْد مرحلة، ثم إلى مِيَان كال مرحلة، ثم إلى فَربر مرحلة، ثم إلى جيحون نصف فرسخ.

وتأخذ من بخارا[2] إلى جكم مرحلة، ثم إلى رباط عتيق مرحلة، ثم إلى جُبّ سعيد مرحلة، ثم إلى بَزْدة مرحلة، ثم إلى رباط خواران مرحلة، ثم إلى قرية البُخَاريّين مرحلة، ثم إلى قرية الخُوَارِزْميّين مرحلة، ثم إلى بلخان مرحلة، ثم إلى كَالِف مرحلة، ثم إلى محلّة القِياسين مرحلة، ثم إلى تِرْمِذ مرحلة.

وتأخذ من بخارا[3] إلى أمزه بريدين، ثم إلى رباط تاش مرحلة، ثم إلى شوروخ مرحلة، ثم إلى الرمل مرحلة، ثم إلى رباط طُغَان مرحلة، ثم إلى رباط جِكَرْبَنْد مرحلة، ثم إلى رباط حسن مرحلة، ثم إلى نابادغين مرحلة، ثم إلى مضيف النهر مرحلة، ثم إلى رباط ماش مرحلة، ثم إلى رباط سنده مرحلة، ثم إلى بغرقان مرحلة، ثم إلى شُرَاخَان مرحلة، ثم إلى كاث مرحلة.

وتأخذ من كاث إلى خاس مرحلة، ثم إلى نُوزْكات بريدين، ثم إلى وايخان على اليمين مرحلة، ثم إلى نُوبَاغ مرحلة، ثم إلى مَزْدَاخْقَان في مفازة مرحلتين، ثم إلى درسان بريدين، ثم إلى كَرْدَر مرحلة، ثم إلى جُويِقَان بريدين، ثم إلى قرية براتكين مرحلة، ثم إلى البحيرة مرحلة.

وتأخذ من رباط ماش إلى أمير مرحلة، ثم إلى باراب سار مرحلتين، ثم إلى أَرْذَخِيوَه مرحلة، ومن مزداخقان إلى وردراغ مرحلة، ثم إلى كردر مرحلة.

وتأخذ من كاث إلى غردمان مرحلة، ثم إلى وايخان بريدين، ثم إلى أرذخيوه بريداً، ثم إلى نوكباغ مرحلة.

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٢) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٣) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

وتأخذ من أوزارمند إلى دسكاخان خاس بريدين، ثم إلى رَخُشْمِيثَن مرحلة، ثم إلى خِيوَه مرحلة، ثم إلى كردرانخاس بريدين، ثم إلى زردوخ بريداً، ثم إلى هزاراسب بريدين، ومن أوزارمند إلى روزوند بريد، ثم إلى نوزوار مرحلة، ثم إلى زَمَخْشَر مرحلة وكذلك إلى الجرجانيّة.

وتأخذ من بخارا[1] إلى نَخْشَب[2] في مفازة ثلاثين فرسخاً فيها رباطات، ثم إلى الصَّغَانِيَان تمام ١٠ مراحل.

وتأخذ من الصغانيان إلى دارزَنْجِي أو إلى بَاسَنْد أو بانياب أو سَنكُرْدة مرحلة مرحلة ومن الصغانيان إلى بوراب بريدين ومن الصغانيان إلى بهام أو غشّ أو زينور ثلاثاً ثلاثاً ومن الصغانيان إلى هنبان مرحلتين ومن الصغانيان إلى الخُتَّل ٣٠ فرسخاً ومن الصغانيان إلى سمرقند ٤٠.

وتأخذ من بلخ إلى خُلْم مرحلتين، ثم إلى وَرْوَالِيز مثلها، ثم إلى الطَّالَقَان مثلها، ثم إلى بَذَخْشَان ٧ مراحل.

ومن خلم إلى سِمِنْجَان مرحلتين، ثم إلى أَنْدَرَابة ٥ مراحل، ثم إلى كَارْبَايَه ٣ مراحل، ثم إلى بَنْجَهِير مرحلة، ثم إلى فَرَوَان مرحلتين.

وتأخذ من بلخ إلى بَغْلَان ٦ مراحل ومن سمنجان إلى بغلان ٤، وتأخذ من بلخ إلى مذر ٦ مراحل، ثم إلى كَه مرحلة، ثم إلى البَامِيَان ٣ مراحل.

ومن بلخ إلى أُشْبُورقان مثلها، ثم إلى الفَارِيَاب مثلها، ثم إلى الطَّالَقَان مثلها، وتأخذ من بلخ إلى شَاوْكَرْد مرحلة، ثم إلى تِرْمِذ مرحلة.

وتأخذ بين اليَهُودِيّة إلى القاع مرحلة، ثم إلى أشبورقان مثلها، ثم إلى السِّدْرَة مرحلة، ثم إلى الدَّسْتَجِرْدَة مرحلة، ثم إلى بلخ نصف مرحلة.

وتأخذ من اليهوديّة إلى قصر الأمير مرحلة، ثم إلى فارياب مرحلة، ثم إلى كرك مرحلة، ثم إلى الطالقان مرحلة.

---

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

(٢) نخشب: من مدن ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند، وليست على طريق بخارى، فإن القاصد من بخارى إلى سمرقند يجعلها عن يساره وهي نَسَف نفسها. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٣١٩).

وتأخذ من اليهوديّة إلى أَنْبَار مرحلة، ثم إلى رباط مرحلة، ثم إلى بلخ مرحلة.

وتأخذ من فارياب إلى آسْتَانَة مرحلة، ثم إلى جوبين وملين مرحلة، ثم إلى أَنْدَخُوذ مرحلة، ثم إلى رباط أَفْرِيغُون مرحلة، ثم إلى قنيّ غياث مرحلة، ثم إلى كركوه مرحلة.

وتأخذ من مرو إلى فَاز مرحلة، ثم إلى مَهْديّ آبَاذ مرحلة، ثم إلى بَحِيرَابَاذ مرحلة، ثم إلى القَرِينَيْن مرحلة، ثم إلى أَسْدَابَاذ مرحلة، ثم إلى حَوْزَان مرحلة، ثم إلى قَصْر أَحْنَف بريدين، ثم إلى أَرَسْكَن مرحلة، ثم إلى الأَسْراب مرحلة، ثم إلى كنجاباذ مرحلة، ثم إلى الطَّالَقَان مرحلة، ثم إلى كسحان مرحلة، ثم إلى اليهوديّة مرحلة.

وتأخذ من مرو إلى جَرُوجِرْد مرحلة، ثم إلى الدَّنْدَانَقَان مرحلة، ثم إلى تلستانة مرحلة، ثم إلى أُشْتُرْمَغَك مرحلة، ثم إلى سَرَخْس مرحلة.

وتأخذ من مرو إلى كُشْمَيْهَن[1] مرحلة، ثم إلى رباط الحديد مرحلة، ثم إلى رباط نصرك مرحلة، ثم إلى جبّ حمّاد مرحلة، ثم إلى رباط بارس مرحلة، ثم إلى آمل مرحلة، ثم إلى جيحون فرسخاً.

وتأخذ من أبشين إلى رباط شور مرحلة، ثم إلى رباط شار مرحلة، ثم إلى قرية القاضي مرحلة، ثم إلى شورمين مرحلة، ثم إلى قرية المجوس مرحلة، ثم إلى خاره مرحلة، ثم إلى رباط ميانه مرحلة، ثم إلى كَرُوخ مرحلة، ثم إلى هراة مرحلة.

وتأخذ من أبشين إلى رباط كُرْزُوَان مرحلة، ثم إلى مرزك مرحلة، ثم إلى رباط روذ مرحلة، ثم إلى مرو الروذ مرحلة، ثم إلى جسر حر مرحلة، ثم إلى الطالقان مرحلة، ومن أبشين إلى دزةَ إلى مرو الروذ ١٠ فراسخ.

وتأخذ من هراة إلى أسفزار ٣ مراحل وإلى مالن أو إلى كروخ أو إلى باشان مرحلة مرحلة.

وتأخذ من باشان إلى خَيْسار مرحلة، ثم إلى أستربيان مرحلة، ثم إلى مَارَآبَاذ

(١) كشماهن: وفي معجم البلدان كشميهن بالياء، قرية عظيمة من قرى مرو، وعلى طرف البرية آخر عمل مرو لمن يريد قصد آمل جيحون. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٥٢٦).

مرحلة، ثم إلى أَوْفَه مرحلة، ثم إلى خَشْت مرحلة وأنت في الغور. وتأخذ من هراة إلى بَيْنَة مرحلتين، ثم إلى كيف مرحلة، ثم إلى بَغْشُور مرحلة.

وتأخذ من غَزْنِين إلى رباط البارد مرحلة، ثم إلى أسناخ مرحلة، ثم إلى حنس مرحلة، ثم إلى الباميان مرحلة.

وتأخذ من غزنين إلى كَرْدِيز مرحلة، ثم إلى أوغ مرحلة، ثم إلى لجان وبها عين ماءٍ، ثم إلى وَيْهِنْد تمام ١٧ منزلاً وأنت في بلاد السند والهند.

وتأخذ من بست إلى رباط فيروزقند مرحلة، ثم إلى ميغون مرحلة، ثم إلى رباط كِشّر مرحلة، ثم إلى بَنْجَوَاي مرحلة، ثم إلى بكراباذ مرحلة، ثم إلى خرساد مرحلة، ثم إلى رباط سراب مرحلة، ثم إلى رباط الأوقل مرحلة، ثم إلى خِنْكِل أباذ مرحلة، ثم إلى قرية غرم مرحلة، ثم إلى قرية خاست مرحلة، ثم إلى قرية جومة مرحلة، ثم إلى خَايِسَار مرحلة

وتأخذ من سفنجاوى إلى رباط مرحلة، ثم إلى جنكى مرحلة، ثم إلى رباط الحَجَرِيّة مرحلة، ثم إلى بنجواي مرحلة.

وتأخذ من بست إلى دَاوَر ٤ مراحل، ثم إلى الغُور مرحلة. وتأخذ من زَرَنْج إلى كَرْكُويَه مرحلة، ثم إلى بَشْتَر مرحلة، ثم إلى جُوَيْن[1] مرحلة، ثم إلى بستك مرحلة، ثم إلى كنجر مرحلة، ثم إلى سرشك مرحلة، ثم إلى وادي فَره مرحلة، ثم إلى فره مرحلة، ثم إلى دَرَه مرحلة، ثم إلى كوستان مرحلة، ثم إلى جاشان مرحلة، ثم إلى قناة سَرِي مرحلة، ثم إلى الجبل الأسود مرحلة، ثم إلى جامان مرحلة، ثم إلى هراة مرحلة.

وتأخذ من زرنج إلى زانبوق مرحلة، ثم إلى سروزن مرحلة، ثم إلى حروري مرحلة، ثم إلى دَهَك مرحلة، ثم إلى رباط كرودين مرحلة، ثم إلى رباط قُهَسْتان مرحلة، ثم إلى رباط عبد الله مرحلة، ثم إلى بُسْت مرحلة.

وتأخذ من زرنج إلى جِزه ٣ مراحل، ثم إلى فَره أو إلى القَرْنين مرحلتين

---

(١) جُوَيْن: اسم كورة جليلة نزهة على طريق القوافل من بسطام إلى نيسابور، تسميها أهل خُراسان كُويان فعُرّبت فقيل: جُوَين، حدودها متّصلة بحدود بيهق من جهة القبلة وبحدود جاجرَم من جهة الشمال، وهي كورة مستطيلة بين جبلين في فضاء رطب. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٢٢٣).

مرحلتين ومن فره إلى نه مرحلة ومن زرنج إلى الطاق مرحلة ومن زرنج إلى كِشّ ٣٠ فرسخاً. وتأخذ من قَاين إلى تُون مرحلة، وتأخذ من قاين إلى يُنَابِد مرحلتين، ثم إلى كُنْدُر مثلها، ثم إلى طُرَيْثِيث بريدين، ومن ينابد إلى سَنْكَان مرحلة، ثم إلى جايمن مرحلة، ثم إلى مَالِن كواخَرْز مرحلة، ثم إلى بُوزْجَان مرحلتين، ثم إلى الملاَّحة مرحلة، ثم إلى القصر مرحلة.

وتأخذ من نيسابور إلى بيسكند مرحلة، ثم إلى حسيناباذ مرحلة، ثم إلى خُسْرَوْجِرْد مرحلة، ثم إلى التُوق أو إلى يحيى أباذ مرحلة، ثم إلى مَزِينَان وبَهْمَن أباذ مرحلة، ثم إلى أَسَدَاباذ مرحلة، ثم إلى هَفْدَر مرحلة. وتأخذ من نيسابور إلى قصر الرِّيح[1] مرحلة، ثم إلى الرَّمَادَة مرحلة، ثم إلى صاهه مرحلة، ثم إلى مزدوران مرحلة، ثم إلى أوكينة مرحلة، ثم إلى سرخس مرحلة.

وتأخذ من قصر الريح إلى فرهاكرد مرحلة، ثم إلى نوكده مرحلة، ثم إلى مالايكرد مرحلة، ثم إلى بُوزْجَان مرحلة، ثم إلى كلنا مرحلة، ثم إلى النق مرحلة، ثم إلى أمده مرحلة، ثم إلى هراة مرحلة. وتأخذ من القصر إلى الملاَّحة مرحلة، ثم إلى سَنْكَان مرحلة، ثم إلى يُنَابِد مرحلتين.

وتأخذ من نيسابور إلى كلكاو مرحلة، ثم إلى الدارين مرحلة، ثم إلى نمخكن مرحلة فمن أراد نَسا أخذ إلى ريك مرحلة، ثم إلى فرخان مرحلة، ثم إلى بردر مرحلة، ثم إلى بغداو مرحلة، ثم إلى نَسا مرحلة، ومن أراد أبيورد أخذ إلى دزاوند مرحلة، ثم إلى حويران مرحلة، ثم إلى قلميهن مرحلة، ثم إلى أبيوَرْد مرحلة ومن قلميهن إلى كُوفَن مرحلة ومن كوفن إلى أبيورد مرحلة.

وتأخذ من نيسابور إلى بغيشن مرحلة، ثم إلى القرية الحمراءِ مرحلة، ثم إلى المشهد مرحلة، ثم إلى طَابَرَان بريدين.

وتأخذ من نيسابور إلى نشديغن مرحلة، ثم إلى رباط مرحلة، ثم إلى آخر مرحلة، ثم إلى طُرَيْثِيث مرحلة، وتأخذ من نيسابور إلى ريونْد مرحلة، ثم إلى مَهْرَجَان مرحلتين، ثم إلى أسفراين مثلها، وقد اختصرنا مسافات هذا الإقليم.

---

(١) قصر الريح: قرية بنواحي نيسابور. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٠٦).

إقليم الدَّيلَم

هذا إقليم القزّ والصوف به صنّاع حذّاق، وفواكه تحمل إلى الآفاق، وبزّه معروف بمصر والعراق، كثير الأمطار، مستقيم الأسعار، مصر ظريف، ولهم عمل لطيف، يجلّون الشريف، ويرحمون الضعيف، كبراءُ في الفقه وأجلّة في الحديث رجال في القتال وكلٌّ عفيف، رسوم حسان وذيل نظيف، بحر عميق به مدن تطيف، به أسماك سريّة وضياع جليلة وفواكه لذيذة وأشياءُ متضادّة وأرزاز كثيرة به تين وزيتون وأترنج وخرنوب كثير العنّاب، حسن الأعناب، رساتيق رحاب، ومدن طياب، وخيش عجاب، واسم كبير، وماءٌ غزير، ودخل كثير، وبزٌّ خطير.

وإنّما نسبناه إلى الديلم لأن به ديارهم وفيه ملكهم ومنه منبعهم وهم اليوم قوم قد استولوا على ما يُصاقبهم من البلدان واحتووا على أئمّة الإسلام، وأذعن لهم الخاصُّ والعامّ، ولم نجد لهذا الإقليم اسماً يجمع كوره فأضفناه إليهم ولقّبناه بهم لنفصّل كوره ونشهر أمره وليس هو بالكبير ولا مدنه بالكثير ولولا أن اسم الجبال مشتقٌّ ولها من العراق حظًا لأضفنا هذا الإقليم إليها وجعلنا الريّ مصرها وقومس من نواحيها.

وقد جعلناه خمس كور أوّلها من قبل خراسان قُومِس ثم جُرْجَان ثم طَبَرِسْتَان ثم الدَّيْلَمَان ثم الخَزَر والبحيرة متوسّطة في هذه الكور غير قومس فإنها متعالية في الجبال متوسّطة بين الريّ وخراسان تفصل بينها وبين البحيرة كورة طبرستان.

فأما قُومِس فإنها كورة رحبة نزهة حسنة الفواكه وهي ثمانون فرسخاً في سبعين وأكثرها جبال قليلة المدن خفيفة الأهل كثيرة الأنعام ثقيلة الخراج معتدلة الهواءِ قصبتها الدَّامَغَان ومدنها سِمْنَان بِسْطَام زغنة بِيَار مُغُون.

وأما جُرْجان فإنها كورة سهليّة جبليّة لولا البرد لعملت فيها النخيل ذات أترنج وزيتون وعنّاب وتين غزيرة الأنهار كثيرة البساتين لها رستاق جليل والخيرات بها كثير

والبحر قريب والمصر ظريف والاسم كبير والخراج ثقيل اسم القصبة وهي مصر الإقليم شَهْرَسْتَان ومن مدنها أَسْتَراباذ وآبَسْكُون أَلْهَمْ آخُرُ الرِّبَاط.

وأما طبرستان فإنها كورة سهليَّة بحريَّة ولها أيضاً جبال كثيرة الأمطار قشفة كربة وسخة مبرغثة عائمة أخبازهم الأرزُّ كثيرة الأسماك والثوم وطير الماءِ وبها مزارع الكتَّان والقنب قصبتها آمُل ومن مدنها سَالُوس ميلة مَامَطِير تُرُنْجَى سَارِيَة طَمِيسَة هرى بود مَمَطِير نامية تمِيشَة.

وأما الدَّيْلَمان فإنها كورة في الجبال صغيرة المدن لا ترى لهم لباقة ولا علم ولا ديانة بل ثَمَّ دولة ورجلة وهيبة ولهم رسوم عجيبة وقرى كثيرة وقد أضفنا إليها الجِيلَ لأن أكثر الناس لا يكادون يفرقون بينهم فقصبة الديلم بروان ومن مدنها ولامر شكيرز تارَمَ خشم وللجيل دُولاَب بَيْلَمَان شَهْر كُهَن رُوذ.

وأما الخَزَر فإنها كورة واسعة خلف البحيرة قشفة كربة كثيرة الأغنام، والعسل، واليهود. بآخرها سدُّ يأجوج ومأجوج وعلى تخومها بلدان الروم ولها نهران أكثر مدنهم عليهما يقلبان في البحيرة.

وعلى تخومها من قبل جرجان جبل بِنْقِشْلَه قصبتها إتِل ومن مدنها بُلْغَار سَمَنْدَر سُوَار بغند قيشوى خَمْلِيخ بَلَنْجَر البَيْضَاءُ.

الدَّامَغَان قصبة صغيرة في حصباءَ خربة الأطراف رديَّة الحمَّامات لا حسنة الأسواق ولا كثيرة الأجلَّة غير أنها جيِّدة الهواءِ وفي أهلها وطاءٌ عليها حصن بثلاثة أبواب باب الريِّ باب خراسان باب [. . .][1]، ولهم سوقان سفل وعلو كدار صغيرة وقف على رباط أَفْرَاوَة ودِهِسْتَان وأبناءِ السبيل ولا يخرج منه كريٌّ ولا تُقْبَلُ عليه زيادة فهم يتوارثونه والجامع في الأزقَّة بهيٌّ لطيف ولهم حياض مثل حياض مرو.

وسِمْنَان على الجادَّة بها جامع لطيف في السوق وماءٌ يخترقها بالنوبة وحياض تملأ منه وقد خفَّت وقبلها قرية سِمنَانَك من نحو الريّ بها سوق حارٌّ.

وبِسْطَام خفيفة الأهل كثيرة البساتين حسنة الفواكه نزهة الرستاق ظريفة الجامع كأنه حصن وسط الأسواق ولهم ماءٌ جارٍ.

---

(١) بياض في الأصل.

ومُغُون على سكّة خراسان وزغنة زريعة حسنة الثمار. وبِيَار بلدة لها قلعة وأسوار، ومزارع وأنهار، وكروم وثمار، وذكر بالأقاليم والجبال ولهم بخراسان أعمال وإيسار، مع دين ورجلة وإعمار، وفي الأدب أئمّة وأعلام، معدن الإبل والأسمان والأغنام، وحذق في بناءٍ وإرسام، ومروّات وصدقات وإسلام، وصلاح عليه الخاصُّ والعامّ، لا ترى النساءُ في البلدة بالنهار، ولا بها قيان ولا خمّار، ولا بدعة يراها الفريقان ولا غير حنيفيّ لهم فقيه ونظّار، ومع ذاك لهم اسم في الأقطار، وفي الأفروشة عندي علم وأخبار، وفي الأملاك أعاجيب وأسمار، مياسير بأموال وأنعام، مشاهير بالطاف وأكرام، إلاّ أن لها عيوباً وأحزاناً ليس بها منبر على رسم البلدان، والسوق في الدور والباعة نسوان، لا يؤدُّون طاعة لسلطان، والماءُ ضيّق الأرض وبستان، بالطرجهارة يقسم على رسم أرّجان، وتعصُّب وحش مع أصحاب كرّام ومرجوعة من الديلم إلى آل سامان، والأرحية تحت الأرض والماءُ محدار، وكونها بمفازة غير مختار، وهي بحصنين بينهما منازل المسجد الكبير في الحصن الداخل منه باب واحد وفي وسطه قلعة هائلة خراب وللحصن الخارج ثلاثة أبواب محدّدة والبيادر داخل الحصن.

وإنّما استقصينا وصفها كالقصبات لأن أصل أخوالي منها وكلُّ قومسيّ تراه ببيت المقدس فاعلم أنه منها وقد كانوا عرفوا جدّنا أبا الطيّب الشوا وذكروا أنه رحل إلى الشام مع ثمانية عشر رجلاً أيّام الحَمْريّة.

شَهْرَسْتَان هي مصر الإقليم وقصبة جرجان، كثيرة الفواكه والزيتون والرمّان، ومشاكلة رَمْلَة فلسطين في البلدان، لها بهاءٌ وآتين أهل مروّة وإتقان، وفيهم وطاءٌ وظرف ولطف وإحسان، حسنة الأسواق والمساجد والآتيان، جيّدة البطّيخ والحلواءِ والباذنجان، وكأنّما عجن الخبز بالزيت والأدهان.

بها النارنج والأترنج والعنّاب، والنخل لولا برد يفسد الأرطاب، وسمك عجيب شبه ثيران، فهي بلدة سريّة عظيمة القدر والشان، وأنهار عليها جسور وطيقان.

وبها علم ودين وأشياخ وأموال وقد زخرفوا الجامع وأزّروا الحيطان، وهو بنصفين كفسا وبغداد وعلى الرسم حذاءِ المنبر دكّان، وإزاءَ دار الأمير إلى ثَمّ ميدان، وآذان بتطريب وألحان، والخطيب حنفيٌّ والإقامة اثنان.

ولها البحر ورستاق دِهِسْتَان، وقد غابت في رياض وأشجار وأقصاب وخُزْمَارُوذ فلا تنسى فآفة العلم نسيان، به تين وزعرور ورمّان، بلا منع ولا طرد ولا دفع أثمان، وأجبال عامرة على نعت لبنان، وخانات ظريفة ومسجد دينار فهذا صحيح كلّه ولكن فاسمع الآن، هو مصرٌ حرُّه شديد مع كرب وذبّان، وبراغيث ضارية إليها صرفنا اسم كركان، والتين حمّاءُ والماءُ آكران، ومن حلّها من بلده فليعدد الأكفان، فإن بها منجلاً يحصد الأبدان، وتراهم على رأس الجمل يوم النحر حزبان، فمجروح ومضروب وحيران، ولا يفارقهم هرج وقتل وجيشان، جيش من الديلم والآخر من ترك سامان، وتعصُّب وحش عليه الفريقان، وتشيُّع مفرط مع خلق قرآن، لها تسعة دروب أوّلها درب سليمان، ثم درب القومسيّين، ثم درب لشارع حيّان، ثم درب كندة، ثم درب الباذنجان، ودرب الباركاه قبله درب خراسان، فهذا ما أتقنتُه من وصف جرجان.

وبَكْرَابَاذ ملتزقة بها بينهما نهر وقناطر وهي شبه مدينة عامرة بها مساجد ومشايخ وأجلّة والمقابر ممتدّة تقابل المصر على نهر بجسر ولهم نهر آخر في العراض يسمّى طَيْفُورى أنظف وأعذب من الآخر ولهم آبار حلوة.

وأَسْتَرَابَاذ أطيب هواءً وأصحُّ ماءً من جرجان عامّتهم حوكة القزّ حذّاق فيه وقد خرب حصنها وانطمّ الخندق والجامع في السوق على بابه نهر.

وآبَسْكُون بحريّة عليها حصن من آجرّ والجامع في السوق والنهر طرف البلد وهي فرضة جرجان ومطرح الرحاب. وهرى بحريّة دون آبسكون وأخفُّ أهلاً وفيهم نحافة.

وآخرُ مدينة رستاق دهستان على يمنة الطريق إلى الرباط بها منارة ترى من البعد في وسط القرى وجميع قرى دهستان أربع وعشرون قرية وهي من أجلّ أعمال جرجان.

والرِّبَاط على فم المفازة قد خرّب السلطان حصنه وكان بثلاثة أبواب وهو عامر ظريف مساجد حسنة وأسواق بهيّة ومنازل لطيفة وأطعمة طيّبة ليس به جامع والمسجد العتيق فيه سواري خشب وله نور وهو أسفل الرباط بموضع يشبه الدَّنْدَانَقَان وفي وسط ذلك الموضع مسجد بمنارة لأصحاب الحديث وسائر المساجد لأصحاب أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

آمُل قصبة طبرستان بلدة لها ذكر وشان، بها ثياب عجيبة حسان، ومرافق وخصائص وبيمارستان، ولهم مع ذلك جامعان، في العتيق نهر وأشجار يلي في طرفِ الأسواق، والآخر بقربه أحاط بكلّ جامع رواق، ونهر يدير أرحية رقاق، حسنة وجوههم وضيّقة رشاق، متجر مفيد وحاكة حذّاق، كثير ذكره وهم تجار، ولا تسأل عن طيب نكهة ورقّة أخصار، ونظر بعيد بحسن أبصار، فالثوم طيّبها والأرزّ دفّها وجلا العيون أنهار، بها علم كثير لا تخلو من أمام ونظّار، إلاّ أن خبزهم أثير، وأدمهم كريه وعيبهم كثير، وبقُّهم عجيب، وفسقهم عظيم، وغيثهم مديد، وحرُّهم شديد، ودورهم حشيش، ورسمهم خسيس.

خبز الحنطة يسكر وطير الماءِ يزمن والبراغيث تلقلق والبيت يَكِفُ والهواءُ قشف والكلام عجل والبلد وضر والسوق قذر والصيف مطر.

سَالُوس بها قلعة من حجارة الجامع على جانب. وسَارِيَة عامرة لها علوم وثياب فاخرة وأسواق وأخلاق طاهرة حصينة تخندق، وجسور هائلة في الجامع نارنجة باروقة دائرة وفي قنطرة الجسر تينة ظاهرة تأمّلْها لتعرف أوصاف الباهرة وأسباباً عاينتُها لا هي بالعارية وإنّي صادق أريد الآخرة.

بروان هي قصبة الديلم صغيرة لا سريّة ولا جليلة ولا ظرف ولا شريفة، ولا منازه طيّبة لفيفه، ولا منازل رشيقة أنيقة، ولا أسواقها بالواسعة العطيفه، ولا بلدانها كبيرة ظريفة، ولا جوامع، بل في قرى كنيفة، غير أنهم في جلادة عجيبة ومنبع العساكر الأليفة، وحيث مستقرُّ السلطان يسمّى شَهْرُسْتان قد حُفر ثَمَّ بئر إلى أسفلها فيها أموالهم وآلاتهم.

وسلاروند بها قلعة يقال لها سمِيرُوم عليها سباع ذهب وشمس وقمر وبيوتهم لبن.

وخشم هي مدينة الداعي لها سوق عامر وعلى طرف الأسواق جامع والنهر منها على جانب عليه جسر هائل وثَمَّ دار الأمير وهي صغيرة كذلك تَارَمُ.

والطَّالَقَان كبيرة عامرة نبيلة ليس في الكورة مثلها وقد كان يجب أن تكون حضرة السلطان وعندي أنهم كرهوا ذلك لتطرُّفها بها علماءُ وأجلّة وفيهم ظرف.

ودُولاَب هي قصبة الجيل بناؤهم من جصّ وحجر والجامع على طرف وهو بلد

طيّب وسوق حسن وقدّام الجامع سهلة خلفه موضع يجتمع فيه المياه.

وكُهَن روذ قريبة من النهر بناؤهم بعض حجر وبعض خركاهات والجامع وسط البلد. ومُوغكان قد خفّ أهلها وقلّ خيرها وبقيّة مدن الجيل على الساحل.

إتِلُ قصبة كبيرة على نهر يمدُّ إلى البحيرة يقال له إتل وإليه أضيف اسم البلد على شطّه من نحو جرجان حولها وفيها أشجار بها مسلمون كثيرة وكان ملكهم يهوديًا له رسوم وحكّام مسلمون ويهود ونصارى وعبدة الأوثان وسمعت أن المأمون غزاهم من الجرجانيّة، وملكه ودعاه إلى الإسلام، ثم سمعت أن جيشاً من الروم يقال لهم: الروس غزوهم، وملكوا بلادهم، وهي بلد عليها سور، وهي مفترشة الدور تكون مثل جرجان، أو أكبر أبنيتهم خيم وخشب ولبود وخركاهات إلاّ القليل فإنه طين وقصر السلطان من آجرّ له أربعة أبواب أحدها إلى ناحية النهر يعبر إليه في السفن والآخر إلى الصحراءِ وهي قشفة يابسة لا نعم ولا فواكه خبزهم الأثير وأدامهم السمك.

وبُلْغَار ذات جانبين بنيانهم خشب وقصب والليل ثَمَّ قصير والجامع في السوق ومذ كانوا مسلمين غزاة وهي على نهر إتل وأقرب إلى البحيرة من القصبة.

وسُوَار على هذا النهر بناؤهم خركاهات ولهم مزارع كثيرة والخبز بها واسع. وخَزَر على نهر آخر من نحو الرحاب ذات جانب واحد وهي أرحب وأنزه ممّا ذكرنا وقد كانوا رحلوا عنها إلى ساحل البحر وقد عادوا الآن إليها وأسلموا بعدما كانوا يهوداً.

وسَمَنْدَر بلد كبير عند البحيرة بين نهر الخزر وباب الأبواب دورهم خيم الغالب عليها النصارى قوم أوطياءُ يحبُّون الغريب إلاّ أنهم لصوص وهي أرحب من خزر لهم بساتين وكروم كثيرة بنيانهم خشب منسوجة بالقضبان وسطوحهم مسنمة وبها مساجد كثيرة.

والبُحَيْرَة بعيدة القعر مظلمة وحشة والسفر فيها أصعب منه في البحرَيْن لا ينتفع منها بشيءٍ غير السمك مراكبهم بها مقيَّرة كبار مسمرة ليس فيها جزيرة مسكونة ولو أن رجُلاً دار حولها لأمكنه لأن الأنهار الفائضة فيها ليست بالكبار إلاّ نهر الكُرّ ونهر الملك وفيها جزائر وغياض ومياه ودواب وبها جزيرة يرتفع منها الفُوّة الكثيرة ويقع سدُّ يأجوج ومأجوج من ورائها على نحو من شهرين.

سد ذي القرنين قرأتُ في كتاب ابن خُرْداذْبَه وغيره في قصَّة هذا السدّ على نسقٍ واحدٍ واللفظ والإسناد لابن خرداذبه لأنه كان وزير الخليفة وأقدر على ودائع علوم خزانة أمير المؤمنين مع أنه يقول: حدَّثني سَلاَّم المترجم أن الواثق بالله لما رأى في المنام كأنَّ السدَّ الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج مفتوح وجَّهني، وقال لي: عاينْه وجئني بخبره، وكان الواثق وجَّه محمَّد بن موسى الخوارزميَّ المنجّم إلى طرخان ملك الخزر وضمَّ إليَّ خمسين رجلاً ووصلني بخمسين ألف دينار، وأعطاني ديتي عشرة آلاف درهم وأمر بإعطاءِ كلّ واحد من الخمسين ألف درهم، ورزق سنة وأعطاني مائتي بغل تحمل الزاد والماءِ فشخصنا من سُرَّ من رأى بكتاب الواثق إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينية، وهو بتفليس في إنقاذنا وكتب لنا إسحاق إلى صاحب السرير، ثم كتب صاحب السرير إلى ملك اللان، ثم كتب صاحب اللان إلى فيلان شاه، ثم كتب فيلان شاه إلى طرخان ملك الخزر فأقمنا عنده يوماً وليلة حتَّى وجَّه معنا خمسة أدلَّة فسرنا من عنده ستَّة وعشرين يوماً، ثم صرنا إلى أرض سوداء منتنة الرائحة، وكنَّا قد تزوَّدنا قبل دخولنا إيَّاها خلاًّ نشمُّه فسرنا فيها عشرة أيَّام، ثم صرنا إلى مدن خراب فسرنا فيها سبعة وعشرين يوماً فسألنا عن تلك المدن، فقيل: هي التي كانت يأجوج ومأجوج يتطرَّقونها فخرَّبوها، ثم صرنا إلى حصون بالقرب من الجبل الذي السدُّ في شعب منه وإذا في تلك الحصون قوم يتكلَّمون بالعربيَّة، والفارسيَّة مسلمون يقرؤُون القرآن لهم مساجد ومكاتب فسألونا من أين أقبلنا فأخبرناهم أنَّا رسل أمير المؤمنين فأقبلوا يتعجَّبون ويقولون: أمير المؤمنين؟ فنقول: نعم، فقالوا: شيخ هو أم شابٌّ، فقلنا: شابٌّ، فقالوا: أين يكون؟ فقلنا: بالعراق بمدينة يقال لها: سُرَّ مَن رأى، فقالوا: ما سمعنا بهذا قطُّ، ثم صرنا إلى جبل أملس ليس عليه خضراءُ وإذا جبل مقطوع بوادٍ عرضه مائة وخمسون ذراعاً، وإذا عضادتان مبنيَّتان ممَّا يلي الجبل من جنبَي الوادي عرض كلّ عضادة خمسة وعشرون ذراعاً الظاهر من تحتها عشرة أذرع خارج الباب وكلُّه مبنيٌّ بلبن من حديد مغيَّب في نحاس في سمك خمسين ذراعاً وإذا دَرْوَنْد حديد طرفاه على العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعاً قد ركّب على العضادتين على كلّ واحدة بمقدار عشرة أذرع في عرض خمسة وفوق الدروند بناءٌ بذلك اللبن الحديد في النحاس إلى رأس الجبل وارتفاعه مدَّ البصر وفوق ذلك شُرَف حديد في طرف كلّ شرفة قرنان يثنى كلُّ واحد إلى صاحبه،

وإذا باب حديد بمصراعين مغلقين عرض كلّ مصراع خمسون ذراعاً في ارتفاع خمسين ذراعاً في ثخن خمسة أذرع وقامتاهما في الدروند على قدره وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع في الاستدارة وارتفاع القفل من الأرض خمسة وعشرون ذراعاً وفوق القفل بقدر خمسة أذرع غلق طوله أكثر من طول القفل، وقفيزاه كلُّ واحدة منهما ذراعان وعلى الغلق مفتاح معلّق طوله ذراع ونصف وله اثنا عشر دَنْدَانكَة كلُّ دندانكة كيَدِ أعظم ما يكون من الهواوين معلّق من سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار والحلقة التي فيها السلسلة مثل حلق المنجنيق وعتبة الباب عشرة أذرع في سمك مائة ذراع سوى ما تحت العضادتين، والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كلُّه بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب في كلّ جُمعة في عشرة فوارس مع كلّ فارس مرزبة حديد في كلّ واحدة خمسون مناً ويضرب القفل بتلك المرزبات كلُّ رجل ثلاث ضربات ليسمع مَنْ وراء الباب الصوت فيعلموا أن هناك حفظةً ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا في الباب حدثاً وإذا ضرب أصحابنا القفل وضعوا آذانهم يسمعون فترى لأولئك دويٌ وبالقرب من هذا الموضع حصن كبير نحو عشرة فراسخ في مثلها ومع الباب حصنان سعة كلّ واحد مائتا ذراع وعلى باب هذين الحصنين شجرتان وبين الحصنين عين عذبة وفي أحد الحصنين آلة البناءِ الذي بُني به السدُّ من قدور الحديد والمغارف على كلّ دِيكْدان أربع قدور مثل قدور الصابون.

وهناك بقيّة من اللبن الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدأ، وسألنا من هناك هل رأوا أحداً من يأجوج ومأجوج فذكروا أنهم رأوا مرّةً عدداً فوق الشُرَف فهبّت ريح سوداءُ فألقتهم إلى جانبهم قالوا: وكان مقدار الرجل في رأي العين شبراً ونصفاً، ثم انصرفت بنا الأدلاّءُ إلى ناحية خراسان فخرجنا خلف سمرقند بسبعة فراسخ، وقد كان أصحاب الحصون زوّدونا ما كفانا، ثم صرنا إلى الواثق فأخبرناه، وهذا يردُّ قول من زعم أنه بالأندلس.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم حارٌ إلاّ قومس كثير المياه والأمطار ليس به نهر تجري فيه السفن إلاّ بناحية الخزر أشرُّ مياهه وهوائه بجرجان وهو قشف مؤذٍ كثير الذمّة ولا يعمل فيه النخيل، ومذاهبهم مختلفة.

أما قومس وأكثر أهل جرجان وبعض طبرستان فحنفيُّون والباقون حنابلة وشفعويّة ولا ترى ببِيَار صاحب حديث إلاّ شفعويًا والنجّاريّة بجرجان كثير، وللكرّاميّة بجرجان وبيار وجبال طبرستان خوانق، وللشيعة بجرجان وطبرستان جلبة.

فإن قال قائل: ألم تقل أنه ليس ببيار مبتدع، ثم قلتَ: إن بها كرّاميّة، قيل له: الكرّاميّة أهل زهد، وتعبُّد، ومرجعهم إلى أبي حنيفة، وكلٌّ من رجع إلى أبي حنيفة، أو إلى مالك، أو إلى الشافعيّ، أو إلى أئمّة الحديث الذين لم يغلوا فيه، ولم يفرطوا في حبّ معاوية، ولم يشبّهوا الله، ويصفوه بصفات المخلوقين، فليس بمبتدع، وأنا عازم على أن لا أطلق لساني في أمّة محمّد ﷺ، ولا أشهد عليهم بالضلالة ما وجدتُ إلى ذلك طريقاً بعد هذا الحديث الحسن الشريف حدَّثنا محمَّد بن محمَّد الدهستانيُّ ومسافر بن عبد الله الأستراباذيُّ ومحمَّد بن عليّ النحويُّ وعليُّ ابن الحسن السرخسيُّ قالوا: حدَّثنا يوسف بن عليّ الفقيه الزاهد قال حدَّثنا أبو الوليد أحمد بن بسطام الطالقانيُّ الفقيه الزاهد قال حدَّثنا يوسف بن عليّ الأبّار السمرقنديُّ قال حدَّثنا عليُّ بن إسحاق الحنظليُّ قال أخبرني بشر بن عمارة قال قال مِسْعَر بن كِدَام قال: ما أدركتُ من الناس من له عقل كعقل ابن مُرَّة جاءَه رجل، فقال: عافاك الله جئتُك مسترشداً إنّي رجل دخلتُ في جميع هذه الأهواءِ فما أدخل في هوى منها إلاّ القرآن أدخلني فيه، ولم أخرج من هوى إلاّ القرآن أخرجني منه حتّى بقيتُ ليس في يدي شيءٌ.

قال فقال له عمرو بن مرّة: الله الذي لا إله إلاّ هو لقد جئت مسترشداً، فقال: والله الذي لا إله إلاّ هو لقد جئتُ مسترشداً، قال: نعم أرأيتَ هل اختلفوا في أن محمَّداً رسول الله وأن ما أتى به من الله حقٌّ، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في القرآن أنه كتاب الله، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في دين الله إنه الإسلام؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الكعبة أنها القبلة، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الصلوات أنها خمس؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في رمضان أنه شهرهم الذي يصومونه، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الحجّ أنه بيت الله الذي يحجُّونه، قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الزكوة أنها من مائتي درهم خمسة؟ قال: لا، قال: فهل اختلفوا في الغسل من الجنابة أنه واجب؟ قال: لا، قال: فذكر هذا وأشباهه ثم قرأ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]، قال: فهل

تدري ما المحكم؟ قال: لا، قال: فالمحكم ما اجتمعوا عليه، والمتشابه ما اختلفوا فيه شُدّ نيّتك في المحكم، وإيّاك والخوض في المتشابه.

قال فقال الرجل: الحمد لله الذي أرشدني على يديك، فوالله لقد قمتُ من عندك وإنّي لحسن الحال، قال: فدعا له وأثنى عليه، ثم قال عمرو: وإن السلطان دعا أهل الكتاب إلى أمره، فأجابوه فطرحهم فيما قد علمتم وهو داعيكم كما دعاهم وطارحكم في مثل ما طرحهم فيه فعليكم بالأمر الأوّل، فإن قال قائل: ما الأمر الأوّل فهو ما اجتمع عليه المتقدّمون، فرحم الله عبداً تدبَّر هذه الحكاية ولزم [أحد][1] المذاهب الأربعة الذين هم أهل السواد الأعظم وكفَّ لسانه عن تمزيق المسلمين والغلوّ في الدَين.

وشهدتُ مجلس القاضي المختار يوماً وهو أجلُّ إمام لقيتُه وأعقلهم وأدينهم وقد جرى فيه ذكر اختلاف الأئمّة وتعصُّب أهل الفرق فأشار بيده إلى القبلة، ثم قال: من صلَّى إلى هذه القبلة فهم إخواننا المسلمون، ورأيتُ أبا زيد المروزيَّ وكان إماماً متديّناً يوتّر بثلاث ويستعمل مذهب أبي حنيفة في مسائل عدّة وسمعتُ أبا الطيّب بن أحمد يقول: كلٌّ قد اجتهد وكلٌّ معدود، واعلم إن هذا التعصُّب الذي ترى إنّما ثوّره الجهّال والمتسرّفون من القصّاص وغيرهم وأما الأئمّة فعلى ما ذكرتُ لك، ونواحي الديلم شيعة وأكثر الجيل سنّة.

وأكثر ما يحمل من هذا الإقليم خصائص أما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلمة صغار وكبار وسواذج ومحشّاة ربّما يبلغ المنديل منها ألفي درهم ولهم أيضاً أكسية وطيالسة وثياب رقاق من الصوف ولأهل جرجان المقانع القزّيّات تحمل إلى اليمن والعنّاب ولهم ديباج دون وتين وزيتون.

ومن طبرستان الأكسية التي تفضّل على الفارسيّة وطيالسة وثياب الخيش المحمولة إلى الآفاق ويباع منها بمكّة شيءٌ كثير صغار الدراهم وكبار تسمّى بالغرب المكّيّة واللفائف.

ومن بيار برٌّ وسمن كثير ولهم خاصّيّة في عمل الطين حتّى لا ترى رئيساً ولا عالماً إلاّ وله فيه حذق ولقد كان أبو الطيّب الشوا مع يساره وعدالته أبداً تراه في

---

(١) وردت في النصّ: «إحدى»، ولعلّ الصحيح ما أثبتناه.

ضياعه يبني خصًّا أو يرفع حائطاً وكذلك أولاده وحفدته لهم هندسة وفطنة في عمل البناءِ من غير تعلُّم وما رأيتُ ألطف من بناءِ دور بيار قد صاغوها صياغة وأكثروا مرافقها.

ومياه هذا الإقليم أنهار تنحدر من الجبال ونهر جرجان طيفوري ولهم آخر ونهر [. . .][1] في الديلم يجتمع إليه مياه كثيرة ويفيض في البحر ونهر إتِل يخرج من نحو السدّ ومياه الجيل تنحدر من جبال الديلم ومياه طبرستان من الجبال أو من خُرْمَارُوذ.

وبها مشاهد رباط دِهِسْتَان يقصد من خراسان له نور وفضائل وعلى يوم من بِسْطام موضع يقصد وبه مجاورون وبظاهر بسطام قبر أبي يزيد وبنواحي الخزر رباطات فاضلة.

ومن العجائب بطبرستان دويِّبة صغيرة لها ألف قائمة أصغر من الجرادة وأدقّ من الدودة إذا تحرّكت تختالها أمواجاً تظهر من عناقيد العنب ودويّبة أخرى لها جناحان كجناحي السنونية على عظم الثعلب تقضم الثمار قضماً ولهم أسماك مثل فلق الجمَّيز، واجتزتُ يوماً في سوق السمَّاكين بجرجان فرأيتُ رأساً على قدر رأس الثور فقيل لي هي رأس سمكة، بنواحي جرجان بئر تظهر فيه شجرة كلَّ سنة ثم تغيب وقد احتال بعض السلاطين وشدَّها بالسلاسل الغليظة ففكَّتها وكسرتها وغابت.

ولسان قومس وجرجان متقاربان يستعملون الهاء يقولون هادِهْ وهاكُنْ وله حلاوة.

ولسان طبرستان مقارب له إلاّ أن فيه عجلة ولسان الديلم مخالف منغلق والجيل يستعملون الخاءَ ولسان الخزر شديد الانغلاق.

وفي ألوانهم أهل قومس ابتلاءٌ والديلم حسان اللحى والوجوه أيضاً ولهم ظلل وفي أهل جرجان نحافة أهل طبرستان أحسن وأصفى، وفي الخزر مشابه من الصقالبة.

وأكثر أسامي أهل جرجان أبو صادق وأبو الربيع وأبو نعيم وأهل طبرستان أبو حامد.

---

(١) بياض في الأصل.

ورسمهم بجرجان أن التذكير للفقهاءِ وأهل الروايات ولا يكثرون التطالس وللديلم رسوم عجيبة لا يزوّجون إلى غيرهم وكنتُ في بعض الخانات فإذا بصبيّة تعدو ورجل شاهر سيفه يعدو خلفها يروم قتلها، فقلتُ: ما فعلت حتّى استوجبت القتل، قال: إنها زوّجت إلى غيرنا، وقتل من فعل ذلك واجبٌ عندنا، وإذا كان لهم مأتم كشفوا رؤوسهم واجتمعوا، وقد التفّ المُعزّي والمُعزّى في الأكسية وأداروها على رؤُوسهم ولحاهم ولهم مجالس في السكك والأسواق مرتفعة يجتمعون بها بأيديهم الرُّوبِينات، وعليهم الأكسية الطبريّة يسمُّون العالم معلّماً وربَّما تعلّقوا بي، وقالوا: لوك معلّم واللوك هو الجيّد، ولا رسم لهم في بيع الخبز ويَتَخفَرون من تساءل، وإنّما ينبغي للغريب أن يقصد دورهم فيأخذ من الطعام ما يحتاج إليه، ولهم أسواق على أيّام الجمعة في السهل لكلّ قرية يوم فإذا فرغوا انحاز الرجال والنساءُ إلى معزل يتصارعون فيه ورجل جالس معه حبل كلُّ من غلب عقد له عقدة فإذا هوى الرجل امرأة راح معها فيتلقّاه أهلها بالبشر والترحيب ويتباهون به إذ رغب في كرمهم فيضيّفونه ثلاثة أيّام ثم ينادي المنادي بعد ما اجتمع معها أسبوعاً في عمارة له بمعزل فيجتمعون ويختطُّون وسألتُ أبا نابتة الأنصاريَّ قلتُ: هل يصيبها قبل العقد؟ قال: لو علموا بذلك قتلوه، وكثيراً ما حضرتُ عقود أهل بيار يجتمع الناس بعد العتمة مع كلّ رجل قارورة من ماءِ ورد والنيران تقد على باب الختن والعروس فيبدأ بعض المشايخ فيخطب خطبةً بليغةً يطلب فيها الزوجين، ويطلب المرأة، ثم يجيبه آخر من قبل العروس في خطبة بأحسن جواب وأكثرهم خطباءُ أدباءَ ثم يعقدون النكاح ويقوم أصحاب القوارير فيضربون بها الحيطان، ثم يعطى صاحب كلّ قارورة طبقاً من آفروشة ولا ترى مثل آفروشتهم في الدنيا.

وسمعتُ أن بعض الملوك استدعى برجل منهم يجيد عملها وبدقيق من دقيقهم وشيءٍ من سمنهم ودوشابهم وامرأة تعملها فلم تكن كالتي تعمل ببيار، ورأيتُ من حمل منها إلى مكّة ثم ردّه ولم يتغيّر، ومكثتُ أربعة أشهر أحضر دعواتهم وأعراسهم فما رأيتُهم يزيدون على ثردة بعد لحم قد أخرج عظامه، ثم الأرزّ، ثم الآفروشة الرطبة، وإذا وقعت عندهم الثلوج أرسلوا النهر في الشوارع فحملت الثلج بأجمعه وغسلت الأزقّة ولا ترى امرأة بالنهار إنّما يخرجن بالليل في أكسية سود ولا تتزوّج امرأة مات عنها زوجها فإن فعلت ضرب الصبيان على بابها بالخزف.

ماء جرجان يقتل الغرباءِ وبطبرستان سمك يضرُّ الأسنان وطير لحمه رديٌّ.
المملكة للديلم ويقع على جرجان حروب بينهم وبين صاحب خراسان.

خراج قومس ألف ألف درهم ومائة ألف وستَّة وتسعون ألف درهم وخراج جرجان عشرة آلاف ألف ومائة ألف وستَّة وتسعون ألف وثمانمائة درهم.

وكان خراج بيار ستَّة وعشرين ألف درهم فخرج رجل منهم إلى بخارا فبنى قصراً من طينٍ حسنٍ ثم حمله على رقاب الرجال إلى أن وضعه قدَّام الأمير نصر بن أحمد فأعجب به وقال له سل حاجتك قال تردُّ خراجنا إلى ستَّة آلاف وتضيف دواويننا إلى نيسابور فهي اليوم من أعمال نيسابور ألا ترى أن بينها وبين نيسابور قرية خراجها إلى قومس أولا ترى أنهم يسمُّون أهل بيار القومسيّين.

ويقع بجرجان عصبيات على المذهب وبينهم وبين البكراواذيّين قتل على رأس الجمل يوم العيد يقع بين الحسنيّين والكَرَّاميّين حروب وحشة وعصبيَّات عجيبة.

ولأهل طبرستان ثلاث خصال بثلاث طيب النكهة من أجل أكل الثوم وحدَّة الأبصار وحسنها من أكل الخضرة ودقَّة الأخصار من أكل الأرزّ.

وأما المسافات فإنك تأخذ من الدَّامَغَان إلى الحَدَّادَة مرحلة ثم إلى بَدَش مرحلة ثم إلى مُزجان مرحلة ثم إلى هفدَرَ مرحلة ثم إلى أَسدَاوَاذ مرحلة.

وتأخذ من الدامغان إلى جَرْمَجُوِى مرحلة ثم إلى رباط مرحلة ثم إلى سِمْنَان مرحلة ثم إلى رأس الكلب مرحلة ثم إلى قرية المِلْح مرحلة ثم إلى خُوَار الريّ مرحلة.

وتأخذ من الحدَّادة إلى بِسْطام مرحلة ثم إلى قرية مرحلة ثم إلى زَرْدَابَاذ مرحلة ثم إلى خُرْمَارُوذ مرحلة ثم إلى جُهَيْنَة مرحلة ثم إلى جرجان مرحلة.

وتأخذ من زرداباذ مرحلة إلى قرية مرحلة ثم إلى القباب مرحلة ثم إلى بِيَار إلى الحوض مرحلة ثم إلى أسداواذ مرحلة ومنها إلى طرثيث ٣٠ فسرخاً.

وتأخذ من جرجان إلى ديناراري مرحلة ثم إلى أملوتا مرحلة ثم إلى أجغ مرحلة ثم إلى سبداست مرحلة ثم إلى أَسْفَرَايِن مرحلة، ومنها إلى آبَسْكُون أو إلى رباط حفص أو إلى رباط عليّ مرحلة مرحلة.

وتأخذ من رباط عليّ إلى رباط الأمير مرحلة ثم إلى بيلمك مرحلة ثم إلى رباط دِهِسْتَان مرحلة آخُر فيها.

وتأخذ من آمُل إلى بلور مرحلة ثم إلى أسك مرحلة ثم إلى بامِهْر مرحلة ثم إلى برزيان مرحلة ثم إلى الريّ مرحلة.

وتأخذ من آمل إلى مَامَطِير مرحلة ثم إلى سَارِيَة مرحلة ثم إلى تُرُنْجَى مرحلة ثم إلى رأس الحدّ ثلاثاً.

وتأخذ من سارية إلى أبارست مرحلة ثم إلى أبادان مرحلة ثم إلى طَمِيسَة مرحلة ثم إلى أَسْتَرَابَاذ مرحلة ثم إلى جرجان مرحلتين.

وتأخذ من جرجان إلى الدَّيْلَمَان مرحلة ثم إلى أَرْدَبِيل مثلها، ومن آبسكون إلى استراباذ مرحلة ثم إلى سارية ٤ مراحل.

وتأخذ من آمل إلى ناتِل مرحلة ثم إلى سَالُوس مرحلة ثم إلى كَلَار مرحلة ثم إلى جبال الديلم مرحلة، وتأخذ من سالوس إلى إسْبِيذْرُوذ مرحلة ثم إلى قرية الرصد مرحلة ثم إلى خشم مرحلة ثم إلى بَيْلَمَان ٤ مراحل ثم إلى الدُّولاَب ٤ مراحل ثم إلى كُهَن رُوذ ٣ مراحل ثم إلى مُوغكان مرحلتين ثم إلى الكُرّ مثلها ثم إلى هشتاذر مثلها ثم إلى الشَّمَاخِيَة مثلها.

إقليم الرِّحَاب

لمَّا جلَّ هذا الإقليم وطاب، وكثرت فيه الثمار والأعناب، وكانت مدنه من أنزه البلدان كمُوقَان وخِلاَط وَتِبْرِيز التي شاكلت العراق ورخصت به الأسعار، واشتبكت فيه الأشجار، وجرت خلاله الأنهار، وحوت جباله الأعسال، وسهوله الأعمال، وبواديه الأغنام ولم نجد له اسماً عامًا يجمع كُوَره سمَّيناه الرِّحَاب وهو إقليم للإسلام فيه جمال وعلى المسلمين من الروم حصار منه ترتفع الأصواف المعمولة والتكك العجيبة ديدانه قرمز، وعن وصفه أعجز، ثمن الخروف درهمان، والخبز بدانق لبنان، والفواكه بلا عدّ ولا ميزان، وهو مع هذا ثغر جليل وإقليم نبيل به كان أصحاب الرَّسّ تحت الحُوَيْرِث والحَارِث فيه من الطائف سهم ومن الجنَّات شبه وهو للإسلام فخر وللغازين دار به المتاجر المفيدة والكور القديمة والأنهار الغزيرة والقرى النفيسة والخصائص العجيبة والثمار اللذيذة أهل جماعة وسنَّة وفصاحة وهيبة لهم المنُّ والفوّة والزنبق والقسبويه والبحر والبحيرات، والباب والرباطات، والدين والخيرات إلاَّ أن كلاًّ في مذهبه غال، ومع ذاك هم ثقال، وفي لسانهم تكلُّف، وفيهم تصلُّف، والطرق إليها صعبه، وللنصارى بها غلبه.

وقد جعلنا هذا الإقليم ثلاث كور أوَّلها من قبل البحيرة الرَّان ثم أَرْمِينِيَة ثم آذَرْبَيْجَان.

فأما الران فإنها تكون نحو الثلث من الإقليم في مثل جزيرة بين البحيرة ونهر الرَّسّ ونهر الملك يشقُّها طولاً قصبتها بَرْذَعَة ومن مدنها تفْلِيس القَلْعَة خُنَان شَمْكُور جَنْزَة بَرْدِيج الشَّمَاخِيَة شِرْوَان بَاكُوه الشَّابَران بابُ الأَبْوَاب الأَبْخَان قَبَلَة شَكّي مَلاَزكِرْد تبلا.

وأما أرمينية فإنها كورة جليلة رسمها أرميني بن كنظر بن يافث بن نوح ومنها ترتفع الستور والزلاليُّ الرفيعة كثيرة الخصائص قصبتها دَبِيل ومن مدنها بَدْلِيس خِلاَط

أَرْجِيش بَرْكَرِي خُوَيُّ سَلْمَاس أُرْمِيَة دَاخرَّقَان مَرَاغَة أَهْرُ مَرَنْد[1] سِنْجَان قَالِيقَلاَ قندرية قَلْعَةُ يُونِس نورين.

وأما آذربيجان فإنها كورة اختطُّها أذرباذ بن بيوراسف بن الأسود بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وهي مصر الإقليم أَرْدَبِيل بها جبل مساحته مائة وأربعون فرسخاً كلُّه قرى ومزارع يقال: إن به سبعين لساناً كثرة خيرات أردبيل منه أكثر بيوتهم تحت الأرض ومن مدنها رسبة تَبْرِيز[2] جَابْرَوَان خُونَج المَيَانِج[3] السَّرَاة[4] بروى وَرثَّان[5] مُوقَان مِيمَذ بَرْزَنْد[6].

فإن زعم زاعم أن بَذْلهيس من إقليم أَقُور واستدلّ بأنها كانت في ولايات بني حمدان أجيب بأنه لما ادَّعاها أهل الإقليمين جعلناها من هذا لأنَّا وجدنا لها نظيراً في الاسم وهي تَفْلِيس وأما الولايات فليست حجَّة في هذا الباب ألا ترى أن سيف الدولة كانت له قنّسرين والرقَّة ولم يقل أحد أن الرقَّة من الشام.

بَرْذَعَة قصبة كبيرة مربَّعة، في سهلة لها حصن وسعه، أسواقها قد ظلّلت مجتمعه، على ظهر السوق مسجد الجامع هي بغداد هذا الإقليم دورهم بهيّة من آجرّ وجصّ طيّبة حسنة كثيرة الفواكه بعض أساطين الجامع بجصّ وآجرّ وبعض بخشب ولها نهر يتخلَّلها ونهر الكُرّ منها على فرسخين الأنهار متقاربة منها نفيسة غير أن

---

(١) مرند: بفتح أوله وثانيه، من مشاهير مدن أذربيجان، بينها وبين تبريز يومان. (معجم البلدان ج ٥/ ص ١٢٩).

(٢) تِبريز: بكسر أوله، أشهر مدن أذربيجان، وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر والجصّ، وفي وسطها أنهار عدّة جارية، والبساتين محيطة بها، والفواكه بها رخيصة، وعمارتها بالآجر الأحمر المنقوش والجصّ على غاية الإحكام. (معجم البلدان ج ٢/ ص ١٥).

(٣) الميانج: بالفتح، أعجمي، قال أبو الفضل: موضع بالشام. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٧٦).

(٤) سراة: بلفظ جمع السريّ، وهو جمع جاء على غير قياس، قال الأصمعي: السراة الجبل الذي فيه طرف الطائف إلى بلاد أرمينية. (معجم البلدان ج ٣/ ص ٢٣٠).

(٥) ورثان: بالفتح، بلد في آخر حدود أذربيجان، كانت ورثان من أرض أذربيجان بناها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وأحيا أرضها وحصّنها، فصارت ضيعة له، ثم صارت لأم جعفر، زبيدة بنت جعفر بن المنصور. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٤٢٦).

(٦) برزند: بلد من نواحي تفليس من أعمال جُرزان من أرمينية الأولى، كان أول من عمّرها الأفشين وجعلها معسكراً له بعد أن كانت خرابة، قال أبو سعد: برزند من نواحي أذربيجان. (معجم البلدان ج ١/ ص ٤٥٤).

أطرافها قد خربت وقد خفَّت من أهلها وتشعَّث حصنها. تَفْلِيس حصينة بقرب الجبال يخرقها نهر الكُرّ وهي جانبان بجسر قد بُني حيطانه بالحجارة، ثم طرح عليها الخشب.

والقَلْعَةُ مدينة بلا حصن في سهلة بقرب جبل لَكْزَان. والشَّمَاخِيَة على أسفل جبل بنيانهم حجارة وجصٌ ولها ماءٌ جارٍ وبساتين ونزه.

وَشِرْوَان كبيرة في سهلة بناؤهم حجارة والجامع في الأسواق ولها نهر يخرقها. ومُوغكان على رأس الحدّ وقد كانت آهلة والآن قد خفَّ أهلها وهي على السكَّة.

وباكُوه على البحيرة هي إحدى فرض الإقليم. وشَابَرَان بلا حصن الغلبة فيها للنصارى رأس حدّ.

وقَبَلَة حصينة النهر خارج البلد والجامع ناءٍ على تلّ. وشَكِّي في سهلة الغلبة للنصارى الجامع في سوق المسلمين. ووَرْثَان في جياد وبها ناطف موصوف.

ومَلازْكِرْد حصينة لها منابر عدَّة كثيرة البساتين الجامع على حافة السوق. وتبلا للمسلمين بها خمس مائة بيت والغلبة فيها للنصارى نزهة.

والأَبْخَازَ نزيهة وكذلك مدن هذه الكورة، وقَرْيَةُ يُونس هي بلد الدّيرانيّ بها مسلمون.

وبَابُ الأَبْوَاب على بحر الخزر محصَّنة في الحائط الذي من قبل الخزر لها ثلاثة أبواب باب الكبير وباب الصغير وباب آخر نحو البحر مسدود لا يفتح وعدَّة أبواب من قبل البحر وقبل الإسلام والحائط قد مدّ من الجبل إلى وسط البحيرة عليه أبرجة فيها مساجد وحرّاس والجامع وسط الأسواق به عين ماءٍ بناؤهم حجارة ودورهم حسنة ولهم ماءٌ جارٍ.

دَبِيل بلد جليل عليه حصن منيع والخير به كثير، اسمه كبير، وصوفه خطير، ونهره غزير، قد خفَّ به البساتين ذات ربض عتيق، وحصن وثيق، أسواقه صليب، وسواده عجيب، الجامع على رابية كبيرة إلى جنبه كنيسة يضبطه الأكراد به قلعة بنيانهم طين وحجارة له أبواب عدَّة منها باب كيدار باب تفليس باب آني إلاَّ أن الغالب عليه مع نبله النصارى وقد خفَّ من أهله وتشعَّث حصنه.

وبَدْلِيس في وادٍ عميق يجري فيه نهران، في المدينة يجتمعان، وهي جانبان، فيها قلعة من حجارة شبه ثوران.

وأَخْلاَط مدينة في سهلة لها بساتين حسنة وعليها حصن من طين والجامع في الأسواق وبها نهر.

وسَلْمَاس طيّبة عليها حصن من طين وحجارة وبها نهر غزير والجامع على طرف السوق قد أحاط بها الأكراد.

وأُرْمِيَة حسنة بقلعة عامرة والجامع في البزّازين ولها حصن وبها نهر. ومَرَاغَة سريّة لها حصن وبها قلعة ولها ربض وحصونها طين.

ومَرَنْد حصينة يحدق بها البساتين لها ربض عامر والجامع في الأسواق. وقندرية مدينة أحدثها الأكراد بها جامع لطيف.

ونورين حصينة بها قلعة وعلى باب الجامع عين ماءٍ كثيرة البساتين نزهة. وقلْعَة يُونس هي مدينة الدّيرَانيّ بها مسلمون.

أَرْدَبِيل هو قصبة أذربيجان ومصر الإقليم عليه حصن منيع وهو أصغر من دبيل أسواقه مصلّبة إلى أربعة دروب والجامع وسط الصليب على نشزة خلف الحصن ربض عامر الغالب على بنيانهم الطين كثير الرواشن والفواكه والبلاذات به مياه جارية وعساكر راتبة وخيرات كثيرة وحمّامات طيّبة إلاّ أنهم بخلاءُ ثقلاءُ قليل العلماءِ وبلد وحش منتن أحد كنف الدنيا أهل مكر وغفلة لا ينظرون في العواقب، ولا يعذرون أهل المذاهب، ولا مذكّر فقيه، ولا رئيس وجيه، ولا معدَّل أديب، ولا حاذق طبيب.

وتِبْرِيز وما يدريك ما تبريز، هي الذهب الإبريز، والكيمياءُ العزيز، والبلد الحريز، يختار على مدينة السلام، وتباهى بها أهل الإسلام، تجري خلالها الأنهار، وتميد في سوادها الأشجار، ولا تسأل عن رخص الأسعار، وكثرة الثمار، الجامع وسط البلد، وطيبها لا يُحَدّ.

ومُوغَان مدينة قد أحاط بها نهران، وحولها حدائق حسان، كأنها في رحبها جنان، هي مع تبريز روضتان، وللرحاب في الإسلام مفخران، موضوعة بين أردبيل وجيلان، ومنها إلى برذعة ثمان، طيّبة نزيهة السواد والنهران يجريان، والوجوه كاللؤلؤ والمرجان، ثم أسخياءُ وهم كرام.

بَرْزَنْد صغيرة وهي سوق الأرمن وفرضة الكورة طيّبة مفيدة. ومِيَانَه صغيرة في سهلة كثيرة الخير.

وزَنْجان هي على رأس الحدّ قد تشعَّثت لهم نهر وفيها السكَّة، وكلُّ مدن هذا الإقليم طيّبة كثيرة الخيرات ومعادن الرخص والثمار واللحوم والنعم والطيبة.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم بارد كثير الثلوج والأمطار وفيه أدنى ثقل وأهله أبرد وأثقل كبار اللحى وليس لسانهم بحسن وبأرمينية يتكلّمون بالأرمينيّة وبالران بالرانيّة وفارسيّتهم مفهومة تقارب الخراسانيّة في حروف ومذاهبهم مستقيمة إلاّ أن أهل الحديث حنابلة والغالب بدبيل مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى ويوجدون في بعض المدن بلا غلبة وكنتُ يوماً في مجلس أبي عمرو الخُوَيّ يسمع الحديث، فقال: هاتوا مسألة، وكان معي رفيق، فسألنا مسألة هبة المشاع، فتكلَّمنا فيها صدراً، ثم ضعفنا، فأخذ الكلام كهل ثَمَّ فجوّده فلمَّا وقف الكلام قلتُ لله درّك لقد بالغتَ وأشرتُ إلى أن أَختلف إليه، فقال: لستُ من أصحابكم، قلتُ: وكيف؟ هم لا يزيدون على ما أوردتَ لأنها مسألة ضيّقة علينا، قال: هذا الذي أوردتُه من كلام الحاكم أبي نصر بن سهل نظَّار خراسان لأنّي كثيراً ما ناظرتُه.

وأما علم الكلام فلا يقولون به، ولا يتشيَّعون، وكان بدبيل خانقاه وعندهم معرفة بعلم التصوُّف مع أدنى رزق ووقفتُ يوماً على مجلس أبي [. . .][1] الأردبيليّ وقد غصَّ بالناس قياماً وقعوداً يسألونه مسائل المعاملة فقلتُ ما تقول رحمك الله في رجل كان له قلب يأنس به فضاع منه أين يطلبه قال: يعود إلى السبب الذي ناله به فيعتصم به، قلتُ: قد حيل بينه وبين السبب، قال: يسأل صاحب السبب أن ينيله إيّاه، قلتُ: لم يبق له جاه عند صاحب السبب فيسأله، قال: يلزم قرع الباب حتّى يفتح له، ويصرخ في ظلم الليل حتّى يرحمه.

والأنهار المذكورة به ثلاثة نهر الرَّسّ ونهر الملك ونهر الكُرّ وهو أخفُّهنَّ يخرج

---

(١) بياض في الأصل.

من ناحية الجبل على حدود جَنْزة وشَمْكُور إلى قرب تفليس ثم يقع في بلدان الكفر، ويليه في العذوبة والخفّة نهر الرسّ وهو مادٌّ على تخوم الران يخرج من أرمينية حتّى ينتهي إلى وَرثّان ثم ينتهي إلى خلف مُوقان فيقع في البحر.

وأما نهر الملك فخروجه من بلد الروم من ورائه كورة الران حتّى يقلب في البحر، ولا يتّصل بهذا الإقليم غير بحر الخزر وبهذا الإقليم بحيرتان إحداهما بأَرْمِيّة طولها نحو أربعة أيّام سير الدوابّ تقطع بأقلاع يوم وليلة وبأرمينية أخرى تعرف ببحيرة أَرْجيج.

وبها تجارات يحمل من برذعة الإبريسم الكثير ومن باب الأبواب ثياب الكتّان والرقيق والزعفران والبغال الجياد ومن دبيل ثياب الصوف والبسط والوسائد والأنماط والتكك الرفيعة.

ومن برذعة الستور ويقع إليه البغال الجياد ويقوم ببرذعة يوم الأحد سوق يسمّى الكُرْكِيّ يجتمع إليه أهل الكورة والنواحي حتّى أن أحدهم يقول يوم السبت ويوم الكركيّ ويوم الإثنين يباع فيه الإبريسم والثياب.

ولا نظير لتككهم ومحفوريّاتهم وقرمزهم وأنماطهم وصبغهم وفاكهة تسمّى الزُّوقال وقسبويه وسمك يقال له الطِرِّيخ ولهم تين وشاه بلُّوط في غاية الجودة.

ومن العجائب الباب وهو حصن على ما ذكرنا من صُور وعَكًّا بسلسلة قد بنى من الصخر وجعل ملاَطه الرصاص، بتفليس حمّامات على ما ذكرنا في طبريّة بلا وقيد، جبل الحارث متعال على الإسلام لا يمكن أحداً صعوده يقال: إنه مع الحُوَيْرِث من جبل الطائف وإنه كان على نهر الرسّ ألف مدينة هي الآن تحتهما، بجامع أردبيل حجر كبير لو ضربت عليه المرازب ما عملت فيه وقع من السماءِ على مسافة من البلد، ثم حمل إلى الجامع وسمعتُ ظريفاً الخادم يقول: بينا نحن نسير بقرب أردبيل إذا بشيءٍ ينزل من السماءِ كالدرقة العظيمة حتّى وقع إلى الأرض فإذا به حجر فيجوز أن يكون هذا وهو على مثال مصقلة الصبّاغين دقيق الطرفين.

على مرحلة من مُوقان قلعة عظيمة تسمّى الحسرة فوقها بيوت وقصور فيها ذهب عظيم صور طيور ووحوش قد احتال عدّة من الملوك عليها فلم يتمكّنوا من صعودها، على ثلاثة فراسخ من دبيل دير أبيض من حجر منقور مثل قلنسوة فيه صورة

مريم من داخل على ثمانية أعمدة بينهنّ أبواب من أيّ باب دخلت رأيت صورة مريم، وبالقرب منه صخرة سوداءُ عرقها دهن يستشفى به، وعندها يوجد القرمز وهي دودة تظهر في الأرض تخرج إليها النسوان ينقّرنها بنحاسةٍ معهنّ، ثم يجعلنها في فرن، وفي رساتيق أردبيل يحرثون بثمانية ثيران وأربعة سوائق لكلّ ثورين سائق وسألتُهم أهذا لصلابة الأرض قالوا لا ولكن من أجل الثلوج.

ومن أردبيل ألف ومائتان ورطل خُويّ ثلاثمائة ومُنهم ستّمائة وكذلك بارمية ثم سائر الأرطال بغداديّة، قفيز مراغة ومدُّها عشرة أمناءُ والكيلجة سدس القفيز.

بتبريز من رسم أصحاب السلطان إنهم يتختّمون بالذهب، في بحر أرمية جبال مسكونة يربطون أرجل الصبيان بالسلاسل والحبال كي لا يتدحرجوا إلى البحيرة.

ولأرمية عقبة في طريق الموصل يركب الناس فيها أعناق الرجال كما تركب الدوابُّ لصعوبتها. وأما المسافات فإنك تأخذ من برذعة إلى يُونَان أو إلى بَرْدِيج أو إلى جَنْزَة أو إلى قلقاطوس مرحلة مرحلة.

وتأخذ من يونان إلى البَيْلَقَان[1] مرحلة ثم إلى وَرْثَان مرحلة ثم إلى تَلخاب مرحلة ثم إلى بَرْزَنْد مرحلة ثم إلى أَرْدَبِيل مرحلتين.

وتأخذ من برديج إلى الشَّمَاخِيّة مرحلتين ثم إلى شَرْوَان ٣ مراحل ثم إلى الأبخان مرحلتين ثم إلى جسر سَمُور مرحلتين ثم إلى باب الأبواب ٣ مراحل.

وتأخذ من جَنْزَة إلى شَمْكُور مرحلة ثم إلى خُتَان ٣ مراحل ثم إلى قلعة ابن كندمان مرحلة ثم إلى تفليس مرحلتين.

وتأخذ من قلقاطوس إلى متريس مرحلتين ثم إلى دُميس مرحلتين ثم إلى كِيلكوني مرحلتين ثم تقع في الأرمن إلى دُبيل.

---

(١) البيلقان: بالفتح، مدينة قرب الدربند الذي يقال له باب الأبواب، تُعدّ في أرمينية الكبرى، قريبة من شروان. قيل: إن أول من استحدثها قُباذ الملك لما ملك أرمينية، وقيل: إن أوّل من أنشأها بيلقان بن أرمني بن لنطي بن يونان وقد عدّها قوم من أعمال أرّان، قال أحمد بن يحيى بن جابر: سار سلمان بن ربيعة في أيام عثمان بن عفان إلى أرّان ففتح البيلقان صلحاً على دمائهم، وأموالهم، وحيطان مدينتهم، واشترط عليهم أداء الجزية والخراج. (معجم البلدان ج ١/ ص ٦٣٣).

وتأخذ من دُبيل إلى نَشَوَى ٤ مراحل ثم إلى خُوَيّ ٣ أيّام ثم إلى سَلمَاس مرحلتين ثم إلى أُرْمِيَة مرحلة ثم إلى خَرْقَان مرحلتين ثم إلى مَرَاغَة مثلها ثم إلى أردبيل ٤٠ فرسخاً.

وتأخذ من مَرَاغَة إلى قندرية مرحلتين ثم إلى قرية ٣ مراحل ثم إلى قلعة الحسن بن عليّ مرحلة ثم إلى شَهْرَزُور ٣٠ فسرخاً.

وتأخذ من مراغة إلى نورين مرحلة ثم إلى مَرَنْد. وتأخذ من خُوَيّ إلى قلعة يُونِس ٦ مراحل ثم إلى قرية العصبيّات مرحلة ثم إلى [. . .][1] ثم إلى تفليس مرحلة ثم إلى تبلا ثم إلى شكّي ثم إلى لَكْزَان مرحلتين ثم إلى الباب ٣ مراحل. وتأخذ من مراغة إلى الخَرْقان مرحلتين ثم إلى تِبْرِيز مرحلة ثم إلى مرند مرحلة.

وتأخذ من أردبيل إلى النير مرحلة ثم إلى سَرَاة مرحلة ثم إلى كُولسره مرحلة ثم إلى مراغة مثلها. وتأخذ من مراغة إلى خره روذ مرحلة ثم إلى مُوسَى أَبَاذ مرحلة ثم إلى بَرْزَة بريدين ثم إلى تفليس بريداً ثم إلى جابْرَوَان مرحلة ثم إلى نَرِيز بريدين ثم إلى أُرُومِيَة مرحلة.

وتأخذ من مرند إلى النَّشَوَى مرحلتين ثقال ثم إلى دبيل مثلهما، وتأخذ من مراغة إلى سابُرْخاست مرحلة ثم إلى بَرْزَة مرحلة ثم إلى البَيْلَقَان مرحلة ثم إلى سِيسر مرحلة ثم إلى تلّ وان مرحلة ثم إلى الخبارجان مرحلة ثم إلى الدِّينَوَر مرحلة.

وتأخذ من أردبيل إلى المَيَانِج مرحلتين أو إلى قنطرة سَبِيذْرُوذ ومن القنطرة إلى السَّرَاة مرحلة ثم إلى نوى مرحلة ثم إلى زَنْجَان مرحلة،

وتأخذ من الميانج إلى خُونَج مرحلة ثم إلى كولسره مرحلة ثم إلى مراغة مرحلة ومن مراغة إلى خَرْقان أو إلى أُرمية مرحلتين مرحلتين ثم إلى سَلَمَاس مثلها ثم إلى خويّ مرحلة ثم إلى بَرْكَرِي خمساً ثم إلى أَرْجِيش مرحلتين ثم إلى أَخْلاَط أو إلى بَدْليس ثلاثاً ثلاثاً ومن بدليس إلى آمِد أو إلى ميَّافارقين أربعاً أربعاً.

ومن مراغة إلى الدينور ٦٠ فرسخاً، ومن أردبيل إلى تبريز، ثم إلى برقوى، ثم إلى مَلاَزْكِرْد ٣ أيّام ثم إلى أَرزَن ٦ ثم إلى آمد ٤ .

---

(١) بياض في الأصل.

إقليم الجِبال

هذا إقليم حشيشه الزعفران، وشراب أهله العسل والألبان، وأشجاره الجوز والأتيان، نزيه بهيٌّ خصيب وله شان، به الرَّيُّ الجليلة وهَمَذَان، والكورة النفيسة إِصْبَهَان، وسيظهر لك فضله إذا وصفنا البلدان، وذكرنا الدِّيْنَوَر الظريفة وكَرْمَان شَاهَان، ونعتنا نهاوَنْد وقُمّ[1] وقشان، ووصفنا دُمَّاوَنْد وقَرْج وقَصْرَان، لا حرٌّ به ولا براغيث ولا ذبّان، ولا أفاعي ولا عقارب ولا ديدان، في الصيف جنّة وروضة وبستان، وفي الشتاءِ الحطب والفحم مجّان، ونَمَكْسُود يحمل إلى خراسان، وأعناب وتفّاح إلى الحول بدومان، وعلم كثير وعقل وحذق وإتقان، غير أنه شديد البردِ ترى خلودهم في الشتاءِ مشقّقة، وأطرافهم أبداً مخضرّة، ووجوههم مصفرّة، وأنوفاً سائلة، إمّا غوالٍ حنابلة، يفرطون في حبّ معاوية، أو نجّاريّة غاليه، يقطعون بالكفر على الطوائف الهادية.

وكم ترى به من خسف وزلزلة، وجور سلطان وبلبله، أبداً في انجلاءٍ وغلغله، ومن حلّه من معلاه أو مسفله، تراه من بردهم والهواءِ في مشغله، وأفهم ما أقول ثم أعقله، كلّما أشرف على العراق من حدّ الصَّيْمَرَة، فهي الجبال المنعوتة المصوّرة، وفي أصفهان لي مقالة منوّرة، يعرفها الفقيه إن تدبّرها، لأرفع الخلاف والمناظرة.

وقد جعلنا هذا الإقليم ثلاث كور وسبع نواحٍ وأدخلنا أصفهان في العدد وألحقناها بطرف الصورة وأفردنا وصفها وزدنا فيه الأشكال التي فيها والمعاني التي

---

(١) قمّ: بالضم وتشديد الميم، وهي كلمة فارسية تذكر مع قاشان، وهي مدينة إسلامية مستحدثة لا أثر للأعاجم فيها، وأوّل من مصّرها طلحة بن الأحوص الأشعري، وبها آبار ليس في الأرض مثلها عذوبة وبرداً، ويقال: إن الثلج ربما خرج منها في الصيف، وأبنيتها بالآجر، وفيها سراديب في نهاية الطيب، ومنها إلى الرّيّ مفازة سبخة فيها رباطات، ومناظر، ومسالح، وفي وسط هذه المفازة حصن عظيم عادي يقال له: دير كَرْدشير. (معجم البلدان ج ٤/ ص ٤٥٠).

نذكرها، فأوّل الكور من قبل الرحاب الرّيّ ثم هَمَذَان ثم إصْفَهَان والنواحي قُمّ قَاشَان الصَّيْمَرَة كَرَج ماه الكُوفَة ماه البَصْرَة شَهْرَزُور.

فأما الريّ فإنها كورة نزيهة كثيرة المياه جليلة القرى حسنة الفواكه واسعة الأرض خطيرة الرساتيق وهي التي أهلكت عُمَر بن سعد الشقيّ حتّى قتل الحسين بن عليّ ثم اختارها مع النار حيث يقول أخزاه الله.

أَأَتْـرُكُ مُلْـكَ ٱلـرَّيِّ والـرَّيُّ رَغْبَـةٌ   أَمَ أَرْجِـعُ مَـذْمُـومـاً بِقَتْـلِ حُسَيْـنِ
وَفِـي قَتْلِـهِ النَّـارُ ٱلَّتِـي لَيْـسَ دُونَهَـا   حِجَـابٌ ومُلْـكُ الـرَّيِّ قُـرَّةُ عَيْـنِ

وفي الأخبار أنها كانت منابت شؤم وإلى ذلك تعود الريّ ملعونة وهي على بحر عجاج وتربتها لعينة تأبى أن تقبل الحقّ، وقال هارون الرشيد: الدنيا أربعة منازل دمشق والرقّة والريّ وسمرقند ورسم الريّ روى بن بيلان بن أصفهان.

وفي الخبر: أن الريّ باب من أبواب الأرض وإليها مستجرّ الخلق، وقال الأصمعيّ: الريّ عروس الدنيا وسكّة الأرض طيّبة الهواءِ واسطة خراسان وجرجان والعراق ما عرفتُ لقصبتها اسماً آخر ولها من المدن آوَة سَاوَة قَزْوين أَبْهَر شَلَنْبة الخُوَار.

ومن النواحي قُمّ دُمَاوَنْد شَهْرَزُور، ومن الرساتيق قوسين قَصْرَان الداخل قَصْرَان الخارج سُرُّ بِهْزَان قَرَج جنى سيرا فِيرُوزرَام.

وأما همذان فإنها كورة متوسّطة في الإقليم جليلة المدن قديمة الرسم اختطّها هَمَذَان بن الفلُوج بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام.

وقد قيل: الجبال عسكر وهمذان أميرة وهي أعذبها ماءً واسعة الأقطار غزيرة الأنهار ملتفّة الأشجار لذيذة الثمار كثيرة المقاتلة وأعجبني رستاقها غاية الإعجاب.

وقرأتُ في بعض الكتب أن الريّ وأصفهان ليسا من بلاد البَهْلَوِيِّين وإنّما هي همذان وماسَبَذَان ومِهْرَجَانْقَذَق وهي الصَّيْمَرَة وماه البصرة وهي نهاوَنْد وماه الكوفة وهي الدّينَوَر.

ولها من المدن أَسَدَاوَاذ آوه بُوسْتَه رَامَن وبه سيراوَنْد رُوذرَاوَر طَزَر والنواحي ماه الكوفة ماه البصرة ماسَبَذَان.

وأما أصفهان فإن قياسها من مسائل الشريعة ونظيرها على هذه الطريقة سؤر

البغل والحمار على مذاهب شيوخنا أهل العراق قالوا لما أخذا الشبه من أصلين مختلفين وشاكلا حكمين متباينين احتيط في بابهما وأعطى كلُّ أصل حظًّا منهما ألا ترى أنهما قد شاكلا السنُّور في سكناهما البيوت وتعذُّر التحرُّز من أسآرهما وشابها الكلب في تحريم لحومهما فأُعطيا من كلّ أصلٍ حكماً فكذلك أصفهان لما شاكلت هذا الإقليم في اللسان والرسوم ودخلت في حدود فارس وتربّعت بها التخوم وجب أن نعطيها من كلّ إقليم حظًّا ونجعل لها مزيّةً وحكماً فحظُّها من هذا الإقليم الذكر والوصف وسهمها من فارس الخطّة والرسم.

فإن قيل: فهلاّ جعلتَها كالأذنين في قول الشافعيّ لما وقع الاختلاف هل هما من الرأس أو الوجه جعل لهما حكماً ثالثاً وماءً جديداً ومسحاً مفرداً فكذلك أصفهان لما قيل هي من فارس وقيل هي من الجبال وجب أن تميَّز عنهما ويفرد رسمها وتجعل حاجزاً بينهما فالجواب أن هذا القياس فاسدٌ لأنك لم تجمع بينهما بعلّة وكلُّ من قاس فرعاً على أصلٍ بلا علّةٍ جامعةٍ فقياسه فاسد فإن قيل العلّة الجامعة بينهما أن كلَّ واحدٍ منهما يتجاذبانه شيءٌ محدود بسببٍ قويٍّ فالجواب أن النبيَّ ﷺ قال: «الأذنان من الرأس»، فرفع عنّا الشكَّ والأشكال فكيف نجعله أصلاً لما نحن منه في شكٍّ، فإن قيل: معنى قوله «من الرأس» أي هي في الرأس.

فالجواب: حاشى رسول الله ﷺ أن يقول ما لا فائدة فيه لأن كلَّ أحد يعلم أنها في الرأس، وإنّما أراد الحكم الذي يختلف فيه لا الموضع ألا ترى أن أحداً لا يقول هي في الرقبة أو الكتف وأيضاً لو صحَّ هذا الأصل لم يصحّ قياس أصفهان عليه لأن ذلك يخالف الأصول وتصير أربعة عشر إقليماً وكورة فتبقى الكورة بلا نظير كما قلنا لا يجوز الوتر بركعة لأنه لا نظير لها في الأصول.

فإن قيل: وما نظير الأربعة عشر إقليماً التي ابتدعتَها: وقسمتَ مملكة الإسلام عليها.

فالجواب: نظيرها وضع المنجّمين العالم كلّه أربعة عشر إقليماً سبعة عامرة وسبعة غامرة فلو أنهم ميّزوا منها قطعة أو فصّلوا عنها ناحية لصحَّ قياس أصفهان عليها، فإن قيل: فهلاّ جعلتَها كالأذنين إنهما من الرأس لا محالة، فقلت: هي من فارس لا محالة.

فالجواب: التعارف أصل في مذهبنا، وهو مقدَّم على القياس كما قدَّمنا، وقد تعارف الناس أنها من الجبال، فإن قيل: فاجعلها من الجبال إذاً.

فالجواب: أن اختطاط الملوك وتسمياتهم ووضعهم عندنا وفي علمنا من الأصول أيضاً ومثلهم في هذا الفنّ كالصحابة في علم الشريعة فكما أنه ليس للفقهاءِ أن يخالفوا الصحابة فيما رأوه كذلك ليس لنا أن نخالف الملوك فيما رسموه وهم قد أدخلوا أصفهان في رسوم فارس وربَّعوا بها وبالرُّوذَان التخوم فصار هذان أيضاً أصلين يتجاذبان أصفهان من هذا الوجه فلم نر وجهاً غير حملنا إيَّاها على القياس المذكور.

اليَهُودِيّة قصبة أصفهان كبيرة عامرة آهلة كثيرة الخيرات، وبلد التجارات حلوة الآبار، لذيذة الثمار، جيّدة الهواء، خفيفة الماءِ، عجيبة التربة، حسنة البقعة، بها تجار كبار وصنَّاع حذّاق، وبزٌّ يحمل إلى الآفاق، أهل جماعة وسنَّة، وحذق وفطنة، جامعهم عامر بالجماعات على الدوام، ولا بها حرٌّ ولا براغيث ولا هوامّ، ويقال: إن بُخْت نَصَّر لما جلا بني إسرائيل من الأرض المقدَّسة جاسوا بقاع الأرض فلم يروا بلداً تشاكله أرضهم غيرها فسكنوها، إلاَّ أنها جنَّة يرعاها بقر قوم غنم لا سخاوة ولا ظرافة تحت عمائمهم مخادّ، وفي معاملتهم فساد، يقدّدون الرثة غوالٍ حنابلة يُرَى أحدهم بخُفَّيه وبزَّته وفي كَمّه رغيف يكدمه أو زبيب يقضمه تكون مثل دمشق بناؤُهم طين وأيّ طين طين ما رأيتُ له من نظير وبعض أسواقهم مغطَّاة وبعض مكشوفة والجامع في الأسواق حسن على أساطين مدوَّرة وله منارة في قبلته طول سبعين ذراعاً كلُّها من طين لم يتغيَّر منها شيءٌ ونهرهم يشقُّ البلد غير أنهم لا يشربون منه وقد تبلَّد ممَّا يلقى فيه من النجاسات لها اثنا عشر درباً.

والمَدِينَة على نحو ميلين من اليهوديّة عليها حصن وهي متعالية ودونها جسر عظيم وبها جامع وهي أقدم وأحكم. والخُولَنْجَان من نحو خوزستان كبيرة عامرة كثيرة الفواكه.

وسُمَيْرَم عند سفح جبل كثيرة الجوز والفواكه بها جامع حسن محدث ناءٍ عن الأسواق وبها ماءٌ جارٍ في السوق والشوارع ينحدر عليهم من عين في الجبل على طريق اليهوديّة وثَمَّ قلعة مذكورة فيها عين ماءٍ وما زالت خزائن الملوك في هذه القلعة.

والزيز مدينة صغيرة في الجبال على نهر طاب اشترينا الخبز فيها ثمانية أمناء بمنّهم بدرهم واللحم والجوز وسائر الفواكه بها رخيص قد بُني بها جامع لطيف سنة ٣٦٧.

وأَرْدِسْتَان أكبر من هذه المدائن من نحو المفازة جيّدة الأسواق عامرة الجامع بها مشايخ وفقهاءُ وهي أرض على بياض الدقيق ومنه اشتقّ اسمها.

وقاشان على تخوم المفازة كبيرة الاسم قديمة الرسم حولها مزارع حسنة وبها قنيٌّ عدّة ولهم حذق في عمل القماقم ورأيتُ بها طلخوناً مثل المرسين ناعماً ما رأيتُ مثله وهي من معادن الخوخ الجيّد وبها عقارب عجيبة سمعتُ أن أبا موسى الأشعريّ لما عجز عن فتحها حمل إليها من عقارب نصيبين في الجرار ثم رماها إلى داخل الحصن فأشغلتهم وآذتهم فسلّموا البلد.

وأصفهان كورة نفيسة وقد كانت قُمُّ وكَرَج منها إلاّ أن بعض الخلفاءِ أضافهما إلى الريّ وهمذان وما زالت دواوين هذه الكورة مفردة وذكرها مقدم لجلالتها عند الملوك والسلاطين.

الرّيُّ بلد جليل بهيٌّ نبيل كثير المفاخر والفواكه فسيح الأسواق حسن الخانات طيّب الحمّامات كثير الأدامات قليل المؤذيات غزير المياه مفيد التجارات علماءُ سراة وعوامٌ دهاة ونسوان مدبّرات بهيُّ المحلاّت خفيف ظريف نظيف لهم جمال وعقل وآئين وفضل وبه مجالس ومدارس وقرائح وصنائع ومطارح ومكارم وخصائص لا يخلو المذكّر من فقه ولا الرئيس من علم ولا المحتسب من صيت ولا الخطيب من أدب هو أحدُ مفاخر الإسلام وأمّهات البلدان به مشايخ وأجلّة وقرّاءٌ وأئمّة وزهّاد وغزاة وهمّة كثير الجليد والثلج ولفقّاعهم ذكر ولبزّهم اسم ولمذكّريهم فنٌّ ولرساتيقهم شأن به دار الكتب الأحدوثة وعَرْصَةُ البِطِّيخ العجيبة والرُّوذَة البهيّة وبه قلعة ومدينة حسن الخانات كامل الآلات نفيس سريٌّ.

ودخلنا يوماً على أبي العبّاس اليَزْداديّ وقد أنزله ناصر الدولة موضعاً نزيهاً بنيسابور فقال ما علمتُ أن نيسابور بهذه الطيبة فهل الريُّ مثلها فتكلّم كلُّ أحدٍ بما عنده، فقلتُ: أيّد الله الشيخ نيسابور أكبر، وأهلها أيسر، والريُّ أبهى وأنزه، وماؤها أغزر، فالريُّ فوق ما وصفنا إلاّ أن ماءَهم يسهل، وبطّيخهم يقتل، وعالمهم يضلُّ.

أكثر ذبائحهم البقر قليل الحطب كثير الشغب لحوم عاسية وقلوب قاسية وجماعة منكرة وأئمّة الجامع مختلفة يوم للحنفيّين، ويوم للشفعويّين، وقال بعض الرّجاز:

الـــرَّيُّ فيهَـــا دِرهَـــمٌ كَـــدَانِـــقْ وَالْخُبْـــزُ فِـــي أَعْلَـــى عُلُـــوّْ الْخَـــالِـــقْ
وَاللَّحْمُ قَدْ عُلِّقَ بِالشَّوَاهِقْ
وَكَـــمْ بِهَـــا مِـــنْ قَـــاطِـــعٍ وَسَـــارِقْ أَسْـــرَقَ لِلْحَبَّـــاتِ مِـــنْ عَقَـــاعِـــقْ
وَلَيْسَ بِالْمَأْمُونِ مَنْ تُرَافِقْ
يَحْلِـــفُ بِـــالطُّـــور وبِـــالمَشَـــارِقْ إِنِّـــي عَلَـــى حَـــقٍّ فَغَيْـــرُ صَـــادِقْ
وهُوَ إِذَا خَصَّكَ عَيْنُ الفَاسِقْ

وهو بلد كبير نحو فرسخ في مثله إلاّ أن أطرافه قد خربت والجامع على طرف المدينة الداخلة عند القلعة ليس خلفه عمارة والقلعة خربة والمدينة الخارجة عامرة بلا أسواق والأسواق والعمارات بالربض والمياه تتخلّله وفيه قنيٌّ ودار الكتب بأسفل الرّوذَة في خان ودار البطّيخ عند الجامع.

وقَزْوين كبيرة كثيرة الكروم لها مدينة وعلى الربض حصن شربهم من آبار ومطر ونهر وهي ثغر الكورة ومن معادن الفقه والحكمة.

هَمَذَان هو مصر الإقليم كبير حسن قديم بارد الماءِ كثير العيون به جامع رشيق وبنيان عتيق وهم قوم فيهم ملق يحبُّون الغرباءَ قد أحدقت به البساتين وتفجّرت منه المياه طيّب في الصيف رفيق في الشتاءَ والجامع في السوق شديد العمارة وأسواقهم ثلاثة صفوف والمدينة وسط البلد خربة يدور الربض حولها، فهمذان بلد نفيس والخبز به رخيص جيّد الحلواءِ كثير اللحوم له خصائص ومنازه إلاّ أن برده موصوف وحسدهم معروف ومكرهم مذكور وغلوّهم مشهور معدن الرعد والبرق والثلج والدمق قال الشاعر:

اَلنَّـــارُ فِـــي هَمَـــذَانَ يَبْـــرُدُ حَـــرُّهَـــا وَالبَـــرْدُ فِـــي هَمَـــذَان دَاءٌ مُسْقِـــمُ
والفَقْـــرُ يُكْتَـــمُ فِـــي بِـــلاَدٍ غَيْـــرِهَـــا وَالفَقْـــرُ فِـــي هَمَـــذَانَ مَـــا لاَ يُكْتَـــمُ
قَـــدْ قَـــالَ كِسْـــرَى حِيـــنَ أَبْصَـــرَ تَلَّهُـــمْ هَمَـــذَانُ فَـــانْصَـــرِفُـــوا فَتِلْـــكَ جَهَنَّـــمُ

وليس لها اليوم تلك العمارة والريُّ أطيب وآهل وأعمر منها قد انجلى أهلها

وقلّ العلماءُ بها وأذهبت الريُّ دولتها وهي بقرب الجبل بناؤهم طين وقرأتُ في بعض الكتب أنها كانت بريدين في مثلها إلاّ أن بُخْتَ نَصَّر لمَّا رجع من فتح بيت المقدس رام فتحها فعجز عنه صاحبه فكتب إليه صورْها لي فلمّا رأى صورتها جمع الحكماء فاستشارهم فيها فقالوا: تحبس عنهم العيون سنةً ثم تخلّيها، فإنها تغرق فلمّا طاف عليها الماءُ خرب أكثرها وملكها فإلى اليوم فيها مكامن ومخابي والمدينة متعالية.

وأَسَدَاوَاذ مدينة صغيرة إلاّ أنها شديدة العمارة حارّة السوق كثيرة الخير والعسل على فرسخ منها إيوَان كِسْرَى والعقبة بينها وبين همذان وبها ماءٌ جارٍ والجامع في زقاق لطيف عامر. وطَزَر نائية عن الجادّة بها قصر لكسرى رخيصة الأسعار، والخبز أسواقها مظلّلة.

والرُّوذَة، وبُوسْتة معادن اللوز منْ قلوب بأربعة دوانيق، وثَمَّ نهر عظيم، وهي بين الجبال.

وقَرْماسِين نزيهة يحدق بها بساتين والجامع في الأسواق لطيف وقد بنى عضد الدولة ثَمَّ داراً حسنة وهي على الجادّة وفقّاعها موصوف.

وقَصْرُ اللُّصُوص صغيرة بها قصر من حجارة على أسطوانات وأعمال عجيبة. ونهاوَنْد هي ماه البصرة مدينة كبيرة ذات أنهار وثمار طيّبة بها جامعان ومزارع الزعفران ولها مدينتان الجامع الذي وسط البلد ليس بالإقليم مثله عمارة وحسناً مدينتها رُوذْرَاوَر بها مزارع الزعفران، وسيرَاوَنْد مدينة على لحف جبل شربهم من عيون كثيرة البساتين والفواكه.

والدِّيْنَوَر هي ماه الكوفة طيّبة عامرة ظريفة الأهل مجتمعة الأسواق باردة الماءِ لا ترى أنظف منه قد جعلوا على أفواه العيون مزمّلات وأنطونيات يخرج منها الماءُ وهي تتفجّر عيوناً وقد أحدق بها بساتين والجامع ناءٍ عن الأسواق على المنبر قبّة حسنة ومقصورة ما رأيتُ أحسن منها مرتفعة عن أرض المسجد.

والصَّيْمَرَة هي مَاسَبَذَان كبيرة عامرة كثيرة الخير يتّصل بها رستاق في الجبال عمل واسع في طريقٍ صعبٍ.

وكَرَج أبي دُلَف مدينة مرتفعة متقطّعة العمارة بجامع واحد ومياههم كما ذكرنا بالدينور، ولها كَرَج أخرى.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم بارد كثير الثلوج والجليد خفيف على القلب في أهله لطافة ولباقة إذا أفردت عنه أصفهان، واليهود به أكثر من النصارى والمجوس به كثير وللفقهاءِ والمذكّرين به ذكر وصيت وبالخيرات معروف.

ومذاهبهم مختلفة أما بالريّ فالغلبة للحنيفيّين وهم نَجّاريّة إلاّ رساتيق القصبة فإنهم زَعْفَرَانِيّة يقفون في خلق القرآن وسمعتُ بعض دعاة الصاحب يقول قد لان لي أهل السواد في كلّ شيءٍ إلاّ في خلق القرآن.

ورأيتُ أبا عبد الله بن الزعفرانيّ قد عدل على مذهب آبائه إلى مذهب النجّار وتبرّأ منه أهل الرساتيق وبالريّ حنابلة كثير لهم جلبة والعوامّ قد تابعوا الفقهاء في خلق القرآن وأهل قُمّ شيعة غالية قد تركوا الجماعات وعطّلوا الجامع إلى أن ألزمهم ركن الدولة عمارته ولزومه وهَمَذَان.

وأجنادها أصحاب حديث إلاّ الدينَوَر فإن بها خاصًا وعامًا وجلبةً لمذهب سفيان الثوريّ والإقامة في الجامع مثنى وعلى ذلك كان أهل أصفهان في القديم، ويختارون قراءَة أبي عبيد وأبي حاتم وإدغام أبي عمرو وابن كثير.

وتجاراتهم مفيدة يحمل من الريّ البرود والمنيّرات والقطن والقصاع والمسالّ والأمشاط ومن قَزْوين الأكسية والجوارب والقسّيّ ومن قُمّ الكراسيُّ واللجم والركب وبزٌّ وزعفران كثير ومن همذان ونواحيها البزّ والزعفران والأسبيذروى والثعالب والسمُّور والخفاف والأجبان ومن سُرَّ الطيالسة الرفيعة والأكسية الحسنة.

ومن خصائصهم بطّيخ الريّ وخوخها وحلل أصفهان وأقفالها ونمكسودها والبانها وقماقم قاشان وطلخونها وجبن الدينَوَر وترذوغ قزوين وقسيُّها.

يقع بالريّ عصبيات في خلق القرآن وبقزوين أيضاً بين الفريقين وبهمذان لا على المذهب.

ومياههم آبار أصفهان رديّة وماءُ الريّ يسهل ومن شرب من نهر قزوين من الغرباءِ سقطت أصابع رجليه وماءُ زَنْدَرُوذ صحيح وهواءُها عجب وفواكه الريّ رديّة.

وبه عجائب بقرب بيسْتُون صورة عجيبة يزعمون أنها كانت دابّة كسرى، ولنهر

أصفهان مغيض عجيب لا يقربه إلاّ الطير. في رستاق رُوَيْدَشْت رمال مثل الجبال لا يعمل فيها الريح ولا تؤذي، بناحية قاشان حصن حوله خندق وقد أحدق به الرمل ترفرف حوله الريح ولا يقع في الخندق شيءٌ من الرمال فإن ألقى فيه رمل هبَّت في الوقت ريح فأخرجته، وفي وسط الرمال صحراءُ فرسخ في مثله مزارعهم فيها على سبيل ما ذكرنا من الخندق وتلقى السباع مواشيهم في تلك الصحراءِ فلا تبدأها بسوءٍ.

وبنواحي قاشان جبل يرشح كرشح العرق ولا يسيل فإذا كان شهر تِير يوم تِير من كلّ سنة اجتمع إليه الناس بالأواني ويقرعه صاحب الآنية بفِهْر ويقول: اسقِنا من مائك لعلّة كذا وكذا، فيجتمع لكلّ واحدٍ قدر الحاجة، بنواحي قاشان نبات ينبسط على وجه الأرض فيصير زجاجاً أبيض يبرق يستعمل في الأدوية.

بنواحي أصبهان مَرْج فيه حيّات ما بين ذراع إلى خمسة، في رستاق قهستان حيّات يتلاعب بها الصبيان فلا يلدغن، في رستاق الزارجانان قرية يقال لها مائة بها دويّبة في خلقة الخنفساء تدبُّ في الليلة المظلمة تتّقد مثل السراج، وترى موضع الوقيد بالنهار أخضر، وبهذه الناحية حجارة شبه السكّر محبّبة إذا ضرب بعضه ببعض أخرج النار، بقاشان ماءٌ يسقى الزروع ثم يعود حجارة، وبقهستان ماءٌ من شرب منه ويحلقه علقة ماتت في الوقت، وكهف يقطر منه ماءٌ ثم يعود حجراً، وشجرة تمدُّ شيئاً عظيماً بها ملاعق ومراود، برستاق الغامدان عين يخرج أيّام الربيع منها سمك ثم تخرج منها حيّة سوداءُ فإذا خرجتا غارت إلى الحول، بزيادة جامع اليهوديّة شجر ذكروا أنه يشاكل الواقواق.

وبه معادن برستاق قهستان وبالتَّيْمَرَة الصغرى وبالكبرى معادن فضّة وذهب وبقهستان معدن موميا، وبساغند زاج جيّد يقارب المصريّ، وجبل الكحل بكورة أصفهان. وأمنانهم مختلفة منٌ الريّ ستّمائة ورطلهم ثلاثمائة ومنٌ سائر الإقليم أربعمائة ويزن اللحم بالريّ بالرطل وآلات الصيادلة تزن بمنّ خراسان، ومنٌ أجناد أصفهان ثلاثمائة ومنٌ اليهوديّة همذانيٌّ.

ومكاييلهم مختلفة الجريب عشرة أقفزة وستّة أكفّ وجريب أَرْدِسْتان سبعة عشر منّاً وجريب اليهوديّة ثلاثة عشر بالأردستانيّ.

وسنجهم خراسانيّة وسنجة الريّ تزيد في كلّ مائة درهماً وربعاً وسنجة

طبرستان أرجح. أهل الريّ يغيّرون أسماءَهم يقولون لعليّ وحسن وأحمد: علكا حسكا حمكا. وأهل همذان أحمدلا ومحمّدلا وعيشلا وبساوة أبو العبّاسان حسنان جعفران وأكثر كنى أهل قُمّ أبو جعفر وأهل أصفهان أبو مسلم وبقزوين أبو الحسين.

وألسنتهم مختلفة أما بالريّ فيستعملون الراء يقولون: رادة راكن وأهل همذان يقولون: وأتم وأتوا وبقزوين القاف وأكثرهم يقولون للجيّد: نج، ولسان الأصفهانيّين وحش وفيه مدٌّ ولا يرى في ألسنة الأعاجم أقرب مأخذاً من لسان أهل الريّ، وأحسنهم ألواناً أهل الريّ والباقون مخضرُّون.

وبه جبال شاهقة مثل بِيسُتُون منيع أملس لا يُرتقى وبه غار فيه عين تجرى وجبل دماوند ممتنع جدًّا يرى من نحو خمسين فرسخاً وسمعتُهم يقولون: إن أحداً لا يرتقيه، وجبال الخُرَّمْدِينِيّة ممتنعة وهم قوم مرجئة بلا خلاف لا يغسلون من جنابة ولا رأيتُ في قراهم مساجد وجرى بيني وبينهم مناظرات فقلتُ: ألا يغزوكم المسلمون، وأنتم تعتقدون هذا المذهب قالوا: أَلَسْنا موحّدين؟ قلتُ: كيف؟ وقد أنكرتم فرائض ربّكم وعطّلتم الشريعة، قالوا: إنّا ندفع إلى السلطان في كلّ سنة أموالاً جمّةً.

ولا أعرف به مشاهد بلى به من عجائب الأكاسرة ومواضع الفراعنة مثل قصر شِيرِين ودار خُسْرَو وقصور كِسْرَى وقناة قد رفعت بالصخر من نحو فرسخ كان يجري فيها الخمر واللبن ونحو هذا.

ومن عيوبهم ما قدّمناه في عنوان الإقليم وفي أهل أصفهان بله وغلوٌّ في معاوية ووُصف لي رجل بالزهد والتعبُّد فقصدتُه وتركتُ القافلة خلفي وبتُّ عنده تلك الليلة وجعلتُ أسائله إلى أن قلتُ ما قولك في الصاحب فجعل يلعنه، ثم قال إنه أتانا بمذهب لا نعرفه قلت: وما هو قال: يقول معاوية لم يكن مرسلاً، قلتُ: وما تقول أنت؟ قال: أقول كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] أبو بكر كان مرسلاً، وعمر كان مرسلاً حتّى ذكر الأربعة، ثم قال: ومعاوية كان مرسلاً، قلتُ: لا تفعل أما الأربعة، فكانوا خلفاءَ، ومعاوية كان ملكاً، وقال النبيُّ ﷺ: «الخلافة بعدي إلى ثلاثين سنة، ثم تكون مِلْكاً»[1] فجعل يشنّع عليَّ وأصبح يقول للناس: هذا رجل رافضيٌّ فلو لم تدرك القافلة لبطشوا بي ولهم في هذا

---

(١) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ٢١٠).

الباب حكايات كثيرة، وتراهم يقدّدون الرئة وينادمون بها، والنساءُ يحرسن الحمّامات وترى عمائمهم مثل المخادّ مع خلق وحش ورسوم منكرة يخرج الدجّال من سوقهم.

والولايات فيه للديلم والريّ من أجلّ ممالكهم أوّل من غلب عليه ونزعه من يد خلفاء آل سامان الحسن بن بُوَيْه ولقَّب نفسه بركن الدولة ثم ابنه بويه لقَّب نفسه بمؤيّد الدولة ثم أخوه عليٌّ لقَّب نفسه بفخر الدولة وصاحب جيشهم يكون بالدامَغَان وقد غلبوا العوامَّ على دورهم وضياعهم وانجلى أكثر الناس من جورهم وهم الآن أصلح ولهم سياسة عجيبة ورسوم رديّة غير أنهم لا يتعرَّضون للتركات وإذا أجازوا بجائزة أجروها إلى الممات مع صولَة وهيبة وصبر في الحروب ونصرة ومملكة واسعة ودولة قويّة قد خطب عليهم بالصين واليمن وقاوموا ملوك الزمن وملك المشرق قد عجز عنهم وخلفاءُ بني العبّاس في حجرهم وسبعة أقاليم جليلة في قبضتهم.

والضرائب في هذا الإقليم غير كثيرة ولا ثقيلة إلاّ بأصبهان وأعمالها يؤخذ من كلّ حملٍ دخل اليهوديّة ثلاثون درهماً. وخراج الريّ عشرة آلاف ألف درهم وخراج الدينور ثلاثة آلاف ألف درهم وخراج قُمَّ ألفا ألف درهم وقزوين وأبهر وزَنجَان ألف ألف وستُّمائة ألف وثمانية وعشرون ألفاً، والصَّيْمَرَة ثلاثة آلاف ألف ومائة ألف قاشان ألف ألف دماوند عشرة آلاف ألف.

وأما المسافات فإنك تأخذ من الريّ إلى كِيلِينَ مرحلة ثم إلى كَيْس مرحلة ثم إلى الخُوَار مرحلة.

وتأخذ من الريّ إلى قُسْطان مرحلة ثم إلى مُشْكُويه مرحلة ثم إلى وبروه مرحلة ثم إلى ساوة مرحلة ثم إلى سُونَقين مرحلة ثم إلى المَصْدَقَان مرحلة ثم إلى الرُّوذَة مرحلة ثم إلى الدُّكّان مرحلة.

وتأخذ من همذان إلى بُوزَنَجِرْد مرحلة ثم إلى قرية الجنّ مرحلة ثم إلى الدكّان مرحلة.

وتأخذ من همذان إلى أَسَدَاوَاذ مرحلة ثم إلى قصر اللُّصُوص مرحلة ثم إلى قنطرة النُّعْمان مرحلة ثم إلى جبل بِيسُتُون مرحلة ثم إلى قَرْمَاسين مرحلة ثم إلى قصر عمرو بريدين ثم إلى الزُّبَيْدِيّة مرحلة ثم إلى طَزَر نصف مرحلة وإلى المَرْج تمامها ثم

إلى حُلْوَان مرحلة. وتأخذ من كرج إلى سواد مقولة مرحلة ثم إلى خوزن مرحلة ثم إلى برزانيان مرحلة ثم إلى آوه مرحلة ثم إلى قرية جرا مرحلة ثم إلى رباط جرا مرحلة ثم إلى وَرَامِين مرحلة ثم إلى كسكانة مرحلة ثم إلى الريّ مرحلة.

وتأخذ من كرج إلى وفراوندة مرحلة ثم إلى دارقان مرحلة ثم إلى خروذ مرحلة ثم إلى سابُرْخُوَاس مرحلة ثم إلى كركويش مرحلة ثم إلى الخان مرحلة ثم إلى رزمانان مرحلة ثم إلى اللُّور مرحلة.

وتأخذ من قصر اللصوص إلى كيز حراس مرحلة ثم إلى نهاوَنْد بريدين.

وتأخذ من همذان إلى الديمر مرحلة ثم إلى راكاه مرحلة، ثم إلى نهاوند مرحلة، ومن نهاوند إلى راكاه مرحلة ثم إلى جُوراب مرحلة ثم إلى الكَرَج مرحلة، وتأخذ من همذان إلى طاق سعيد مرحلة ثم إلى جوراب مرحلة، ومن الكرج إلى جراناباذ مرحلة ثم إلى أبتعه مرحلة ثم إلى جَرْبَاذَقَان مرحلة ثم إلى قنوان مرحلة ثم إلى مرج وزهر مرحلة ثم إلى المارِيين بريدين ثم إلى أزميران مرحلتين ثم إلى اليهوديّة نصف مرحلة.

إقليم خُوزستَان

هذا إقليم أرضه نحاس نباتها الذهب، كثير الثمار والأرزاز والقصب، وفيه الأنجاص والحبوب والرطب، والأترنج الفائق والرمّان والعنب، نزيه طيّب أنهاره عجب، بزُّه الديباج والخزّ، والرقاق من القطن والقزّ، معدن السكّر، والقَنْد والحلواءِ الجيّدة وعسل القطر، به تُسْتَرُ التي اسمها في المشرقَيْن، والعَسْكَرُ التي تميّز الدولتَيْن، والأهْوَازُ المشهورة في الخافِقَيْن، وبَصِنَّا التي ستورها في الدنيا إلى سِدْرة المنتهى، ومثل خزّ السُّوس لا ترى، ومع هذا به معادن النفط والقار، ومزارع الرياحين والأطيار، ثم واسطة بين فارس والعراق به كانت وقائع الإسلام وثَمَّ معارك القوم وقبر دانيال لا يخلو من فقيه وأستاذ ولا في الثمانية أفصح منهم لغات، به الدواليب الظريفة، والطواحين الغريبة، والأعمال العجيبة، والخصائص الكثيرة، والمياه الغزيرة، دخله كان يعضد الخليفة، وله آثين وطيبة، لم يطب لي في الثمانية غيره، فما أجلَّه من إقليم لولا أهله، وما أحسن قصباته لولا مصره، لأنّه يعني الأهواز مزبلة الدنيا، وأهله فمن شرّ الورى، وسنذكر فيه كلَّ خبر رُوي او مثل ضرب قال ابن مسعود رضي الله عنه سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «لا تناكِحوا الخُوز فإنَّ لهم أعراقاً تدعو إلى غير الوفاء»[1]، وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ليس على وجه الأرض شرٌّ من الخوز ولم يكن منهم نبيٌّ قطّ ولا نجيب، وقال عمر رضي الله عنه: إن عشتُ لأبيعنَّ الخوز ولأجعلنَّ أثمانَهم في بيت المال.

وفي حكاية أخرى منْ كان جاره خوزيًا فاحتاج إلى ثمنه فليبعه، وسُئل فقيه عن رجل حلف أن يطبخ شرَّ الطيور بشرّ الحطب ويطعمه شرَّ الناس قال: ينبغي أن يطبخ رَخَمَة بحطب الدِّفْلَى ويطعمه خوزيًا، ولا تراهم مع تلك الأموال الجمَّة والتجارات العجيبة والصناعة النفيسة عندهم من التمييز والتدبير ما عند غيرهم إذا ترعرع

(١) ذكره أبو نعيم في تاريخ أصفهان (٢: ٣٦١).

أولادهم طرحوهم في الغربة وأبلوهم بالأسفار والكسب فيتيهون من بلد إلى بلد ولا حظَّ لهم في علم ولا أدب.

والخوز ما علا عن الأهواز لأنَّ أكثر أهل الأهواز ناقلة من البصرة وفارس وكنتُ يوماً أسيرُ مع أبي جعفر بن محسن بالأهواز فشاجره بعض السوقة فقال له أنتم معاشر الخوز لا خيرَ فيكم فقال له السوقيُّ الخوز ما كان فوق الأهواز مثل العَسْكَر وجُنْدَيْ سَابُور والسُّوس وأمَّا نحن فعراقيُّون.

وسمعتُ أنَّ أهل بَصِنَّا وبَيْرُوت وما يقع في ذلك الصقع لهم أذناب بين القبل والدبر مثل الأصابع ألا ترى أنَّ أهل العراق يقولون لهم في الشتيمة يا خوزيُّ يا ذنبانيُّ والرجل الذي وُجد في الخوارج حين قاتلوا أمير المؤمنين عليًّا رضي الله عنه ودلَّ عليه وقال: له ثدي كثدي النساءِ كان من هذه البقعة التي ذكرنا، وتراهم مصفرّين من غير علَّة أصحاب غِلّ وحسد وغلو في المذهب غفر الله لنا ولهم ولا أخذنا بما ذكرنا من عيوبهم فإنَّا لم نُرِدْ هتك سترهم ولا إبداءَ عيوبهم ولكن أوضحنا ما رُوى فيهم عن النبيّ ﷺ وأصحابه.

وهذا شكله ومثاله مبلغَ جهدنا وغايةَ علمنا وبالله نستعين ونستوفق ونعتصم ونستهدي.

إعلم أنَّ هذا الإقليم كان يعرف قديماً بالأهواز وسبع كورها والآن قد تعطلت بعض تلك الكور واختُلف في بعض وناقض أصولنا بعضٌ وقد قلنا إنَّ مَثَل الملوك في علمنا، مثل الصحابة في علم الشريعة إذا قال أحدهم قولاً لم يُعْلَمْ له مخالف من الصحابة عُمل بقوله وكان حجَّةً وكان عضد الدولة من أجلَّة ملوك زمانه لأنَّ له في الإسلام آثاراً وعجائب أَلاَ ترى إلى مدنه التي بناها وأنهاره التي كراها والأسماءِ التي اخترعها والأشياءِ التي ابتدعها وقد كان يسمّى هذا الإقليم سبع الكور وتعارف الناس ذلك فاتَّبعناه في ذلك إذ لم نجد له مخالفاً.

فأوَّلها من قِبَل الجبال السُّوس ثم جُنْدَيْسَابُور ثم تُسْتَر ثم عَسْكَرَمُكْرَم ثم الأَهْوَاز ثم رامَ هُرْمُز ثم الدَّوْرَق هذه الأسامي تجمع الكور والقصبات وهنَّ قليلات المدن والإقليم قريب الأطراف.

فأما السُّوس فإنها كورة من تخوم العراق وحدّ الجبال بها مزارع الرزّ

والأقصاب ويطبخ بها سكّر كثير، من مدنها بَصِنًا مَتُّوت بَيْرُوت البِذَان قَرْيَةُ الرَّمْل كَرْخة.

وأما جُنْدَيْسَابُور فإنها كورة عمرها سابور بن فارس وأضافها إلى نفسه متّصلة بتخوم الجبال نزيهة ويقال: إنها كانت مركز الملوك في القديم يطبخ بها سكّر كثير، من مدنها الدِز الرُّونَاش بايوه قضبين اللُّور.

وأما تُسْتَر فإنها كورة كثيرة الفواكه والأعناب والأترنج والثمار عامّتها تحمل إلى الأهواز والبصرة لم أر لها مدينة بعد البحث ولذلك قدّمنا الاحتجاج في بابها وذكرنا أنها تخالف أصلنا لأنه لا بدّ لكلّ قصبة من مدن كما أنه لا بدّ لكلّ قائد من جند، فإن قيل: قد نقضتَ ما أوردتَه في سرخس فالجواب سرخس لا تسمّى كورة وهذه تسمّى كورة والأسماءُ في هذا الباب للملوك.

وأما العَسْكَرُ فإنها كورة جليلة يشقُّها ويحيط بها ثلاثة أنهار وبها رستاق المَشْرُقَان، لها من المدن جوبك وزَيْدان سوق الثلثاءِ حُبك ذو قرطم برجان خان طوق وسوق العسكر يوم الجمعة ثم إلى خان طوق ستُّ مدائن على أسامي أيّام الجمعة لكلّ يوم سوق.

وأما الأهواز فإن سابور لما بناها جانبَيْن سمّى أحدهما باسم الله عزّ وجلّ والآخر باسمه ثم جمعهما باسم واحد فاسمها هرمزداراوشير ثمّ طُرِح اسمه وبقي داراواشير ثم سمّتها العرب الأهواز وهي كورة يدخل فيها ما خرب وتعطّل من الدور القديمة وهي مَنَاذِرُ الكُبْرى ونهر تِيرَى وبلدٌ اجتزنا بها في نهر الرَّيَّان فرأيتُ بناءً عجيباً وسمعتُ أنها كانت من دجلة إلى نهر خوزستان، فقلتُ: لقاضي الخُوزيّة وكنتُ معه في المركب ما الذي دهاها قال: نزل عليها المُبَرْقَعُ لمّا استجاب له الزنج فجاوبوه فجعلوها كما ترى قال: وكانت أجلَّ من البصرة وذكر أن الناس إلى اليوم ينبشون منها أموالاً كانوا قد كنزوها وأواني من الصفر وغير ذلك، والذي عرفتُ من مدن الأهواز نهر تِيرى مَنَاذِرُ الكبرى مناذر[1] الصغرى جوزدك بيروه سوق الأربعاءِ حصن مَهْدِيّ

(١) مناذر: إن كان عربياً فهو جمع منذر، وهو من أنذرته بالأمر أي أعلمته به، والأصح أنه أعجمي، قال الأزهري: اسم قرية واسم رجل، هو محمد بن مناذر الشاعر، والمناذر بلدتان في نواحي خوزستان، مناذر الكبرى ومناذر الصغرى أول من كوره وحفر نهره أردشير بن بهمن الأكبر بن أسفنديار بن كشتاسب، وهي كورة من كور الأهواز. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٣٠).

باسيَان شُورَاب بندم الدَوْرَق وسنة جُبّى. وأما الدَّوْرَق فإنها كورة تتاخم العراق على القرنة من مدنها آزَر أَجَم بخساباذ الدز اندبار ميراقيان ميراثيان.

وأما رامَهُرْمُز فإنها كورة تتاخم فارس نزيهة عامرة الجبال كثيرة النخيل والزيتون والحبوب لا حظَّ لها في السهل إلاّ اليسير ولا مزارع فيها لقصب السكّر ولا يبلغ إليها أنهار الإقليم ولهم نهر على حِدَةٍ، من مدنها سَنْبِل إيذَج تيرم بازنك لاذ غروة بابج كوزوك كلُّهنَّ جليلات جبليّات.

السُّوس قصبة عامرة طيّبة ولهم في الخير رغبة بها أسواق بهيّة وأخباز حسنة ومياه جارية تدير في البلد الأرحية ولها حمّامات جيّدة وحلاوات رخيصة وضياع نزيهة ونعم كثيرة وسواد حسن وقصب عجب وعلم وقرآن وحديث وأدب وسنّة وجماعة وجامع سويّ على أساطين مدوَّرة غير أنّهم حنابلة وفي الصيف غير طيّبة ثم ترى دور الزناءِ عند أبواب الجامع ظاهرة ثم لا ترى لقرّائهم ولا لمشايخهم هيبة ولا لمذكّريهم قيمة ولا حسبة ويقطعون أوقاتهم بالرقص وأكثرهم حُبّيّة والمدينة خربة والناس يسكنون الربض وقد كانت حصينة على نشزة عجيبة إلاّ أن جيوش عمر حاربوهم حرباً عظيماً فهدموها وقبر دانيال في نهر خلف المدينة وعلى حافة النهر قبال القبر مسجد حسن والقبر لا يدرى إنّما ينزل في الماءِ وله قصّة.

وبَصِنّا صغيرة غير أنها عامرة رجالهم ونساؤُهم ينسجون الأنماط ويغزلون الصوف ولهم نهر يسمُّونه دجلة فيه سبعة أرحية في السفن والجامع حسن على باب المدينة من نحو النهر والنهر منها على رمية سهم وعليها حصنان محكمان مصلّى العيد بينهما.

وبَيْرُوت كبيرة بها نخل كثير يسمُّونها البصرة الصغرى، ويقال: إنها كانت قصبة كورة في القديم، ورأيتُها من البعد وأنا سائر من البِذَان أريد بَصِنّا.

وكَرْخَة عامرة طيّبة صغيرة سوقها يوم الأحد شربهم من نهر وعليها حصن ولها بساتين، وسائر المدن نزهات عامرات والإقليم كلُّه أنهار تجري.

جُنْدَيْسَابُور كانت قصبة عامرة جليلة وبلدة قديمة وكانت مصر الإقليم والآن قد اختلّت وغلب عليها الأكراد، وظهر فيها الجور والفساد، غير أنها كثيرة السكّر وسمعتُهم يذكرون أن عامّة سكّر خراسان والجبال منها وهم أهل سنّة ولهم نهران

وطُرُز كثيرة وضياع جليلة ومزارع الأرزاز والرخص والخيرات وبها فقهاء ومياسير.

واللُّور على حدّ الجبال ويقال أنّها مضافة منها إلى هذا الإقليم وبها طُرُز كثيرة غير أن سكّرها ليس بالجيّد، ولم أدخل بقيّة المدن.

تُسْتَر ليس بالإقليم أطيب ولا أحصن ولا أجلّ من هذه يدور حولها النهر ويحدق بها البساتين والنخل معدن كلّ حاذق في عمل الديباج والقطن قد جمعت الأضداد، وفاقت البلاد، واشتهرت في العباد، وهي التي قيل: إنها جنّة ترعاها الخنازير ولا تسأل عن الفواكه والخيرات ولقد استطبتُها واستحسنتُها ترى أسواقاً سويّة وخصائص كثيرة يرحل إليها من المشرق والمغرب ولهم مياه باردة تجري تحت الأرض إلاّ أن جامعهم لطيف والحرّ عندهم شديد وجسرهم طويل وليس غيره طريق وكثيراً ما يضلّ في أسواقها الغريب وبالجانب الآخر عمارة يسيرة ومقابرهم وسط البلد والجامع وسط الأسواق في البزّازين وعلى باب البلد سوق بزّ آخر وعند الجسر موضع نزيه به القصّارون ومَنْ أراد ركوب السفينة إلى العسكر احتاج أن يمشي نحو فرسخ ولها قرى يا لك من قرى بلا منابر.

العَسْكَرُ كان للحجّاج بن يوسف غلام اسمه مُكْرَم نزل بعسكره هذا الموضع فاستطابه وانحاش الناس إليه وعُمر فسمّى عَسْكرَ مُكْرَمٍ وهي قصبة لا يرى بالأعاجم أنظف منها ثمر طيّب بهيّ الأسواق كثير الخير رخيص الحلواءِ حسن الأخباز ولهم خصائص وبه متاجر ولهم عقلاءُ فهماءُ وأكثرهم علماءُ تراهم يدرسون في المسجد إلى ضحى غير أنهم قد بغّضوا أنفسهم إلى الناس بعلم الكلام، وخالفوا بالاعتزال جميع الإسلام، حتّى ذمّهم المذكّرون والعوامّ، وبها علّة دواءُها الأثام، وكزودا تقتل بالسمام، فليس للغريب بها مقام، دخلتُها صلاة الغداة وخرجتُ منها المغرب وهي جانبان أعمرها الّذي يلي العراق وبه الجامع ومعظم الأسواق وبين الجانبين جسران من سفن، وسائر المدن على أنهار وبهنّ طُرُز كثيرة بخاصّيّة المَشْرُقَان وما يُدْريك ما المشرقان، والأصوب أن تكون خان طوق من مدن الأهواز.

الأَهْوَازُ هو مصر الإقليم ضيّق منتن ذميم، لا دين ولا لهم أصل كريم، ولا فقيه إمام ولا مذكّر حكيم، ولا وقت طيّب ولا قلب سليم، الغريب به في حيرة سقيم، ولا عيش هنيء فيه أيضاً للمقيم، بقّ وبراغيث وكرب عظيم، في الليل دبس وفي النهار حرّ السموم أبداً يرقبون الشمال ويخافون الجنوب عقارب وحيّات وماءٌ

حميم، وقوم سوء في شرّ مصر وضيق وشؤم، يُجْبى إليه الفواكه من مكان سحيق، ومن البعد يُجلب إليه الدقيقَ، ثم سواد يابس، وجبل عابس، وسوق طَفِس، وتراب سبخ ليس لقارئهم طيبة، ولا لجامعهم حرمة، ولا لبلدهم رئيس ولا لفقيههم مجلس، أهل مباراة وتعصُّب، ومماراة وتقلُّب، تَرَى أهل البلد حزبَيْن، وفي الصحابة فريقَيْن، إلاَّ أنه خزانة البصرة ومطرح فارس وأصفهان وبه قياسير حسنة وأخباز نظيفة وآدام وبه تجتمع الخزوز والديباج وإليه تحمل البضائع والأموال وهو مغوثة وفرجة للتجَّار، ومنهل عامر لكلّ مارّ، واسمه كبير في الأقاليم والأمصار، شتاؤُه طيّب والخريف لولا الذُّبَاب، والربيع أيضاً لولا براغيث كالذِئَاب، وهو مع ذلك رفق بالضعيف في الثياب.

يكون مثل الرملة ذو جانبَيْن إلاَّ أن الجامع ومعظم الأسواق في الجانب الفارسيّ والجانب العراقيُّ جزيرة خلفها عمود النهر على ما ذكرنا من فسطاط مصر بينهما قنطرة هِنْدُوَان من الآجرّ عليها مسجد يشرف على النهر حسن.

وقد كان عضد الدولة هدمها وبناها مع المسجد بناءً عجيباً لتضاف إليه فأَبَى الناس أن يسمُّوها إلاَّ قنطرة هندوان وعلى هذا النهر دواليب عدَّة يديرها الماءُ تسمَّى النَّوَاعِير ثمَّ يجري الماءُ في قنيّ متعالية إلى حياض في البلد وبعض يجري إلى البساتين ويمدُّ العمود من خلف الجزيرة نحو صيحة إلى شاذْرُوَان قد بُني من الصخر عجيب يتبحَّر الماءُ عنده وثَمَّ فوَّارات وعجائب والشاذروان يردُّ الماءِ ويفرّقه ثلاثةَ أنهار تمدُّ إلى ضياعهم وتسقى مزارعهم وهم يقولون: لولا الشاذروان ما عمرت الأهواز ولا انتفع بأنهارها وفي الشاذروان أبواب تفتح إذا كثر الماءُ لولاها لغرقت الأهواز وتسمع للماءِ المنحدر صوتاً يمنع من النوم أكثر السنة وزيادته تكون في الشتاءِ لأنّه من الأمطار لا من الثلوج ونهر المَشْرُقَان يشقُّ في أسفل البلد إلاَّ أنه يجفُّ عامَّة السنة ويتبحَّر الماءُ بموضع يسمُّونه الدَّوْرَق والأهواز بهذه الأنهار طيّبة والسفن تذهب وتجيءُ وتعبر مثل بغداد ويفترق الأنهار في أعلى البلد وتجتمع بأسفله في موضع يقال له كارشنان ومن ثَمَّ تركب السفن إلى البصرة ولهم طواحين على الماءِ عجيبة.

وسُوقُ الأَرْبَعَاءِ على شعبة من هذا النهر ذات جانبين بينهما قنطرة من خشب تجري تحتها السفن والجانب العراقيُّ أعمر وفيه الجامع.

وحِصْنُ مَهْدِيّ عامرة بها تجتمع أنهار الإقليم كلُّها ثم تفيض إلى البحر وبها حصن بناه مهديٌّ وهي ثغر لقربها من البحر وهناك رباطات وعبّاد الجامع على الشطّ وبها مجتمع الطرق، وسائر المدن على أنهار لها جزر ومدٌّ وبها نخيل ومزارع وأعمر سواد الأهواز نحو سوق الأربعاءِ وما يدخل في ذلك الصقع.

الدَّوْرَق قصبة عامرة متطرّفة من نحو العراق على نهر ذات رستاق واسع وسوق كبير وخصائص وخيرات حسنة الوضع ومعدن الخيش وهي أصغر من السوس وسوقها متشعّب والجامع على طرفه شربهم من النهر وإليها يقصد حجّاج فارس وكرمان.

ميراثيان ذات جانبين ولها أسواق عامرة في كلّ جانب جامع وميراقيان لها رستاق واسع على نهر يصل إليه المدُّ والجزر وبه قرى كثيرة وأعمال نفيسة.

وجُبّى عمل واسع ذو قرى عامرة وأنهار ونخيل ومنها كان أبو عليّ رأس المعتزلة. ومن الناس من جعل عبّادان من هذه الكورة وإنّما هي من العراق فإن قيل: إنّما جعلناها من هذا الإقليم لاتّفاقهم في اللسان ولأنَّ لها نظائر في هذا الإقليم في القافية ألا ترى أنّك تقول: عبّادان مثل ما تقول: باسيان ميراقيان البِذَان.

فالجواب: أما اتّفاقهم في اللسان فليس بحُجَّة لأن سواد البصرة كلّهم عجم وأما موافقتها هذه المدائن في آخر أساميها فإن لها أيضاً نظائر من مدن البصرة في هذا المعنى مثل بدران رومان وشقّ عثمان.

فإن قيل: ما قلناه أوّلُ لأنَّ هنا ترجيحاً ليس معكم وذاك إنها توافق الإقليم أيضاً في هذه العلّة ألا ترى أنّك تقول خوزستان.

فالجواب: يجب أن تجري العلّة في جميع المعلومات وتعمّ سائر النظائر، فنقول: إنَّ شامان وسليمانان أيضاً من خوزستان، فإن ارتكب ذلك قيل له: فما تنكر على قائل يقول: إن عبّادان من جزيرة العرب لأنَّ لها نظائر فيها وهي عمان نجران سمران فإذا لم يجُزْ أن نجعلها من الجزيرة من أجل هذه العلّة علمتَ أنّها لا تشبه بَذْليس لمّا قِسْناها على تِفْلِيس لأنّا لم نجد بأقور موضعاً على هذه القافية ووجدنا بالرِّحَاب عدَّةً من مدن وقرى.

رامَ هُرْمُز قصبة كبيرة بها أسواق عامرة وخيرات كثيرة وجامع بهيٌّ عنده أسواق

في غاية الحسن بناها عضد الدولة ما رأيتُ أعجب منها نظيفة ظريفة قد زُوّقت ويُزبِقت ويُلّطت وظُلّلت وجُعل عليها دروب تُغْلق في كلّ ليلة يسكنها البزّازون والعطّارون والحصّارون وفي سوق البزّ قياسير حسنة شربهم من نهر وآبار والنهر بالنُّوَب وقد حفّت بها النخيل والبساتين وبها دار كتب كالتي بالبصرة والدارانِ جميعاً اتّخذهما ابن سوّار وفيهما أجزاءٌ على من قصدها ولَزم القراءَة والنسخ إلاّ أن خزانة البصرة أكبر وأعمر وأكثر كتباً وفي هذه أبداً شيخ يُدْرس عليه الكلام على مذاهب المعتزلة ومصلّى العيد على طرف البلد بين الدور وهو بلد نفيس إلاّ أنهم يحتاجون في ليالي الصيف إلى الكِلَل مع كثرة البقّ وقد خفّت أطرافها وغلب السلطان على ضياعها، ودخلتُ على رئيسها أبي الحسن بن زكريّاء وقد كان سكن فلسطين مدّة مديدة، فقال: لقد ندمتُ على مفارقة تلك الديار ورجوعي إلى بلد لا أرى به قرّة عيني وإذا به يتوسّل ويجتهد أن يُعْطَى من ضياعه التي أُخذت منه مقدارَ قُوت فلا يُعْطَى، ثم الطرق إليها صعبة والعرب بها محيطة وترى طباعاً رديّةً ورؤساء وحشيّةً.

وإيذَج هي أجلُّ مدن الكورة وسلطانها يقوم بنفسه تكون مثل أَسَدَاواذ وسط الجبال يقع بها ثلج كثير يحمل إلى الأهواز والنواحي وشربهم من عين شعب سليمان ومزارعهم على الأمطار ولهم ماءٌ آخر كثيرة البطّيخ والخيرات وهي في هودة.

وكوزوك جبليّة أيضاً لا ينقطع منها العنب كثيرة البنفسج والريحان طيّبة. وغروة من المذكورات على ما ذكرنا من العمارات.

ولاذ جبليّة أيضاً وكلُّ مدن هذه الكورة من هذا الجانب الواحد وسائر الوجوه بوادٍ.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم حارٌّ مياهه معتدلة إلاّ ماء جنديسابور فإنّه مع صحّته خشن وهواءُ السوس غير صحيح وكلّما قرب من دجلة بغداد فهو أصحُّ وبه نخل كثير وليس به جبل شاهق ولا رمل دهس إلاّ بين البِذَان ونهر تِيرَى ولا يقع به ثلج ولا يتجلّد الماءُ إلاّ بسواد رام هُرْمُز ويشقُّ أكثره الأنهارُ يجري في جميعها السفن، قليل النصارى غير كثير اليهود والمجوس وبه مذكّرون لهم جلبة وأدنى صيت وبه متقرّئون إلاّ الأهواز

ورباطات وتصوُّف إلاَّ العسكر، وقبلتهم غير صحيحة بخاصَّة بَصِنًا ولمَّا عُدْتُ منه إلى البصرة قال لي أصدقائي يَمْزَحُون: أعِدِ الصلوات التي صلَّيتها بخوزستان فإنهم يصلُّونها إلى غير القبلة.

ومذاهبهم مختلفة هو أكثر الإقليم معتزلة أما العسكر فكلُّهم وأكثر أهل الأهواز ورام هرمز والدورق وبعض أهل جنديسابور.

وأما السوس وأجنادهم فحنابلة وحُبَيّة ونصف الأهواز شيعة وبه أصحاب أبي حنيفة كثير ولهم فقهاءُ وأئمّة وكبراءُ وبالأهواز مالكيُّون.

ولمَّا دخلتُ السوس قصدتُ الجامع في طلب شيخ اسمع منه شيئاً من الحديث وعليَّ جبّة صوف قبرصيّة وفوطة بصريّة فدفعتُ إلى مجلس الصوفيّة فلمَّا قربتُ منهم لم يشكُّوا إلاَّ وَأَنَا صوفيٌّ فتلقَّوني بالترحيب والتحيّة وأجلسوني فيما بينهم وجعلوا يسألونني ثم بعثوا رجلاً فأتى بطعام فجعلتُ أنقبض عن الأكل وما كنتُ صحبتُ هذه الطائفة قبل ذلك فجعلوا يتعجَّبون من انقباضي وعدولي عن رسومهم، وقد كنتُ أُحبُّ أن أخالط هذه الطائفة وأعرفَ طريقتهم وأعلمَ حقائقهم، فقلتُ في نفسي: هذا وقتك هذا موضع أنت به مجهول، فانبسطتُ إليهم فكشفتُ ثوب الحياءِ عن وجهي فمرّة كنتُ أراسلهم وكرّة أزعق معهم وتارة أقرأ لهم القصائد وأخرج معهم إلى الرباطات وأذهب إلى الدعوات حتَّى والله حللتُ من قلوبهم وقلوب أهل البلد بحيث لا غاية ووقع لي بها اسم وقصدني الزوَّار وحُملتْ إليَّ الثياب والصُوَر وكنتُ آخذه وأدفعه إليهم برُمَّته في الوقت لأنّي كنتُ غنيًا في وسطي نفقة وافرة وأنا كلَّ يوم في دعوة وأيّ دعوة وكانوا يظنُّون أنّي أفعله زهداً وجعل الناس يتمسَّحون بي ويُذيعون خبري ويقولون: لم نر فقيراً قطُّ أفضل من هذا حتَّى إذا وقفتُ على سرائرهم وعرفتُ ما أردتُ منهم هربتُ منهم في سجوّ ليلة فأصبحتُ وقد قطعتُ أرضاً فبينا أنا يوماً بالبصرة وعليَّ ثوبي وغلام يتبعني إذا رآني رجل منهم فوقف ينظر إليَّ شبهَ المتعجب فجزتُ عليه شبهَ المنكر.

ورسومهم لا يتطلّس إلاَّ وجيه أكثرها أردية مربّعة والعوائمُ بالمناديل والفُوَط ولهم لَباقة وإذا صلَّى الإمام الغداة بجوامعهم اجتمع عليه الناس فختم بهم ودعا وكذلك بشيراز والخطباءُ به يلبسون الأقبية والمناطق على رسم العراق ولا يهلّلون بعد الجُمْعة ويلتفت الخطيب يميناً وشمالاً ويضجُّون بالدعاءِ خلف الصلوات على

رسم الشام ومصر. ويدخلون الحمّامات بلا ميازر ويكثرون خبز الأرزّ وركوب البقر ووضع حِبَاب الماءِ في الشوارع والطرق بين الأجناد على كلّ فرسخ وربّما حُمل إليها الماءُ من بُعْد.

ورسومهم قريبة من رسوم العراق يختارون ما كبر من الفصوص وجلّ من اللؤلؤ ولا يرى في الإسلام أصحُّ من موازين العسكر ثم الكوفة.

والتجارات به مفيدة لأنّ كلّ سكَّر تراه ببلدان الأعاجم والعراق واليمن فمن ثَمَّ يُحْمَل ويرتفع من تستر الديباج الحسن والأنماط وثياب مرويّة حسنة وفواكه كثيرة ومن السوس السكَّر الكثير وبزٌّ والخزوز ومن العَسكر مقانع القزّ تُحْمل إلى بغداد وبزٌّ جيّد له بقاءٌ وثياب القنّب والمناديل وغير ذلك ممّا يرتفق به أهل الأهواز وستور بَصِنًّا وأنماط قرقوب معروفة وتعمل بنواحي واسط ستور يكتب عليها ممّا عُمل ببصَّنا وتخرج خروجها وليس مثلها ويعمل بالأهواز فوط من القزّ حسنة تلبسها النساءُ ويعمل بنهر تيري أُزُر كبار.

ولهم خصائص ليس مثل مُرى جنديسابور وحلواءِ الإقليم وخزّ السوس غير العمائم لأنّ سَكْب الكوفة لا نظير له وسكَّر العنب وببصَّنا الأنماط والستور الجيّدة ويقول حسنة ودَسْتَنْبُوى تستر وقصب السوس ورطب نهر تيرى في غاية الجودة.

ويقع عصبيات في الأهواز بين المروشيّين وهم شيعة وبين الفَضْليّين وهم سنّة حروب وبين أهل البِذَان وبصنا وبين أهل تستر والعسكر وبين أهل تستر والسوس عصبيّات من أجل تابوت دانيال عليه الصلاة والسلام وذلك أنّهم ذكروا لمّا ظهر قبر دانيال عليه الصلاة والسلام جُعل في تابوت فكان يُحْمل إلى المواضع يستسقى به قالوا: فتباعد التابوت عنّا ثمّ عاد إلى تستر فضبطوه فبعثنا إليهم عشرةً من المشايخ رهائن إلى وقت ردّه فلمّا حصلوه شقُّوا له هذا النهر وبنوا هذا الأزج وخلّوا عليه الماءَ وبقي أولئك الرهائن عندهم فمن ثمّ وقعت بيننا هذه العصبيّات ومن أجل هذا ذهب قدر مشايخنا إلى اليوم.

ومن الإقليم في اللحم والسمك غير الأهواز أربعة أرطال ومنُّ الخُبز مكّيٌّ ومنُّ الأهواز بغداديٌّ في كلّ شيءٍ.

ونقودهم مثل المشرق الذهب بالدوانيق كلُّ دانق ثمان وأربعون تمونة وهي

الأرزّة وكلُّ ألف درهم وُزنت بأصفهان فإنها تنقص بتستر خمسة وعشرين ثمَّ التستريّة تزيد على الأهوازيّة بستّة دراهم وكلُّ مائة دينار وُزنت بقزوين فإنها تزيد بتستر خمسة وأربعة دوانيق وكلُّ مائة درهم وُزنت بخراسان نقصت بخوزستان درهمين وليس يعرفون القيراط.

ومكاييلهم المكُّوك والكُرُّ والمختوم والكفُّ والقفيز فمكُّوك جنديسابور ثلاثة أمناءٍ ونصف والكرُّ أربعمائة وثمانون ومختوم الأهواز صاعان وهو ثلاثة أكفّ والقفيز سبعة أمناءٍ من الحنطة وكرُّهم ألف ومائتان وخمسون مناً حنطة ويكون ألفاً من الشعير.

وليس في أقاليم الأعاجم أفصح من لسانهم وكثيراً ما يمزجون فارسيَّتهم بالعربيّة ويقولون أين كتاب وَصْلا كُنْ وأين كار قطْعاً كُنْ وأحسن ما تراهم يتكلّمون بالفارسيّة حتّى ينتقلون إلى العربيّة وإذا تكلّموا بأحد اللسانَيْن ظننتَ أنهم لا يُحْسِنون الآخر وفي كلامهم طنين ومدٌّ في آخره وإذا قالوا أسمع قالوا: ببخش، ويسمُّون الكباد: خيمال، ورؤوس أهل رام هرمز مبلطحة، وليس لهم صفاءٌ ولهم لسان لا يفهم، وأخبرنا أبو الحسن مطهر بن محمَّد الرامَ هُرْمُزيّ قال حدَّثنا منصور بن محمَّد قال حدَّثنا إسحاق ابن أحمد قال حدَّثنا محمَّد بن خالد بن إبراهيم قال حدَّثنا أبو عصمة قال حدَّثنا إسماعيل بن زياد قال حدَّثني مالك القطّان عن خُلَيد عن عمران المَقْبُريّ عن أبي هُرَيرة قال قال رسول الله ﷺ: «أبغض الكلام إلى الله الفارسيَّة وكلام الشياطين الخوزيَّة وكلام أهل النار البخاريّة وكلام أهل الجنَّة العربيّة»[1].

وخراج الأهواز ثلاثون ألف ألف درهم وكانت الفرس تقسّط على جميع الإقليم خمسين ألف ألف درهم.

وأما المسافات تأخذ من السوس إلى قُرْقُوب مرحلة ثم إلى الطِّيب مرحلة، وتأخذ من السوس إلى بصنَّا بريدَيْن ثم إلى البِذّان مثلها.

وتأخذ من جُنْدَيْ سابور إلى اللُّور مرحلة ثم إلى الدِز مرحلتين ثم إلى رايكان مرحلة ثم إلى كُل بايكان ٤٠ فرسخاً مفازة ثم إلى كَرَج أبي دلف مرحلة.

وتأخذ من تستر إلى قرية الرمل مرحلة ثم إلى بصنا مرحلة، وتأخذ من العسكر

---

(١) ذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (١: ١٣٧).

إلى الحصن مرحلة ثم إلى الحصن أيضاً مرحلة ثم إلى رام هرمز مرحلة.

وتأخذ من العسكر إلى تستر أو إلى الأهواز مرحلة مرحلة، وتأخذ من جنديسابور إلى السوس أو إلى تستر مرحلة مرحلة ومن بَيْرُوت إلى السوس أو البِذَان مرحلة مرحلة.

وتأخذ من الأهواز إلى شُوراب بريداً ثم إلى مندم مرحلة ثم إلى قصبة الدورق مرحلة، وتأخذ من الأهواز إلى سوق الأربعاءِ مرحلة ثم إلى حصن هديّ مرحلة ثم إلى فم العَضُديّ مرحلة ثم أنت في دجلة العراق، وتأخذ من حصن مهديّ إلى بيّان في سبخة على الظهر مرحلة.

واعلم أنّ نهر الأهواز ودجلة يفيضان إلى بحر الصين بينهما هذه السبخة وكان الناس في القديم يذهبون في النهر إلى البحر ثم يعودون فيدخلون من البحر إلى دجلة ثم إلى الأبلّة وكانوا على خطر وفي تعب حتّى شقّ عضد الدولة نهر عظيماً من نهر الأهواز إلى نهر دجلة طوله أربعة فراسخ والطريق اليوم فيه. وتأخذ من الأهواز إلى أَجَم مرحلة، ثم إلى آزر مرحلة، ثم إلى رام هرمز مرحلة.

وتأخذ من الأهواز إلى الدورق مرحلة ثم إلى خان مرحلة ثم إلى بصنا مرحلة ثم إلى قرية الرمل مرحلة ثم إلى قُرْقُوب مرحلة، ولها طريقان أُخراوان.

وتأخذ من الأهواز إلى نهر تيرى مرحلة ثم إلى نهر العبّاس مرحلة ثم إلى الخُوزيّة مرحلة ثم تركب الماء إلى الأبلّة مرحلة.

وتأخذ من الأهواز إلى الإسْحاقيّة مرحلة ثم إلى الجسر المحترق مرحلة ثم إلى حصن مهديّ مرحلة.

وتأخذ من نهر العبّاس إلى عسكر أبي جعفر مرحلة ثم تعبر إلى الأبلّة وهي طريق الدوابّ.

وتأخذ من رام هرمز إلى سَنْبل مرحلتين ثم إلى أَرَّجان مرحلة، وتأخذ من رام هرمز إلى تيرم مرحلة ثم إلى غروة مرحلة ثم إلى البازير بريدين ثم إلى إيذج مرحلة ثم إلى الدِز مرحلة ومن الدز إلى الدَّوْلاَب مرحلة ومن الرام إلى الرُّطّ مرحلة.

وتأخذ من رام هرمز إلى بده مرحلة ثم إلى جسر جهنّم مرحلة.

إقليم فارس

هذا إقليم ترابه معادن وجباله مشاجر شوكه العَنْزَرُوت ومن أغنامه البازهر الموصوف، وعيونه المومياي المعروف، وإليه تنسب الثمانية أقاليم به نخل وأترنج وزيتون ورياس وأقصاب وعكُوب، وجوز ولوز وخرنوب، وبه تعمل الأبراد والخزوز، والبسط الصنيعة والبزوز، والأكسية العجيبة والستور وثياب كتّان تشاكل القصب وديباج وأنواع من الحلل. به المنازه المذكورة، والقصبات المشهورة، والمدن الطيّبة كفَسَا وشعب بوّان وسَابُور ونُوبَنْدَجَان ودارابَجِرْد الجليلة الشان، ولا يخفى فضل سِيرَاف وأَرّجان وبإصْطَخْر العجائب والبنيان وقد جلَّت جُور على البلدان، بماورد وأسباب، وشابهَتْ سابُورُ سُغْداً بإضراب، وزادت عليها بزيتون وأترنج وأقصاب، فهي أشجار وأثمار وأنهار.

ففارس إقليم جليل طيّب كثير الخيرات، ومعدن التجارات، وقال لي يوماً أبو الحسن المُؤَمَّليُّ كيف وجدت فارس قلتُ وجدتُها أشبه الأقاليم بالشام لأنها تجمع أضداد الثمار وبه جروم وسرود ومعتدلات، وجبال مشجرة عامرة وعسل وزيتون وبركات، لم أرها بعد الشام إلاّ بفارس إلاّ أنه معدن الجَوْر والفَسَاد كثير العقارب وحش اللسان ثقيل الضرائب حارُّ الأطراف بارد الصرود ورسوم المجوس به ظاهرة وأكثر الضياع مقتطعة عمره فارس بن طهمورث.

وقد جعلنا فارس ستَّ كور وثلاث نواحٍ فأوّلها من قبل خوزستان أَرّجان ثم أَرْدَشير خُرّه ثم دَرَابَجِرْد ثم شِيرَاز ثم سَابُور ثم إصْطَخْر والنواحي الرَوذَان نَيْرِيز خَسُو.

فأما أرّجان فإنها كورة جليلة سهليّة جبليّة بحريّة كثيرة النخيل والتين والزيتون والدخل والخيرات يحكى عن عضد الدولة أنه قال غرضي من العراق الاسم ومن أرّجان الدخل، وأرّجان كان ابن قرقيسيا بن فارس غضب على أبيه ورحل من أقْوَر

فكُوِّرت له هذه الكورة وأضيف إليها بعض مدن أردشير خرَّة وغيرها وإن قويت مقالة مَنْ جعل رامَ هُرْمُز من فارس فيجوز أن تكون من المضافات وقد رُدَّت الآن إلى خوزستان، وقصبة أرَّجان على اسمها ومن مدنها نحو البحر قوستان داريان مَهْرُبَان جَنَّابَة سِينِيز وفي الجبال جُومَة هِنْدُوَان.

وأما أَرْدَشِير خُرَّة فإنها كورة قديمة رسمها نمروذ بن كنعان ثم عمرها من بعده سيراف بن فارس أكثرها ممتدٌّ على البحر شديدة الحرّ قليلة الثمار قصبتها سِيرَاف ومن مدنها جُور ميمند نابَنْد الصِّيمكَان خَبْر خَورِسْتان الغُنْدِجَان كُرَان سَمِيرَان زيريَاذ نَجِيرَم نابند دُونَ سورو رأس كِشْم.

وأما دَرَابَجرْد فإنها كورة نفيسة عمرها درابجرد بن فارس وبها كان المصر في القديم وكان ينزلها الملوك كثيرة المعادن جليلة الخصائص طيّبة الهواءِ قصبتها على اسمها ومن مدنها طَبِسْتان الكُردبان كُرْم يَزْدَخواسْت المَسْكَانات زمُّ شهريار كدروا أوجين إيك ولها ناحية نَيْرِيز مدنها خيار المُرَيْزِجان المَاذَوَان وناحية خَسُو مدنها رُوبَنْج رستاق الرستاق فُرْج تارم ومن المدن ذات الرساتيق الجليلة جُوَيم أبي أحمد الإِصْبَهَانَات سنان برك أزبراه.

وأما شِيرَازُ فإنها لم تكن في القديم كورة وإنّما كانت مدينة بناها شيراز بن فارس إلاَّ أنَّ المسلمين مصَّروها لمَّا فتحوا الإقليم واستطابها الملوك فنزلوها وهي في الدواوين إلى إصطخر مضافة غير أنّي قد أضفتُ إليها مدناً كثيرة وكوَّرتُها لأنَّ بها المصر الأعظم والدولة لها والدواوين إليها وهي كثيرة الجبال معتدلة الهواءِ قصبتها على اسمها ومدنها البَيْضاءُ فَسَا المصُّ كُول جُور كَارَزِين دَشْتُ بَارِينَ جَمُّ جُوبَك جَمَكان كُورْد بَجَّه هَزَار أَبَك.

وأما سابُور فإنها كورة نزيهة قد اجتمع في البستان الواحد منها النخل والزيتون والأترنج والخرنوب والجوز واللوز والتين والعنب والسِدْر وقصب السكّر والبَنَفْسَج والياسمين وترى الأنهار جارية والثمار دانية والقرى ممتدَّة تمشي الفراسخ تحت ظلّ الأشجار مثل سُغْد وعلى كلّ فرسخ خبَّاز وبقَّال، قريبة من الجبال اسم قصبتها شَهْرَسْتان ومن مدنها دريز كازرُون خُرَّة النُّوبَنْدَجَان كارِيَان كُنْدُرَان تَوَّز زَمُّ الأكراد جُنْبَد خَشْت.

وأما إصْطَخْر فإنها أوسع الكور كثيرة المدن كبيرة الاسم عمرها إصطخر بن فارس ومن مدنها هَرَاة مَيْبُذ مائين الفَهْرَج الحِيرة فارُوق سَرْوستان أُسْبَانْجان بوّان كرمان شهربابق أُورْد الرون خُرّمَة دِه أُشْتُرَان تَرْك نِيشَان صاهه شَبَابك.

أَرَّجان قصبة شديدة العمارة كثيرة الخيرات جليلة المدن سريّة الأهل تجمع الثلج والرطب، والليموا والعنب، هي معدن التين والزيتون، وبها يعمل الدبس الفائق والصابون، خزانة فارس والعراق ومطرح خوزستان وأصفهان بها نهر غزير يشقّ البلد وجامع حسن عامر على طرف الأسواق به منارة طويلة ظريفة بنيانهم حجر غير مؤلّف وبه سوق البزّازين على عمل سوق سجستان عليه أبواب تغلق كلّ ليلة وهو صفوف مصلّبة والأبواب من الأربعة جوانب يقابل بعضها بعضاً ولا ترى أحسن من سوق الحنطة بها نظيفة طيّبة في الشتاءِ قد غابت في النخيل والبساتين وآبارها حلوة وقُلْ ما شئتَ في الخبزات والأسماك والثلج والرطب إلاّ أنها في الصيف جهنّم ويملح ماءُ النهر من وقت العنب إلى وقت المطر ولا ترى النساء في بلدٍ أغنّ منهنّ بها، لها ستّة دروب درب الأهواز درب رِيشَهْر درب شيراز درب الرُّصَافة درب الميدان درب الكيّالين وهي من فتوح عثمان بن أبي العاصي والجامع من بناءِ الحجّاج.

وجُومَة صغيرة شربهم من نهر اسم رستاقها بَلاَ سَابُور وهي جبليّة نزيهة شبه غوطة دمشق يقال إنّ سابور بن فارس كان يختارها على جميع البلدان التي عمرها بخراسان وخوزستان وثَمَّ مات وقُبر. والديرجان مدينة رستاق رِيشَهْر متوسّطة رحبة. ويبران مدينة بسنبل ودنت من خوزستان في القديم.

وهِنْدُوان من نحو البحر ذات جانبين الجامع والسوق من قبل أرّجان وبقيّة الدور وسوق السمك في الجانب الآخر من نحو البحر.

وداريان لها سوق عامر ورستاق واسع. وسِينيز على نصف فرسخ من البحر فوق مَهْرُبَان لها سوق طويل يدخل إليها خور تجري فيه المراكب والجامع ناءٍ عن السوق ودار الإمارة متقابلة كثيرة القصور.

ومَهربان على البحر والجامع على الشطّ ولهم ماءٌ ضعيف وهي فرضة الكورة وخزانة البصرة عامرة جيّدة الأسواق. وجنّابة أيضاً على خور أسواقها بأزقّة والجامع وسط البلد شربهم من آبار مالحة وبرك ومنها كان أبو سعيد وأبو طاهر القرمطيّ.

سيراف هي قصبة أَرْدَشيرخُرَّة وكان أهلها حين عمارتها يفضّلونها على البصرة لشدّة عمارتها وحسن دورها وظرف جامعها ولياقة أسواقها ويسار أهلها وبُعْد صيتها وكانت حينئذٍ دهليز الصين دون عمان، وخزانة فارس وخراسان، وعلى الجملة ما رأيتُ في الإسلام أعجب من دورها ولا أحسن قد بنيت من خشب الساج والآجرّ شاهقة تشتري الدار الواحدة بفوق المائة ألف درهم ثم إنها خفَّت لمَّا ولى الديلم وانجلوا إلى سواحل البحر وعمروا قصبة عمان ثم جاءَت زلزلة سنة ٦٦ أو ٦٧ فقلقلتها وحركتها سبعة أيّام حتّى هرب الناس إلى البحر وتهدّم أكثر تلك الدور وتفطَّرت وصارت آيةً لمن تأمّلها وعبرةً لمن اتَّعظ بها وسألتُهم: ما الذي صنعتم حتّى رفع الله حِلْمه عنكم، قالوا: كثر فينا الزنا، وفشا فينا الربا، قلتُ: فهل اعتبرتم بما أرى؟ قالوا: لا وحُدِّثتُ عن نسائهم بشيءٍ قبيح ورأيتُ أهل فارس مع كثرة فسقهم يضربون بهم الأمثال وأُخْبِرتُ أنهم قد أخذوا في العمارة وقد بدت ترجع إلى ما كانت وهي باب جهنّم من شدّة الحرّ والماءُ يحمل إليها من البُعْد، ولهم قناة صغيرة عذيبيّة وفواكههم قليلة موضوعة بين الجبل والبحر وما حولها فأَرْض قفر بالقرب منها نخيلات.

وزيرَباذ على رأس الحدّ من قبل كرمان على البحر بها قلعة ما رأيتُ أعجب منها شربهم من آبار ضعيفة ما كان أحلى منها فعليه باب الخاصيّة الأمير كلّما نضب بئر تحوّلوا إلى آخر.

ونَجِيرَم بحريّة أيضاً بها جامعان قد نقر قاعة أحدهما في الصخر وعنده سوق خارج البلد شربهم من آبار وبرك تملأ من المطر.

وكركم عامرة والجامع على رابية على رأس السوق يصعد إليه في درج خشب.

وكارِيّان صغيرة إلاَّ أنَّ رستاقها عامر وبها بيت نار يعظّمونه ويحملون ناره إلى الآفاق.

ورأس كِشْم صغيرة لها سوق واسع الجامع فيه يصعد إليه بدرج. وسورو على رأس حدّ كرمان بحريّة صغيرة وقد بدت تعمر لأنَّ حمولات عمان إليها ونفر كرمان ترفع منها شربهم من ماءٍ يُقْبِل من الجبل فيجتمع في موضع فإذا انقطع حفروا ذلك الموضع نحو خمسة أذرع فيخرج عليهم ماءٌ حلو.

دَرَابَجِرْد قصبة نفيسة لها مدينة حصينة ذات بساتين ونخيل وثلج وأضداد عدّة حسنة الأسواق معتدلة الهواءِ ولهم آبار وقنيٌ في وسطها قبّة المومياءِ وتلٌ فيه مسجد الجامع وبعض الأسواق في المدينة وبقيّتها بالربض وهو جانب واحد وسوق البزّ شبه خان له بابان وللمدينة أربعة أبواب دورها فرسخ مكسّر وعلى قبّة المومياءِ باب حديد وقد وُكّل رجل بحفظه فإذا كان شهر مِهْرماه صعد العامل والقاضي وصاحب البريد والعدول وأُحْضرت المفاتيح وفُتح الباب ثم دخل رجل عريان فيجمع ما نزَّ في تلك السنة ولا يبلغ رطلاً على ما سمعتُ من بعض العدول ثم يجعل في شيءٍ ويختم عليه ويبعث مع عدّة من المشايخ إلى شيراز ثم يغسل الموضع فكلُّ ما ترى في أيدي الناس فإنّما هو معجون بذلك الماءِ ولا يوجد الخالص إلاّ في خزائن الملوك.

وفُرْج مدينة غير كبيرة إلاّ أن بها جامعاً وحمّاماً ليس لهما بالأقليم نظير وهي كثيرة الخير وسط البلد قلعة على تلّ والماءُ من ناحية.

وبرك في هودة على فرسخين من الجبل والجامع على جانب السوق حسن نظيف شربهم من قنى.

وجويم أبي أحمد من الأمّهات سعة رستاقها عشرة فراسخ تحوطه الجبال كلُّه نخيل وبساتين شربهم من قنيّ ونهر صغير جانبُ السوق وبين الجامع والسوق زقاق طويل وهو على نشزة حسن يصعد إليه خمس درجات وسطه حوض يملأ من ماءِ المطر يخرج منه في كلّ يوم قدر الحاجة ظريف.

ورُسْتَاق الرُّسْتاق صغيرة ليس لسوقها ذاك الكبر إلاّ أنّ رستاقها أربعة فراسخ في مثله كلُّه بساتين ومياه وأشجار وشربهم من نهر يدخل عليهم.

وتارم على رأس حدّ كرمان جامعهم ناءٍ عن السوق وشربهم من شعبة نهر يدخل عليهم لها بساتين ونخيل وبها عسل كثير.

ونَيْرِيز كبيرة الجامع إلى جانب السوق شربهم من قنيّ ورستاقهم عشرون فرسخاً في مثلها، ولم أدخل بقيّة المدن ولكن أُخبرتُ أنهنّ سريّات طيّبات جليلات الرسوم.

شِيرَاز هو مصر الإقليم بليذ ضيّق حديث لسان وحش ورسم سخيف لا رئيس معتمد ولا شارع فسيح ولا عالم أديب عدولهم لَوَطَه، وتجارهم فَسَقَه، وسلاطينهم

ظَلمَه، من الضيق في الأسواق يزدحمون، وأكثرهم يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ، تراهم يدخلون الحمّامات بلا ميازر وتنطح رؤوسهم الرواشن ولا ترى على مجوسيّ غياراً، ولا لصاحب طيلسان مقداراً.

ولقد رأيتُ أهل الطيالس سكارى، ويلبسه المكدُّون والنصارى، وبه دور الزنا ظاهرة، ورسوم المجوس مستعملة، ولا تسمع الخطبة من صياح السُّؤّال، وفي المقابر مجتمع الفسّاق، وفي أعياد الكفرة تزيَّن الأسواق، وضُربَتْ على الحوانيت الضرائب الثقال، ومُنع الخارج عنه إلاّ بجواز، وحُبس الداخل والمجتاز، وصَعُب العيش به وضُعّف الخراج، لم يذوقوا برد العدل ولا سلكوا المنهاج، مزارعهم تسقى بالدلا، والأعناب والتين فبالغلا، وخبزاً حسناً فلا ترى، وهم من قصر الرواشن في بلا، وسير بهيمتين في سوق واحد فلا، أهل طنز ومِرَا، إلاّ أنّه معتدل الهوا، طيّب في الصيف وفي الشتا، وماءٌ خفيف إذا شربت ممّا جرى، ومياه الآبار حلوة قريبة المستقى، أهل يسار وتجارة وتعطُّف على الغُربا.

لهم خصائص وصنائع وعقل ودَهَا، ومعروف وصدقات وبَهَا، ومشايخ ووجوه وتُّنا، وإسناد لولا لحن المُسْتَمْلِي وصاحب الإملا، كثير الصوفيّة ومجالس القُرّاءِ.

ولهم غَدَوَاتِ الجمع ختمات لها نور وبَهَا، وجامع لا نظير له في الثمانية أقاليم له يوم الجمعة سَمَا، بأساطين على عمل المسجد الأقصى، وبه دار إمارة إليها المنتهى، ولهم كشَبِسْتان نيسابور بيت قرى، نظيفة الأطعمة والهرائس لا الشِوَا، قد اشتهر بالأكسية والبرود ودار المرضى، ولها ثمانية دروب باب إصطخر درب تستر درب بنداستانه درب غسّان درب سلم درب كُوَار درب مُندر درب مَهَنْدَر وهي نحو دمشق في الرقعة وضيق الدور قريب من بناءِ الرملة بالحجارة وشبه بخارا[1] في البلاذة الجامع في الأسواق وجانب منه إلى البزّازين والبيمارستان بعيد منه له وقف جليل وبه آلات حسنة وأطبّاءُ حذّاق وبأصفهان آخر أعمر منه وباب إصطخر يشبه أبواب مِنًى بمكّة وله مياه تجري غير نظيفة، فلا آبارهم بالخفيفة، أحسن موضع منه باب إصطخر وباب الجامع وأخفُّ مياههم القناة الّتي تجري من جُوَيم وتدخل دار

(١) وردت في المتن «بخارا» بالألف الممدودة وضبطها صاحب معجم البلدان بالألف المقصورة، وكذا شأنها في معظم كتب البلدان.

عضد الدولة وأبعد الجبال إليها على فرسخ وأقرب الحطب إليها على مرحلة.

وكان عضد الدولة قد أضاف إليها محلّة كبيرة فسيحة بأسواق حسنة وقد تعطّلت.

وكُرْدُ فنَّاخُسْرو فنَّاخُسْرَو هو عضد الدولة وقد خطَّ على نصف فرسخ من شيراز مدينة وشقّ إليها نهراً كبيراً أجراه من مرحلة أنفق عليه الأموال العظيمة وهو الذي يجري في سفل داره وجعل إلى جنبها بستاناً سعته نحو فرسخ ونقل إليها الصوّافين وصنّاع الخزّ والديباج وكلُّ برُكان يعمل اليوم بها ألاَ ترى إلى اسمها عليه مكتوب واتّخذ بها القوّاد دوراً حسنة وعقارات جليلة وجعل لها عيداً في كلّ سنة يجتمع فيه للفسوق واللهو والآن قد خفَّت بعد موته وأشرفت على الخراب وبطل سوقها.

وفَسَا ليس في الإقليم أنزه ولا أطيب ولا أجود أهلاً ولا أحسن فواكه منها لها مدينة كبيرة فيها سوق كلُّه من خشب الجامع فيه وهو من آجرّ أكبر من جامع شيراز له صحنان على عمل جامع مدينة السلام بينهما سقيفة وقُلْ في طيبها وخيراتها ما شئتَ وبها خشب سَرْو مثل ما ببلد الروم.

ونَسَا يسمُّونها البَيْضاء نظيفة ظريفة طيّبة على الوجه الآخر بها جامع حسن ومشهد يقصد.

ودَشْتُ بَارِين مدينة لا رستاق لها ولا بساتين ولا نهر ولا آثين شربهم من مياه ضعيفة.

وبَجَّه كبيرة وسط الجبال بناؤُهم حجارة والجامع في السوق سعة رستاقها مرحلتان يقع بها ثلوج.

وهَزَّار صغيرة لها رستاق واسع شربهم من قنيّ ظاهرة. وكُول عامرة الجامع في البزّازين والقصّابين والخبّازين ومن الوجه الآخر ميدان شربهم من نهر.

وجُورُ مدينة طيّبة نزيهة حسنة رحبة ظريفة، معدن الورد والخصائص اللطيفة، بها منارة محكمة أنيقة، ومع ذلك فهي بلدة حصينة وسطها قلعة عالية ظريفة، رستاقها نحو من مرحلة خفيفة، ضياعها محدقة بها لفيفة.

شربهم من نهر وقنيّ لهم نظيفة، هي أحد المنازه والمنازل الأليفة، ومع ذلك بالخافقين بزورها معروفة، وكان اسمها بالفارسيّة كُور يوافق اسم القبر فكان إذا خرج

إليها عضد الدولة قيل ملك بكور رفت يعنى، قد ذهب الملك إلى القبر فكره ذلك، فقلّب اسمها إلى أحسن ما يكون وسمّاها بِيرُوزَابَاذ يعني في أتمّ دولة.

شَهْرَسْتان هي قصبة سابور وقد كانت عامرة آهلة طيّبة واليوم قد اختلّت وخرب أطرافها إلاّ أنها كثيرة الخيرات ومعدن الخصائص والأضداد بلد الأترنج الحسن والأدهان والقصب والزيتون والعنب أسعار رخيصة ألبان كثيرة وبلدة نزيهة وبساتين وعيون غزيرة ومساجد محفوظة وحمّامات طيّبة وخانات عدّة وزهد ومعرفة وثلج وفواكه متضادّة قد أعبقت بساتينها بروائح الياسمين، واجتمع بها الرطب والتين، ووُجد بها الخرنوب الغريب بناؤُهم حجر وجصٌّ والجامع خارج البلد وسط البساتين حسن لطيف لها أربعة أبواب باب هُرْمُز باب مِهْر باب بهرام باب شهر وعليها خندق والنهر دائر على القصبة كلّها يُعْبَر على جسور وعلى طرف البلد قلعة تسمّى دُنْبلا قدّامها مسجد وفي وسطها آخر به حجر أسود مفروش وسطه محراب يروون أنّ النبيّ ﷺ صلّى فيه وثَمَّ مسجد الخضر عليه الصلاة والسلام بقرب القلعة حبس جاهليّ حيطانه بالمرمر وهي موضوعة في لحف جبل لها شعبان كلاهما بساتين وأشجار وقرى وخارج البلد قنطرة عظيمة كانت وقت كوني بها منقطعة ولهم سوق يسمُّونه العتيق قد اختلّ وخرب وخفّ البلد وقلّ أهلها وأذهبت كازرونُ دولتها ومع ذلك ماؤُهم ثقيل، وكلٌّ مصفرٌّ عليل، وليس بها عالم جليل. ودَرِيز مدينة صغيرة بها سوق جيّد وصنّاع كتّان كثير.

وكازَرُونُ عامرة كبيرة هي دمياط الأعاجم وذلك أنّ ثياب الكتّان التي على عمل القَصَب وشبهَ الشَّطَويّ وإن كانت من عُطب تُعْمَل بها وتبلع فيها إلاّ ما يعمل بتوّز ثم هي كلُّها قصور وبساتين ونخيل ممتدّة عن يمين وشمال وبها سماسرة كبار وسوق كبير جادٌّ وخيرات وثمار وعمارات وأشجار ومعظم الدور والجامع على تلّ يصعد إليه والأسواق وقصور التجار تحت وقد بنى عضدُ الدولة داراً جمع فيها السماسرة دخلها على السلطان كلَّ يوم عشرة آلاف درهم وللسماسرة في البلد قصور حصينة حسنة وهذا الرستاق تشابهه رساتيقُ سجستان كلُّه مزارع وحصون متّصلة ونخيل وليس بها نهر مدّاد إلاّ قنيٌّ وآبار.

وخُرَّة مذكورة على رأس جبل كثيرة النخيل والنهر تحت البلد معدن التمور والناطف.

والنُّوبَنْدَجَان مدينة نزيهة لها ذكر وشان، قد زانه قصر أبي طالب عيان، والجامع والمياه والبستان، وعشرون عيناً تنبع في كلّ مكان، وأسواق كبيرة عامرة حسان، وأعناب وأرطاب ونارنج ورمّان، وعلى فرسخين منها شعب بوّان، وعلى منزل مدينة تمدح بآسْمان، وهي في سهلة قريبة من الجبال ورأيتُهم قد زادوا في الجامع من قدّام إلاّ أنّ إمامهم جاهل والقضاة اثنان، فهذا ما عرفناه من جديدة بَنْدَجَان، ثم لا ينظرون مع ذاك في عواقب الزمان.

وخَورَاوَاذان صغيرة إلاّ أنها عامرة رفقة والعيش بها هنيء ألاَ ترى كيف جمعت اسمين الهونَ والعمارة بها سوق جادٌ والجامع عامر وخيرات وأشجار وأنهار تخترقها حتّى أن بعض الحوانيت علتها.

وجُنْبَد مَلْغان مدينة وسط النخيل لها سوق طويل وجامع بهيٌّ يصعد إليه في درج إلى جنب السوق ليس حوله بناءٌ شربهم من قنيّ وفي البلد حياض وهي على رأس الحدّ في سهلة تحت الجبال ومَلْغان قرية من حدّ أرَّجان خربة. وكُنْدُرَان كبيرة فيها قلعة ينزلها السلطان شربهم من ماءِ المطر ومن آبار والجامع ناءٍ عن السوق.

وتوّز صغيرة الرسم كبيرة الاسم من أجل الثياب التي تعمل بها من الكتّان ألاَ تراه يسمّى توّزيًا وأكثره يُعْمَل بكازرون وهؤلاءِ أحذق وأحسن عملاً لهم نهر كبير يجري على جانبها وبين الجامع والسوق زقاق وهي بعيدة عن الجبال.

وخَشْت وسط الجبال لها رستاقٌ واسع وقلعتها مذكورة وسوقها عامر شربهم من نهر كبير. وزَمُّ الأكراد لها رستاق ونهر وهي وسط الجبال ذات بساتين ونخيل وفواكه وخيرات.

إصْطَخْرُ قصبة قديمة مذكورة في الكتب مشهورة في الخلق كبيرة الاسم جليلة الرسم إليها كانت الدواوين في الأصل غير أنها حاجب في هذا العصر خفيفة الأهل صغيرة الوضع شبَّهتُها بمكّة لأن لها شعبين ويتّصل بها جبلان الجامع في الأسواق على عمل جوامع الشام بأساطين مدوَّرة على رأس كلّ أسطوانة بقرة ذكروا أنه كان في القديم بيت نار والأسواق محدقة به من ثلاثة جوانب وفي وسط البلد شبه وادٍ وعلى باب خراسان قنطرة عجيبة وبستان حسن ومن ثَمَّ يُقْبِل النهر بناؤُهم طين ولهم مشارع إلى النهر وحياض في البلد وليس الماءُ في أعلى البلد بواسع وماؤُهم غير صحيح لأنه

يجري على مزارع الأرزّ كثيرة الحبوب والرمّان والخيرات إلاّ أن فيهم حمقاً.

وهَرَاة مدينة صغيرة فيها الجامع وحوانيت يسيرة ودور قليلة ومعظم الأسواق والعمارة بالربض ولهم نهر كبير يتخلّله وللمدينة باب واحد وقد أحدق بالجميع البساتينُ الحسنة بها تفّاح جيّد وزيتون وسائر الفواكه إلاّ أن ماءَهم ثقيل ويقال: أن نساءَهم يغتلمن إذا أزهرت أشجار الغُبَيراءِ كما تغتلم السنانير.

وجرما كبيرة لها سوق عامر الجامع بقربه على السوق بابان شربهم من قنيّ ظاهرة على وجه الأرض.

ده أُشْتُرَان صغيرة قربها قرية ولها جامع به منارة طويلة في سوق صغير والنهر تحت البلد وحولها بساتين حسنة.

وبَوَّان واسعة الرستاق وسط الجبال يشقُّها نهر وهي جانبان بلا بساتين.

وتركنيشان صغيرة سعة رستاقها نحو مرحلة شربهم من نهر. وكُورْد عامرة معدن الجوز والثمار جبليّة شربهم من نهر.

ومِهْرجاناواذ لها رستاق واسع شربهم من أنهار. ومَائِين على جادّة أصفهان عامرة كثيرة الفواكه.

وسَرْوستان الجامع وسط البلد جبليّة وقنيُّهم ظاهرة. وصَاهَه صغيرة وهم قوم جياد فيهم رفق بالغرباءِ وحذق في كتبة المصاحف.

وكَثَه على طرف المفازة شديدة البرد قليلة الفواكه. وخُرَّمَة لها رستاق واسع وثَمَّ رخص وبها قلعة شربهم من قنيّ وتحتها نهر. وبَرْقُوه محصَّنة مشتبكة العمارة كثيرة الأهل وجامع جيّد.

وفرعا بقرب هراة رخيصة الأسعار. وكَرَه مثل هراة ولم نرتّبْ مدن هذا الإقليم. وجَرْمَق أخصب هذه المدن وأرخصها أسعاراً وأكثرها أشجاراً على جادّة المفازة.

وبرم في سهلة لها رستاق يسقى من الآبار وهي حصينة كثيرة القصور.

وأُرْد فيها حصن عظيم ولها ربض عامر يسمُّونها الحر وتعدُّ في مدن أصفهان.

والرُّوذَان كانت من نواحي كرمان وكان لها ثلاث مدائن أُنَاس أَذكَان أَبَان فأما

أُناس فقد بقيت على رأس الحدّ ومدينتها بكرمان ليعتدل حدود الإقليمَيْن وتستوي التخوم وقد اعتدل هذا الإقليم وتربَّع بهذه الناحية من هذا الجانب وبأصفهان من الجانب الآخر وبقيت أكثر كورة إصطخر بينهما وعلى قصبة الروذان حصن منيع بثمانية أبواب باب أناس باب بيروي باب خور مرداواذ باب نَسْرين باب مِهْمَان باب شيراز باب كَيْخُر والثامن باب مايفنا ورأيتُه مسدوداً وبها جامع لطيف حسن يصعد إليه بدرج مبسوط بالحصى وكلُّ مساجدهم عالية كثيرة الأساكفة والمعتزلة وحمّاماتهم وسخة وهي معدن القصّارين والحاكة حولها بساتين حسنة ومقابر عالية بقباب عجيبة وألبان كثيرة وقنيّ عدّة منها ما يدخل المدينة وثَمَّ عين يستشفى بمائها وعلى السور شُرَف وليس لها ربض وهي خفيفة الأهل وقد أحاط بها الرمال.

جمل شؤون هذا الإقليم

اعلم أن بفارس صروداً لا يثمر فيها الأشجار من شدّة البرد ولا ينعش فيها الزرع مثل الأرد والرُّون والرُّهْنَان وأطراف إصطخر وجروم لا يمكن النوم فيها بالنهار من شدّة الحرّ مثل سِيرَاف وأَرَّجان وما بينهما ويقع الاعتدال بين الحدّين وما فيها من البلد مثل شيراز ومدنها وأطراف سابور والثلج موجود في جميعه يحمل من القرب والبعد الغالب عليه الجبال أكثرها مشجرة والزريعة قليلة وفيه خفّة وبه منازه حسنة وقلاع منيعة وعجائب كثيرة وخصائص غريبة ومعادن جليلة وفواكه لذيذة المجوس به أكثر من اليهود وبه نصارى قليل وبه مجذّمون قليل ولم أر بلداً أكثر عُوراً من كازُرون والمفاليج بشيراز كثير.

والعمل فيه على مذهب أصحاب الحديث وأصحاب أبي حنيفة رحمهم الله تعالى كثير وللداوديّة دروس ومجالس وغلبة ويتقلّدون القضاءَ والأعمال وكان عضد الدولة يعتقده أكثر الفقهاءِ من الثلاثة مذاهب معتزلة والشيعة بسواحله كثير.

ومن رسومهم إذا صلّيت العصر كلَّ يوم جلس العلماءُ للعوامّ إلى المغرب وكذلك بعد الغداة إلى ضحًى وأيّامَ الجمع يجتمعون في غير موضع وطابت شيراز بجامعها والصوفيّة به كثير ويكبِّر في جوامعهم بعد الجمعة ويلتفت على المنبر بالصلاة على النبيّ ﷺ ويؤذّن بين يديه جميعاً بلا تطريب ولا يشهد إلاّ عدل ويلبس العوامُّ ثياب السود ويكشفون الصوف ويكثرون التطلُّس ويسطّلون العمائم وليس

لأهل الطيالسة بشيراز مقدار إنّما هو لأصحاب الدراريع وكما يُرْفع بالمشرق العلماءُ هاهنا ترفع الكتبة، وللشوّائين دكاكين على حِدَة.

وبنيانهم إذا أُلّفت الحجارة حسن وإذا كانوا في عملها وحش وجلستُ يوماً إلى بعض البنّائين أعني بشيراز وأصحابه ينقشون بمعاول وحشة وإذا حجارتهم على ثَخَانة اللبن فإذا اعتدلت قدّروها ثم خطّوا خطًا وقطعوه بالمعول فربّما انكسرت البلاطة فإذا اعتدلت أقاموها على حدّها فقلتُ لهم لو اتّخذتم مسفنة وربّعتم الأحجار وأحكيتُ لهم بناءَ فلسطين وطارحتُهم مسائل في البناءِ فقال لي الأستاذ أنت مصريٌّ قلتُ لا بل فلسطينيٌّ قال سمعتُ أن عندكم تخرَّم الأحجار كما يخرَّم الخشب قلتُ أجل قال أحجاركم ليّنة ولصنّاعكم لطافة، ورأيتُ لهم أعمالاً عجيبة وخفًّا وإتقاناً لم أرها بسائر الأقاليم مثل رأس السكر وجسر دخويذ وأبي طالب عُملتْ في هذا العصر يعجز عن مثلها كلُّ بنّاءٍ بالشام وأقور، وأكثر جوامعهم بأساطين، والبيت الداخل من الحمّام لا يمكن فيه المكث من الحرّ وسمعتُ بعض غلمان والدي رحمه الله تعالى يقول تبغنس أبو الفَرَج الشيرازيّ في الحمّام الذي بناه بأبواب الأسباط لأنه أدخل النار تحت بعض البيت الداخل وليس كما قال، ولكنّه رأى رسوم الشام في هذا الباب تخالف رسوم فارس فجعل بعض البيت على رسوم إقليمه وبقيّته على رسوم الشام، وقلَّ ما يلبسون الميازر وربّما حرسته النساءُ ولا يطرح القضّة إلاّ في موضع واحد ويأخذون الميّت سلاًّ ويمشي الرجال قدّام الجنازة والنسوان خلف، وبخوزستان يمشون من الناحيتين ويقيمون الزمر والطبل في المواتيم وفي المقابر ولا يعرف في أقاليم الأعاجم الخروج إلى المقابر لختم القرآن وإنّما يجلسون للتعزية في المساجد ثلاثة أيّام ويكثرون فيه لبس الشمشكات والنعال ويلين فيه القلب أدنى شيءٍ وفيه يبوسة ويصلّون التراويح في مرّتين ويقدّمون فيها الصبيان ويعيّدون مع المجوس في النيروز والمهرجان ودور الزنا بشيراز ظاهرة بقبالات، وعددهم على شهور الفرس أوّلها فَرْدَوِين ماه أَرْدِبَهِشْت خُرْدَاذ تِيرْماه مُرْدَاذ شَهْرِير مِهر آبَان آذر دَيْ بَهْمَن أَسْفَنْدارمُذ ولكلّ يوم من الشهر اسم عليها تاريخات الدواوين مثل أيّام الجُمَع بسائر الأقاليم أوّلها هُرْمُز بَهْمَن أَرْدَبَهِشْت شَهْرِير أَسْفَنْدَارمُذ خُرْداذ مُرْدَاذ دَيْبَاذَر آذر آبَان خَوْر ماه تِير جُوش دَيْبَمهر مِهْر سَرُوش رَشْن فَرْوَدِين بَهْرَام رَام بَاد.

وأما التجارات فيرتفع من أرّجان الدبس الفائق والصابون الجيّد والتين والزيت

والفوط وثياب الكندكيّة والبربهار، ومن مَهْرُبَان الأسماك والتمور والقِرَب الجياد، ومن سِينيز ثياب تشاكل القصب ربّما حُمل إليهم الكتّان من مصر وأكثر ما يعمل اليوم من الذي يزرع عندهم.

ومن سِيرَاف الفوط واللؤلؤ وأُزُر الكتّان والموازين والبربهار، ومن دَرَابَجِرْد كلُّ شيءٍ نفيس من الثياب المرتفعة والوسط والدون وما يشاكل الطبرستانيّ وحُصُر تشبه العبّادانيّ والبسط الجيّدة وستور سوزن جرد والبزر الكثير والتمر والدوشاب والزَّنْبق الطيّب.

ومن فُرَج الثياب والبسط والستور والدبس الجيّد والبزر والكتّان، ومن تارم الدوشاب والتمور والقرب والسطائح والدلاءُ الحسان والمراوح الكبيرة.

ومن جَهْرَم البسط والستور والأنماط المُحكمة ومن شِيرَاز الأكسية البرّكانات لا موضع لها غيره والمنيّرات الّتي لا شبه لها في الكدّ مع رقّة وحسن والأبراد الجياد ويعمل به خزٌّ وديباج وقصب وحلل.

ومن فَسَا ثياب القزّ تحمل إلى الآفاق وأكسية حسان رقاق وأنماط وبسط وفوط ومنيّرات تشاكل الأصفهانيّة والوشي والستور المثمنة والفروش الرفيعة والستور الأبريسميّة والعُصْفُر والموائد والخركاهات ومناديل الشَّرَابيّة وغير ذلك، ويعمل بسابور عشرة أدهان دهن بنفسج ونينوفر ونرجس وكارده وسوسن وزنْبق ومُرسين ومَرْزَنْجُوش وبادرنك ونارنج وفواكه كثيرة وجوز وزيت وأترنج وقصب سكَّر والصفصاف تحمل الأدهان إلى البعد والفواكه إلى المصر.

ومن كازَرُون ثياب القصب وكذلك من توَّز ودَرِيز وتلك النواحي ودَبِيقيٌّ ومناديل مُخْمَلَة تحمل إلى الآفاق الثمانية وبينها وبين الشَّطَوِيّة بون عظيم.

ومن جُور وكُول الماورد الذي لا نظير له وثياب كثير، ومن إصْطَخْر الأرزُّ والمأكولات، ومن الرُّوذان ثياب تشاكل البَمّيّ واديم أجود من الأطرابلسيّ والقرب والشمشكات.

ولا نظير بشيراز للأجّاص العمريّ والبرّكانات والمنيّرات ودوشاب أرّجان وبها شجر مثل الشوك العنزروت نوّاره وكذلك بنواحي سابور وبها هملختات جياد ومن درابجرد ملح الطبرزد والنفطيّ وجميع الألوان وفي نهرهم سمك لا عظم له وفي

جبال تَيْرِيز عنزروت أيضاً ومنها الشُّنْبَاذَة وحجر المغنيسيا. وبنواحي شيراز ريحان ورقه مثل ورق السوسن دخله يشبه النرجس وخيار له مثل شوك القُنفذ وينبت بها زعفران وأَرْزَن وبفَسَا تين حسن وسرو عجيب وسفرجل نادر.

وبه معادن المومياي بدرابجرد وبأرَّجان أيضاً موضع آخر وبَنيْرِيز معادن حديد وطين أبيض يكتب به الصبيان ألواحهم وطين أسود للختم، بين شيراز وسابور حلتيث كثير.

وبه عجائب بطرف أرَّجان نار تشتعل بالليالي وتدخن بالنهار، يخرج من آبار في جبال فَسَا ماءٌ ينبع من جبل من مثل ضرع تحته حفرة يجتمع فيها ينفع من قد يبس من الريح، وثَمَّ مياه إذا شرب منها الإنسان عنَّاه كما يعنّي الدواءُ، ولهم طلسم متى ما ظهر بدابَّة داءٌ حُمل إلى ذلك الموضع فتطوف في الأرض طوفة ثم تنام على الأرض وتضع بطنها عليها فإمَّا أن تموت أو تستريح في الوقت، على فرسخ من إصطخر ملعب سليمان يصعد إليه في مدرجة حسنة من حجارة وثَمَّ أساطين سود وتماثيل ومحاريب وأعاجيب على عمل ملاعب الشام تحته عين ماءٍ قالوا: مَنْ شرب منها خرج منه بقايا الخمر منذ أربعين يوماً.

وبين الأساطين حمَّام ومسجد سليمان إذا جلس الإنسان في هذا الملعب كانت الضياع والمزارع بين يديه مدَّ البصر، قد سكر عضد الدولة النهر الذي بين شيراز وإصطخر بحائط عظيم جعل أساسه بالرصاص فتبحَّر الماءُ خلفه وارتفع، فجعل عليه من الجانبين عشرة دواليب على ما ذكرنا من خوزستان وتحت كلّ دولاب رحا فهو اليوم من عجائب فارس.

وبنى ثَمَّ مدينة وجرَّى الماءِ في قنيّ فأسقى ثلاثمائة قرية وفي هذا الرستاق تُفَّاح بعضه حلو وبعضه حامض، بسابور خادم من حجر أسود متوشّح بإزار مكتوب على عضده بالفارسيَّة قائم وسط الطريق وسطه تسعة أشبار وطوله قامة وذراع، على فرسخ من النوبندجان صورة سابور على باب كهف عليه تاج تحته ثلاثة أوراق خضر طول مشط رجله ثلاثة عشر شبراً ومن رأسه إلى قدميه أحد عشر ذراعاً خلفه ماءٌ واقف لا مدَّ له ولا منفذ وثَمَّ ريح تخرج شديدة، وعلى نصف فرسخ من باب شهر حوض ينبع منه ماءٌ ثم يفترق أنهاراً، ماءٌ صافٍ كالزلال يسمَّى سَرُوشِير، بقرية عبد الرحمٰن شبه بئر أيُّوب بإيلياء، بسابور جبل قد صُوِّر فيه كلُّ ملك ومرزبان يعرف للعجم،

بمورجان كهف يقطر من سقفه ماءٌ إن دخل رجل لم يخرج إلاّ بما يكفي لرجل وإن كانوا ألفاً فبما يكفيهم.

بجور بركة على باب البلد وثَمَّ قدر نحاس عظيمة يخرج من فيه أعلى تلك القدر ماءٌ عظيم.

بصاهك بئر لا يقف له على قعر يفور منه ما يدير رحا ويسقي تلك القرية، بالغندجان نهر بين جبلين يخرج منه دخان لا يمكن أحداً أن يقربه وإن اجتاز به طائر سقط فيه فاحترق.

في بحر سيراف موضع عبرنا به فانحدر بعض الملاّحين فغاصوا في البحر ومعهم قربٌ ثم خرجوا وقد ملؤوها ماءً عذباً فسألتُهم، فقالوا: عين تخرج في قعر البحر، على نصف فرسخ من كازرون قبّة قالوا: هي وسط الدنيا، بنواحي إصطخر تلال زعموا أنها رماد نار إبراهيم عليه السلام، وبه قناطر عجيبة محدثة وجاهليّة.

ومياهه غزيرة وبه أنهار عدّة فأما نهر طاب فإنه يخرج من جبال أصفهان ويمدُّ على تخوم الإقليم إلى أرّجان وعليه السكّة تعبر على قناطر غير مرّة، ونهر شيرين ونهر الشاذكان ونهر درخيد ونهر خُويَذان ونهر رتين ونهر إخْشِين ونهر سكّان ونهر جرسيق ونهر الكُرّ ونهر فَرَوَاب ونهر تيرزة هذه أمّهات الأنهار.

وأما البحيرات فخمس بحيرة البَخْتَكَان نحو عشرين فرسخاً مالحة بكورة إصطخر وبحيرة دَشْت أَرْزَن بكورة سابور عشرة فراسخ عذبة ربّما جفّت وعامّة سمك شيراز منها وبحيرة كازَرُون عشرة فراسخ مالحة منشعبة فيها صيد ومنافع وبحيرة الجنْكان نحو اثني عشر فرسخاً يعملون في أطرافها الملح بكورة أردشير خرّه وبحيرة الباشفوية ثمانية فراسخ مالحة عليها بردىٌّ وآجام، وأما بحر الصين فإنه يمدُّ على تخوم الإقليم الجنوبيّة كلّها.

وبه من أحياء الأكراد ثلاثة وثلاثون الكرمانيّة الرامانيّة مدثر حيٌّ محمّد بن بشر الثعلبيّة البندامَهْريّة حيٌّ محمّد بن إسحاق الصباحيّة الإسحاقيّة الأدركانيّة السهركيّة الطهمادهنيّة الزباديّة الشهرويّة المهركيّة البنداقيّة الخسرويّة الزنجيّة الصفريّة المباركيّة إستامهريّة الشاهونيّة الفراتيّة السلمونيّة الصيريّة الأزدادختيّة المُطّلبيّة المماليّة الشاكانيّة الجليليّة وهم خمس مائة بيت.

وأما القلاع فبإصطخر قلعة عظيمة سعة رأسها فرسخ فيها حياض ماءٍ وأمير راتب وباعة وبها خزائن عدَّة من الملوك وأموال جاهليّة، وبشيراز قلعة بناءُ عضد الدولة أنفق عليها أموالاً جمَّةً وحفر فيها بئراً في الجبل إلى أسفله، وبنَسَا وكَنَه وفَسَا وقرية الآس ودرابجرد وجُنْبَذ وأرَّجان وزِيرَبَاذ ويعض وسط البحر وذكر إبراهيم بن محمَّد الفارسيُّ أنها تبلغ خمسة آلاف قلعة.

وزمومه خمسة أكبرها زمُّ أحمد بن صالح يعرف بالديوان ثم زمُّ شهريار يعرف بزمّ البازنجان وهم الذين في ناحية أصفهان من هذا القوم ناقلة من هذا الزمّ ثم زمُّ أحمد بن الحسن ويعرف بزمّ الكارِيَان وهو زمُّ أردشيرخرّه.

ووضع فارس أنها مقسومة على خطّ من لدن أرَّجان إلى النوبندجان إلى كازرون إلى خُرَّة ثم على حدود السِّيف إلى كارَزِين حتَّى يمدُّ على الزَّمّ فما كان يلقى الجنوب فجروم وما كان نحو الشمال فصرود فيقع في الجروم أرَّجان ونوبندجان وسينيز وتوَّج وخُرَّه وداذين وموز وكارزين ودشت البوسقان وكير وكيزرين وأَبْزَر وسَمِيرَان وخُمَايْجان والخُرْمُق وكُرَان وسِيرَاف ونجيرم وحصن ابن عمارة وما في أضعافهنَّ.

ويقع في الصرود إصطخر والبيضاءُ ومائين وأبرج وكام فيروز وكُرْد وكَلَار وسَرْوسِير والأوسبنجان وأُرْد والرون وصرام وبازرنج وسردن والخُرَّمة والحيرة والنَّيْريز والمَسْكانات والأيج والأصبهانات وبورم ورهنان وبوَّان وطَرْخنِيشَان والجَوْبَرْقان وإقْلِيد وبالجَرْمَق وبَرْقُوه وما جرى مجراهنَّ، ويقع الاعتدال ما بين ذلك وهي كورة درابجرد وشيراز وفسا وما يدخل في هذا الصقع ممتدًّا إلى جور ونواحيها.

والمضار ماءُ أرَّجان رديٌّ وكذلك ماءُ درابجرد وآبار شيراز ثقيلة والغالب على الجروم فساد الهواءِ وتغيير الألوان ثم أصحُّها سيراف وأرَّجان وجنَّابة وسينيز وأعدلها ما بين الحدَّين وبدشت بارين عين يستشفى بها من العلل وماءُ قصبة سابور ثقيل.

وهو بلد الجَوْر قرأتُ في كتاب الخزانة عضد الدولة أهل فارس أبخع الناس بطاعة السلطان وأصبرهم على الظلم وأثقلهم خراجاً وأذلُّهم نفوساً وفيه أهل فارس لم يعرفوا عدلاً قطُّ، فإن قال قائل أَوَلَيس قد مدحهم النبيُّ ﷺ حيث يقول: «لو أن

الإيمان بالثريّا لتعلّق به رجال من أهل فارس»[1] قيل له: خراسان وفارس كانتا عند العرب شيئاً واحداً ومتى أخرجت عالماً قطُّ مذكوراً في الآفاق وكم قد أخرجت خراسان مثل ابن المبارك وابن راهَوَيْه ونظائرهما في الفقه والحديث وإلى اليوم لا تخلو من أئمّة أجلّة وفارس خالية من هذا الضرب ولا ترى لهم تصنيفاً يعتمد عليه ولا رسماً في العلم يرجع إليه أوَلاً ترى أن أبا خالد قال فارس ثلاثة آلاف فرسخ وإنّما هذا الإقليم مائة وعشرون في مثلها فعلمتَ أنه أراد خراسان وما حولها.

والولايات فيه للديلم أوّل مَنْ غلب عليه عليٌّ بن بُوَيه ولم يعقب فتبنّى عضد الدولة وملك من بعده وهو ابن أخيه وبنى بشيراز داراً لم أر في شرق ولا غرب مثلها ما دخلها عاميٌّ إلاّ افتتن بها ولا عارف إلاّ استدلّ بها على نعمة الجنّة وطيبها خرّق فيها الأنهار ونصب عليها القباب وأحاط بالبساتين والأشجار وحفر فيها الحياض وجمع فيها المرافق والعدد.

وسمعتُ رئيس الفرّاشين يقول فيها ثلاثمائة وستُّون حجرة وداراً كان مجلسه كلّ يومٍ واحدةً إلى الحول وهي سفل وعلو وخزانة الكتب حجرة على حدةٍ عليها وكيل وخازن ومشرف من عدول البلد ولم يبق كتاب صُنّف إلى وقته من أنواع العلوم كلّها إلاّ وحصله فيها وهي أزج طويل في صفّة كبيرة فيه خزائن من كلّ وجه وقد ألصق إلى جميع حيطان الأزج والخزائن بيوتاً طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوّق عليها أبواب تنحدر من فوق والدفاتر منضّدة على الرفوف لكلّ نوع بيوت وفهرستات فيها أسامي الكتب لا يدخلها إلاّ وجيه وطفتُ في هذه الدار كلّها سفلها وعلوها وقد فُرشت فيها الآلات فرأيتُ في كلّ مجلس ما يليق به من الفرش والستور.

ورأيتُ بيوت الخيش ينزع عليها الماءُ من قنيّ حولها من فوق بالدوام ورأيتُ الأنهار تطّرد في البيوت والأروقة وأظنّه بناها على ما سمع من أخبار الجنّة وبان بوناً بعيداً وضلَّ ضلالاً مبيناً وباءَ بالأوزار، ولم تبق له الدار، وسكن الأجداث، بعد الملك والآلات.

ولقد مات بأشرّ موتة وأراه الله نفسه خَسِرَةً وصار لنا موعظة وعبرة وأنشدني

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٦: ٢١٥).

بعض الخدم أبياتاً ذكر أنه سمعها منه عند موته وقد ملك ثمانية أقاليم وانخطب له بالسند واليمن وطمع في المشرق وعاند صاحب المغرب وخافته الملوك وقبض على صاحب الروم، وعرف أنواعاً من العلوم، وتبحّر في علم النجوم، شعر:

تَمَتَّعْ مِنَ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّكَ لاَ تَبْقَى ... وَخُذْ صَفْوَهَا مِنْهَا وَدَعْ عَنْكَ الرَّنْقَا
وَلا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ ... فَلَمْ يُبْقِ لِي حالاً ولَمْ يَرْعَ لِي حَقّا
وأَخلَيْتُ دَارَ ٱلْمُلْكِ مِنْ كُلِّ نَاعِمٍ ... وشَتَّتُّهُمْ غَرْباً وشَرَّدْتُهُمْ شَرْقَا
فَلَمَّا لَمَسْتُ ٱلنَّجْمَ عِزّاً وَرِفْعَةً ... وَصَارَ رِقَابُ ٱلْخَلْقِ لِي كُلُّهُمْ رِقَّا
رَمَانِي الرَّدَى سَهْماً فَأَخْمَدَ جَمْرَتِي ... فَهَا أَنَا هَنَّا عَاجِلاً حُفْرَةَ ٱلْقَى
فَلَمْ يُغْنِ عَنِّي كُلُّ مَالٍ وَلَمْ أَجِدْ ... لَدَى قَابِضِ ٱلأَرْوَاحِ فِي مَصْرعِي رِفْقَا
فَأَفْسَدْتُ دُنْيَايَ وَدِينِي سَفَاهَةً ... فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنِّي بِمصْرَعِهِ أَشْقَى

وخراج هذا الإقليم مختلف يؤخذ بشيراز على جريب الحنطة والشعير مائة وتسعون درهماً ومن الأرطاب والمباطخ مائتان وسبعة وثلاثون درهماً وعلى القطن مائتان وستّة وخمسون درهماً وأربعة دوانيق وعلى الكروم ألف وأربعمائة وخمسة وعشرون درهماً والجريب الكبير سبعون ذراعاً بذراع الملك وهو تسع قَبَضات وخراج كُوَار على الثُّلُثَيْن ممّا ذكرنا حطّه الرشيد.

وخراج إصطخر ينقص عن خراج شيراز في الزرع بشيءٍ يسير وما أسقاه المطر فعلى الثلث ولا تسأل عن ثقل الضرائب وكثرتها.

وبه عدّة أرطال رطل شيراز الكبير ثمانية أرطال بغداديّ به يوزن الخلّ واللبن ونحوهما ولهم منٌّ مكّيٌّ وبالرطل البغداديّ يزنون اللحوم والخبز وما يجري مجراهما ومن الخبز بفَسَا ثلاثمائة والقطن والحبوب ويزنون السكّر والزعفران والعسل والحنّاء والبقم وآلة الصيادلة بمنّ ثلاثمائة ويزيد عليه منٌّ القديد واللحوم والحديد ونحوها خمسة وعشرين منٌّ دَرَابَجِرْد المعروف منّه في جميع الأشياءِ غير آلة الصيادلة أربعمائة وأربعون درهماً والغزل والخبز والعصفر والشعر والمرعزيّ والصوف أربعمائة وثمانون درهماً منٌّ نَيْرِيز في كلّ الأشياءِ غير آلة الصيادلة ثلاثمائة وعشرون ومنٌّ الغزل ثلاثمائة وأربعون.

ومكاييلهم قفيز فسا ستّة أمناء بالثلاثمائة في الحبوب وما كان من لوز وشعير فقفيزه ستّة أمناءٍ وقفيز الأرزّ والحمّص والعدس ثمانية أمناءٍ فقفيز نيريز ثلاثة أرطال

بغداديّ في الشعير والزبيب والقشمش والذرة وقفيز الحنطة يزيد عليه، منْ أرَّجان ثلاثة أرطال غير السكَّر وقفيزهم عشرة أمناءٍ بالكبير والمكُّوك نصف القفيز والجريب عشرة أقفزة.

ويؤخذ على القوانين لكلّ نخلة ربع درهم والضياع تتفاوت بسَنْبل من ثلاثة دراهم إلى نصف درهم وبأرَّجان إلى درهم وأرض القوانين وإن انكشفت عشرون درهماً.

وأما المسافات فإنك تأخذ من أرَّجان إلى رِيشَهْر مرحلة ثم إلى مَهْرُبَان مرحلة، وتأخذ من أرَّجان إلى بسابك مرحلة ثم إلى دهليزان مرحلة ثم إلى خابَرَان بريدين ثم إلى وادي الملح مرحلة ثم إلى رامَهُرْمُز بريدين.

وتأخذ من أرَّجان إلى الزَّيتُون بريدين ثم إلى حبس مرحلة ثم إلى بندق مرحلة ثم إلى جُنْبَد بريدين أو بريداً في العقبة ثم إلى زنك بريدين ثم إلى دَخويذ مرحلة ثم إلى خَوَاذان بريدين ثم إلى النُوبَنْدَجَان مثلها.

وتأخذ من أرَّجان إلى كنيسة المجوس مرحلة ثم إلى قريّة مرحلة ثم إلى الزيز مرحلة ثم إلى العينيّة مرحلة ثم إلى النهر مرحلة ثم إلى خرندة مرحلة ثم إلى سُمَيْرَم مرحلة.

وتأخذ من مَهْرُبَان إلى سِينِيز أو إلى النهر مرحلة ومن النهر إلى أرَّجان مرحلة ومن سينيز إلى سنجاهان مرحلة ثم إلى جنَّابة مرحلة ثم إلى دشت داوودي مرحلة ثم إلى توَّز مرحلة ثم إلى خَشْت مرحلة ثم إلى نيماراه نصف مرحلة صعبة ثم إلى سابور مثلها.

وتأخذ من سيراف إلى جَمّ مرحلة ثم إلى برزرة مرحلة ثم إلى كيرند مرحلة ثم إلى مه مرحلة ثم إلى رايكان مرحلة ثم إلى بيابشوراب مرحلة ثم إلى جُور مرحلة، ومن سيراف إلى عمان في البحر أو إلى البصرة أقلاع خمس إلى عشر ومنها إلى البحرين سبعون فرسخاً عرض البحر.

وتأخذ من دَرَابَجِرْد إلى خَسُو مرحلة ثم إلى كرب مرحلة ثم إلى جُوَيم أبي أحمد مرحلة ثم إلى داريان مرحلة ثم إلى باراب مرحلة ثم إلى كُرَان مرحلة ثم إلى سيراف مرحلة.

وتأخذ من درابجرد إلى جَرْمُوا مرحلة ثم إلى رستاق الرستاق مرحلة ثم إلى بُرْك مرحلة ثم إلى تارم مرحلة.

وتأخذ من درابجرد إلى جاه زندايا مرحلة ثم إلى تيمارستان مرحلة ثم إلى فَسَا نصف مرحلة. وتأخذ من شيراز إلى كَفْره مرحلة ثم إلى كُول مرحلة ثم إلى بومهان مرحلة ثم إلى جُور مرحلة.

وتأخذ من شيراز إلى قرية جُوَيم مرحلة ثم إلى خُلَّار بريدين ثم إلى الخرارة مثلهما ثم إلى جركان مرحلة ثم إلى النوبندجان مرحلة فيها شعب بَوَّان الذي هو أحد منازه الدنيا. وتأخذ من شيراز إلى قرية الرمَّان مرحلة ثم إلى سَرْوِسْتان مرحلة ثم إلى كُرْم مرحلة ثم إلى فسا مرحلة.

وتأخذ من شيراز إلى داريان مرحلة ثم إلى خُرَّمَة مرحلة ثم إلى كث مرحلة ثم إلى خَيْر مرحلة ثم إلى نَيْرِيز مرحلة ثم إلى كدروا مرحلة ثم إلى رباط زرودوا مرحلة ثم إلى نهر من مرحلة ثم إلى هنته مرحلة ثم إلى بِيمَنْد مرحلة ثم إلى السيرجان بريدين.

وتأخذ من شيراز إلى ركان مرحلة ثم إلى رأس السكر مرحلة ثم إلى زياداباذ مرحلة ثم إلى جبّ أمير المؤمنين مرحلة ثم إلى رأس الدنيا مرحلة.

وتأخذ من شيراز إلى صاهه مرحلة ثم إلى دَشْت أَرْزَن مرحلة صعبة فيها عقبة بالان.

وتأخذ من فسا إلى كَارَزِين مرحلة ثم إلى هُرْمُز مرحلة ومن كارزين إلى خارزين مرحلة، ولا أعرف مصراً توسَّط إقليمه إلاّ هذا وهَمَذَان ألا ترى أن منه إلى كَتَه أو إلى تارم أو إلى نَجيرم أو إلى نهر طاب ستّين ستّين ومنه إلى الزوايا الأربع سينيز أو الرُّوذان أو سورو أو تخوم أصفهان ثمانين ثمانين وحوله مدن تتقارب مسافتها إليه حدَّثني رجل بكازَرُون قال: هرب بعض الناس من السلطان فعدا إلى سابور ثم سأل كم إلى شيراز قالوا: ثمانية عشر فعدا إلى كازرون ثم سأل كم إلى شيراز قالوا ثمانية عشر فعدا إلى خُرَّة ثم سأل كم إلى شيراز قالوا: ستَّة عشر فعدا إلى جور ثم سأل فقالوا: عشرون ومنه إلى البيضاءِ مرحلة.

وتأخذ من سابور إلى كازرون مرحلة ثم إلى خُرَّة مرحلة، ومن سابور إلى

النوبندجان مرحلة ومن سابور إلى كرك مرحلة ثم إلى دشت أرزن مرحلة، ومن كازرون إلى قرية الحطب بريدين ثم إلى دشت أرزن مثلها، ومن كازرون إلى دَرِيز بريدين ثم إلى رأس العقبة مثلها ثم إلى توّز مثلها ثم إلى قرية مثلها ثم إلى جنّابة مثلها. وتأخذ من إصطخر إلى رأس السكر بريدين ومن إصطخر إلى البيضاءِ أو إلى قرية الحمام مرحلة ومن قرية الحمام إلى زيادواذ بريداً ثم إلى جبّ أمير المؤمنين ثم إلى رأس الدنيا ثم إلى خوزستان مرحلة ثم إلى هراة مرحلة ثم إلى راذان مرحلة ثم إلى شاباوك مرحلة ثم إلى روار مرحلة ثم إلى قرية الجمال مرحلة ثم إلى الرُّوذان مرحلة.

وتأخذ من إصطخر إلى بير بريدين ثم إلى كهمندة مرحلة ثم إلى قرية بَيْذ مثلها ثم إلى أَبَرْقُوه مرحلة ثم إلى قرية الأسد مثلها ثم إلى الأُرْد مرحلة ثم إلى قلعة المجوس مرحلة ثم إلى كَثَه مرحلة ثم إلى أَنْجِيرة مثلها.

وتأخذ من اليهوديّة إلى خان رش مرحلة ثم إلى قُومِسَة مرحلة ثم إلى كرو مرحلة ثم إلى سُمَيْرَم مرحلة.

وتأخذ من اليهوديّة إلى الخان خان لنجان مرحلة ثم إلى كرو مرحلة ثم إلى ماس مرحلة ثم إلى خان رُوشن بريدين ثم إلى إصطخران مرحلة ثم إلى قصر أعين مرحلة ثم إلى خُوسِكان مرحلة ثم إلى مائين مرحلة ثم إلى أُزر سابور مرحلة ثم إلى شيراز مرحلة. وإن شئتَ فخُذْ في مفازة من قُومِسَة إلى روزكان مرحلة ثم إلى أزكاس مرحلة ثم إلى سَرْوِسْتَان مرحلة ثم إلى سرمسه مرحلة ثم إلى لاه وكره مرحلة ثم إلى قرية الخلاّف مرحلة ثم إلى كماهنك مرحلة ثم إلى قرية ابن بندار مرحلة ثم إلى إصطخر مرحلة.

وتأخذ من سُمَيْرَم إلى جفراباذ مرحلة ثم إلى الزاب مرحلة ثم إلى كُورد وكَلاَّر مرحلة ثم إلى مِهْرجاناواذ مرحلة ثم إلى أش وبورد مرحلة ثم إلى نَسَا بريدين ثم إلى شيراز مرحلة.

وتأخذ من اليهوديّة إلى خالنجان مرحلة ثم إلى باركَان مرحلة ثم إلى أُسْبِيذ دَشْت مثلها ثم إلى جعاد وجورد مثلها ثم إلى الرباط مثلها ثم إلى كورستان مرحلة ثم إلى جسر جهنّم مرحلة.

إقليم كِرْمَان

هذا إقليم يشاكل فارس في أوصاف ويشابه البصرة في أسباب ويقارب خراسان في أنواع لأنه قد تاخم البحر واجتمع فيه البرد والحرُّ والجوز والنخل وكثرت به التمور والدوشاب، والثمار والأرطاب، به جيرُفْت الذي تضرب به الأمثال، ومُنُوقَان الذي تشدّ إليه الرحال، وعند تمر خَبِيص يقف الرجال، وله سهول وجبال، وبه سِمَاق ورمال، وأنعام كثيرة وجمال، وخصائص عجيبة وأعمال، به يسيل التوتيا على مرازيب كزُلال، وقد أوضحنا بذكر نَرْمَاسير المقال، وثياب بَمّ بالخافقَيْن هي جمال، ومع ذاك أوطياءُ ولا فيهم ثقال.

وكرمان متجر يسار وحسن حال، صحيح مياهه ووسط على اعتدال، ودين وعفّة ترى به على كمال، فصيح لسانهم والعقل غير زالّ، فكرمان سريّة لولا خلال، حرٌّ في السواحل وحيّاتهم طوال، ولا لهم نظّارة ولا مذكّر يفقه العوامّ نحيفة أجسامهم تحاكي الخلال، كثيرة قفاره ولا نهر يجري به الدِقّال، وللدولتين مطلب يرى لهم به مجال، يفيض هروجه وكم فيه من قتال. وهذا مثاله وشكله وبالله التوفيق لا شريك له.

وهذا الإقليم خمس كور وناحية أولها من قبل فارس بَرْدَسِير ثم نَرْمَاسِير ثم السِّيرَجَان ثم بَمّ ثم جِيرَفْت.

فأما بَرْدَسِير فإنها كورة تلي المفازة لها سرود وجروم يسمُّونها بلسانهم كُوَاشِير قصبتها على اسمها ومن مدنها مَاهَان كوغون زَرَنْد جَنْزَرُوذ كُوه بيَان قواف أُنَاس زاور خوناوب[1] غُبَيْرا كارشتان، وناحية خَبِيص مدنها نشك كشيد كوك كثروا.

وأما نَرْمَاسِير فإنها تلي المفازة أيضاً من نحو سجستان قصبتها على هذا الاسم

---

(١) خوناوب: ناحية بكرمان لها رستاق وقرى. (معجم البلدان ج ٢/ ص ٤٤٦).

وكذلك الخمس ومن مدنها باهر كرك ريكان نَسَا. وأما السِّيرَجَان فإنها متوسّطة بين الكور مائلة نحو فارس قصبتها المصر ومن مدنها بِيمَنْد الشّامات واجب بزورك خور دشت برين.

وأما بَمٌّ فإنها تتاخم فارس أيضاً من مدنها دارزين طوشتان أوراك مِهْرِكِرْد راين.

وأما جِيرُفْت فإنها أنزه كور الإقليم تتاخم بحر الصين وتصاقب مكران وتجمع الأضداد غزيرة الأنهار حسنة الثمار كثيرة المدن منها باس جكين مَنُوقَان درهفان جوى سليمان كوه بارجان قُوهِسْتَان مَغُون جواون وَلاَشْجِرْد روذكان درفاني.

بَرْدَسِير قصبة ليست بالكبيرة لكنّها حصينة وإليها دواوين الإقليم اليوم وبها الجيش على جانبها قلعة كبيرة فيها بساتين وقد حفر فيها بئر عظيمة عجيبة من بناءِ أبي عليّ بن إلياس وهو الذي اختار هذه القصبة وسكنها عشرين سنة، على الباب حصن وخندق مجسَّر لها أربعة أبواب باب ماهان باب زَرَنْد باب خَبِيص باب مبارك، أكثر شربهم من آبار ولهم قَنَاة وفي وسط البلد قلعة أخرى والجامع قربها لطيف ويحدق بالبلد بساتين والقلعة عالية كان يصعد إليها ابن الياس على الدوابّ الجبليّة المعتادة لصعودها وينام فيها كلّ ليلة والقنيُّ تسقى بساتينهم المحيطة.

وماهان مدينة العرب الجامع وسط البلد شربهم من نهر في وسطها قهندز بباب واحد يحوط به خندق وتسير منها مرحلة إلى القصبة في أشجار مشتبكة ومياه جارية. وكوغون جامعها وسط البلد شربهم من نهر وقنيّ.

وزرنْد قد بنى ابن الياس على حافتها قلعة وهي كبيرة شربهم من قنيّ والجامع في الميدان عند السوق.

وجَنْزَرُوذ كثيرة الفواكه الجامع في الأسواق ولهم نهر. وأُنَاس أكبر من الرُّوذَان على رأس الحدّ خربة بها كتّاب فره والجامع وسط السوق شربهم من قنيّ وسط البلد حصن ولها ربض.

وكُوه بيَان صغيرة لها بابان وربض فيه حمّامات وخانات والجامع على الباب قد التفّت بها البساتين والجبل منها قريب سوقها صغير والعلم بها قليل وخطيب سُخنة عين.

وزاور أكبر من كُوه بيان لها حصن على رأس الحدّ. وخوناوب متوسّطة الجامع

وسط الأسواق كثيرة المزارع والضياع وشجر الغُبَيْراءِ بعض سقيهم بالدواليب وطواحينهم بالجمال.

وقواف وبَهَاوَذ بينهما ثلاث فراسخ سردسير كلُّه بساتين وهما عامرتان نزيهتان.

وغُبَيْرا صغيرة لها قرى باردة شربهم من نهر في الوسط قهندز وقد بنى ابن الياس خارج البلد سوقاً الجامع وسط البلد.

وكارشتان باردة كثيرة الجوز والمزارع شربهم من نهر لها خمس وعشرون قرية تشرب منه.

وخَبِيص عليها حصن بأربعة أبواب جَيّدة التمور الجامع وسط البلد شربهم من قنيّ ونهر ومدنها على تخوم المفازة وهنّ عامرات معدن التمور والإبريسم كثيرة التوت.

نَرْمَاسِير قصبة جليلة كبيرة عامرة هي المطرح والمغوثة، ثم في هذا الإقليم أحدوثة، خزانة مقصودة نفيسة وبلدة آهلة عجيبة قصورها حسنة أنيقة بها تجار كبار كثيرة المتاع والجمال منها يصدر نفر خراسان، وإليها يحمل متاع عمان، وبها تجتمع تمور كرمان، وعليها طريق حاجّ سجستان، ومنها ينقل البربهار.

بها قوم جياد وأموال ويسار، إلاّ أنها فاسدة النسوان، متطرّفة عن البلدان، لا يأمن فيها السلطان، ولا يطارق بها العيّار، ولا يطول بها الأعمار، ولا فقيه نظّار، ولا مقرئ إمام، هي أصغر من السيرجان عليها حصن بأربعة أبواب باب بَمّ باب صوركون باب المصلّى باب كوشك والجامع وسط الأسواق عامر يصعد إليه بعشر درجات من الآجرّ حسن به منارة ليس لها في الإقليم من نظير.

وثَمّ قلعة يقال لها: كوش وران على باب بمّ ثلاثة حصون يعرفن بالأخوات يحدق بالبلد البساتين والنخيل وتجمع الأضداد من الثمار شربهم من قنيّ ولا بأس بحمّاماتهم.

وريكان عليها حصن والجامع على بابها كثيرة النخيل والبساتين. وباهر وكرك عامرتان على حدّ سجستان لهما بساتين ونخيل ونهر وقنيّ نزيهتان.

ونَسَا لها بساتين في سهلة والجامع في الأسواق شربهم من نهر تكون مثل نابلس.

السَّيْرَجان هو مصر الإقليم وأكبر القصبات وأكثرها علماً وفهماً وأحسنها رسماً وآثيناً عامراً أهل تنعُّم أسواق فسحة وشوارع فرجة ودور حسنة بها بساتين ومياه جارية والجدارات رفيعة عامرة معتدلة والأموال كثيرة جمّة وخصائص وصناعة وجامع حسن ومنارة وبلد كبيرة حصينة أبهى وأوسع من شيراز هواءٌ معتدل وماءٌ صحيح وطعام نظيف وأضداد مجتمعة وخيرات كثيرة وأسعار رخيصة وعلم ودراية إلاّ أن أكثرهم معتزلة وهي من أهلها خفيفة ومدنها قليلة لها ثمانية دروب درب حكيم درب خارنحان درب بَمّ درب معلّى درب الميدان درب فضيل درب روحان درب شيبان ولها سوقان عتيق وجديد الجامع بينهما في معزل قد بنى فيه عضد الدولة منارة عجيبة على رأسها أعمال من الخشب دقيقة منها ما يدور وبنى على باب حكيم داراً حسنةً ومياه البلد من قناتين شقّهما عمرو وطاهر إبنا لَيْث تدور في البلد وتدخل دورهم وتعم بساتينهم بناؤهم طين ومن نحو بَمّ أكثر البساتين.

وبِيمَنْد عليها حصن منيع وأبواب حديد والجامع وسط السوق شربهم من قنيّ. والشَّامَاتُ كثيرة البساتين والكروم فواكهها تحمل إلى النواحي والجامع وسط البلد.

وواجب عامرة كثيرة البساتين الجامع في الأسواق شربهم من قنيّ ولهم منازه وهي طيّبة. وبزورك كثيرة الأهل على أسفل جبل مشتبكة بالبساتين حسنة الثمار شربهم من قنيّ.

وخور جليلة كثيرة الفواكه يشقُّها نهر الجامع على حافته. ودشت برين رستاق واسع كثير النخيل والنيل والحبوب لا أعرف له مدينة.

وبهار من نحو بَمّ على ما ذكرنا من العمارة والنخيل. وخَنَّاب من هذا الوجه منهم من لا يضيفها إلى هذه الكورة.

بَمُّ قصبة جليلة طيّبة كبيرة أهل صناعة وحذاقة ومتاجر مقصودة ثيابها في الآفاق معروفة وهي في الإسلام مشهورة وللأقليم مفخرة إلاّ أن عامّتهم حاكة وليس لمياهها حلاوة ولا لهوائها طيبة وعليها حصن بأربعة أبواب باب نَرْمَاسِير باب كوسكان باب أسْبيكان باب كورجين وسطها قلعة فيها الجامع وبعض الأسواق وبقيّة الأسواق خارج وفي وسط البلد نهر يجري على حافة البلد ثم يشقُّ البَزّازين ويدخل القلعة ثم يخرج إلى البساتين بناؤهم طين جيّد عَلِكٌ من أسواقها سوق جسر جرجان.

وأكثر شربهم من قنيّ ومن حمّاماتهم المذكورة حمّام زقاق البيذ وجبل كود منها على فرسخ وطواحينهم على الماءِ بقربها قرية عظيمة أكثر ما يعمل من الثياب بها.

وطوشتان كثيرة البساتين جيّدة الحنطة شربهم من نهر وقنيّ يسيرة وهي زريعة.

ودارزين بها جامع حسن وشربهم من نهر ولهم بساتين ومزارع وخيرات ومنازه.

وأوارك ومِهْركِرْد ملتصقتان بينهما قلعة بناها ابن الياس شربهم من نهر وبناؤهم طين.

وراين صغيرة الجامع وسط الأسواق كثيرة البساتين يعمل بها ثياب كثيرة على عمل البَمّيّ وتخرج خروجها.

جيرَفْت هي أطيب القصبات، ومعدن الفواكه والخيرات، بها يجتمع المتضادّات، وفيها المنازه والروضات، طيّبة الأسواق والحمّامات، نظيفة الخبز والأدامات، حلوة البطّيخ إلاّ أن حرّها شديد وبها مؤذيات، ومع ذاك بقّ وحيّات، قليلة العلم والآلات، عليها حصن بأربعة أبواب باب سابور باب بمّ باب السَّيرَجَان باب المصلّى والجامع على طرف عند باب بَمّ من آجرّ وجصّ بعيد عن الأسواق شربهم من نهر يتخلّل الشوارع والأسواق شديد الجرية يدير عشرين رحًى وهي أكبر من إصطخر بناؤهم طين أساسه حجر يحمل إليها الثلج وفي الجامع نهر يجري.

حسنة الرستاق جدًّا قد اجتمع في بساتينها النخل والجوز وعلا النرجس والنارنج وعبقت منها الأرياح فهي حسنة نزيهة.

وهُرْمُوز على فرسخ من البحر شديدة الحرّ الجامع في السوق وشربهم من قنيّ حلوة وسوقهم جادٌّ وبناؤهم من طين.

وباس وجكين مدينتان على مرحلة من البحر أصغر من هرموز جامعهما في الأسواق.

ومَنُوقَان هي بصرة كرمان، ومنها ميرة خراسان، من التمور الرخيصة الحسان، وهي مع ذلك جانبان، بينهما وادٍ يابس كَلاَن، أحدهما كونين والآخر زامان، بينهما

قلعة وجامع سِيَّان، منهما إلى البحر يومان، وأيّام إلى درهفان، وهي مفخر كفى الرحابِ مُوقَان.

فإن قال قائل ومن أين علمتَ أن كلَّ بلد آخره آن له خاصّيّة قيل له بكثرة التجارب وله أيضاً دليل من كتاب الله تعالى ألا ترى أن المخلوق يجوز أن يسمّى رحيماً فإذا دخلت الألف والنون صار رحمان وصار خاصًّا لله عزّ وجلّ وألا ترى أن كلّ ماءٍ جارٍ يسمّى حميماً فلمّا تبعته الألف والنون صار لجهنّم خاصًّا والقطر هو النحاس فلمّا أراد الله تعالى أن يعلمنا أنه عذاب على أهل جهنّم ألحق به الألف والنون.

ودرهفان في رملة وبرّيّة قريبة من البحر شربهم من قنيّ لها بساتين وبها نخيل الجامع وسط البلد.

وجُوِي سُلَيْمَان متوسّطة كثيرة الأهل واسعة السرتاق وشربهم من نهر يتخلّل البلد والجامع وقهندز وسطها.

وكوه بارجان كثيرة البساتين معتدلة الهواءِ تجمع الأضداد لها قهندز والجامع في البلد شربهم من نهر وآبار.

وقُوهِسْتَان أبي غانم وسطة حارّة كثيرة النخيل شربهم من نهر يتخلّل البلد والجامع وسطها وبها قهندز.

ومَغُون كثيرة البساتين والنارنج شربهم من قنيّ وهي من معادن النيل. وجواون صغيرة شربهم من قنيّ.

ووَلَاشْجِرْد عليها حصن، ولها قهندز يسمُّونه كوشة شربهم من قنيّ ذات بساتين.

وروذكان عامرة بها نخيل وبساتين ونارنج كثير شربهم من نهر وقنيّ. ودرفاني نصفها جرم سير ونصفها سردسير وهي دربٌ فيها فاكهة متضادّة طيّبة نزيهة.

وبين السيرجان وبمٌ رائين دارجين ما بين وبين جيرفت والمفازة جَنزرُوذ قَرْزِين وبين جيرفت والسيرجان ناجت خير وبين السيرجان وفارس كشيستان جيروقان مرزقان السورقان مَغُون لم أدخلهنّ ولم أر عاقلاً أدبّر معه في بابهنّ وإلى أين وجب أن يضفن. وأما إسْبِيذ فقد جعلناها نظير تيماء.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم تزيد جرومه على سروده ووسطه معتدل مثل فارس وفارس أوسع وأجلُّ وأعمر وهذا كثير المفازات وبه جبال منيعة وله دخلة مقوّسة عند البحر وقد جعل له الفارسيُّ دخلة في فارس مثل الكمّ عند الرُّوذان وجرومه على حرارة جروم فارس سواء وصروده تقصر عن صرود فارس وليس في جرومه شيءٌ من الصرود وربَّما وجدتَ في صروده جروماً وهم سمر إلى النحافة وفيهم وطاءٌ وسلامة وهواءُهم صحيح ورأيتُ به مجذومين.

والمذاهب الغالبة للشافعيّ إلاّ جِيرُفْت وقد قلَّ الفقهاءُ بها وبدا أهل الحديث يغلبون إلاّ بهُرْمُوز وليس لمذكّريهم علم كثير وذُكر لي بعض علمائهم بكُوه بَيَان فقصدتُ مسجداً فيه رئيسهم مع جماعة من المشايخ فسألتُهم عنه فبعثوا رجلاً يدعوه وجعلوا يسألوني إلى أن قالوا: أهل بيت المقدس يصلُّون إلى الكعبة، وما يشاكل هذا من المعضلات قلتُ عالمكم هذا يجلس لكم قالوا: نعم، قلتُ: ولم يعلمكم هذا المقدار لا حاجة لي في لقائه ورأيتُ آخر ببمّ لا يتحصَّل من تذكيره على شيءٍ ولم أر لهم رؤُوساً ولا مناظرات يعتمد عليها بلى أدباءَ ما شئتَ وللخوارج ببمّ جلبة وجامع على حِدَةٍ فيه بيت مالهم.

ورسومهم لها لباقة في الثياب يقاربون أهل فارس في أكثر رسومهم ولا يرفعون من تمورهم ما وقع من النخل وربَّما وجد التمر في مواضع مثل مَنُوقان وما في معناها مائة منّ بدرهم ورسم الجمَّالين إنهم يحملون التمر إلى خراسان مناصفة يقصدها كلَّ سنة نحو مائة ألف جمل ويدخلون على غفلة ويعطى السلطان كلَّ جمَّال ديناراً ويكثر الزنا والفساد بنَرْمَاسِير حينئذٍ وسمعتُ بعض الجمَّالين يقول هٰهنا امرأة قد زنى بها جميع أهل النفر عن آخرهم في هذه السفرة.

والتجارات مفيدة من عندهم تحمل تمور خراسان ونيل فارس ومزارعه من حدود وَلاَشْجِرْد إلى هُرْمُوز، ويحمل من بمَّ العمائم والمناديل والطيالسة والثياب الرفيعة تختار على جميع المرويّات ويُعمل بالسيرجان من هذا البزّ شيءٌ كثير ويعمل بها ما يعمل بقمّ من الكراسيّ وما يجري مجراها ولا تكون على حسنها وترفع من نواحي جيرفت النيل الكثير والكمُّون ولهم فانيد ودوشاب رخيص والغالب على طعام

أهل هذه الكورة الذرة والتمر. ومن خصائصهم التوتياءُ المرازبيُّ وإنّما سمّى مرازبيًّا لأنهم يتّخذون شبه أصابع من الخزف كباراً ثم يصبُّونه عليه فيلتزق به فيبقى كالمرازيب ورأيتُهم يجمعونه من الجبال وقد بنوا أكواراً عجيبة طويلة يصفونه كما يصفى الحديد ولم أره إلاّ بالقرى، ثم لا ترى أحلى من تمرهم لا يمكن أن يؤكل نيًّا وإنّما يصلح للعصائد ولا نظير لثمانية أجناس تمور صَيْحانيّ المدينة ويُزْديّ المروة ومُسْقر وَبْلَة ومصين عُمَان ومَعْقِلِيّ البَصْرَة وأَزَاد الكُوفَة وإنْقِلَى صُغَر وكرماشانيّ هذا الإقليم، ومنهم مكّيٌّ ومكاييلهم مختلفة وسنجهم خراسانيّة. وبه معادن حديد وفضّة.

أكثر مياههم قنيٌّ وليس به نهر عظيم ونهر جيرفت شديد الجرية يسمع له وجبة عظيمة وخرير يجرُّ الصخر ولا يستطيع أحدٌ أن ينزله.

والجبال المذكورة بهذا الإقليم جبال القُفْص والبَلُوص والبارز ومعدن الفضّة وجبال القفص شماليّ البحرُ من خلفها جروم جيرفت والروذبار وشرقيُّها الأخواس ومفازة بين القفص ومكران وغربيُّها البلوص ونواحي هرموز ويقال أنها سبعة أجبل وإن بها نخلاً كثيراً وخصباً ومزارع وإنها منيعة جدًّا والغالب عليهم النحافة والسمرة وتمام الخلق ويزعمون أنهم عرب ونحن نستقصي وصفهم في المفازة إن شاءَ الله.

وأما البَلُوص فقد شتّتهم عضد الدولة وأسرهم وسباهم وقد كانوا أولي بأس وكان القفص يخافونهم وكانوا أصحاب نعم وبيوت شعر مثل البادية.

وأما جبال البارز فإنها مشجرة عامرة فيها سمعتُ وهي أيضاً ممتنعة ولا يتأذّى بهم أحد وهم حديثو الإسلام وقد كان غزاهم يعقوب وعمرو ابنا الليث وثَمَّ معادن من حديد وغيره.

وأما جبال المعادن فهي جبال فيها فضّة طولها نحو مرحلتين، وبكرمان شعاب عامرة مشجّرة مثل الدرباني وما في معناها.

ولسانهم مفهوم يقارب الخراسانيّ وربّما انغلق لسان الرستاق ولسان القفص والبلوص غير مفهوم يشابه السنديّ.

وضع هذا الإقليم جروم ثُلُثا الإقليم من جيرفت وجبال القفص ودشت بر ورويست وما يدخل في هذا الصقع من النواحي والقرى ومدن بَمٍّ داخلة فيه أيضاً إلى تخوم المفازة وحدود مكران وليس بعد جيرفت وبمّ ممّا يلي المشرق شيءٌ من

الصرود ويقع غربيّ جيرفت صرود وثلوج ما بين جبل الفضّة إلى درباني إلى أن تشرف على جيرفت.

والميجان صرود منها عامّة فواكه جيرفت وثلجها، والثُلث من الإقليم صرود من أقصى السيرجان إلى حدّ فارس ثم إلى المفازة من هذا الوجه وتدخل في ذلك كواشير وتقع خَبِيص في الجروم فهذا تفسير قولنا ربّما دخل في سروده جروم.

وأما حدود كرمان فإن شرقيّها أرض مكران ومفازتها والبحر وراءَ البلوص وغربيّها أرض فارس وشماليّها المفازة ويقع البحر على جنوبيّها.

والولايات كانت لآل سامان أضافها المعتمد إلى إسماعيل سنة ٢٦٠ لمّا ظفر بعمرو بن الليث، ثم عصى أبو عليّ ابن الياس وتغلّب عليها، وكان يخطب عليهم ثم ملكها عليُّ بن بويه وصارت إلى اليوم للديلم إلاّ أنهم يحملون في كلّ سنة إلى صاحب خراسان مائتي ألف دينار وما ملكوها إلاّ بعد قتل عظيم وكسر العامّة وقد خرّبوها وأكثر أعمالهم خراب.

وقرأتُ في بعض الكتب بفارس حديثاً بإسناد إلى النبيّ ﷺ: «كأنّي أنظر إلى شان الديلم في أمّتي وقد أغاروا على أموالهم وخرّبوا المساجد وهتكوا الحُرم وأضعفوا الإسلام وأزالوا النعم وهزموا الجيوش ولا يغلبهم غير أمر الله يخرج رجل من أرض خراسان حسن الوجه فارس في عارضيه بياض وفي صدره خال أسود حسن القامة عظيم الخطر فيلسوف عالم اسمه نبيٌّ من ولد العجم يفتح الله على يديه الدروازات الصغرى فيملك من خراسان إلى باب الدروازات الكبرى ولا يرفع السيف حتّى لا يبقى منهم أحد حامل سلاح» قيل: يا رسول الله وما يكون بعد ذلك؟ قال: «يخرج صاحب خراسان إلى بيت الله فيخطب له على المنابر بخراسان والزوراءِ[1] وأرض فارس والعراق ومكّة والمدينة»، قيل يا رسول الله وما يكون بعد ذلك؟ قال: «دويلة طويلة يصير الناس كالأُسد لا يؤدّون الأمانات ولا يحفظون الحُرمات».

---

(١) زوراء: تأنيث الأزور، وهو المائل، والأزورار عن الشيء: العدول عنه والانحراف، ومنه سميت القوس الزوراء لميلها، وبه دجلة بغداد، والأرض الزوراء: البعيدة. ومدينة الزوراء ببغداد في الجانب الشرقي، سمّيت الزوراء لازورار في قبلتها، وقال غيره: «الزوراء مدينة أبي جعفر المنصور، وهي في الجانب الغربي، وقيل: إنما سمّيت الزوراء لأنه لمّا عمّرها جعل الأبواب الداخلة مزوّرة عن الأبواب الخارجة أي ليست على سمتها». (معجم البلدان ج ٣/ ص ١٧٥).

وخراج كرمان ستُّون ألف ألف درهم وضرائب شهروا وسورو أخفُّ من ضرائب سيراف.

وأما المسافات فتأخذ من بَرْدَسِير إلى السِّيرَجَان مرحلتين وتأخذ من بردسير إلى حدّ المفازة إلى جَنْزَرُوذ مرحلة ثم إلى زَرَنْد مرحلة ثم إلى المفازة مرحلة.

وتأخذ من نَرْمَاسِير إلى الفهرج مرحلة وهي على طرف المفازة، وتأخذ من نرماسير إلى جُوى سليمان ٣ مراحل ثم إلى ريكان مرحلة ثم إلى موخكان مرحلة ثم إلى الطيب مرحلة ثم إلى مروغان مرحلة ثم إلى باس وجكين مرحلة ثم إلى هروك مرحلة ثم إلى قصر مهديّ مرحلة ثم إلى هُرْمُوز مرحلة ثم إلى الفرضة بريدين.

وتأخذ من السيرجان إلى كاهون مرحلتين ثم إلى رستاق الرستاق مرحلة، وتأخذ من السيرجان إلى بِيمَنْد بريدين ثم إلى كُرْدكان بريداً ثم إلى أُنَاس مرحلة ثم إلى الرُّوذان بريدين.

وتأخذ من السيرجان إلى الشامات مرحلة ثم إلى بهار مرحلة ثم إلى خنَّاب مرحلة ثم إلى غُبَيْرَا مرحلة ثم إلى كوغون فرسخاً ثم إلى رائين مرحلة ثم إلى سَرْوِسْتان مرحلة ثم إلى دارجين مرحلة ثم إلى بَمّ مرحلة.

وتأخذ من السيرجان إلى فِرْزِين مرحلتين ثم إلى ماهان مرحلة ثم إلى خَبيص ٣ مراحل، وتأخذ من بَمّ إلى نَرماسير مرحلة وتأخذ من بَمّ إلى دارجين مرحلة ثم إلى هرمز مرحلة ثم إلى جيرفت مرحلة.

إقليم السِّنْد

هذا إقليم الذهب والتجارات، والعقاقير والآلات، والفانيذ والخيرات، والأرزاز والموز والأعجوبات، به رخص وسعة ونخيل وتمرات، وعدل وإنصاف وسياسات، وبه خصائص وفوائد وبضاعات، ومنافع ومفاخر ومتاجر وصناعات، ومصر جليل ومدن سريّة وقصبات، وسلامة وعافية وثَمَّ أمانات، قد جاور البحر، وشقّه النهر، وحوى النخل، وله سهل وزرع على البعل، مصر ظريف، ونهر شريف، وأمره طريف، غير أن ذمّته مشركون، والعلماء به قليلون، ولا تصل إليه إلاّ بعد أخطار البرّ وأهوال البحر، بعد الشقّ وضيق الصدر.

وقد جعلنا هذا الإقليم خمس كور وأضفنا إليه مُكْرَانَ لأنها بقربه مصاقبة له وليتّصل الأقاليم بعضها إلى بعض وبالله التوفيق، فأوّلها من قبل كرمان مُكْران ثم طَوران ثم السند ثم وَيْهِنْد ثم قَنّوْج ثم المُلْتان[1] وأدخلنا الملتان أيضاً للعلّة التي ذكرنا فإذا بنا قد رجعنا إلى تخوم خراسان وأتينا على أقاليم الأعاجم كلّها ولم نشذّ من الإسلام شيئاً.

واعلم أنّي قد درتُ على تخوم هذا الإقليم وبلغتُ سواحله كلّها ورأيتُ وسمعتُ ما سأذكره وأكثرتُ السؤال عن أساميه وتفحّصتُ عن أخباره وعرفتُ مدنه ومع هذا فلا أضمن من وصفه ما أضمن من غيره ولا أصف إلاّ أمصاره ولا أستقصي في شرحه لما روى كفى بالمرءِ الكذب أن يحدّث بكلّما يسمع ولقوله ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة» ولولا خشية أن يختلّ هذا الأصل ويبقى من الإسلام صدر لأعرضنا من الكلام فيه.

(١) المُلتان: وأكثر ما يكتب بالواو «مولتان» وهي مدينة في نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون منذ القِدم، وبها صنم تعظّمه أهل الهند، وتحجّ إليه من أقصى بلدانها، ويتقرّب إلى الصنم في كلّ عام بمال كثير ينفق على بيت الصنم والعاملين فيه. (معجم البلدان ج ٥/ ص ٢٦٣).

وأما المثال والشكل فعلى سبيل ما دبَّرتُ مع من عرف هذا الإقليم ودوَّخه من أهل الفهم وأكثر ما مثَّلتُ من الأقاليم فلم أمثلها حتّى دبَّرتُ مع عقلاءِ ذلك الإقليم واستعنتُ بفهمائه وقد أكثرتُ فيه من كلام إبراهيم بن محمَّد الفارسيّ الذي نسمّيه الكرخيّ وأسندناه إليه وبالله نستعين.

فأما مُكَرَان فقصبتها بَنْجبُور ومن مدنها مَشْكَة كيج سراي شهر بَرْبُور خواش دَمِنْدَان جالك دِزك دشت علي التِّير وذكر الفارسيُّ كبرتون رأسك قال: وهي مدينة الخروج بِه بند قَصْرَقَنْد أصفقة فهل فهرة قنبلي أرْمَابيل وذكر من الأولى التيز ومشكة ودزك ولم يصف شيئاً منها.

وأما طُورَان فقصبتها قُزْدَار ومن مدنها قَنْدَبِيل بجترد جترد بكانان خوزى رُسْتَاكُهَن رستاق روذ موردان رستاق ماسَكَان كهرُكور وذكر الفارسيُّ محالى كِيزكانان سورة قُصْدَار ولم يذكر غيرهنّ.

وأما السِّنْد فقصبتها المَنْصُورَة ومن مدنها دَيْبُل زندريج كدار مايل تنبلي وقال الفارسيُّ: النِيرُون قَالَّرِي أَنَرِي بَلَّرِي المسواهي البهرج بانية منجابرى سَدُوسَان الرُّور سُوبَارَة كيناص صَيْمُور.

وأما وَيْهِنْد فإن الفارسيّ سمَّاها الهند فقال: مدن الهند قامُهُل كَنْبَايَة سُوبَارَة سَنْدَان صَيْمُور المُلْتَان جندرور بسمد ثم قال فهذه مدن هذه البلاد وسألتُ رجلاً من أهل العلم والحكمة وكان يجلس للناس بشيراز والأهواز ويقصُّ عليهم ويعرف بالزهد وقد أقام بتلك البلدان مدّة مديدةً صف لي تلك النواحي صفة يمكن إدخالها في هذا التصنيف وانعتها لي نعتاً حتّى كأنّي أنظر إليها.

وكذلك سألتُ فقيهاً آخر من أصحاب أبي الهيثم النيسابوريّ قد وطئ تلك النواحي وعرف أسبابها فصحَّ عندي من قولهما: إن وَيْهِنْد هي القصبة وإن من مدنها وذهان بيتر نوج لوار سمان قوج.

وأما قَنُوج فإنها القصبة أيضاً ومن مدنها قدار أبار كهاره بارد وُجَين أورهة زهو هر برهيروا ولم يذكرهنّ الفارسيُّ بتّةً. وأما المُلْتان فهي القصبة أيضاً ومن مدنها برار راماذان وروين برور.

بَنْجبُور قصبة مكران لها حصن من طين حوله خندق وهي بين النخيل لها بابان

باب طوران باب التيز شربهم من نهر والجامع وسط الأسواق قوم غتم ليس معهم من الإسلام إلاّ الاسم لسانهم بلوصيٌّ.

والتِّيز على البحر كثيرة النخيل بها رباطات فاضلة وجامع حسن وهم قوم متوسّطون لا علم ولا ظرف غير أنها فرضة مشهورة.

قُزْدَار قصبة طوران في صحراءٍ ذات جانبين بينهما وادٍ يابس بلا جسور في أحدهما دار السلطان فيه قلعة ويسمّى الجانب الآخر بودين وفيه دور التجار والمطارح وهي أفسح وأنزه والقصبة على صغرها مفيدة وإليها يقصد نفر خراسان وفارس وكرمان ومن بلدان الهند إلاّ أن ماءَها رديٌّ إذا شرب منه الإنسان ثقل بطنه وسلطانهم عادل متواضع.

بنيان مدنها من طين ومشاربهم من قنيّ وهنّ في صحراءٍ غير كشرد وكيزكانان فإن لهما نهراً ولكشرد آبار ومزارع المدينتين على العذى وكلُّهنّ جروم إلاّ كشرد فإنها باردة ربَّما وقع بها ثلج وجمد الماءُ.

المَنْصُورَة هي قصبة السند ومصر الإقليم تكون مثل دمشق بناؤهم خشب وطين والجامع من حجر وآجرّ كبير مثل جامع عمان على سواري ساج لها أربعة أبواب باب البحر باب طوران باب سَنْدان باب المُلْتان ولهم نهر يحوط بالبلد أهل لباقة ولهم مروّة وللإسلام عندهم طراوة والعلم وأهله كثير والتجارات ثَمَّ مفيدة ولهم ذكاءٌ وفطنة ومعروف وصدقة والهواءُ ليّن والشتاءُ هيّن والأمطار كثيرة والأضداد مجتمعة ولهم خصائص غريبة وثَمَّ جواميس عظيمة شربهم من نهر مِهْرَان والجامع وسط الأسواق والرسوم تقارب العراق مع وطاءٍ وحسن أخلاق إلاّ أنه شديد الحرّ كثير البقّ بلغمانيُّون الغالب عليهم الكفّار خرب الأطراف قليل الأشراف.

ودَيْبُل بحريّة قد أحاط بها نحو من مائة قرية أكثرهم كفّار والبحر يسطع جدارات المدينة كلُّهم تجار كلامهم سنديٌّ وعربيٌّ وهي فرضة الكورة كثيرة الدخل وثمَّ يفيض مهران في البحر والجبل منهم على صيحة والبحر يدخل السوق أهل ظرف وتلبُّس، وتنبلى عليها حصن بحريّة أيضاً قليلة المسلمين والتجار المجهّزين.

وَيْهنْد قصبة جليلة أكبر من المنصورة لها بساتين كثيرة طيّبة نزيهة في مستوى موضوعة أنهار غزيرة وأمطار عظيمة وأضداد مجتمعة وثمار حسنة وأشجار مديدة

ونعم ظاهرة وأسعار رخيصة العسل ثلاثة أمناءٍ بدرهم وعن رخص الخبز والألبان فلا تسأل قد سلموا من المؤذيات وتخلّصوا من العاهات واشتبكت حولها أشجار الجوز واللوز وكثر فيها الأرطاب والموز إلاّ أن هواءها رطب وحرّها صعب وبناؤهم قشٌّ وخشب وربّما وقع الحريق في بناءِ القصب تشاكل فسا وسابور لولا هذه العيوب.

قنّوج قصبة كبيرة لها ربض ومدينة بها لحوم كثيرة ومياه غزيرة وبساتين محيطة ووجوه حسنة وماءٌ صحيح وبلد فسيح متجر ربيح وكلٌّ صبيح وموز رخيص إلاّ أنها كثيرة الحريق قليلة الدقيق أكلهم الأرزُّ ولبسهم الأزر بناءٌ خسيس وصيف بغيض منها إلى الجبال أربعة فراسخ والجامع في الربض رخيصة اللحوم والنهر يتخلّل البلد أكثر طعام المسلمين الحنطة وبها علماءُ وأجلّة.

وقدار طيّبة الهواءِ نزيهة كثيرة البساتين يخرج إليها ملوك القصبة عند شدّة الحرّ يصيّفون بها، وسائر المدن جرم سير شربهم من أنهار وقنيّ.

الملتان تكون مثل المنصورة غير أنها أعمر ليست بكثيرة الثمار غير أنها رخيصة الأسعار الخبز ثلاثون منّا بدرهم والفانيذ ثلاثة أمناء بدرهم حسنة تشاكل دور سيراف من خشب الساج طبقات ليس عندهم زنا ولا شرب خمر ومن ظفروا به يفعل ذلك قتلوه أو حدُّوه ولا يكذبون في بيع ولا يبخسون في كيل ولا يخسرون في وزن يحبُّون الغرباء وأكثرهم عرب شربهم من نهر غزير والخير بها كثير والتجارات حسنة والنعم ظاهرة والسلاطين عادلة لا ترى في الأسواق امرأة متجمّلة ولا أحداً يحدّثها علانية ماءٌ مريٌّ وعيش هنيٌّ وظرف ومروّة وفارسيّة مفهومة وتجارات مفيدة وأجسام صحيحة إلاّ أنها سبخة بليذة ودور ضيّقة وهواءٌ حارٌّ يابس وهم سمر وسود. فهذا ما عرفنا من وصف بلدان هذا الإقليم.

جمل شؤون هذا الإقليم

هو إقليم حارٌّ به نخيل ونارجيل وموز فيه مواضع معتدلة الهواءِ جامعة الأضداد مثل وَيْهِنْد ونواحي المنصورة والبحر يمدُّ على أكثره ولا أعرف أن به بحيرة وبه أنهار علّة وذمّته عبدة الأوثان وليس للمذكّرين به صيت ولا لهم رسوم تذكر.

مذاهبهم أكثرهم أصحاب حديث ورأيتُ القاضي أبا محمّد المنصوريّ داوديًا

إماماً في مذهبه وله تدريس وتصانيف قد صنّف كتباً عدّة حسنةً وأهل الملتان شيعة يهوعلون في الأذان ويثنون في الإقامة ولا تخلو القصبات من فقهاءٍ على مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى وليس به مالكيّة ولا معتزلة ولا عمل للحنابلة إنهم على طريقة مستقيمة ومذاهب محمودة وصلاح وعفّة قد أراحهم الله من الغلوّ والعصبيّة والهرج والفتنة.

ويحمل من طُوَاران الفانيذ أجود من ماسكَان ومن سَنْدَان الأرزُ الكثير وثياب ويعمل بسائر الإقليم من البسط وما يجري مجراها ما يعمل بقهستان خراسان ويحمل منه نارجيل كثير وثياب حسنة ومن المنصورة النعال الكنباتيّة النفيسة ومنه تحمل الفيلة والعاج والأشياءُ الرفيعة والعقاقير النافعة.

منهم بطواران مكّيٌّ وكذلك بالملتان والسند والهند. ومكاييلهم بطواران يسمّى الكيجيَّ يزن أربعين منا حنطة ربّما وجد ثمانية بدرهم إلى أربعة واسم كيل الملتان مطل يزن اثني عشر منا حنطةً.

وتسمّى دراهم السند القاهريّات لكلّ واحد خمسة ولهم الطاطرا في الواحد درهمان إلاّ ثلثاً ودراهم الملتان على عمل دراهم الفاطميّ وينفق فيها القنهريُّ الذي بغَزْنين يشبه القروض باليمن إلاّ أن القَرويّة عندهم أجلُّ.

وخصائصهم ليمونتهم وهي ثمرة مثل المشمش حامضة جدًا وأخرى مثل الخوخ يسمُّونه الأنبج لذيذ والفالج الذي تراه بالمشرق وفارس يولد البخاتي وهو أعظم من البخت له سنامان مليح لا يستعمل ولا يملكه إلاّ الملوك ولا تكون البخت إلاّ منه، والنعال الكنباتيّة.

في أهل مكران غبا ألوانهم سمرة ولسانهم وحش يلبسون القراطق ويسبلون الشعور ويشقّقون الأذان مثل الهند وأكثر نواحي الإقليم على ما ذكرنا.

ومهران لا يخالف النيل في شيءٍ من الحلاوة والزيادة وكون التماسيح فيه وخروجه من الناحية التي يظهر منه بعض شعب جَيْحُون قبل الوَخْش ويظهر بناحية الملتان حتّى يجري إلى حدود المنصورة فيقع في البحر عند الدَّيْبُل وعليه مزارع عند زيادته كما ذكرنا بمصر، ونهر سَنْدَرُود من الملتان على ثلاث مراحل وهو كبير عذب.

وأما الأصنام بهذا الإقليم فصنمان بهبروا من حجر لا يصل إليه أحد له طلسم إذا وضع الرجل يده بقيت لا تصل إليه وهما على شبه الذهب والفضّة كلٌ من طلب عندهما حاجةً زعموا أنها تقضى وثَمّ عين ماءٍ خضراءُ كأنها زنجار أشدُّ برداً من الجليد حجرها يبرئ الجراحات والخُدَّام يأكلون من جذر الزناة وعليه أوقاف من الزناة كثيرة ومن أراد أن يكرم ابنته جعلها وقفاً عليه فهما فتنة.

ورأيتُ رجلاً من المسلمين ذكر أنه ارتدَّ ورجع إلى عبادتهما وافتتن بهما ثم عاد إلى نيسابور فأسلم وهما طلسمان، وبعدهما صنم الملتان وإليه تنسب الكورة ويسمى فرج بيت الذهب لأن المسلمين لمّا فتحوا الملتان كان الأمر عليهم ضيّقاً فوجدوا بها من الذهب ما أغناهم وبيت هذا الصنم قصر مبنيٌّ في أعمر موضع من الأسواق وسطه قبّة حسنة حولها بيوت الخدَّام وهو تحت القبّة على صورة رجل متربّع على كرسيّ من جصّ وآجرّ وقد ألبسوه جلداً يشبه السنجاب أحمر لا يتبيَّن منه غير عينيه وهما جوهرتان وعلى رأسه إكليل ذهب قد مدَّ باعَيْه على ركبتيه وقبض أصابع يديه كأنه يحسب أربعة، وما بعد هذه الأصنام دونها.

ورياضهم مكران والراهوق والدُّيْبُل وأَرْمَابيل وقنبلي أكثر عذى ولهم مراعٍ واسعة ومواشٍ كثيرة إلاّ أنها قشفة وهي متجر وفرضة وسَنْدَان وصَيْمُور وكَنْبَاية مدنٌ خصبات رخيصة الأسعار ومعدن الأرزاز والعسل.

وعلى شطوط مهران بوادٍ وعرب كثير والغالب على نواحي مكران المفاوز والقحط والضيق وهي جروم واسعة بها رستاق يسمّى الخروج مدينة راسك وأخرى تسمّى خرزان ويتّصل بها من نحو كرمان ناحية مَشْكَة سعتها ثلاث مراحل قليلة النخيل وبها أضداد والغالب على مكران البوادي ومزارع العذي وبها بطائح كبطائح العراق وبواديهم شبه الأكراد وثمّ زُطٌّ كثير يسكنون أخصاصاً ويتغذّون بالسمك وطير الماءِ.

والراهوق وكلوان رستاقان متّصلان مضافان إلى مكران فمنهم من يجعل الراهوق من المنصورة وهو قليل الثمار وأكبر مدينة بمكران الفَنَّزْبُور وبها نخيل والقُصدَار خصبة رخيصة الأسعار بها أعناب وتجتمع بها أضداد ولا بها نخيل. ووضع هذا الإقليم شرقيّه بحر فارس وغربيّه كرمان ومفازة سجستان وأعمالها وشماليّه بقيّة بلاد الهند وجنوبيّه مفازة بين مكران وجبال القفص من ورائها بحر

فارس وإنّما أحاط بحر فارس بشرقيّ هذه البلاد وجنوبيّه من وراءِ هذه المفازة من أجل أن هذا البحر يمتدُّ من صَيْمور على الشرقيّ إلى تيز مكران ثم يعطف على هذه المفازة إلى أن يتقوّس على بلاد كرمان وفارس.

والذي يقع من المدن فبناحية مكران التّيز وكبرتون ودِزَك وراسك وبه وبند وقَصْرَقَنَد وأصفقة وفهل فهرة ومَشْكى وقنبلى وأرمابيل.

والولايات في هذا الإقليم مختلفة على مكران سلطان على حِدّةٍ وهو متواضع عادل لا ترى مثلهم، وأما المنصورة فعليها سلطان من قريش يخطبون للعبّاسيّ وقد كانوا خطبوا على عضد الدولة ورأيتُ رسولهم قد وافى إلى ابنه ونحن بشيراز.

وأما بالملتان فيخطبون للفاطميّ ولا يحلُّون ولا يعقدون إلاّ بأمره وأبداً رسلهم وهداياهم تذهب إلى مصر وهو سلطان قويٌّ عادل، والغلبة بقَنُّوج وبوَيْهِنْد للكفّار وللمسلمين سلطان على حدةٍ.

والخراج يؤخذ من الحمل إذا دخل طواران ستّة دراهم وكذلك إذا خرج ومن الرقيق اثنا عشر إذا دخل حسب وإن كان من نحو الهند فعشرون من الحمل وإن كان من قبل السند فعلى مقادير القيم وعلى الجلد المدبوغ درهم دخل ذلك في كلّ سنة ألف ألف درهم يأخذه على تأويل الشعور.

وأما المسافات فتأخذ من تِيز مكران إلى كِيس مراحل ثم إلى فَنْزَبُور مرحلتين ثم إلى دِزَك ٣ مراحل ثم إلى راسك مثلها ثم إلى فهل فهرة مثلها ثم إلى أصفقة مرحلتين ثم إلى بند مرحلة ثم إلى به مرحلة ثم إلى قصرقند مرحلة ثم إلى أرمابيل ٦ مراحل ثم إلى دَيْبُل ٤ مراحل.

وتأخذ من التيز إلى قصدار على الساحل في طول مكران مرحلة، ومن المنصورة إلى ديبل ٦ مراحل ومن المنصورة إلى الملتان ٢٠ مرحلة ومن المنصورة إلى أوّل حدّ البدهة ٥ مراحل ثم إلى التيز ١٥ مرحلة.

ومن الملتان إلى غَزْنين ٨٠ فرسخاً في براريّ ومفاوز يلحق الحمل مائة وخمسون درهماً غير الكراءِ وربّما قطعوها في ثلاثة أشهر.

ومن الملتان إلى المنصورة الطريق في قرى وعمارات ٤٠ فرسخاً ومائة في مفازة قليلة العمارة.

وتأخذ من المنصورة إلى قُزْدَار ٨٠ فرسخاً ثم إلى كنكابان مثلها ثم إلى سِيوِه مثلها ثم إلى مدينة ولاشتان مثلها ثم إلى ساغن ٦٠ فرسخاً وسطها منبر ثم إلى غزنين مرحلة.

وتأخذ من قزدار إلى مَشْكَى ٥٠ فرسخاً ثم إلى جالق ٣٠ فرسخاً ثم إلى خواص مثلها ثم إلى سراي شهر ٢٠ فرسخاً ثم إلى نهر سليمان مثلها ثم إلى درهفان ٥٠ فرسخاً ثم إلى جِيرَفْت مثلها.

ومن الملتان إلى بالس ١٠ مراحل ثم إلى قَنْدَابِيل ٤ ثم إلى قصدار ٥ ومن قندابيل إلى المنصورة ٨ أو إلى الملتان ١٠ مفاوز ومن المنصورة إلى قامُهُل ٨ مراحل ثم إلى كَنْبَايَة ٤ مراحل ثم إلى سُوبارَة مثلها وهي على فرسخ من البحر ومن سنْدَان إلى سَيْمُور ٥ مراحل ثم إلى سَرَنْدِيب ١٥ مرحلة.

ومن الملتان إلى بسمد مرحلتان ثم إلى الرور ٣ مراحل ثم إلى أنْرى ٤ مراحل ثم إلى قلّرى مرحلتان ثم إلى المنصورة مرحلة ثم إلى قامهل مرحلة.

المفازة التي بين هذه الأقاليم

اعلم أن بين أقاليم الأعاجم إلاّ الرحاب وخوزستان مفازة قد توسّطتها طولانيّة ليس بها نهر يجري ولا بحيرة ولا رستاق ولا مدينة، قليلة السكّان كثيرة الدعّار، صعبة المسلك مبعّضة الأعمال وحشة الجبال متباعدة القرى مكامن ممتنعة وسبل منقطعة وعيون ضعيفة إلاّ أن الحياض والقباب في طرقها كثيرة وفراسخها قريبة وفي مواضع منها سباخ ورمال ومياه وغدران قفرة مخيفة أكثرها من خراسان وبعضها من كرمان وبعض من فارس والجبال ومن بلد السند وسجستان ومن أجل هذا كثير الدعّار بها لأنهم إذا قُطعوا في عمل هربوا إلى آخر وكمنوا في جبل كَرْكَسكوه أو سياه كوه حيث لا يقدر عليهم ولا يمكن الوصول إليهم.

وليس بها من المدن إلاّ سَفيد وهي في حدود سجستان ويحيط بها من المدن المعروفة من كرمان خَبِيص زاور نَرْمَاسِير كوه بيَان ومن فارس يَزد كَثّهْ عُقْدة زَرَنْد ومن أصفهان أَرْدِسْتَان ومن الجبال قُمْ قاشان دِزَه ومن قهستان طبس كُرِي قَايِن خُور ومن الديلم بيار.

ومثلها كمثل البحر كيف ما شئتَ فسرْ إذا عرفت السمك إلاّ أن الطرق التي قد مثّلناها في الشكل قد اشتهرت وسلكت من أجل الحياض والقباب المعمولة فيها ولو أنّا [. . .][1] حتّى نذكر جميع طرقها ومخارجها لتعجّب الناظر من ذلك وأن منها لطرقاً تخرج إلى بِيّار وخُسْرُوجِرْد ومواضع لا يوبه بها ولقد خرجنا من طَبَس نريد فارس فمكثنا فيها سبعين يوماً نعدل من ناحية إلى ناحية مرّة نَقَعُ في طريق كرمان وتارة نقرب من أصفهان فرأيتُ من الطرق والمعارج ما لا أحصيه وهي جبال كلّها فيها رمال قليلة وعقاب هيّنة وسباخ صعبة وسرود وجروم ونخيل وزروع ورأيتُ أسهلها وأعمرها طريق الريّ وأصعبها طريق فارس وأقربها طريق كرمان وكلّها مخيفة من قوم يقال لهم القُفْص يسيرون إليها من جبال كرمان قوم لا خلاق لهم وجوه وحشة وقلوب قاسية وبأس وجلادة لا يبقون على أحد ولا يقنعون بالمال حتّى يقتلوا من ظفروا به بالأحجار كما تقتل الحيّات تراهم يمسكون رأس الرجل على بلاطة ويضربونه بالحجارة حتّى ينصدع وسألتُهم عن ذلك قالوا لا تفسد سيوفنا ولا يفلت منهم أحد إلاّ ندر ولهم مكامن وجبال يمتنعون بها وكلّما قطعوا في عمل هربوا إلى آخر قتالهم بالنشّاب ومعهم سيوف وكان البَلُوص أشرّ منهم حتّى أبادهم عضد الدولة وأنكى في هؤلاء أيضاً وعند صاحب فارس منهم أبداً أمّة رهائن يذهب قوم ويرجع آخرون وإذا كان مع القوافل بذرقة من قبل سلطان فارس لم يتعرّضوا لهم وهم أصبر خلق الله على الجوع والعطش زادُهم شيءٌ مثل الجوز يتّخذ من النبق يتقوّتون به يدّعون الإسلام وهم أشدُّ على المسلمين من الروم والترك إذا أسروا الرجل أمروه بالعَدْو معهم نحو عشرين فرسخاً حافي القدم جائع الكبد ولا يرغبون في الدوابَ ولا يتعاطون الركوب إنّما هم رَجّالة وربّما ركبوا الجمّازات.

وحدّثني رجل كان من أهل القرآن وقع في أيديهم قال: وجدوا كتباً وطلبوا في الأسارى رجلاً يقرأ، فقلتُ: أنا فحملوني إلى رئيسهم فلما قرأتُ الكتاب قرّبني، وجعل يسألني عن أشياء إلى أن قال: ما تقولون في ما نحن فيه من قطع الطريق والقتل؟ قال: قلتُ من فعل هذا استوجب من الله المقت والعذاب الأليم في الآخرة، قال: فتنفّس الصعداء وانقلب على الأرض، وقد اصفر وجهه ثم أعتقني مع جماعة.

---

(١) بياض في الأصل.

وسمعتُ جماعة من التجار يقولون: إن عندهم أنهم لا يظفرون إلاّ بأموال لا تزكّى ويرون أن ما يأخذونه حقٌّ لهم واجب.

والجبال أعظمها وأمنعها كركسكوه إليه ينسب ما واجه الريّ من هذه المفازة وليس هو بالكبير غير أنه منقطع المرتقى ذو معاطف ومكامن ومخابي خفيّة، ويليه فيما ذكرناه سياه كوه وهو دونه في الكبر غير أنه منيع ويقع طريق الريّ بينهما عند قصر الجِصّ وثَمَّ جوف.

وبها من العجائب على فرسخين من رأس الماءِ نحو خراسان حجارة سود صغار نحو أربعة فراسخ، عند قبر الحاجّيّ نحو بارسك حصًى صغار بعضها في لون الكافور بياضاً وبعضها في لون الزجاج خضرةً، بين خراسان وكرمان صورة لوز وتفّاح وعدس وباقلّى من حجارة وصورة عدّة من الناس وقصر عجيب فيه تماثيل وعقود دقيقة وهو أعجوبة لم أر مثله.

وأما صفة المنازل التي ابتدأنا بذكرها دَيْرُ الجِصّ وهو من آجرّ كلُّ أجرّه مثل اللبنة العظيمة واسع كثير المرافق عليه أبواب حديد وعلى بابه بقّال مقيم وحياض الماءُ خارج منه مدوّرة يجتمع فيها ماءُ المطر غير أنّي رأيتُه شعثاً.

وكاج كانت قرية على رابية وقد خربت وانجلى أهلها أظنّ من القفص وتفترق منها الطرق واحدة هي التي ذكرنا وفيها عبرنا والأخرى إلى قُمّ مرحلة ثم إلى قرية المَجُوس مرحلة.

وبلدة حصن لها مزارع وبها نحو من خمسين داراً. ورباط ابن رستم به ماءٌ جارٍ إلى حوض في الرِباط.

ودانجي قرية كبيرة عامرة، وهذه أعمر طرق المفازة لأنها على تخوم الجبال، ومن كركسكوه إلى الدير أربعة فراسخ ومنه إلى سياه كوه خمسة.

ولم أسلك طريق نيسابور إلى أصفهان إلاّ أنهم يذكرون أنها أنيسة مسلوكة وبها رمال صعبة.

ورباط كوران حصن به مَنْ يحفظه وخارج منه عين مالحة يشربونه. وأَرزَمَة ثلاثة آبار لا تفي بالقوافل الكبار.

والمهلّبي عين ضعيفة عندها رباط خرب. ورباط آب شُتُرَان هو معدن الخوف ومأوى الكوج به قناة عذيبيّة تصبُّ إلى بركة والرباط حسن ما رأيتُ ببلدان الأعاجم أحسن منه من الحجارة والجصّ على عمل حصون الشام عليه أبواب حديد وهو شديد العمارة وفيه قوم يحفظونه بناه ابن سيمجور صاحب جيش ملك المشرق.

وبُشْت باذام شبه قرية كلُّ شيءٍ فيه موجود به مزارع واسعة وأغنام كثيرة وقناة غزيرة وجمال مَسافِرُ وفيه فرج ومغوثة.

وساغند قرية عامرة آهلة. وخزانة قرية فيها حصن ومزارع وزرع وضرع ونحو مائتي رجل وبساتين.

والزاور قرية عامرة عليها حصن وبها ماءٌ جارٍ من حد كرمان. ودركوجوى بها عين ضعيفة وليس بها عمارة.

وشور دوزد رباط قد خرب وثَمَّ وادٍ فيه أشجار ونخيل بلا ساكن تخوف جداً.

ودر بردان صحراءُ بها آبار بلا أنيس وبعده منزل به حوض يمتلئ من الأمطار بلا أنيس.

ونابند رباط يسكن وحوله بيوت عدّة وماءٌ يدير رحى صغيرة ومزرعة ونخيل. وبئر شك بها بئر حلوة بلا أنيس وقباب متّصلة وحياض عامرة وقبل نابند نخيلات وخرب قباب. ودارستان قرية فيها نخيل بلا عمارة.

ونيمة رباط فيه مَنْ يحفظه. وقرية سلم بها أبنية مدَّ البصر متهدّمة ليس بها عين ولا حوض ولا أنيس وهي من كرمان.

ورأس الماءِ به عين تنزُّ إلى حوض وتسقي مزرعة. وكُوكُور قرية عامرة من قهستان.

وبيرة قرية صغيرة بها نفر من الناس. ومعزل عين ماءٍ ولا ترى به ديّاراً ولا عمارة.

وجاه بر بئر عندها قباب مثل بئر شك وثَمَّ حوض. ومعزل أخرى وهي قباب وحوض ماءٍ.

وأما أسفيد فإنها من مدن سجستان في الدواوين غير أنها في حدود هذه المفازة

بها قنيٌّ ومزارع كثيرة عامرة آهلة. فهذا المعروف من المنازل المشهورة في الطرق المذكورة وإن ذكرنا البنيّات وما فيها من القرى والمياه طال الكتاب وأقلّ مرحلة ممّا ذكرنا إلاّ وفيها حياض وقباب على كلّ فرسخ منها حوض أو قباب على بيوت يلجأ إليها في الأمطار ولا ترى في هذه المفازة رباطاً غير ما ذكرنا وليس بها أهل غير بُشْت باذام والخبز والعلف في غيره متعذّر وإنّما يجب أن يحمل ويتزوّد لها زاد ستّة أيّام وطولها على السواءِ ستّون فرسخاً أو نحوها.

وفي طريق الريّ نهر يخاض عظيم ينحدر إلى خوزستان وموضع شديد البرد في جميع السنة.

فهذا ما عرفنا من أقاليم الإسلام وشاهدنا وسمعنا وصحّ عندنا من وصف البلدان نسأل الله العفو والغفران إنه رحيم منّان.

فرحم الله عبداً نظر في كتابنا فاستحسنه أو رضيه واستصوبه إلاّ دعا لنا بنيّةٍ صادقة وطلبة خالصة أن لا يجعله علينا وبالاً يومَ نُسأل عن الصغير والكبير والدقيق والجليل، حين لا ينفع عذر ولا تذليل، ولا يغني صديق ولا خليل، إلاّ مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيم، وعمل لذلك الموقف العظيم، وخاف من ذلك الخطب الجسيم، يوم يجثو الأنبياءُ على الركب، وينقطع كلُّ سبب ونسب.

وقال مصنّفه في وداعه:

كتـابٌ كـالـلآلِـئِ والـرَّبيـعِ وكـالعِقْيَـانِ والـرَّوْضِ المـريـعِ
كـذلِـك فيـه ذِكْـرُ الأرْضِ طُـرّاً بَـديعـاً ثـم سُمِّـيَ بـالبَـدِيـعِ
أَقَـاليـم البِـلاَد وكُـلّ أَرْض وكُـلّ جَـزِيـرَةٍ مِثْـلِ الصَّـدِيـعِ
فجـاج الأرْض مـن عَـدَنٍ وشَـامٍ وسُـوس الغَـرْب بـالنَّبَـأ الـرَّفيـعِ
منـابعهـا وغُـدران الفَيَـافـي ومـا فـي الأرْض مـن طَـوْدٍ مَنِيـعِ
وأثمـار الأقـاليـم بَعْـد نَحْـل مـع الحِـرَفِ العَجَـائِـبِ بـالجَمِيـعِ
فمنهـا مـا رأيـتُ وجُسْـتُ فيهـا ودُخْـتُ نَهَـارَهـا بَعْـدَ الهَـزِيـعِ
ومنهـا مـا أُثِـرْتُ لـه حَـدِيثـاً عـن الشَّعْبِـيّ يُـؤْثَـرُ أو وَكِيـعِ
ذَكَـرْتُ بَـدَائـع الأمْصَـارِ شَتَّـى وكُـلّ مَـدِينَـةٍ مِثْـلَ الصَّـدِيـعِ
ومَيَّـزتُ البُحُـورَ بفَضْـلِ عِلْـمٍ وتَجْـرِبَـةٍ كَتَمْييـزِ القَطِيـعِ

وألْسِنَـــةَ الـــوَرَى جِيـــلاً فَجِيـــلاً   لُغَـــاتِ العُـــرْب عـــن لُغَـــةِ الشَّنِيـــعِ
مَتَـــاجِـــرَ كُـــلِّ إقْلِيـــمٍ وأرْضٍ   وهَيْـــآتِ الـــرَّقِيـــقِ المُسْتَبِيـــعِ
مُشَـــاكِـــلُ كُـــلِّ إقْلِيـــمٍ مِثـــالٌ   لَقَـــدْ جَـــاءُوا بِطَـــوْقِ المُسْتَطِيـــعِ
لِيَنْظُـــرَ فـــي أعَـــاجِيـــبِ البَـــرَايَـــا   ومـــا فـــي الأرض بـــالـــوَشْـــي الـــوَلِيـــعِ
ويَعْلَـــمَ قُـــدْرَةَ الـــدَّيَّـــانِ حَقًّـــا   وإبْـــدَاعَ المُهَيْمِـــنِ والسَّمِيـــعِ
ويَعْبُـــدَهُ عِبَـــادَةَ مُسْتَكِيـــنٍ   وعَبْـــدٍ فـــي عِبَـــادَتِـــهِ مُطِيـــعِ
يُـــذِيـــعُ أيَـــادِيَ الـــرَّحْمـــنِ طُـــرًّا   لِمِفْضَـــال الـــوَرَى دَأْبُ المُـــذِيـــعِ
فـــإنَّ إذَاعَـــةَ الإحْسَـــانِ تَنْمُـــو   إلـــى الـــرَّحْمـــنِ مـــن قَـــوْلِ المُشِيـــعِ
وصغـــتُ أجيـــلُ فيـــه الفِكْـــرَ جُهْـــدِي   رَجَـــاء الخُلْـــد فـــي يَـــوْمٍ فَظِيـــعِ
وغُفْـــرَانَ الـــذُّنُـــوب يعفـــو ربّـــي   ومـــن نـــارٍ ومـــن فَـــزَعٍ وَجِيـــعِ
فَـــدُونَـــكَ حِكْمَـــةً كَـــالـــدُّرِّ حُسْنـــا   أبَـــا حَسَـــنٍ وَزِيـــرَ ابْـــنِ الـــرَّفِيـــعِ
مُقَـــدَّسَـــةً تبـــصُّ بَصِيـــصَ شَـــذْرٍ   مـــن اليَـــاقُـــوتِ ألْـــفٌ للقَـــرِيـــعِ

تم والحمد لله وحده.

فهرس المحتويات